



منشورات
دار الثقافة العلمية
سلسلة المكتبات والمعلومات

نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين دراسة تحليلية

إعداد

ناهد محمد سالم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

ماهر عبد القادر محمد

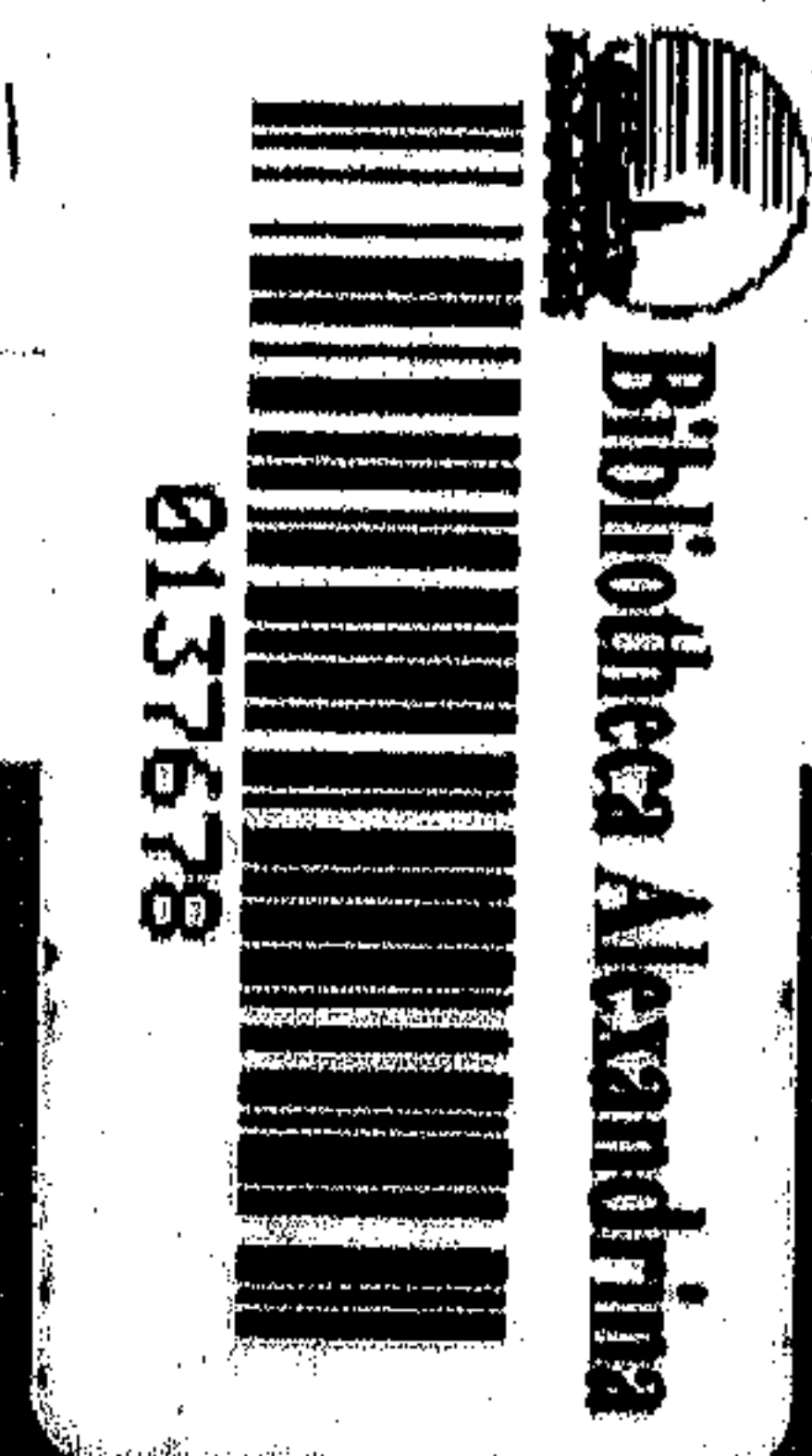
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور

شعبان عبد العزيز خليفة

المكتبات والمعلومات
جامعة القاهرة

الإسكندرية



نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين

دراسة تحليلية

إعداد

ناهد محمد سالم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

ماهر عبد القادر محمد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور

شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة العلمية

٢٠٠٠

الناشر

وزارة الثقافة العلمية

وزارة نشر متخصصة في المكتبات والمعلومات

الأسكندرية : ٤٧ شارع مرتضى باشا - جناقليس

ت : ٥٧٤٧٠٣٤ فاكس : ٥٧٢٨١٧٦

إهداء

إلى زوجي

وأولادي

شرين ، أحمد

أهدي هذا الكتاب وفاءً أو عرفاناً وتقديرًا.

ناهر

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم بقلم أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة	٥
تقديم بقلم أ.د. ماهر عبد القادر محمد	٦
المقدمة	٨
الفصل الأول : التصنيف : تعريفه ومكانته في تنظيم المعرفة	١٣
تعريف التصنيف	١٣
أنواع التصنيف	١٣
علم التصنيف عند العرب	١٨
ترتيب العلوم في التصنيف العربية الإسلامية	٢١
طرق التقسيم التي تتبعها التصنيف العربية	٢٤
أنواع التصنيف العربية الإسلامية	٢٧
الفصل الثاني : الحياة الفكرية والثقافية في الحضارة العربية الإسلامية	٣١
اسهامات العرب المسلمين في كافة فروع المعرفة	٣١
العلوم النقلية : التفسير - القراءات - الحديث - الفقه - علم الكلام - النحو - الشعر - الأدب	٣٢
العلوم العقلية: التاريخ - الجغرافيا - علم الفلك - الرياضيات - الحساب - الجبر - الهندسة - علم الحيل - الموسيقى - علم الطبيعة - الكيمياء - الطب - الصيدلة - علم الحيوان - علم النبات - الفلسفة	٣٧

٤٩	الفصل الثالث: التصانيف العربية الإسلامية فى العصر العباسى الأول
٥٠	تصنيف جابر بن حيان
٧٣	تصنيف الكندى
٨٩	الفصل الرابع: التصانيف العربية الإسلامية فى العصر العباسى الثانى
٩٠	تصنيف الفارابى
١١٠	تصنيف الخوارزمى
١٢٩	تصنيف ابن النديم
١٥١	تصنيف ابن سينا
١٧٣	الفصل الخامس : التصانيف العربية الإسلامية فى العصرين الثالث والرابع العباسيين
١٧٤	تصنيف الطوسى
١٨٤	تصنيف ابن الأکفانى
٢١٦	تصنيف ابن خلدون
٢٢٤	تصنيف السيوطى
٢٦٧	الفصل السادس: التصانيف العربية الإسلامية فى العصر العثمانى
٢٧٠	تصنيف طاشكبرى زادة
٣٢٩	تصنيف الشروانى
٣٤٢	تصنيف التهاونى

تقديم

بقلم أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

يعرف العاملون في حقل الفلسفة وعلم المكتبات والمعلومات أن التصنيف هو سيد فروع المعرفة البشرية وأنه أبو العلوم كلها.

والصنيف من حيث هو التقسيم المنطقي لجزئيات المعرفة البشرية وتحليل وتركيب العلاقات بينها ويتداعى من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص فالأكثر خصوصية؛ ينتج لنا في النهاية شجرة أو خريطة هرمية للمعرفة يستطيع الناظر إليها والمتعامل معها أن يحدد موقع كل موضوع وارتباطه مع الموضوعات الأخرى.

والصنيف من هذا المنطلق يعودنا على التفكير المنطقي السليم من جهة ويحملنا على تأدية أعمالنا اليومية التطبيقية بطريقة تلقائية بما يوفر الوقت والجهد والمال، ولا نغالى إذا قلنا أن التصنيف يملأ حياتنا اليومية العامة والخاصة على السواء وهو ما يمسك على الحياة نظامها وفاعليتها وبدونه سوف تتحول الحياة إلى فوضى مطبقة.

والصنيف من حيث هو عمل تطبيقي يستند إلى أسس نظرية فإنه بالضرورة ينطوى على شقين أحدهما فلسفى نظرى والآخر تطبيقي عملى؛ وهو ككل المهن يظهر فيه الشق العملى التطبيقي أولاً وبعد فترة طويلة من التطبيق والممارسة يظهر التنظير والتأطير والتعقيد. لقد مورس التصنيف عملاً وتطبيقاً منذ أقدم العصور سواء على مستوى وضع أنظمة التصنيف أو تطبيقها فى مؤسسات المعلومات. أما وضع أسس علم التصنيف ونظرياته وفلسفاته وقواعده وأطره فقد تأخر قرناً عديدة عن الممارسة والتطبيق.

ويحلو لعلماء المعلومات أن يقسموا التصنيف إلى ثلاث فئات هى : التصنيف الفلسفى (أو تصنيف المعرفة) والتصنيف الببليوجرافى (أو تصنيف الكتب) و التصنيف المكتبى (أو التصنيف العملى).

والصنيف الفلسفى يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية المجردة دون أن تعالج كموضوع فى عمل فكرى ودون أن تصبحها مادة علمية تجسدها. هنا تعالج

الجزئيات كخطوط عريضة للمعرفة ويقصد بالمعالجة تنظيمها على خريطة وتشبيك العلاقات والروابط فيما بينها وتكمن أسس التشبيك والترابط في عقل واضع التصنيف قد يبديها وقد يخفيها ولكنه في الأعم الأغلب يخفيها ولا يبديها.

والتصنيف الببليوجرافى أو تصنيف الكتب يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية وقد عولجت كمادة علمية فى أوعية تحملها ومن ثم تكون قد استحالَت إلى أرواح فى أجساد وللأجساد متطلباتها وانعكاساتها على كيفية التصنيف. والتصنيف الببليوجرافى يتعامل مع أوعية المعلومات على إطلاقها كما نشرت فى سوق المعلومات دون أن تنتظم أو تقتنى فى مكان معين يتطلب الأمر معه اختزانها فيه واسترجاعها منه.

أما التصنيف المكتبى - وقد يختلط مع التصنيف الببليوجرافى - فإنه يتعامل مع جزئيات المعرفة وقد عولجت فى أوعية ويتعامل مع الأوعية وقد سكنت مكاناً معيناً ويتطلب الأمر استرجاعها بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن. ولهذا التصنيف المكتبى هو الآخر متطلباته وانعكاساته ولعل أبرز متطلباته ضرورة وجود الرمز الذى يختزن به الوعاء على الرفوف ويسترجع به منها وغير ذلك من انعكاسات ومتطلبات أخرى.

والكتاب الذى أقدمه يستند فى حقيقة الأمر على رسالة الدكتوراة التى تقدمت بها الدكتورة ناهد سالم إلى قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية. وتناولت فيها حلقة واحدة من حلقات التصنيف الفلسفى أى تصنيف المعرفة؛ ونقصد بهذه الحلقة "تصنيف العلوم عند المسلمين" فى القرون العشرة الهجرية الأولى. وهذه الحلقة هى فى الواقع درة حلقات التصنيف الفلسفى أو تصنيف المعرفة، وحيث لم تصلنا تصنيفات كثيرة للمعرفة من العصور القديمة، كما لم يبدل المسيحيون فى العصور الوسطى المسيحية بدلو كبير فى هذا الصدد؛ وكان اختيار هذه الحلقة بالذات اختياراً موفقاً إلى أبعد حد، وإن كانت الفترة التى تغطيها الدراسة فترة واسعة من الناحية الزمنية، غزيرة التصانيف من الناحية العددية إلا أن الباحثة قد تعمقت الدراسة فى الزمان والمكان والكم بكفاءة واقتدار. وأنا لن أثنى على كفاءة

الباحثة وقدرتها وصلابتها وعمق تفكيرها وصبرها وجلدها فى أداء عملها، فهذا أمر أشارت إليه لجنة الحكم على الرسالة وأشادت به.

لقد عكست لنا الدراسة التى قامت بها الباحثة الحضارة العربية والإسلامية والحياة الفكرية والثقافية التى نبتت فيها تلك التصانيف.

فالتصنيف ابن بيته وهو كما يقول نابليون بونابرت عمل سياسى. وقد نجحت الباحثة فى رسم لوحة زيتية زاهية الألوان لواقع العلوم عند المسلمين فى حقبة الدراسة. وبعد تلك الخلفية التى عملت فيها التصانيف المدروسة تتبعت الباحثة نشأة التصانيف العربية الإسلامية على فتراتنا المختلفة: فى العصر العباسى الأول فالعصر العباسى الثانى ثم فى العصرين العباسيين الثالث والرابع ثم فى العصر العثمانى وكأنى بالباحثة وهى تقسم دراستها إلى هذه الفترات تتمثل مقولة نابليون بونابرت فى أن التصنيف عمل سياسى، لأن الفترات التى قسمت إليها الدراسة هى فعلاً فترات سياسية انعكست على الحياة الفكرية وكان من الضرورى أن تنعكس على بنىات التصانيف ومكوناتها.

ولقد كان من الطبيعى أن تقدم الباحثة لدراستها بمقدمة تعرف فيها بالتصنيف وتبسط أنواعه ونشأة التصنيف عند العرب ومواضع العلوم فى التصانيف العربية وأسس تقسيم العلوم فيها ثم توزع التصانيف على أنواعها.

واعترافاً بالفضل لأهله وليس من قبيل التساهل فى التعبير، يجىء هذا البحث إضافة إلى التخصص وإضافة إلى المعرفة البشرية العامة والعربية، نجحت فيه الباحثة نجاحاً كبيراً منهجاً وعرضاً ومادة ولغة.

وفق الله الباحثة وسدد على طريق العلم خطاها.

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تقديم

بقلم أ. د. ماهر عبد القادر محمد علي

تشكل منظومة المعرفة عند المسلمين إطاراً مهماً في سياق المعرفة الإنسانية، وهو ما يتضح في أكثر من جانب من الحياة العقلية العربية الإسلامية التي ازدهرت منذ القرن الثاني الهجري، ومن بين الجوانب المهمة للعقلية الإسلامية النظرة في تصانيف العلوم، بما يكشف عن العلاقة بينها.

اهتم العلماء العرب بعلم التصنيف بصورة كبيرة، وانعكس هذا بشكل واضح على اهتماماتهم العلمية، وتناولهم للعلوم على نحو معين، وبيانهم للعلاقة بين العلوم وبعضها، ومدى استفادة علم ما من علم آخر بالصورة التي تحقق التكامل المعرفي.

والدراسة التي تقدمها الباحثة الدكتورة ناهد محمد بسيوني سالم، المدرس بقسم المكتبات بكلية الآداب جامعة الأسكندرية، تعتبر من الدراسات المهمة في مجال الكشف عن أهمية علم التصنيف عند العلماء العرب.

وتكشف الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين تصنيف العلوم عند المسلمين وطريقة التعليم، وأن التصانيف العربية استندت في حالات كثيرة إلى المنهج الاستنباطي في تقسيم المعرفة، واعتمدت في حالات أخرى على المزاجية بين المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي.

ومن جانب آخر فإن دراسة الباحثة تؤصل منظور الدراسات البيئية إذ أن دراسة تصنيف العلوم يدخل مباشرة في مجال دراسات تاريخ العلوم، كما يدخل بالضرورة في إطار دراسات علوم المكتبات والتوثيق. وانتباه الباحثة إلى هذا الجانب يحسب لها، إذ إنها بتفعيل هذا الاتجاه تكون قد عملت على ترسيخ المفهوم العربي الإسلامي لدراسة العلوم من منطلق تكاملي تعتمد فيه العلوم على بعضها.

والذي لا شك فيه أن هذه الدراسة تكشف عن حقيقة أخرى مهمة وهي أن النظر في منظومة المعرفة عند المسلمين لم يكن مبنياً على تصور نظري وإنما التحمت التجربة والعلم التطبيقي بهذا التصور، وهو ما نجده عند جابر بن حيان وابن سينا وابن خلدون.

أضف إلى هذا ما امتازت به بعض فترات الحضارة العربية الإسلامية من ازدهار، وبصفة خاصة القرن الرابع الهجرى الذى ظهرت فيه تصانيف عديدة تنطوى على أفكار جديدة اشتملت على الجذور الحقيقية للتصانيف الحديثة والبيولوجرافيا. مما يعكس عبقرية العقلية العربية فى هذا المجال.

وبعد، فإن هذه الدراسة التى تقدمها الدكتورة ناهد بسيونى أصابت كبد الحقيقة حين بينت أصالة علم التصنيف وأهميته عند العلماء العرب والمسلمين، وأن هذا العلم شكل مبحثاً مهماً فى سياق منظومة الأبحاث العقلية عندهم بالصورة التى جعلتهم يتفوقون على أقرانهم من علماء الغرب فى الفترة ذاتها.

وأعتقد أن دراسة الدكتورة ناهد تفتح الطريق أمام الباحثين لاستجلاء ودراسة هذا المجال الخصب الذى يحتاج إلى عشرات الدراسات لإثراء المكتبة العربية فى هذا الجانب.

الأسكندرية

٣٠ ديسمبر ١٩٩٩

دكتور

ماهر عبد القادر محمد على

أستاذ تاريخ وفلسفة العلوم

مقدمة

الحضارة العربية الإسلامية حضارة أصيلة لها إسهاماتها الفعلية في مختلف العلوم والفنون والآداب، ويعد التصنيف أحد المجالات التي كان للعرب والمسلمين إسهاماتهم القوية فيها، بما وضعوه من خطط تصنيفية تنطوي على كثير من المفاهيم والقواعد التي تطبقها خطط التصنيف الحديثة، وكان لهم إسهام كبير في وضع قواعد ساروا عليها في تقسيم العلوم، وتحديد العلاقات بينها، وجعلوا للتصنيف مكاناً على خريطة المعرفة البشرية. وتعد هذه التصنيفات العربية الإسلامية حلقة رئيسية من حلقات التقدم العلمي الحضاري، حيث أصبحت الحضارة العربية الإسلامية - بما أسهمت به من فكر في مختلف فروع العلم - حلقة قوية في سلسلة حلقات الحضارة الإنسانية تصل حضارات أمم سابقة عليها بالحضارة الأوروبية التي أخذت عنها، وعلى الرغم من أهمية الدور العربي المسلم في مجال التصنيف إلا أنه لم يوف حقه من البحث والتعريف من قبل مؤرخي علم التصنيف الغربيين، فنجد الكتابات الغربية كلها تغفل دور العرب في العصور الوسطى وتقفز بدراسة التصنيف من الحضارة اليونانية إلى بدايات الحضارة الغربية.

وعلى المستوى العربي لم يحظ موضوع تصنيف المعرفة عند المسلمين بكتاب يوف هذا الموضوع حقه أو دراسة متخصصة سوى بضعة مقالات أو مقدمات كتب أو أجزاء من كتب، إلا أنها لم تخرج في معظمها عن مجرد عرض لتلك التصنيفات، أو حصرها أو التعريف بها، ولم تنفذ بعمق إلى أسس ترتيب العلوم فيها، أو القواعد والمفاهيم التصنيفية التي اتبعتها في عرض العلوم على الخريطة التصنيفية، ومن ثم يهدف هذا الكتاب إلى دراسة شاملة وافية للتصنيفات العربية الإسلامية عبر عشرة قرون منذ القرن الثاني الهجري - على اعتبار أن ظهور أول التصنيفات العربية الإسلامية يرجع إلى منتصف هذا القرن - إلى القرن الثاني عشر الهجري، لأن ما جاء بعد هذا القرن يعد نقلاً عن غيره من التصنيفات السابقة، أو دراسات قامت على التصنيفات العربية الإسلامية، مثل التصنيفات التي وضعها علماء الأزهر.

وقد عرض الكتاب لأربعة عشر تصنيفاً تمثل أهم التصنيفات التي عبرت عن الاتجاهات التصنيفية العربية بما انطوت عليه من مفاهيم وقواعد جديدة فى مجال التصنيف.

وقد اشتمل الكتاب على ستة فصول. حيث تناول الفصل الأول علم التصنيف عند العرب والقواعد والأسس التي وضعها المصنفون العرب والمسلمون لتقسيم العلوم وترتيبها، ثم طرف التقسيم المتبعة فى التصنيف العربية الإسلامية، ثم أنواع التصنيف العربية الإسلامية.

أما الفصل الثانى فقد خصص للتعريف بإسهامات العرب والمسلمين فى كافة فروع المعرفة البشرية.

هذا وتتناول الفصول الربعة من الثالث إلى السادس أبرز التصنيفات العربية الإسلامية التي كان لها إسهاماتها فى الفكر التصنيفى عبر عشرة قرون من عمر الحضارة العربية الإسلامية موزعة حسب العصور الإسلامية، فاختص الفصل الثالث بالعصر العباسى الأول، والفصل الرابع بالعصر العباسى الثانى، والفصل الخامس بالفترة التي تلت سقوط الدولة العباسية فى بغداد حتى انتقال زعامة العالم الإسلامى إلى العثمانيين، والفصل السادس بفترة الحكم العثمانى للعالم الإسلامى، وبلغ عدد التصنيفات أربعة عشر تصنيفاً، موزعة حسب تاريخ كل تصنيف على الفصول الأربعة.

وقد درس كل تصنيف من حيث : نوعه، والهدف من وضعه وإعداد خريطة للعمل التصنيفى، والمنطق والفلسفة الكامنة وراء ترتيب العلوم داخل كل تصنيف، وأهم الملاحظات على العمل التصنيفى، وقواعد التصنيف ومفاهيمه التي برزت فى الخطة التصنيفية، وأهم مميزات التصنيف وعيوبه، وتأثير البيئة الثقافية والفكرية على العمل التصنيفى، والاتجاه الفلسفى لصاحبه، والتصنيف بين التأثير والتأثر، وتأثير الفكر الأرسطى على التصنيف؛ ومستوى المعالجة فى التصنيف، ومدى التماسق والتماسك فى العمل التصنيفى.

وختاماً لا يسعنى - بعد حمد الله وشكره على إتمام كتابة هذا الكتاب - إلا أن أتوجه بعظيم شكرى إلى الأستاذ الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة أستاذ ورئيس قسم

المكتبات والمعلومات بكلية الآداب جامعة القاهرة، حيث كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته الدقيقة أبلغ الأثر في إنجاز هذا العمل، كما يطيب لى أن أقدم بخالص شكرى إلى الأستاذ الدكتور ماهر عبد القادر محمد أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الأسكندرية الذى لم ييخل بوقته وجهده فى شرح العديد من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية، وإمدادي بالعديد من المصادر من مكتبته الخاصة، واهتمامه بتوجيهى وإسداء النصائح.

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لى عوناً سواء إمدادى بالكتب أو سعة صدره بمناقشة فى هذا الموضوع، وأخص بالذكر كل من الأستاذ الدكتور عبد الحليم عطية أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور أحمد أنور بدر أستاذ علم المكتبات بكلية الآداب جامعة الرياض، وأخى وزميلي الدكتور السيد النشار على تشجيعه لى وما قدمه لى من بعض المصادر فى بداية إعداد هذا الكتاب.

المؤلفة

الفصل الأول

التصنيف

تعريفه و مكانته فى تنظيم المعرفة

تعريف التصنيف :

التصنيف فى اللغة : صنف الشيء ، أى جعله أصنافاً ، و ميز بعضه عن بعض . و الصنف - بكسر الصاد و فتحها - النوع أو الضرب ، و الجمع أصناف وصنوف . (١)

أما كلمة " *Classification* " فى اللغة الإنجليزية فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية " *Class* " التى يراد بها الطبقات التى ينتمى إليها أفراد المجتمع ، حيث قسم المجتمع الرومانى إلى ست طبقات حسب خصائص معينة ، مثل : الثروة ، و النسب ، وغيرها . (٢)

والتصنيف فى علم المكتبات هو عملية عقلية تتعلق بالتعرف على الخاصية الجوهرية التى على أساسها يتم تجميع المواد المتشابهة ، و فصل المواد غير المتشابهة ، بهدف ترتيب هذه المواد بطريقة منهجية . و فى عرف المكتبيين تعنى الخاصية الجوهرية الموضوع أو المحتوى الفكرى للكتاب ، و وسيلة التعبير عن هذا المحتوى الفكرى ترجمته إلى لغة صناعية تسمى الرمز الذى يتكون من الحروف أو الأرقام أو الاثنين معاً .

أنواع التصنيف

إن خطط التصنيف الحديثة فى مجال المكتبات و المعلومات قد استفادت فى مراحل تطورها من خطط التصنيف الفلسفية أو العملية التى سبقتها عبر تاريخ الحضارة البشرية . و قد أصبحنا فى العصر الحديث نستخدم مسميات متعددة

للتصنيف ، مثل : التصنيف فى المنطق ، و التصنيف الفلسفى ، و التصنيف البيبليوجرافى ، و التصنيف العلمى ، و سوف تعرض الباحثة هذه الأنواع المختلفة و مدى العلاقة بينها .

التصنيف فى المنطق

التصنيف فى المنطق ترتيب نسقى ، و هو غاية العلم و سر تقدمه . و تصنيف أية مجموعة من الأشياء معناه وضعها فى أصناف مرتبة على أساس خاص بحيث يسهل معرفتها ، و يميز أفرادها و أصنافها ، و يسهل الانتفاع بها . و ينقسم التصنيف إلى قسمين :

١. تصنيف صناعى *Artificial Classification* :

هو ترتيب مؤقت يحاول رد الكثرة إلى أصل واحد ، و يقوم أساس التصنيف فيه طبقاً لغرض معين ، و كمثال على ذلك : ترتيب الحروف من الألف إلى الياء الذى نستخدمه و نستفيد منه عملياً فى المعاجم و الكتالوجات المكتبية و فهارس الكتب . و يلاحظ أن هذا التصنيف اتفاق لا يهتم بالمعرفة الدقيقة و الجوهرية لطبيعة الأشياء .

٢. تصنيف طبيعى أو علمى *National or Scientific Classification* :

يحاول هذا النوع من التصنيف إبراز النظام الطبيعى للموجودات طبقاً لصفاتها الذاتية أو الجوهرية ، و هو أهم التصنيفات لأنه يتبع غرضاً نظرياً لا عملياً ، و يحقق الوحدة أو النسقية . (٣)

التصنيف الفلسفى :

يطلق عليه - أيضاً - تصنيف المعرفة ، و هو من وجهة نظر علماء المكتبات عبارة عن تصور الفلاسفة لترتيب المعرفة و تقسيمها و ربط أجزائها ، و هو مجرد رياضة عقلية لم يقصد بها أصحابها الاستفادة بها فى تنظيم المعلومات فى المكتبات و مراكز المعلومات . و ينتج عن التصنيف الفلسفى ما يعرف بالخطط النظرية التى تعرض للعلوم و العلاقات بينها بناء على تصور الفيلسوف لها . (٤) و ترجع بدايات التصنيفات الفلسفية إلى بداية تكون مجموعة من المعارف لدى الإنسان ، ثم حاول أن يضع لها إطاراً ينظمها ، و من ثم نجد اهتمام كل حضارة

عبر التاريخ البشرى بوضع تصانيف تمثل كمية المعرفة التى توصلت إليها ، و تعكس الفلسفة السائدة و الأفكار المسيطرة على عصرها .

و التصانيف الفلسفية أسبق فى الظهور من التصانيف الخاصة بالكتب ، ويرجع ذلك إلى أن واضع هذه التصانيف هم الفلاسفة و العلماء الذين كانوا يحاولون تسجيل وجهات نظرهم فى تقسيم المعرفة ، كما أن الإنتاج الفكرى لم يكن بالكثرة التى تجعل الإنسان يفكر فى تقسيم هذه الكتب حسب الموضوع ، و إنما كانت ترتب حسب صفات أخرى كالحجم أو اللون أو الشكل .

و يبنى التصنيف الفلسفى على الطريقة المنطقية التى تعمل على تجميع الأقسام المتجانسة ذات الصفات المشتركة ، و فصلها عن الأقسام التى تختلف عنها ، فمثلاً عند إعداد تصنيف فى قطاع معرفى ، كقطاع البترول ، يتم تجميع كل الموضوعات ذات الخصائص المشتركة إلى جوار موضوع البترول .

علاقة التصنيف الفلسفى بالعملية التعليمية :

يشير بول هرست " *Paul Hirst* " و هو أحد فلاسفة التعليم ، إلى أن مضمون العلم العام يهتم بموضوعات المعرفة ، و علاقة الموضوعات ببعضها ، ومن ثم فإن علاقة التصنيف الفلسفى بالمتطلبات التعليمية علاقة وثيقة . (٥)

و يستخدم التصنيف فى تعريف الطبيعة الأساسية للموضوع ، و ذلك عند تحليل الوثائق الفردية ، كما أن هذه العلاقة تكمن فى أن المعلم عند تدريسه لإحدى الموضوعات فإنه يحاول إعطاء مبررات فلسفية للتدرج فى تدريس الموضوعات حسب الأولوية فى تقديم موضوعات على غيرها ، و هذا ما نجده فى التصنيف الفلسفى ، حيث إن ترتيب العلوم و تقديم بعضها على بعض يرجع إلى فلسفة معينة تقف وراء هذا الترتيب ، و هذا الارتباط عكسته التصانيف الإسلامية ، فقد كان ترتيب العلوم فيها مرتبطاً بالفلسفة التعليمية فى طريقة تدريس المواد و ترتيب أولويات دراستها ، و لذلك يعتبر التصنيف الفلسفى انعكاساً لطريقة التعليم فى عصره ، و نظرة العلماء للموضوعات ، و مدى أهمية كل منها .

التصنيف العلمى :

التصنيف العلمى هو تصنيف الكائنات الحية ، و هو ما يعرف عند العلماء بتصانيف الأحياء ، و هو نوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أنه سوف يستعمل لأغراض تنظيم المعلومات فى المكتبات و مراكز المعلومات ، و لكن قيمته كانت علمية محضة . و هذا النوع من التصنيف يقوم على تقسيم الكائنات الحية إلى رتب وأقسام وفقاً للصفات التشريحية ، و قد كان لكل رتبة أو طبقة عدد من الصفات الجوهرية المعروفة التى سجلت عنها بناء على تشرحها .

التصنيف المكتبى :

هو ما يعرف بالتصنيف العلمى الذى يعتمد على الأشياء أو الوحدات المادية ، و منها الكتب بخصائصها و صفاتها . و يقوم تصنيف الكتب على ترتيب المضمون الفكرى (الموضوع) للكتب ، بحيث يبرز العلاقات بين الموضوعات التى نجدها فى الإنتاج الفكرى .

و يشمل تصنيف الكتب عملين أساسيين هما : الأول : عمل واضع نظام التصنيف الذى يعرف باسم " Classificationist " ، و يتطلب فى هذا الشخص مقدرة خاصة فى بناء خطوات التصنيف و رسم العلاقات بين الموضوعات التى وضعها العلماء ، و التى من خلالها يقوم بعمل و إبداع خطة تصنيفية تعكس كل الآراء الجماعية - بقدر الإمكان - عن حدود العلوم و العلاقات بينها .

و العمل الثانى : عمل المكتبى ، و يعرف باسم المصنف " Classifier " ، و يقوم عمله على تحديد موضوع الوثيقة و مكانها فى خطة التصنيف ، مع الالتزام بالتوحيد فى عملية التصنيف . و يشترط فى هذا الشخص معرفة واسعة بمجالات المعرفة البشرية و نظم التصنيف المختلفة . (٦)

و ينطوى التصنيف المكتبى على نوعين ، هما : التصنيف الصناعى ، والتصنيف الطبيعى .

أولاً : التصنيف الصناعي :

يقوم التصنيف الصناعي على الصفات الظاهرة و الخارجية لجمع الأشياء أو فصلها عن بعضها ، و النظام الناتج عن التصنيف الصناعي هو آلة مؤقتة لسير العمل . و كانت المكتبات قديماً تستخدم هذا النوع من التصنيف لترتيب مجموعات الكتب بها معتمدة على الصفات و الخصائص الظاهرة لمصادر المعلومات من الحجم أو اللون ، و مازالت بعض المكتبات في العصر الحديث تستخدم هذا النوع من التصنيف ، كما في حالة فصل مصادر المعلومات تبعاً لشكلها ، مثل فصل المخطوطات عن المطبوعات عن المصغرات الفيلمية عن الخرائط ، الخ .

ثانياً : التصنيف الطبيعي :

تعتمد التصنيف الطبيعية على صفات جوهرية أساسية ، و الصفة الجوهرية في مصادر المعلومات هي المحتوى الفكري (الموضوع) الذي تدور حوله المادة العلمية . و يعرف التصنيف الطبيعي بأنه التصنيف المنطقي للمعرفة البشرية ، حيث تقسم إلى قطاعات معرفية عريضة ، ثم تقسم إلى موضوعات أخص ، و هكذا يسير التقسيم متدرجاً من الموضوع العام إلى الخاص إلى الأكثر خصوصية . (٧) و من التصنيفات البيبليوجرافية الطبيعية في العصر الحديث : تصنيف ديوى العشرى ، و التصنيف العشرى العالمى ، و تصنيف بليس ، و تصنيف براون ، و غيرها .

علاقة التصنيف المكتبى بالتصنيف الفلسفى والعلمى :

لا يهتم المكتبى فى عملية تصنيف الكتب بالطريقة التى يستخدمها العلماء والفلاسفة لتشكيل فئات الموضوعات أو ترتيب الفئات المكونة للعلم ، و لا الاهتمام بالفلسفة الكامنة وراء ذلك ، و إنما يأخذ ما استقر عليه العالم أو الفيلسوف بشكل مسلم به ، مدركاً تماماً عدم وجود تصنيف منطقى يعكس الواقع ، و يحدد بصورة قاطعة الحدود بين المجالات الموضوعية المختلفة . و ما يهم المكتبى هو تحديد القطاع المعرفى الذى ينتمى إليه موضوع الكتاب ، فإذا كان تصنيف كتاب فى التراجم أو الكوميديا فإنه لا يبحث عن تعريف التراجم أو الكوميديا و وضعها على الخريطة التصنيفية ، و إنما يتساءل : إلى أى قطاع من قطاعات الأدب ينتمى هذا العلم .

كما أن عملية تصنيف الكتب حسب الموضوع هي عملية أكثر تعقيداً من تصنيف العلوم ، و إيجاد العلاقة بينها ، لأن الكتاب يتناول أدب الموضوع من وجهات نظر مختلفة ، و عند تناول موضوع المياه في كتاب فإن ذلك قد يكون من حيث التجميد و التكتيف ، أو المعالجة الكيميائية للمياه ، و هذا ما لانجده في خطة التصنيف الفلسفية أو العلمية ، و لهذا فإن التصنيف المكتبي ، و هو ما يعرف بالتصنيف البيبليوجرافي قد طور ما وضعه الفلاسفة و العلماء من خطط تتناسب مع تصنيف المعرفة من خلال الإنتاج الفكري ، واضعين في الاعتبار التعقيد و التشابك في موضوعات الكتب و طبيعة الوسائل الحاملة للمعلومات ، و من ثم ظهرت التصنيفات التي قامت على التحليل و التركيب لعناصر المعلومات ، و هذا ما وجد في تصنيف الكولون و التصنيف العشري العالمي ، كما نجد هذا الاتجاه التحليلي التركيبي في الطبقات الحديثة لتصنيف ديوى العشري .

علم التصنيف عند العرب

أنتجت الحضارة العربية الإسلامية كثيراً من الأعمال التصنيفية ، و يعد العرب المسلمون أول من وضع تأليفاً مستقلاً في علم التصنيف . و يشير محققا كتاب: "مفتاح السعادة و مصباح السيادة" لطاشكبرى زادة إلى أن الفارابي أول من كان له السبق في ذلك . و لكن الباحثة ترى أن جابر بن حيان قد سبق الفارابي إلى ذلك في كتابيه : "الحدود" و "السباعية" .

و يرجع إلى المسلمين الفضل في جعل التصنيف علماً من العلوم ، و تحديد مكان له على سلم المعرفة البشرية ، و هذا ما وجدناه عند طاشكبرى زادة في القرن السادس عشر الميلادي ، بينما لم تعترف أوروبا بالتصنيف كعلم إلا في القرن التاسع عشر الميلادي . (٨)

و حدد العرب طرق التصنيف التي تتبعها التصنيف الحديثة ، كما حددوا العلاقات بين العلوم ، و أسس ترتيب العلوم ، و المفاضلة بينها ، و هذا ما ستحاول الباحثة توضيحه .

تعريف التصنيف عند العرب

يرجع الفضل إلى طائفة من زائدة في وضع تعريف محدد للعلم التصنيف ، حيث عرفه بأنه " علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم ، و لما كانت أعم العلوم موضوعاً للعلم الإلهي جعل تقسيم العلوم من فروعها ، و يمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر ، لكن الأول أسهل و أبصر " . (٩) و هو في هذا للتعريف لا يعنى التصنيف بصفة عامة ، و لكنه يعنى تصنيف العلوم ، و هو ما يصدق على تعريفه في المصدر الحديث ، كما حدد تبعية هذا العلم للعلم الإلهي على أساس أن من أصول العلم الإلهي علم مبادئ العلوم ، و من ثم فباعتماد علم التصنيف أو تقسيم العلوم من العلوم المبتدئة التي تحتاج إلى تحديد قواعدها و مبادئها ، و من هنا اعتبر من فروع العلم الإلهي .

طرق التصنيف :

لوضح طائفة من زائدة أن هناك طريقتين في تقسيم العلوم ، هما :

الطريقة الأولى : التقسيم ، و هو التكرير من فوق إلى أسفل ، أي من أعم العلوم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و الصنف إلى الأشخاص .

الطريقة الثانية : التحليل ، أي التكرير من أسفل إلى فوق أو أعلى ، أي من الأخص إلى ما هو أعم ، أي تجميع جزئيات الموضوع للوصول إلى الموضوع الكلي الذي يشمل هذه الجزئيات . (١٠)

و لا تخرج طرق التصنيف الحديثة عن هاتين الطريقتين اللتين تعرفان بالمنهج الاستنباطي ، و المنهج الاستقرائي . و قد حدد طائفة من زائدة هاتين الطريقتين في تعريفه للتصنيف ، و أشار إلى سهولة الطريقة الأولى .

قواعد التصنيف عند العرب

حدد العرب للتصنيف قواعد و أسساً توضح ترتيب الأقسام و الفروع ، و انتماء الفروع إلى العلم الكلي الذي تتدرج تحته ، كما توضح العلاقات بين العلوم ، فقد

وضع ابن سينا في كتابه : " البرهان " دراسة توضح القواعد التي تقوم عليها العلاقات بين الفنون . (١١) ، كما قدم حاجي خليفة في كتابه : " كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون " قواعد لتصنيف الكتب . (١٢) و باستقراء قواعد التصنيف و أسسه التي يذكرها كل منهما يتضح أن العلاقات بين الموضوعات تقوم على الآتي :

• علاقة اشتمال وتبعية : أي أن العلم الخاص يتفرع من علم عام ، فموضوع العلمين واحد ، و لكن معالجة كل موضوع تأتي من جهة مخالفة للآخر ، فينظر إلى العلم المشترك مع علم آخر في موضوع واحد نظرة مطلقة عامة ، بينما ينظر إلى العلم الآخر في هذا الموضوع من إحدى جهاته ، فمثلاً العلم الرياضي هو العلم العام لعلوم الحساب ، و العلم الطبيعي هو العلم العام لعلوم الطب ، حيث يشتركان في موضوع واحد هو الجسم الطبيعي ، و لكن علم الطب يعالج البدن من جهة ما يصح ويمرض . و هذه العلاقة من القواعد التي أقرها " بليس " ، و أسماها " التفرع " ، و قصد بها تداعي الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود في الروابط بين الموضوعات الكبيرة . و قد استقى " بليس " هذه الفكرة أساساً من الفيلسوف الفرنسي " أوجست كونت " .

• علاقة تجاور : أي تشابه الموضوعات مما يجعلها تقترب من بعضها البعض في الخطة التصنيفية فتتجاور علوم اللغة العربية مع علوم الأدب ، إلى جانب علوم الدين الإسلامي ، أو تجاور علوم التاريخ مع العلوم الاجتماعية ، و هذه العلاقة أيضاً من القواعد التي أقرها " بليس " ، و أسماها " علاقة ترابط " و عني بها جمع المجموعات المتجانسة معاً ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٣)

• علاقة تساوي : أي وجود علمين على صف واحد متفرعين من موضوع واحد ، مثل الهندسة والحساب اللذين يقفان على صف واحد متفرعين عن علم أكبر ثالث هو العلم الرياضي .

• علاقة تداخل : أي أن العلم يمكنه أن يستفيد من أكثر من علم ، مما يؤدي إلى تفرعه عن أكثر من علم ، مثل علم الفرائض الذي يستفيد من علم الحساب ، فيعوده من فروع ، و من علم الفقه ، فيصبح من فروع أيضاً .

• تبادل الاعتماد بين العلوم : أي أن بعض العلوم تستفيد من بعضها ، و هذا

واضح بين علوم اللغة و علوم الدين ، فالقرآن الكريم المصدر الأصلي لعلماء اللغة العربية ، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية هي المصدر الأساسي ففى الدراسات النحوية و اللغوية ، كما أن المباحث اللغوية و النحوية هي الأساس الدراسات القرآنية، كما أن علوم الحديث الشريف و علوم أصول الفقه تضم مباحث لغوية . (١٤) وهذا المبدأ استخدمه ابن النديم فى ترتيب مقالاته عن علوم الدين و اللغة ، و هو ما ستوضحه الباحثة عند دراسة تصنيف ابن النديم .

و هذه القواعد التى حددها المصنفون العرب المسلمون هي نفسها القواعد التى تستخدمها الخطط التصنيفية فى العصر الحديث ، فباستقراء خطة تصنيف ديوى التى تعد من أشهر خطط التصنيف فى العصر الحديث يلاحظ استخدامها لمبدأ التبعية و الشمول ، و يتمثل هذا فى تدرج الموضوعات من العام إلى الخاص ، فالعلوم الطبيعية كعلم عام يتفرع منها عدد من الموضوعات الخاصة التى تتبع موضوع علم الطب ، و هو الموضوع العام . كما أن وقوف هذه الفروع ، مثل التشريح و الفسيولوجيا و الصحة الشخصية و الصيدلة ، و غيرها ، على صف واحد يعكس علاقة التساوى بينها .

و تعكس بعض الأقسام الرئيسية فى تصنيف ديوى علاقة التجاور ، فتأتى العلوم التطبيقية تالية للعلوم البحتة ، و إن لم تتحقق هذه القاعدة فى عرض بقية الأقسام فابتعدت علوم كان من المفروض اقترابها من بعضها ، مثل ابتعاد علوم اللغة عن علوم الأدب ، و ابتعاد علم التاريخ عن العلوم الاجتماعية .

ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية

يعكس ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية المنهج التعليمى الإسلامى الذى يقدم الأهم فالأهم فى العملية التعليمية ، كما ينطلق من البيئة الثقافية الإسلامية ، و من ثم فهم يفاضلون بين العلوم و يقدمون بعضها على بعض على أسس مختلفة ، منها شرف العلم . و يكون شرف العلم بشرف موضوعه ، مثل : علم التفسير ، لبحثه فى القرآن الكريم ، و هو الكلام المنزل من عند الله . و علم أصول الدين (علم الكلام) عند بعض آخر لبحثه فى ذات الله ، و من ثم فهما مقدمان فى الترتيب عن علم الفقه . و مثل علم الطب ، الذى يقدم على سائر فروع العلم

الطبيعى لشرف موضوعه ، حيث يبحث فى بدن الإنسان . (١٥)

قد يرجع شرف العلم إلى شرف الغاية ، مثل علم الأخلاق ، لأن الغاية منه معرفة الفضائل الإنسانية ، و لذلك يقدم على بقية علوم الحكمة العملية . و قد يعود شرف العلم إلى شرف الحاجة إليه ، مثل علم الفقه ، لحاجة الإنسان إلى تنظيم أمور عبادته . و قد يعود شرف العلم إلى قوة أدلته ، و تعتمد عليه بعض العلوم التابعة له ، مثل العلوم الرياضية ، لكونها علوماً برهانية تستخدمها بعض العلوم الأخرى ، و من ثم تقدمها بعض التصنيفات على بقية العلوم العقلية . و قد يعود شرف العلم إلى اجتماع أكثر من اعتبار من الاعتبارات السابقة ، مثل العلم الإلهى ، فشرفه يعود إلى شرف موضوعه ، لأنه العلم بالله تعالى ، و إلى شرف غايته لحصول السعادة الأبدية ، و إلى شرف الحاجة إليه ، و من ثم يقدم على بقية العلوم الأخرى . (١٦) و قد يقدم علم على آخر لشرف ثمرته ، مثل علم الدين و علم الطب ، فالأول يقدم لأن ثمرته الحياة الآخروية ، و يؤخر الثانى لأن ثمرته الحياة الدنيا . و قد يقدم شرف الثمرة على شرف الدليل ، فيقدم علم الطب على علم الحساب ، فإن الأول يقدم لاعتبار ثمرته ، و هى الصحة التى تساعد الإنسان على القيام بالعبادات ، و الثانى يؤخر باعتبار أدلته ، فهو من العلوم البرهانية . (١٧)

و يحدد حاجى خليفة مجموعة من القواعد التى يتم على أساسها تقديم علم على آخر ، و هى :

القاعدة الأولى :

تقدم العلم على علم آخر يرجع إلى أهمية هذا العلم على غيره ، مثل تقديم فرض العين على فرض الكفاية . (١٨) و يقصد بفرض العين كل ما أوجبه الشرع على الشخص بشكل خاص . و يحدد الغزالى العلوم التى هى فرض عين فى ثلاثة أقسام : اعتقاد ، و فعل ، و ترك . و الاعتقاد هو توحيد الله تعالى ، و تعلم كلمات الشهادة ، و فهم معنى قوله : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ ، و الفعل ما كلف به الإنسان من الطهارة و الصلاة و الصوم و الحج . و الترك ترك المعاصى واجتناب المحرمات التى نهى الله عنها ، و من ثم فالحذر منها يوجب معرفتها ومعرفة حدودها و أسبابها و طرق علاجها . (١٩) و ما هو فرض كفاية ما وجب على

المجموع ليعملوا به ، و لو قام به واحد لسقط عن الباقيين ، و هو العلوم التى لا يستغنى عنها الإنسان فى أمور حياته الدنيوية . (٢٠) و منها علم الطب الذى يحتاج إليه لحفظ الأبدان و علاج المرضى ، و علم الحساب الذى يحتاج إليه فى قسمة الموارد و الوصايا ، و علم المساحة الذى يحتاج إليه فى قسمة الأراضى ، و يتعدى ذلك إلى صناعة الحياكة و الزراعة و الخبز و الطحن .

القاعدة الثانية :

يُقدم العلم لكونه وسيلة لعلم آخر ؛ فالمباحث اللفظية وسيلة للمباحث المعنوية ، و من ثم يقدم علم الأدب على علم المنطق . كما تتقدم العلوم العربية على العلوم الدينية لكونها وسيلة و آلة لفهمها . (٢١) كما يقدم علم المنطق على سائر العلوم العقلية لكونه وسيلة .

وحددت المقاصد من العلوم فى العلوم التى هى فرض عين من العلوم الدينية و علمى الأخلاق و السياسة ، و كل ما يتوصل إليها من علوم اللغة و التصريف والنحو و الطب و المعانى و البيان و المنطق و تسيير الكواكب و معرفة الأنساب والحساب، وغيرها من العلوم ، بمثابة الوسائل إلى هذه المقاصد ، و تتفاوت درجات ترتيبها حسب الحاجة إليها . (٢٢)

و تقدم المقاصد على الوسائل لشرف الأولى عن الثانية . (٢٣) و من ثم نجد بعض التصانيف تقدم العلوم الدينية التى هى المقاصد على العلوم العربية التى هى وسائل .

القاعدة الثالثة : يقدم علم على آخر لكون موضوعه جزءاً من موضوع علم آخر ، والجزء يقدم على الكل ، فيقدم التصريف على النحو . (٢٤) ، و أحياناً يقدم النحو على التصريف لأن الحاجة إلى النحو أقوى من التصريف .

القاعدة الرابعة : يقدم علم على آخر بغرض التمرين على إدراك المعقولات ، مثل تقديم علم الحساب على غيره من العلوم . (٢٥)

و يعد هذا الترتيب انعكاساً للنظام التعليمى عند العرب المسلمين ، حيث يبدأ الطلاب بدراسة العلوم الأهم ، ثم العلوم التى توصلهم إلى فهم العلوم الأخرى . و العلم الأهم حدده العرب المسلمون فى العلوم التى تعد فرض عين ، و التى يجب على

المسلم تعلمها أولاً ، و التي تمثلت في العلوم الدينية و أحياناً يبدأ الطالب تعلم العلوم التي تعد وسيلة لفهم غيرها من العلوم ، مثل العلوم الأدبية التي توصله إلى فهم العلوم الدينية أو العلوم الرياضية التي توصله إلى فهم العلوم العقلية ، و من ثم أطلق عليها علم التعاليم . و يتولى الشيخ القائم على التدريس تحديد و ترتيب العلوم التي يبدأ بها طلابه .

و هذا الارتباط الذي نجده في التصنيف العربية بين ترتيبها للعلوم و ترتيب تدريس هذه العلوم هو ما نادى به مصنفو العصر الحديث من ضرورة ارتباط التصنيف بالنظام التربوي التعليمي .

طرق التقسيم التي تتبعها التصنيف العربية :

تتبع التصنيف العربية الإسلامية تقسيمات تختلف باختلاف فلسفة أصحابها و نظرتهم إلى العلوم ، كما تتأثر بالهدف الذي وضعت من أجله ، سواء أكان هدفاً تعليمياً ، أم هدفاً دينياً ، أم فلسفياً ، و من ثم تنحصر التقاسيم فيما يلي :

التقسيم الأول :

هو التقسيم المشهور ، حيث تقسم العلوم فيه إلى علوم نظرية ، غير متعلقة بكيفية العمل ، وعملية ، وهي المتعلقة بالعمل . والعلوم النظرية التي أطلق عليها تسمية علوم الحكمة النظرية هي العلوم التي تطلب المعرفة فيها لذاتها ، و البحث فيها عن الموجودات ، و لذلك تقسم إلى ثلاثة أقسام حسب حال الموجود و تعلقه بالمادة ، فالعلم الإلهي للبحث في أمور مجردة عن المادة ، و من ثم يطلق عليه علم أعلى ، والعلم الرياضي يبحث في أمور مجردة عن المادة في الذهن فقط ، و من ثم أطلق عليه العلم الأوسط ، و العلم الطبيعي يبحث في أمور متعلقة بالمادة في الذهن و في الخارج ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و العلوم العملية هي العلوم المتعلقة بكيفية العمل للوصول إلى منفعة . (٢٦) و يطلق عليها علوم الحكمة العملية لأنها متعلقة بالسلوك ، سواء السلوك الشخص أو الجماعي ، للحصول على السعادة الدنيوية أو الآخروية ، و من ثم تقسم إلى ثلاثة أقسام ، هي • علم الأخلاق ، المتعلق بمصالح شخص معر .

- علم تدبير المتر . المتعلق بمصالح أسرته
 - علم السياسة . المتعلق بمصالح جماعته متسركة في المدينة او في مجتمع
- و هذا التقسيم تتبعه التصانيف المتأثرة بالفلسفة اليونانية . و خاصة بصنيف ارسطو و هو يطبق على العلوم العقلية

التقسيم الثاني :

هو تقسيم العلوم إلى علوم آلية و علوم غير آلية و العلوم غير الآلية هي العلوم التي تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و تعرف بالمقاصد ، و تمثلها مجموعة العلوم الشرعية و علوم الحكمة النظرية . و العلوم الآلية هي العلوم التي لا تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و إنما لغاية منها تحصيل غيرها من العلوم .

و ليس معنى كون العلم آلة أنه آلة في نفسه ، و إنما هو آلة بالقياس إلى علم آخر ، لكون الآخر يحتاج إليه . (٢٧) مثل العلوم العربية ، فهي آلة للعلوم الشرعية لتوقف فهم الثانية على الأولى ، كما أن علم المنطق آلة لغيره من العلوم حيث إنه يحتوى على القوانين المنظمة للفكر ، و من ثم تساعد الإنسان على تحصيل العلوم الأخرى .

التقسيم الثالث :

هو تقسيم العلوم إلى علوم عربية و علوم غير عربية ، أو أجنبية ، و العلوم العربية هي نتاج الفكر الحضارى العربى الإسلامى ، و بذلك تمثله العلوم الدينية و العلوم اللغوية و الأدبية العربية ، بما فيها علم التاريخ . و العلوم غير العربية أو العلوم الأجنبية ، هي كل العلوم المنقولة عن الأمم الأخرى . و هذا التقسيم اتبعه الخوارزمى فى كتابه : " مفاتيح العلوم " .

التقسيم الرابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم شرعية و علوم غير شرعية ، و يعنى بالعلوم الشرعية ما يستفاد من الأنبياء ، و تنقسم إلى أربعة ، و هى : الأصول ، و الفروع ، و المتدمات ، و المتممات . و الأصول هى كتاب الله و سنة رسوله ، و ما أثر عن الصحابة لأنهم شاهدوا الوحي و التنزيل ، و من ثم رأى بعض العلماء الاقتداء بهم ، و إجماع الأمة ؛ أى ما أجمع عليه علماء الأمة . و الفروع هى الفقه و التصوف . و المقدمات هى الآلات التى تعين على فهم كتاب الله و سنة رسوله ، و يعنى بها اللغة و النحو و مجموعة العلوم العربية . و المتممات ما يتعلق باللفظ ، و هى علم القراءة و علم مخارج الحروف ، و ما يتعلق بالمعنى ، و هو علم التفسير ، و ما يتعلق بالأحكام ، و هو علم النسخ و المنسوخ ، و علم أصول الفقه ، و علم الأخبار و الآثار . (٢٨) و العلوم غير الشرعية منها ما يرشد إلى العقل ، و هى علم الحساب . ومنها ما يكون باستخدام التجربة ، مثل علم الطب ، و منها ما يكون بالسمع ، مثل علم اللغة ، و من هنا اقتصت العلوم الشرعية بالعلوم الدينية و العلوم العربية و علم التاريخ ، و العلوم غير الشرعية هى مجموعة العلوم العقلية بما فيها المنطق ، لأنه من وضع الفلاسفة قبل ظهور الإسلام ، و من ثم يطلق على العلوم غير الشرعية العلوم العقلية ، فى مقابل العلوم الشرعية . (٢٩)

التقسيم الخامس :

هو تقسيم العلوم إلى علوم حقيقية و علوم غير حقيقية . و العلوم الحقيقية هى العلوم الثابتة على مر الدهور و الأعوام ، و هى العلوم الحكمية ؛ أى العلوم العقلية التى لا تتغير بتغير الأزمنة و الأمكنة ، و لا تتبدل بتبدل الدول و الأديان ، مثل : علم الهيئة . و العلوم غير الحقيقية هى العلوم المنتمية إلى الوحي ، و مستفادة من الأنبياء — عليهم السلام — من غير أن يتوقف على تجربة أو سماع . (٣٠) و هذا التقسيم يعكسه التصنيف الحديث ، فنجد أن تصنيف العلوم العقلية متشابه بينها ، و لكن ما يجعل كل تصنيف يختلف عن الآخر هو إبراز العلوم القومية التى تتمثل فى العلوم الدينية التى يدين بها أصحاب هذا التصنيف أو العلوم التى تمثل فكر الأمة ، سواء علم أدبى أو علم لغوى ، أو علوم اجتماعية أو تاريخية ترتبط بثقافة الأمة التى يتبعها

واضعو التصنيف ، و هذا ما وجدناه في تصنيف ديوى العشرى الذى أبرز دين أمريكا و لغتها و أدبها و تاريخها ، أو تصنيف الكولون لرانجاناثان .

التقسيم السادس :

هو تقسم العلوم إلى علوم عقلية و علوم نقلية وضعية ، و العلوم العقلية هى علوم الحكمة التى يهتدى إليها الإنسان بفكره ، و العلوم النقلية هى العلوم المستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعى و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول : (٣١)

التقسيم السابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم جزئية و علوم غير جزئية ، و العلوم التى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوماً جزئية ، كعلم الطب ، فإن موضوعه — و هو الإنسان — أخص من موضوع العلم الطبيعى . و التى موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ؛ لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . (٣٢)

و تتبع التصنيف العربية الإسلامية واحداً من هذه التقاسيم ، و أحياناً تتبع التصنيف التقسيم الأول لمجموعة العلوم العقلية إلى جانب أحد التقاسيم السابقة ، وهذا ما سوف تعالجه الباحثة فى الفصول القادمة .

أنواع التصنيف العربية الإسلامية

تميزت التصنيف العربية الإسلامية بثلاثة اتجاهات فى التصنيف ، هى :

الاتجاه الأول : التصنيف الفلسفى :

تمثل هذا الاتجاه فى الخطط التصنيفية التى وضعها الفلاسفة و العلماء العرب المسلمون لعرض تصورهم للمعرفة و أقسامها ، و مثل هذا الاتجاه الفارابى فى كتابه : " إحصاء العلوم " ، و ابن سينا فى رسالته : " أقسام العلوم العقلية " . و يمثل هذا الاتجاه فى العصر الحديث أصحاب المدرسة العلمية الذين يرون أن تصنيف الكتب ما هو إلا تصنيف للمعرفة ، و يركز أصحاب هذه المدرسة اهتمامهم على الترتيب العلمى لأقسام الخطة التصنيفية و علاقة الموضوعات بعضها ببعض ، و قد

نادى بأراء المدرسة العلمية كل من ريتشاردسون ، و سايرز ، و بليس . (٣٣)

الاتجاه الثانى : تصنيف الكتب :

يقوم هذا الاتجاه على تقسيم المعرفة من خلال الإنتاج الفكرى الفعلى ، فيحصر الكتب المؤلفة ، و يقوم على تقسيمها من واقع ما تشمله من معرفة ، و تحديد العلاقات بين الموضوعات بناء على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و يمثل هذا الاتجاه فى أحسن تمثيل تصنيف ابن النديم فى كتابه : ” الفهرست “ . و يمثل هذا الاتجاه فى العصر الحديث المدرسة العملية التى يتزعمها عالم التصنيف البريطانى ” وندهام هلم “ الذى ينادى بتصنيف الكتب اعتماداً على الإنتاج الفكرى الفعلى و ليس على تصنيف مجرد للمعرفة و هو ما عرف بنظرية السند الأدبى ” *Literary Warrant* “ ، و يمثل هذا الاتجاه حديثاً تصنيف مكتبة الكونجرس .

الاتجاه الثالث : التصنيف البيبليوجرافى :

يجمع هذا الاتجاه بين الاتجاهين السابقين ، فهو يقسم المعرفة بناء على تصور فلسفى لصاحب الخطة التصنيفية مع الإشارة إلى الإنتاج الفكرى فى كل علم ، والتعريف بهذه الكتب و مؤلفيها ، و هو ما يعرف فى العصر الحديث باسم التصنيف البيبليوجرافى ، و يمثل هذا الاتجاه تصنيف ابن الأکفانى فى كتابه : ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ ، و تصنيف طاشكبرى زادة : ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ . و حديثاً يتمثل هذا الاتجاه فى تصنيف ديوى العشرى الذى قسم صاحبه المعرفة على أساس تصور فلسفى مستنداً إلى الإنتاج الفكرى الفعلى ، فلا يتم تسجيل رموس موضوعات إلا إذا كان لها إنتاج فكرى فعلى لا يقل عن عشرين كتاباً. (٣٤)

هوامش الفصل الأول

- (١) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . - طبعة بيروت . - دار صادر (د.ت) . - مج ٩ ص ١٩٨ . و الجوهرى ، إسماعيل بن حماد . الصحاح . - ط ٢ . - القاهرة ، ١٤٠٢هـ . - ج ٤ ص ١٣٨٨ .
- 2- Kumar , Krishan . *Theory of classification* .-2nd ed . -New Delhi : Vikas publishing House , 1981.-p.
- 3- Latta and Mackbeeth , *the elements of logic*.-London: the Engbst universities press , 1986 .- P154 .
- 4- Langridge , Derek . *Eges of classification in Knowledge and communication* .- edited by A.J.Meadews .- London : L.A, 1991 .- P5 .
- 5- Hirst, Paul . *Knowledge and the curriculum*.-London : Rootledge , 1974 .- P 6 .
- 6- Sayers , W.C. Berwick . *op cit* .- P47 .
- ٧- شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية و العامة . - القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩١ . - ص ٨ .
- ٨- عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . مقدمة تحقيق كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبرى زادة . - القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . - ج ١ ، ص ٦٥ .
- ٩- طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة / تحقيق عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . - القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . - ج ١ ص ٣٢٤ .
- ١٠- التهانوى . كشف اصطلاحات الفنون / تحقيق لطفى عبد البديع . - القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر ، ١٩٦٣ . - ج ١ ص ١٦ .
- ١١- ابن سينا . البرهان / تصدير و مراجعة إبراهيم مدكور / تحقيق أبو العلا عفيفى . - القاهرة : وزارة التربية و التعليم ، ١٩٥٦ . - ص ١٦٥ .
- ١٢- حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . - اسطنبول : وكالة المعارف ، ١٩٤١م . -
- ١٣- شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . مرجع سابق . - ص ٩٣ .
- ١٤- عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . - ط ١ . - القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٦ . - ص ٩٨ .

- ١٥- محمد أبو عليان الشافعي . اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم . - القاهرة : مطبعة الحسينية ، (د . ت) . - ص ٨٢ .
- ١٦- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٣ .
- ١٧- محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . - ص ٨٣ .
- ١٨- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٣ .
- ١٩- الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) . كتاب فاتحة العلوم . - ط ١ . - القاهرة : المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢ هـ . - ص ٣٨ .
- ٢٠- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٤ .
- ٢١- الغزالي . مصدر سابق . - ص ٣٨-٣٩ .
- ٢٢- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٤ .
- ٢٣- محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . - ص ٨٢٨ .
- ٢٤- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٣ .
- ٢٥- نفس المصدر السابق . - ج ١ ع ٢٣ .
- ٢٦- نفس المصدر السابق . - ج ١ ع ٦٧٦ .
- ٢٧- التهانوي . مصدر سابق . - ج ١ ص ٦ .
- ٢٨- الغزالي . الرسالة الدنية . - القاهرة : مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨ هـ . - ص ٢٠ .
- ٢٩- محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . - ص ٨٣ .
- ٣٠- الشرواني (ت ١٠٣٦ هـ) . الفوائد الخاقانية . - دار الكتب الظاهرية بدمشق ، مخطوط رقم ٥٧١٨ . تصوير ميكروفيلمي رقم ١١٩٩ . - ص ٩ .
- ٣١- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٣٩ .
- ٣٢- التهانوي . مصدر سابق . - ج ١ ص ٧ .
- ٣٣- عبد الوهاب أبو النور . نظم التصنيف في الوطن العربي . - ط ١ . - القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٦ . - ص ٤٩ .
- ٣٤- نفس المرجع السابق . - ص ٥١ .

الفصل الثانى

الحياة الفكرية و الثقافية

فى الحضارة العربية الإسلامية

مقدمة

يعد هذا الفصل تمهيداً لدراسة التصانيف العربية العربية الإسلامية ، و فى هذا الإطار تتناول الدراسة إسهامات العلماء العرب المسلمين فى فروع المعرفة المختلفة .

لم يكن للعرب فى الجاهلية إلا نصيب محدود من الثقافة و الحضارة ، فكانت معارفهم بسيطة تتناسب مع حياتهم البدوية المتقلة فكانوا يعنون بأنسابهم عناية كبرى ، و يهتمون بأيامهم و وقائعهم و حروبهم ، كما كان لديهم بعض مبادئ الطب العملى القائم على التجربة ، و وجدت بعض الملاحظات الفلكية الممزوجة بكثير من الخرافة و التنجيم ، و لم يكن عندهم سجلات مدونة أو مكتبات أو كتب ، و عندما أشرف نور الإسلام بمكة لم يكن فى قریش من يحسن القراءة و الكتابة سوى بضع عشر نفرأ ، و هذا يدل على تفشى الأمية بينهم ، و لم تمض سوى سنوات قليلة حتى تبدل حال العرب فأصبحوا أمة قوية موحدة ، و اهتم المسلمون الأوائل بالعلم و التعليم ، و حثوا عليه ، و راح المسلمون يسعون إلى تكوين حضارة جديدة قوية تضيف إلى التراث العلمى الكثير فى مختلف فروع العلم .

إسهامات العرب المسلمين فى كافة فروع المعرفة

تنقسم العلوم الإسلامية إلى علوم نقلية متصلة بالقرآن الكريم ، أهمها علم التفسير و القراءات و الحديث و الفقه و علم الكلام و النحو و اللغة و البيان و الأدب ، و أخرى عقلية أهمها الفلسفة و الهندسة و النجوم و الموسيقى و الجغرافيا . وقد اشتغل الناس فى البداية بالعلوم الدينية ، و ظهر المتكلمون ، و تكلم الناس فى مسألة خلق القرآن ، و ظهر العديد من الفرق الإسلامية . و فى العصر العباسى الأول ظهر

نوعان من العلماء : الأول يغلب على ثقافتهم النقل و الاستيعاب ، و يسمون أهل علم .
والثاني يغلب على ثقافتهم الابداع و الاستنباط ، و يسمون أهل عقل .

أولاً : العلوم النقلية

١- التفسير

هو من العلوم النقلية التي اشتغل بها المسلمون لفهم معانى القرآن الكريم ،
وقد دعت الحاجة إليه مع اتساع الدولة العربية ، و دخول العجم فى الإسلام . و قد
فسر بعض الصحابة : على بن أبى طالب ، و عبد الله بن عباس ، و عبد الله بن
مسعود ، اعتماداً على ما سمعوه من الرسول — صلى الله عليه و سلم — أو بحسب ما
وصل إليه فهمهم . و يعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الإسلام ، و
لكن نظر بعض الاتقياء من المسلمين إلى القرآن الكريم نظرة إجلال و تقديس حتى
عدوا البحث فى تفسيره ضرباً من الخرق فى الدين . و قد استمرت هذه النظرة حتى
العصر الأموى . و على الرغم من ذلك فقد حاول بعض المسلمين تفسير القرآن
متخذين اتجاهين ، عرف الأول باسم التفسير بالمأثور ، و هو ما أثر عن الرسول —
صلى الله عليه و سلم — و كبار الصحابة ، و الثانى باسم التفسير بالرأى ، و هو ما
كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل . و لم يتخذ التفسير الطريقة
المنظمة إلا فى العصر العباسى الثانى . (١) و من أشهر المفسرين بالمأثور ابن
جرير الطبرى ، و ابن عطية الأندلسى ، و القرطبى . و قد امتاز ابن جرير الطبرى
فى تفسيره الذى يقع فى ثلاثين مجلداً بتحرى الدقة فى النقل عن الرسول — صلى الله
عليه و سلم — و الصحابة و التابعين ، و معارضته أصحاب الرأى لأنهم كثيراً ما
يتبعون هواهم . و قد شغف المعتزلة بالتفسير بالرأى ، و كذلك الباطنية، و من أشهر
مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم (ت ٢٤٠هـ) ، و أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني
(ت ٣٢٢هـ) .

٢- القراءات

يعتبر هذا العلم المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم ، و يرجع السبب فى
ظهوره إلى خاصية الخط العربى ، إذ إن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يقرأ بأشكال
مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها . و قد وجدت على مر الزمن سبع طرق فى

القراءات تمثل كل طريقة منها مدرسة معترف بها ترجع قراءتها إلى إمام ترتبط باسمه ، و تستند إلى أحاديث موثوق بها ، و عليها يقتصر في قراءة المصحف . وأول من حاول نقد القراءات المختلفة و بحث وجوه النظر التي تقوم عليها ، و نقد الأسانيد التي تستند إليها هو هارون بن موسى البصري اليهودي (ت بين سنتي ١٧٠-١٨٠هـ) . (٢) و يرجع أغلب الاختلافات في القراءات إلى رجال موثوق بهم ممن عاشوا في القرن الأول : ابن عباس و السيدة عائشة و عثمان صاحب القراءة ، و من أشهر أصحاب القراءات في العصر العباسي الأول يحيى بن الحارث الزماري (ت ١٤٥هـ) ، و حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) .

٣. الحديث

هو ما أثر عن النبي - صلى الله عليه و سلم - من قول أو فعل أو تقرير لشيء رآه ، و يأتي في الأهمية بعد القرآن . و عند وفاة الرسول - صلى الله عليه و سلم - لم يكن السواد الأعظم من المسلمين يستطيعون القراءة و الكتابة ، و قد روى بعضهم الأحاديث عن بعض فتأثرت بشيء غير قليل من التبديل و التحريف ، فشوهت معانيها و الظروف التي أحاطت بوقوعها و قولها ، حتى إذا جاء القرن الثاني الهجري أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية ، و ذلك في حدود عام (١٤٣هـ -) ، و تبع ذلك ظهور طائفة من أئمة الحديث الذين اشتهر منهم الإمام مالك ، و الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ، و مسلم بن الحجاج القشيري ، صاحبنا الصحيحين في الشام ، ثم ظهر بعدهما أبو داود السجستاني (٢٧٥هـ) صاحب السنن ، و أبو عيسى محمد الترمذي (٢٨٧هـ) صاحب الجامع ، والنسائي و ابن ماجه صاحب السنن ، و كلهم ممن ألف في السنن كتاباً نسب إليه . (٣) و تعد هذه الكتب أشهر كتب السنن ، كما تحتل مكانة سامية بين مصادر التشريع الإسلامي .

٤. الفقه

نشأ الفقه عن دراسة القرآن الكريم و الحديث ، و يرجع اختلاف أئمة الفقه في فهم بعض النصوص الفقهية ، و استنباط الأحكام منها إلى تعدد المذاهب . و اشتهر من تلك المذاهب أربعة : مذهب الإمام مالك إمام أهل الحجاز ، و زعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة أهل الحديث . و مذهب أبي حنيفة إمام أهل العراق ، و زعيم الفقهاء

الذين يأخذون بطريقة الرأي و القياس . و مذهب الإمام الشافعى الذى كان يسير على طريقة أهل الحجاز ، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين . و مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و كان من كبار المحدثين . و من ثم ظهرت فى ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث فى المدينة ، و على رأسها الإمام مالك . و مدرسة أهل الرأى فى العراق ، و على رأسها الإمام أبو حنيفة . (٤) و قد ظهر فى العصر العباسى الثانى بعض أعلام الفقه الذين كونوا مذاهب فى الفقه لم يقدر لها الاستقرار و الذيوع أمام المذاهب الفقهية الأربعة ، و من هؤلاء أبو سليمان داود بن على بن خلف القاششاني ، المنسوب إلى قاشان القريبة من أصفهان (ت ٢٧٠هـ) . و من أصحاب المذاهب الفقهية المجتهدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . كما ظهرت مذاهب أخرى ثم انقرضت ، كمذهب سفيان الأزعى (ت ١٦١هـ) و مذهب إسحاق بن راهويه (ت ٢٤٠هـ) . ومع مر الزمن أصبحت السيادة للمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة ، و وقف الاجتهاد عندها .

٥. علم الكلام

هو علم يتضمن الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالأدلة و البراهين العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين الخارجين على مذاهب أهل السنة فى الاعتقاد . و يقول دى بور " إن ظهور الكلام فى الإسلام كان بدعة من أكبر البدع ، و قد أنكر هذا العلم أهل الحديث الذين كانوا يزون أن البحث فى الأحكام الفقهية ابتداع ، لأن الإيمان عندهم هو الطاعة لا كما يذهب إليه المرجئة و المعتزلة من أنه هو العلم " . (٦) كما أن بعض أهل الحديث كانوا يعيبون على المتكلمين ردهم على أهل البدع بحجة أن فى ذلك الرد ترويجاً لعقائد هؤلاء المبتدعين ، و قد نجح المتكلمون فى استخدام أسلحة خصومهم فى الرد عليهم . و كان للمعتزلة أثر كبير فى تطور علم الكلام ، فقد تم على أيديهم القول بخلق القرآن ، و نادوا بنفى الصفات ، مخالفين فى ذلك جمهور أهل السنة . واستمر الصراع و الجدل بين أهل السنة و المعتزلة حتى ظهر أبو الحسن الأشعرى فتوسط بين الفريقين . و من أشهر متكلمي المعتزلة : أبو الهذيل العلاف (ت ٣٢٥هـ) ، و أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط ، الذى تنسب إليه طائفة الخياطية ، و قد عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ومات

فى أوائل القرن الرابع الهجرى . و أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى المعتزلى
(ت ٣٠٣هـ) . (٧) و كان أبو الهذيل العلاف متكلماً مشهوراً قوى الحجة واسع
الاطلاع ، اشتغل بالفلسفة اليونانية ، و أفاد منها . و يعد من أوائل المفكرين الذين فسحوا
للفلسفة المجال لتؤثر فى مذاهبهم الكلامية . (٨)

٦. النحو

نشأ النحو العربى فى الكوفة و البصرة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة فى
القرن الأول الهجرى . و قد وضعت فى هاتين المدينتين العقائد و الفقه ، و نشأ
مدارس النحويين و اللغويين . و كان يقيم فى الكوفة و البصرة جالية تنسب إلى قبائل
عربية مختلفة ذات لهجات متعددة ، و آلاف من الصناع و الموالى الذين كانوا
يتكلمون الفارسية ، و من ثم تعرضت اللغة العربية إلى شىء غير قليل من اللحن ،
فدعت الضرورة إلى تقويم اللسان حتى لا يتعرض القرآن الكريم لشىء من اللحن
و التحريف . (٩) و يعد أبو الأسود الدؤلى أول من اشتغل بالنحو فى عهد الأمويين ،
و قيل إنه تلقى أصول هذا العلم عن على بن أبى طالب . و كان أبو الأسود أول من
وضع أساس مدرسة البصرة التى تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة و أشهر منها . و قد
تأثرت هذه المدرسة بالمنطق أكثر من غيرها ، و يرجع ذلك إلى أن تأثير المذاهب
الفلسفية قد ظهر فى البصرة قبل ظهوره فى غيرها ، و من أهم علمائها : الخليل بن
أحمد واضع علم العروض ، و صاحب معجم العين . و سيبويه صاحب كتاب النحو
المشهور " الكتاب " ، أو " كتاب سيبويه " . (١٠) و من أشهر علماء الكوفة :
الكسائى ، و تلميذه الفراء ، و المفضل الضبى . (١١)

و يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر انتقال فى اللغة ، فقد استكمل لغويو
القرن الثالث ما فات الخليل فى كتاب العين ، فوضعوا المعاجم الأوسع ، و لكنها
كانت على طريقة الخليل نفسها ، من حيث ترتيب حروف المعجم على المخارج
الصوتية ، و الابتداء بحرف الحلق ، و أولها حرف العين ، و على هذا النظام وضع
ابن دريد (ت ٣٢١هـ) كتاب " جمهرة اللغة " ، و أبو على القالى البغدادى
(ت ٣٥٦هـ) ، صاحب كتاب " الأمالى " فى اللغة و الأدب كتاب " البارع فى
اللغة " ، و هو أول من أسس علوم اللغة و آدابها فى الأندلس ، و عليه تخرجت

الطبقة الأولى من اللغويين و كبار الأدباء فى تلك البلاد . كما ألف علماء اللغة فى الصرف و الاشتقاق و أصول النحو و اللغة، فقد ألف ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) كتاب "الخصائص" الذى يعد من أعظم الكتب فى أصول اللغة والنحو . (١١)

٧- الشعر

كان الأمويون يؤثرون الشعر الجيد و الخطبة البليغة على الفلسفة ، و أجاد بعض خلفائهم نظم الشعر : يزيد بن معاوية ، و عبد الملك بن مروان . و قد نبغ من الشعراء فى العصر الأموى : جرير والأخطل والفرزدق، وغيرهم ، وفى العصر العباسى ظهر كثير من الشعراء الذين أحدثوا تغييرات فى الشعر فى شكله و فى مضمونه . و قد مهد لذلك عوامل عديدة ظهرت فى العصر العباسى ، منها : اختلاف صور الحياة و قيمها و تطورها فى العصر العباسى عنها فى العصر الجاهلى ، إلى جانب انتشار الشعوبية التى قامت على الخط من شأن العرب و نقد أشعارهم ومعانيهم، و تأثير الثقافات الأجنبية ، و خاصة الفارسية ، فى الأدب فى العصر العباسى . (١٢) واعتماد الشعراء على تشجيع الخلفاء و الأمراء و كبار رجال الدولة، فلم يكن لهم مصدر رزق سوى عطاياهم ، و لهذا كثر شعر المديح .

٨- الأدب

كان حظ الأدب فى صدر الإسلام من الاهتمام قليلا، لاشتغال العرب بالفتوحات الإسلامية وتنظيم دولتهم التى اتسعت أرجاؤها، و اشتغالهم بالحروب الأهلية التى استنفدت أكثر مجهودهم، وفى هذه الفترة لم يتعد الأدب دائرة الشعر تقريبا . (١٣) ثم علا شأن النثر الأدبى فى العصر الأموى ، و تطور فى العصر العباسى ، مع تنوع الكتابة لكثرة العلوم و تنوع الفنون ، و أصبح لكل فن كتاب ، فللمتكلمين كتاب و للفقهاء كتاب ، و للفلاسفة كتاب ، و للنثر كتاب يجيدون الكتابة فى فنه، و قد اهتم الأدباء بدراسة البيئة التى تحيط بهم ، فألف القاضى محمد بن إسحاق الصميرى (ت ٣٧٥هـ) كتاب "مساوى العوام و أخبار السفلة و الأغنام" . و وصف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الحياة فى المدن ، و هو يعد أبا النثر العربى ، وأعظم كتاب النثر أثرا . (١٤) كما يعد صاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى فى أصبهان و الرى و همذان ، من أشهر

رجال الأدب في عصره ، و قد صنف كثيراً من الكتب منها كتاب المحيط في اللغة ، و كتاب الأعيان و فضائل النيروز و كتاب الإمامة و كتاب الوزراء . و قد حدد ابن خلدون أصول هذا الفن و أركانه في أربعة ديوان ، هي : أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد و كتاب البيان والتبيين للجاحظ و كتاب النوادر لأبي علي القلي البغدادى، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها و فروع عنها . (١٥)

ثانياً : العلوم العقلية

١. التاريخ

يتطلب فهم اللغة العربية دراسة أنساب العرب و أخبارهم التى تؤديها أشعارهم، وكان هذا محل عناية كبيرة من النحاة و اللغويين ، و قد اقتربت هذه العناية من نمو الكتابة التاريخية ، وهو نمو ارتبط بالسيرة النبوية و علم الحديث ، ولذلك نشأ علم التاريخ فى الحضارة الإسلامية فى أحضان العلوم الشرعية . (١٦) و اشتغل المسلمون فى البداية بتدوين السيرة النبوية التى كانت مثبتة فيما يروى من الأحاديث فأخذوا يستخلصونها منها ، و فى أواخر القرن الثانى الهجرى اقترن تصنيف الحديث بطريقة تقوم على تخليص الحديث من الفقه ، مما جعل أصحابها يوزعون الحديث فى مصنفاتهم على أساس رواته من الصحابة ، و هى الطريقة المعروفة باسم المساند ، إذ يسند المؤلف لكل صحابى ما روى عنه من الأحاديث ، و من أوائل من ألف المسانيد الربيع بن حبيب الإباضى البصرى (ت ١٧٠هـ)، ثم أخذ المحدثون يعرضون رواة الحديث على نقد شديد حتى يحيطوه بسياج متين من الصحة و الثقة ، مما أدى إلى نشوء علم الرجال . و من هنا نشأ علم التاريخ الذى كانت بدايته تدور حول السيرة النبوية ثم انضمت مادة من تاريخ الرسل و من تاريخ العرب ، ثم تلريخ الأمم المجاورة للجزيرة ، و خاصة الفرس ، و يعد عبيد بن شريه اليمنى أول من تكلم فى التاريخ، و ألبس القصص ثوب التاريخ ثم جاء من بعده وهب بن منبه (ت ١١٠هـ) فتصدى للمغازى و هى الفتوح الإسلامية ، و وضع أساسها ، و عنه روى المؤرخون المتقدمون . و يعد عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) أقدم من ألف فى السيرة النبوية ، و كذلك أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، فقد جمع له تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة كتاباً فى سيرة الرسول . و من أشهر من اشتغل بالمغازى ابن إسحاق

(ت ١٥١هـ) وتلميذه ابن هشام (ت ٢١٨هـ) صاحب سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - . و من المؤرخين الذين عنوا بكتابة السيرة و المغازى النبوية محمد بن عمر الواقدي قاض المأمون (ت ٢٠٧هـ) . وفي القرن الثالث الهجري تطور علم التاريخ و اتسعت مصادره و أخذ المؤرخون يوفقون بين المواد المستمدة من السيرة النبوية و غيرها من المصادر ابتغاء ادماجها في رواية تاريخية متماسكة . (١٧) وقد ذكر التاريخ الإسلامي بمجموعة كبيرة من المؤرخين ، فكان منهم محمد بن جرير الطبري ، صاحب كتاب " تاريخ الأمم و الملوك " ، و أبو الحسن علي المسعودي ، صاحب كتاب " مروج الذهب و معادن الجواهر " . و من أهم مصادر التاريخ الإسلامي الذي يؤرخ للدولة العباسية كتاب " تاريخ بغداد أو مدينة السلام " للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي .

٢. الجغرافيا

كان لاتساع نطاق التجارة في العصر العباسي الأول و اتصال مدينة بغداد حاضرة العباسيين برأ و بحراً بالبلدان القاصية ، ثم لتعبيد الطرق و جعلها آمنة ، أثر كبير في تسهيل الأسفار و تمهيد السبل أمام الكاشفين والرحالة ، فقام كثير منهم برحلات مهمة و وضعوا في وصفها الكتب والأسفار ، وقد وصلت رحلات المسلمين في عهد الرشيد إلى الهند و سيلان ، و إلى شبه جزيرة ملقا والصين . و يقال إنهم وصلوا بحراً إلى كوريا . و لم تظهر الثروة الجغرافية التي خلفها جغرافيو المسلمين ظهوراً جلياً إلا في العصر العباسي الثاني . و يعتبر ابن خرداذبة الفارسي الأصلي ، الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، من أقدم جغرافي المسلمين و صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذي يعتبر من أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت في اللغة العربية ، و من أشهر جغرافي المسلمين اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ) صاحب كتاب البلدان ، و أبو إسحاق الأصبخري الفارسي (١٨) . و في إسهامات العرب في الجغرافيا ربطهم هذا العلم بالفلك ، فسبقوا بذلك العلماء المحدثين ، و هم كذلك أول من وضع اصول الرسم على سطح الكرة . (١٩) و أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . (٢٠)

٣. علم الفلك

يعرف أيضاً بعلم الهيئة ، و لم تكن معرفة العرب بهذا العلم سوى رصد بعض الكواكب والنجوم و حركاتها و أحجامها ، بالنظر إلى الخسوف و الكسوف والمطر و الظواهر الطبيعية ، و قد سموا هذا العلم بعلم التنجيم ، و قد وصل هذا العلم إلى العرب مختلطاً بأوهام التنجيم ، و قد تقدم هذا العلم كثيراً فى العصر العباسى، و يرجع اهتمام المسلمين بهذا العلم إلى حاجتهم إليه فى معرفة أوقات الصلاة و ظهور هلال رمضان و هلال الأشهر العربية ، بالإضافة إلى شغف الناس وبخاصة الخلفاء بالتنجيم . و يعد كتاب ” مفتاح النجوم “ المنسوب إلى هرمس الحكيم أول كتاب يترجم فى علم الفلك ، كما ترجم كتاب ” السندهند “ من الهندية إلى العربية فى عهد المنصور . و قد نقل العرب كثير من مؤلفات الأمم الأخرى فى الفلك ، و لم يقفوا عند النقل بل صححوها و أضافوا إليها ، و لم يقفوا عند النظريات كما فى الفلك اليونانى ، و إنما تعدوها إلى العمليات و الرصد . و من إضافات العرب فى علم الفلك أنهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . كما استطاع العرب ضبط مركز أوج الشمس . (٢١) و تداخل فلكها فى أفلاك أخرى، و كان من أبحاثهم تقدير محيط الأرض ، و قالوا باستدارة الأرض ، و الأرياج الكبيرة . (٢٢) كما أنشأوا العديد من المراصد ، فقد اقتنى المأمون مرصدين على جبل قيسون فى دمشق ، و فى الشمالية ببغداد ، و أنشأ الفاطميون مرصداً على جبل المقطم عرف باسم مرصد الحاكمى . و من أشهر المراصد و أكبرها مرصد المراغة الذى أنشأه نصير الدين الطوسى (٢٣) ، و من أشهر علماء الفلك المسلمين و العرب ثابت بن قره ، و البتانى ، و البيرونى، و الخازن، و غيرهم .

٤. الرياضيات

حظيت الرياضيات بكثير من اهتمام العرب ، و قد برعوا فيها و أضافوا إليها إضافات كثيرة ، فلم تكن للعرب فى جاهليتهم أية رياضيات ، و لكن بعد الإسلام والفتوح الكثيرة التى تمت لهم واختلاطهم بالدول الأخرى، ومع تقدم الحضارة اشتدت حاجتهم إلى الأعداد لضبط حساباتهم وتنظيم السياسات المالية و الشؤون الاقتصادية ، و أخذوا عن الإغريق النظريات الرياضية الكثيرة ، وبخاصة الهندسة، و لكنهم اهتموا

بتطبيقها عملياً ، و فى القرنين التاسع و العاشر الميلاديين تنزرت الرياضيات على يد العرب قفزات مذهلة ، و قد سمي العرب هذا العلم باسم علوم التعليم . وبرع العرب فى جوانب متعددة من الرياضيات و كانت لهم الابتكارات العديدة فيها . (٢٤)

٥- الحساب

نقل العرب علم الحساب عن اليونان و الهند ، و لكنهم اهتموا بالجانب العملى للأرقام وأدركوا أهميتها و كيفية استخدامها ، و قد عبرت الأمم السابقة عن الأرقام بحروف الهجاء ، فكان يرمز لكل رقم بحرف هجاء . و يرجع للعرب الفضل فى وضع الرموز الحديثة للأعداد ، و كونوا مجموعتين للأرقام ، عرفت إحداهما باسم الأرقام الهندية ، و الثانية باسم الأرقام الغبارية ، و قد شاعت الأولى فى المشرق العربى ، و الثانية فى المغرب العربى و الأندلس . (٢٥) و عن طريق الأندلس دخلت إلى أوروبا ، و عرفت باسم الأرقام العربية . و من إسهامات العرب فى الحساب استخدام الصفر الذى يدل على الشئ الفارغ . كما كونوا مراتب الآحاد و العشرات والمئات و الألوف ، كما عرف العرب الكسر العشرى ، و قد استطاع أحد العلماء العرب ، و هو غياث الدين الكاشى من رجال القرن الخامس عشر الميلادى أن يستخرج نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، و هى : $3,1415926535897932$ ، فسبق بذلك الأوروبيين . (٢٦)

٦- الجبر

كان اشتغال العرب بعلم الجبر من أعظم مآثرهم ، فهم الذين أعطوه هذا اللفظ، وانتقل من العربية إلى لغات العالم الأخرى . و أول من ألف فى هذا العلم هو محمد بن موسى الخوارزمى ، واضع كتاب الجبر و المقابلة . و تكمن جهود المسلمين فى فصلهم علم الجبر عن علم الحساب ، حيث جعلوه علماً مستقلاً قائماً بذاته ، و أن حلوا معادلات فى الدرجة الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة، واستعملوا الأساليب الجبرية فى حل العمليات الهندسية، والطريقة الهندسية فى حل الأعمال الجبرية. (٢٧)

٧- الهندسة

أخذ العرب الهندسة عن اليونان و الأمم التى سبقتهم و أضافوا إليها إضافات مهمة . و قد ترجم العرب كتاب إقليدس فى الهندسة ، و سموه الأصول ، و قد ألف

العرب كتاب على نسقه ، وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء ، كما كتبوا في المساحات و الحجوم و تحليل المسائل الهندسية و استخراج المسائل الحسابية بجسهي التحليل الهندسى والتقدير العددي ، و من أشهر علماء المسلمين في الهندسة الحسن بن الهيثم الذى سخر الهندسة بنوعها المستوية و المجسمة لبحوث الضوء و تعيين نقطة الانعكاس فى أنحاء المرايا المختلفة . (٢٨)

٨- علم الحيل (الميكانيكا)

اهتم العرب بعلم الحيل (الميكانيكا) فاشتغلوا بهذا العلم و استنبطوا بعض المبادئ و القوانين الأساسية التى كان لها الأثر فى تقدمه ، و قد كتب العرب فى هذا العلم ، و منهم أولاد موسى بن شاكر . و قد قسم العرب هذا العلم قسمين ، الأول يبحث فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة ، و الثانى يبحث فى آلات هذه الصناعة . و يعد الخازن من أعظم من كتب فى هذا العلم ، و من أهم كتبه ” ميزان الحكمة “ الذى يعد من أكثر الكتب استيفاءً لبحوث الميكانيكا . و من علماء العرب أيضاً أبو سهل الكوفى ، و ابن الهيثم ، و بنو موسى بن شاكر . و لولا العرب ما كان علم حساب المثلثات على ما هو عليه ، فإليهم يرجع الفضل فى وضعه بشكل منظم مستقل عن الفلك . (٢٩) وقد استعمل العرب (الجيب) بدلاً من وتر ضعف القوس الذى كان يستعمله اليونان ، و كان لهذا أهمية فى تسهيل حل الأعمال الرياضية ، و هم أول من أدخل المماس فى عداد النسب الهندسية . كما مهد العرب لاكتشاف اللوغاريتمات ، فقد عرف ابن حمزة ببحوثه فى المتواليات العددية و الهندسية ، و لذلك كان من الذين مهدوا السبيل إلى إكتشاف اللوغاريتمات . (٣٠)

٩- الموسيقى

ترجم العرب كتب الموسيقى عن اليونان و الهند و الفرس ، و استنبطوا ألحاناً جديداً تكن معروفة ، كما اخترعوا آلات موسيقية جديدة : العود ، الذى اخترعه مزاراب فى الأندلس ، و زاد على أوتار العود الأربعة وترّاً خامساً . كما اخترع الفارابى آلة القانون ، و اصطنع (الزلام) و هى آلة موسيقية مصنوعة من الخشب تعرف بالناي أو المزمار الزلامى . (٣١) وقد وضع العرب العديد من المؤلفات فى الموسيقى ، منها : كتاب الإقاعات ، و كتاب الموسيقى للفارابى ، و

كتاب الموسيقى الكبير ، و كتاب الموسيقى الصغير للسرخسى ، و مختصر فى فن الإيقاع للبوزجاني .

١٠. علم الطبيعة

نقل العرب عن اليونان العديد من كتب الطبيعة ، و منها كتاب الطبيعة لأرسطو ، و كتاب الحيل الروحانية ، و كتاب رفع الأثقال لأيرن ، و كتاب هيرون الصغير فى الآلات الحربية ، و غيرها . و قد درس العرب هذه المؤلفات و وقفوا على محتوياتها ، ثم أخذوها و أدخلوا عليها تغييرات بسيطة على بعضها ، و توسعوا فى البعض الآخر ، فقد ألف العرب فى علم مراكز الأثقال ، و هو علم يتعرف منه على كيفية استخراج ثقل الجسم المحمول . كما اخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعى لأى سائل ، كما استعمل بعض علماء العرب قانون " أرخميدس " فى معرفة مقدار الذهب و الفضة ممزوجة منهما من غير حلها . كما كان للعرب بحوث فى الجاذبية ، فقد توصل ثابت بن قرة إلى أن المدرة تعود إلى أسفل لأن بينها و بين كلية الأرض مشابهة فى كل الأعراض ، و يعنى بالأعراض البرودة و الكثافة ، و الشئ ينجذب إلى أعظم منه . (٣٢) و كان للعرب بحوث نفيسة فى الروافع كلها مبنية على قواعد ميكانيكية ، و منها : اللولب و الأسفين و البيرم . كما اخترع ابن يونس الخطار بندول الساعة ، كما كان للعرب بحوث فى الصوت ، و قسموا الأصوات إلى أنواع ، منها الجهير و الغليظ و الخفيف و الحاد ، و عزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام المصوتة ، و إلى قوة تموج الهواء . كما كان لهم بحوث عظيمة فى البصريات ، و يعد الحسن بن الهيثم فى مقدمة العلماء الذين اضافوا إلى هذا العلم الكثير ، و يعد كتابه " المناظر " من أعظم الكتب التى ظهرت فى العصور الوسطى ، و فيه كتب عن أقسام العين ، و هو أول من رسمها بوضوح تام ، و بين كيف ننظر إلى الأشياء بالعينين فى آن واحد . (٣٣) كما بحث العرب فى قوس قزح، و قد شرح هذه الظاهرة قطب الدين الشيرازى فى كتابه نهاية الإدراك . كما كان للعرب بعض التجارب الأولية فى المغناطيسية و فى بيان أجزاء المغناطيس ، و يعد العرب أول من استعمل بيت (٣٤) الإبرة المغناطيسية فى القرن الحادى عشر الميلادى فى الأسفار البحرية و البرية .

١١. الكيمياء

يعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من اشتغل بعلم الكيمياء ، و قد تعلمه من راهب رومى اسمه مريانوس ، استقدمه من الإسكندرية . (٣٥) وهذا يعد أول عهد للعرب للعلوم العقلية أو الدنيوية، وفي البداية اهتم العرب بتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، و لكنهم لم يتوصلوا إلى الأمر و أنكروه بعد ذلك. ولكنهم توصلوا إلى حقائق مهمة فى هذا العلم و منها التأكيد على دور التجربة، وأهمية استخدام المنهج التجريبي فى الكيمياء الذى مارسوه بالفعل ، و قد اكتشفوا مركبات عديدة ، منها القلويات و النشادر و نترات الفضة و حامض الطرطير ، و عرفوا عمليات التقطير والترشيح والتبلور و التكليس . (٣٦) و يعد جابر بن حيان أول من كشف عن الصودا الكاوية ، و أول من استحضر ماء الذهب ، و أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة حامض ، و هى الطريقة المتبعة حتى الآن . كما أن له أبحاثاً فى التكليس و تحسين أساليب التبخير و التقطير . وقد استطاع العرب تحضير حامض الكبريتيك و الماء الملكى (النيتروهييدروكلوريد) . كما كشف العرب عن الحامض الأزوتى . كما تفنن العرب فى صناعة الزجاج و تحسين صناعة الورق التى انتقلت عن طريقهم إلى أوروبا . (٣٧)

١٢. الطب

كان الطب قديماً ينظر إلى الأمراض على أنها أرواح شريرة قد حلت فى الأبدان و لا أمل فى الشفاء إلا بالسحر، ولذلك ارتبطت مهنة الطب بالسحر ، و ظل الأطباء فى أوروبا يمارسون السحر فى علاج مرضاهم ، و كان الطب عند اليونان مصبوغاً بالصبغة الفلسفية النظرية . ومع بداية العصر الإسلامى العربى استقدم الخلفاء الأطباء من كل مكان و نقلوا معظم كتب تالطب فى مختلف الألسنة بكل ما فيها من نظريات فلسفية و سحر و تجارب مفككة ، و استوعبوا كل ذلك و زادوا عليه بإضافات مبتكرة قائمة على المشاهدة و الملاحظة و التجربة . و من إسهامات العرب فى الطب أنهم أول من استخدم البنج فى العمليات الجراحية ، و قد برعوا فى إجرائها مستخدمين الأدوات و الآلات المختلفة ، و استعملوا أمعاء القطط و الحيوانات فى

خياطة الجروح ، و أضافوا إلى العقاقير عصائر الليمون و البرتقال و القرنفل لتخفيف حدة طعمها . وقد أنشأ العرب المستشفيات ، فكان منها الخاص بمرض معين ، مثل مستشفيات علاج المجزومين و المجانين و العميان ، و منها ما كان عاما لجميع الأمراض . كما كان منها الثابت في مكانه الذي أقيم فيه ، و منها ما كان متنقلا من مكان إلى آخر لخدمة المرضى في الأماكن البعيدة أو المناطق الريفية ، أو متنقلا حسب ظروف انتشار الأمراض أو الأوبئة . (٣٨) كما دعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية في موسم الحج ، حين يجتمع أطباء العالم الإسلامي و كل منهم يعرض نتائج أبحاثه ، و نباتات بلاده ، و يصفون خواصه الطبية . ومن أشهر علماء المسلمين في الطب ” ابن سينا “ صاحب كتاب ” القانون في الطب “ الذي ترجم إلى اللاتينية ، و صاحب الابتكارات في الطب النسوي ، و الوصف الدقيق للبواسير البولية ، و حمى النفاس ، و العقم . كما وصف التهاب السحايا الأولى و الثانوى ، كما فرق بين التهاب الرئوى و التهاب البلورى ، كما وصف مرض الفيل و الحمرة الخبيثة . ومن أشهر أطباء الأندلس ” الزهراوى “ (ت ١٠١٣ م) الذى وضع موسوعة طبية عظيمة أسماها كتاب ” التصريف لمن عجز عن التأليف “ ، و قد وضع فى هذا الكتاب قسما خاصا عن الجراحة ، شرح فيه العمليات و الأدوات التى كان يستعملها فى عملياته ، و هو أول من ربط الشرايين . (٣٩) و قد رفع الزهراوى من شأن الجراحة وجعلها فرعا من فروع الطب .

١٣. الصيدلة

يعد العرب المؤسسين الحقيقيين لمهنة الصيدلة التى رفعوها عن مستوى تجارة العقاقير ، و قد أخضع العرب صناعة الصيدلة لرقابة الدولة لمنع الغش ، فلم تكن تمارس إلا بترخيص . كما فتح العرب الصيدليات العامة فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، كما ألحقوا بكل بیمارستان صيدلة خاصة به . ويرجع السبب فى تقدم العرب فى علم الصيدلة أنها كانت نابعة من علم الكيمياء الذى نضج على أيديهم . (٤٠) و من أشهر علماء الصيدلة ابن البيطار صاحب كتاب ” الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية “ .

١٤. علم الحيوان

درس العلماء العرب المسلمون الحيوان ، و وصفوا الكثير من الحيوانات و الطيور ، و الحيوانات المائية و البرية ، و الحشرات ، و قاموا بتشريحها و وصفوا سلوكها . (٤١) و من أهم من كتب عن الحيوان الجاحظ في كتابه ” الحيوان “ ، و الدينورى في كتابه ” حياة الحيوان الكبرى “ .

١٥. علم النبات

أضاف العرب الكثير إلى علم النبات ، فقد اكتشفوا مواد نباتية كثيرة كان يجهلها اليونان ، كما زودوا علم الصيدلة بالكثير من النباتات النافعة التى تستخدم فى العلاج . و من أشهر مؤلفاتهم فى علم النبات كتاب ” حراشة الأرض “ لأبى زكريا الأشبىنى ، و كتاب فى النبات لابن البيطار أوضح فيه ملاحظاته فى دراسة النباتات والأعشاب ، و وصف فيه أكثر من ١٤٠٠ عقار بين نباتى حيوانى و معدنى . كما بين فوائدها الطبية و كيفية استعمالها كأدوية و أغذية . كما درسوا أمراض النبات و طرق علاجها مما دفع بعلم النبات و الزراعة خطوات إلى الأمام و النمو و الازدهار .

١٦. الفلسفة

تأثر المسلمون بالفلسفة اليونانية بعد أن ترجمت كتبهم إلى العربية فى عهد الرشيد و المأمون ، و اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت إلى العربية و عملوا على تفسيرها و التعليق عليها و تصليح أغلاطها . و منهم يعقوب بن إسحاق الكندى ، و الفارابى الذى يعد من أكبر فلاسفة المسلمين ، و ترجع شهرته إلى شروحه الكثيرة لفلسفة أرسطو فلقب بالمعلم الثانى ، كما أن له رسائل كثيرة فى علم النفس و الإلهيات ، و من أشهر فلاسفة العصر العباسى الثانى ابن سينا الذى تأثر بأرسطو فى الإلهيات و المنطق ، و قد ألف فى موضوعات متعددة مقتنياً أثر الفارابى .

هوامش الفصل الثانى

- ١- شوقى ضيف . العصر العباسى الثانى . - القاهرة . - دار المعارف . - ط ٢ ، ١٩٦٦ . - ص ١٦٢
- ٢- حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . - ط ٧ . - القاهرة . - مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ . - ج ٢ ص ٣١٩ .
- ٣- نفس المرجع السابق . - ج ٣ ص ٣٤٩ .
- ٤- نفس المرجع السابق . - ج ١ ص ٣٢٥ .
- ٥- ابن خلكان . مصدر سابق . - ج ١ ص ٢٧٥ .
- ٦- دى بور ، ت . ح . تاريخ الفلسفة فى الإسلام / ترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة . - طبعة منقحة و مهذبة . - القاهرة . - لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٤ . - ص ٥٦ .
- ٧- ابن خلكان ؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق احسان عباس . - بيروت : دار صادر ، ١٩٧٢ . - ج ٣ ص ٣٤٨ .
- ٨- دى بور ، ت . ح . مرجع سابق . - ص ١١٩ .
- ٩- شوقى ضيف . العصر العباسى الأول ط ٧ . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨ . - ص ١١٩ .
- ١٠- دى بور ، ت . ح . مرجع سابق . - ص ٣٩ .
- ١١- حسن إبراهيم . مرجع سابق . - ج ٣ ص ٢٥٣ .
- ١٢- شوقى ضيف . العصر العباسى الأول . - ص ١٤٨-١٤٩ .
- ١٣- شوقى ضيف . العصر العباسى الثانى . - ص ٤٤٣ .
- ١٤- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٥٠٩ .
- ١٥- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٥٠٨-٥٠٩ .
- ١٦- شوقى ضيف . العصر العباسى الأول . - ص ١٢٥ .
- ١٧- حسن إبراهيم . مرجع سابق . - ج ٢ ص ٣٤٥ .

- ١٨- أحمد أمين . ضحى الإسلام . - بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٤ . - ج ٢ ص ٣٥٧ .
- ١٩- قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب . - القاهرة . - مكتبة مصر ، د . ت . - ص ٧٣ .
- ٢٠- خط نصف النهار ، خط وهمى على سطح الأرض حين تكون الشمس عمودية عليه وقت الزوال .
- ٢١- أوج : أقصى حد فى البعد بين الأرض و الشمس .
- ٢٢- الأزياج ، مفردتها زيح ، و هو عند العرب صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، و ما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة و بطء و استقامة و رجوع ، و يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها ، وفائدة الإنزياح فى معرفة الشهور و الأيام و التواريخ الماضية .
- ٢٣- محمد عبد الرحمن مرحبا . موجز فى تاريخ العلوم عند العرب . - تقديم جميل طليب . - بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٨ . - ص ١٣٦ .
- ٢٤- نفس المرجع السابق . - ص ١٢١ .
- ٢٥- قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب . - القاهرة : مكتبة مصر . - د . ت . - ص ٦١ .
- ٢٦- عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم و دور العلماء العرب فى تقدمه . - القاهرة . - دار المعارف ، ١٩٦٦ م . - ص ٩٦ .
- ٢٧- محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . - ص ١٣٠ .
- ٢٨- دى بور ، ت . ج . مرجع سابق . - ص ١١١ .
- ٢٩- قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ١٣١ ، ٦٤ .
- ٣٠- عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . - ص ٩٧ .
- ٣١- قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ٤٤ .
- ٣٢- محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . - ص ١١٥ .
- ٣٣- قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ٤١ .
- ٣٤- عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . - ص ١٥٢ .

- ٣٥- تعد الإسكندرية فى العالم القديم المركز الذى نشأ فيه علم الكيمياء ، ففيها تكونت نواة علم الكيمياء ، و توسع الكهنة فى هذا العلم ، و زعموا أنهم حولوا المعادن إلى ذهب و فضة : قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ٥٥ .
- ٣٦- قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ٣٣ .
- ٣٧- عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . - ص ١٤٧، ١٢٥ .
- ٣٨- قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . - ص ١٩، ٢٠ .
- ٣٩- عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . - ص ١٢٣ .
- ٤٠- محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . - ص ١٠٤ .
- ٤١- عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . - ص ١٥٣ .
- ٤٢- دى بور ، ت . ج . مرجع سابق . - ص ١٨ .

الفصل الثالث

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصر العباسى الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ)

مقدمة

يمتد العصر العباسى الأول من عام ١٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة ، إل عام ٢٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها المتوكل الخلافة ، و يعد هذا التاريخ بداية العصر العباسى الثانى . و قد تميز هذا العصر بقوة الدولة العباسية و سياستها الممزوجة بالدين و الملك ، كما تميز هذا العصر بانحياز الخلفاء إلى العنصر الفارسى الذى قامت على أكتافه الدولة العباسية ، و كان لاختلاط العرب بهم — و هم أصحاب حضارة — أثر كبير فى أسلوب الحياة و تنظيمها ، فقد أخذ العرب عنهم كثيراً من مظاهر الحضارة من اللباس و الشراب و الطعام ، و كثيراً من وسائل تنظيم الحياة السياسية . كما كان للعنصر الفارسى و غيره من العناصر الأجنبية أثر كبير فى الحياة العملية ، فقد عملوا على نقل علومهم و آدابهم إلى اللغة العربية ، و ذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يقدرون العلم و العلماء ، مما كان له أثره البالغ فى تشجيع الحركة العلمية و ازدهار حركة الترجمة و التأليف ، وإنشاء المكتبات ، و ازدهار حركة الوراقة ، و نتيجة كل هذه الحركات بما أفرزته من إنتاج علمى فى مختلف المجالات ظهرت الحاجة إلى وضع تقسيم للمعرفة .

وقد ظهر فى هذا العصر مصنفان يعدان من أوائل ، أو أهم ، المصنفين العرب المسلمين ، حيث وضعوا البذور الأولى فى تقسيم المعرفة التى سارت عليها التصانيف اللاحقة لهما ، و هما : جابر بن حيان الذى وضع تصنيفين مختلفين ، هما : ” السباعية “ ، و ” الحدود “ . و الكندى الذى وضع رسالة فى : ” كمية كتب أرسطوطاليس “ .

و يتناول هذا الفصل دراسة تلك التصنيفات من عدة اتجاهات : نوع التصنيف ، و الهدف من وضع التصنيف ، و إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفي ، و توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم في التصنيف ، و القواعد التصنيفية و المفاهيم التي استخدمت في التصنيف ، و أهم الملاحظات على التصنيف ، مع توضيح المميزات و العيوب ، و تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف ، و الاتجاه الفلسفي لصاحب التصنيف ، و تأثيره بمن سبقه ، و تأثيره فيمن لحقه ، و تأثير الفكر التصنيفي الأرسطي في تصنيفه ، نظراً لما يتردد من أن التصنيف العربي الإسلامي ما هي إلا نقل حرفي عن تصنيف أرسطو ، و مستوى المعالجة في التصنيف ، و مدى التماسك و الاتساق في العمل التصنيفي .

أولاً : تصنيف جابر بن حيان (ت ٢٠٠ هـ - ٨١٤ م)

يعد جابر بن حيان (١) واضع أقدم تصنيف للعلوم في الحضارة العربية الإسلامية ، إلا أن هذا التصنيف قد ضاع ضمن ما ضاع من تراث العرب نتيجة الحروب و الفتن و النكبات التي منيت بها الأمة الإسلامية ، و لا يعرف من تصنيفه إلا السباعية ، و الحدود . و لم تشر المصادر إلى تاريخ إعدادهما ، و هنا يطرح سؤال : أيهما وضع أولاً ، السباعية أم الحدود ؟ . و من استقراء التصنيفين نرجح أن جابر بن حيان قد وضع السباعية أولاً ، حيث يعرض في السباعية العلوم التي تمثل الفكر العقلي لعصره الذي جاء نتيجة حركة الترجمة الواسعة التي سبقت حركة التأليف ، ثم وضع تصنيفه الثاني بعد أن تبلورت حركة التأليف التي كانت بدايتها في العلوم الدينية ، و هنا برز اتجاهان في الحركة العلمية ، أحدهما يتجه نحو الأمور الدينية ، و الثاني نحو الأمور العقلية ، و هذا ما دفع جابر ابن حيان إلى أن يضع تقسيماً جديداً يبرز فيه الفكر الديني الذي أخذ مكاناً واضحاً في المجال المعرفي . و ما يؤكد تأخر تصنيف الحدود عن تصنيف السباعية أن الحدود قد هدف إلى وضع حد (تعريف مانع جامع) لكل علم ، و لذلك يشار في بدايته إلى وجود كتب في موضوعات متعددة ، و أن الحدود تجميع لحدود كل هذه العلوم بأقسامها و فروعها .

التصنيف الأول : “ السباعية ”

عرض جابر بن حيان تصنيف السباعية فى كتاب ” إخراج ما فى القوة إلى الفعل “ ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن مختار رسائل جابر بن حيان التى نشرها ” بول كراوس “ ، و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٤٧ إلى ٩٥ من الكتاب المختار . (٢) و يتميز هذا التصنيف بجمعه بين الصفة الفلسفية و الصفة العلمية للتصنيف ، فالأولى تعنى تأثير الفكر الفلسفى لابن حيان فى تصوره لتقسيم العلوم وترتيبها . و يقصد بالصفة العلمية أن تقسيمه لكل علم جاء وفقاً للخطوات المتبعة فى العلم للوصول إلى الهدف المرجو منه ، و لم يقسم العلم إلى علوم جزئية تتدرج تحت كل علم ، و هذا ما يتضح للقارئ من خلال التعليق على التصنيف .

الهدف من وضع السباعية

يهدف جابر بن حيان من وضع السباعية إلى تقسيم العلوم السبعة و ترتيبها و التعريف بها ، و هى التى أشار إليها فى كتابه : ” إخراج ما فى القوة إلى الفعل “ ، و من ثم جاءت السباعية عملاً تصنيفياً يعكس وجهة نظر جابر فى تقسيم المعرفة و ترتيبها .

خطة التصنيف فى السباعية : (٣)

الطب

نظر

أول فى العقل ” المداخل “

ثان فى الجسم ” مكونات الجسم “

عمل

النفس

الجسم

التشريح

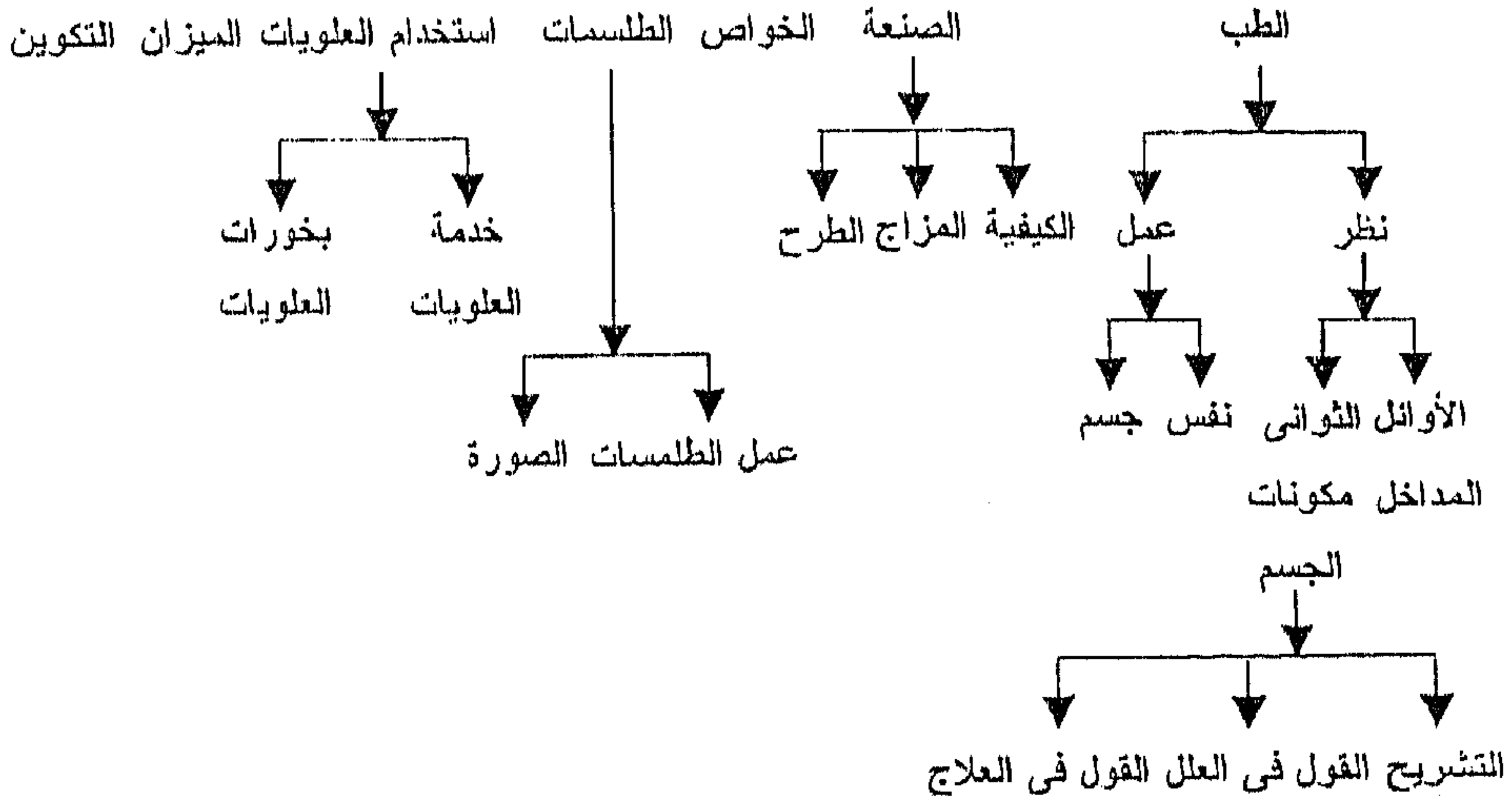
العلل و الأمراض

القول فى العلاج

علم الصنعة ” الكيمياء “

القول في الكيفية
 القول في المزاج
 القول في الطرح
 علم الخواص
 علم الطلسمات
 القول في الطلسمات و عملها
 القول في الصورة
 استخدام العلويات
 القول في خدمة العلويات
 القول في بخورات الكواكب
 علم الميزان " علم الطبيعة "
 علم التكوين " علم الصورة ".

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان (السباعية)



منطق تصنيف العلوم لدى جابر بن حيان في السباعية :

يتناول جابر بن حيان في تصنيفه السباعية سبعة علوم ذات أهمية خاصة له من جهة ، و بنفس الأهمية لعصره من جهة أخرى ، و من ثم كان الطب على رأس العلوم الأخرى باعتباره أهم العلوم الطبيعية و أشرفها ، لأن موضوعه جسم الإنسان ، كما ترجع أهمية هذا العلم في عصر جابر إلى اهتمام الحكام به للمحافظة على الصحة التي بدأ يعتريها العلل نتيجة تغير طبيعة حياة العرب ، فمن الملاحظ أن عصر جابر يعد من أزهى عصور الترجمة ، و تعد الكتب الطبية من أوائل أنواع الكتب التي حظيت بعناية الحكام و اهتمامهم ، و لذلك نلاحظ بروز علم الطب في قمة العلم الطبيعي في تصنيف جابر بن حيان ، و في التصنيف اللاحقة عليه ، و يلي علم الطب علم الصنعة "علم الكيمياء" ، الذي يعد أهم العلوم عند جابر بن حيان ، و من ثم قدمه على بقية العلوم الأخرى ، و يليه علم الخواص ، و قد قدمه على بقية العلوم الأخرى لأنه يعد مدخلاً لها ، فهو العلم الذي يرصد صفات الطبيعة و خصائصها ، مثل الجاذبية في حجر المغناطيس ، أو الخصائص الخاصة بالنجوم والكواكب ، و يلاحظ ارتباط العلوم اللاحقة بهذا العلم ، و تبدأ بعلم الطلسمات ، واستخدام العلويات ، ويقدمهما على ما يليهما من العلوم لبحثهما في الأجرام السماوية ، و يقدم علم الطلسمات على علم استخدام العلويات ، باعتباره العلم الجزئي من العلم الكلي ، و هنا نراه يطبق قاعدة من قواعد ترتيب العلوم عند العرب ، و هي تقديم الجزء على الكل . (٤) كما يرجع تقديم هذين العلمين على علم الميزان الذي يليهما لسببين ، الأول : أنهما يعدان من علوم التجيم ، و هو العلم الذي شغل الحكام ، و نال قسطاً كبيراً من اهتمامهم ، حتى إنه يقال إن الخليفة المنصور ما كان يقدم على عمل إلا بعد استشارة المنجمين ، فتقديم ابن حيان لهما يرجع لأهميتهما بالنسبة لعصره ، و لذلك نجده يصف علم الطلسمات بأنه العلم العظيم الباطل في زماننا . (٥) فعظمته بالنسبة لجابر و هو من المشتغلين بهذا العلم و لحكام عصره ، و بطلانه من جهة الشرع ، حيث ينكره الإسلام و يحرم العمل به ، لخوضه في معرفة المستقبل و الغيب . و الثاني : أن هذين العلمين قائمان على فن المشاهدة و الملاحظة بينما علم الميزان و هو علم الطبيعة قائم على فن التجربة التي تلي مرحلتى المشاهدة و الملاحظة ، و

يأتى علم التكوين فى نهاية العلوم السبعة و هو علم الخلق ، و يعنى الصورة و الهيئة التى تتخذها الأشياء ، ولتكتمل هذه الصورة لأبد من علوم تمهد لها ، و هى العلوم التى سبق الحديث عنها : علم الطب ، و علم الصناعة ، و الطلسمات ، و استخدام العلويات ، و علم الميزان . ثم يتناول تقسيم كل علم من العلوم السبعة إلى أجزاء تمثل مكونات العلم و طريقة ممارسته للوصول إلى الهدف المرجو من العلم ، و هو بذلك يختلف عن غيره من التصنيفات التى تقسم العلم إلى علوم أخص تتدرج تحته ، فنجد أن علم الطب إلى أصول و فروع ، و الأصول هى المداخل و المبادئ اللازمة لممارسة مهنة الطب ، ثم الفروع ، و هى العلوم الجزئية التى تتدرج تحت علم الطب . و تنقسم أصول علم الطب إلى نظر و عمل ، و يعنى بالنظر عملية تشخيص المرض ، التى تتم عن طريق النظر فى معرفة الأمور الطبيعية ، و النظر فى أسباب المرض ، و النظر فى دلائل أعراض المرض (٦) ، فتشخيص المرض يتم من خلال التعرف على أعراضه ، و من التعرف على أعراض المرض و أسبابه يمكن الاهتداء إلى الدواء بعد الاستدلال على المرض ذاته . و يعنى بالعمل الأمراض الناتجة عن العمل العوامل المؤثرة فى إحداث المرض ، مثل عامل البيئة و طبيعة عمل الشخص ، و العامل النفسى ، و الأخير هو ما أبرزه جابر ابن حيان فى تقسيم العمل إلى النفس و الجسم ، و يعنى بالنفس تأثير العوامل النفسانية فى إحداث الأمراض الجسمانية ، و هو ما يعرف حديثاً بـ " الأمراض السيكوسوماتية *Psychosomatic* " ، أى الأمراض التى تنتج عن العوامل النفسانية ، و تترك أثرها على الجسم . و يعنى بالجسم ما يظهر على الجسم من أعراض المرض ، سواء كانت من داخله أو كانت أعراضاً خارجية تعين على تشخيص المرض للوصول إلى الدواء ، ثم يأتى ذكر فروع علم الطب ، و هى علم التشريح ، و أنواع العلل أو الأمراض .

و يقسم علم الصناعة (علم الكيمياء) إلى ثلاثة أقسام تمثل مكونات هذا العلم ، و يبدؤها بالتعريف بالمواد المستخدمة فى صناعة الكيمياء ، و يطلقون عليها " الآلات " من الكبريت و الزئبق و النشادر و النحاس و الفضة ، ثم القول فى الكيفية ، و يطلق عليها تدبير الصناعة ، أى التجارب الكيميائية و عملياتها ، مثل : التصعيد ، و للتقطير ، ثم القول فى المزاج ، و يعنى بها تسجيل المشاهدات

والملاحظات في أثناء إجراء التجربة ، و يأتي الطرح بعد التدبير ، أي الوصول إلى نتائج التجربة .

و يقسم علم الطلسمات حسب سير العمل فيها أيضا إلى قسمين ، الأول القول في الطلسمات و عملها ، و يعنى بهذا الجزء طريقة استخدام البروج ، مثل الحمل ، و الأسد ، و القوس ، و كيفية استدعائها لفعل شيء معين تظهر نتيجته في شكل هيئة مرسومة على الطلسم ، و هو الجزء الثانى من علم الطلسمات (القول في الصورة) . و يبدأ القول في استخدام العلويات بتعريف العلويات المستخدمة في عمل السحر ، و هى ثمانية و ستون كوكبا ، ثم يقسم هذا العلم إلى قسمين ، الأول : في كيفية القيام بعمل السحر الذى يكون عن طريق الرصد ، و هو النظر فى نزول الكواكب المراد بفعل السحر عن طريقه إلى درجة معينة . و البخور لأن لكل كوكب بخورا خاصة به لفعل أمر ما . و الثانى فى بخورات الكواكب حيث يشرح المواد المستخدمة فى عمل البخور اللازمة لكل كوكب ، فمثلا بخور زحل : الكافور ، و الكركم ، و حطب البلسان ، و المسك ، و هكذا يحدد لكل كوكب المواد المستخدمة لعمل البخور الخاص به .

مفاهيم التصنيف وقواعده فى السبائية :

نجد فى تصنيف جابر عددا من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- علاقة الاشتمال أو التبعية ، و خير مثال لها : تقسيم علم الطب الذى يعد علما عاما إلى عدد من العلوم تدرج تحته ، مثل : علم التشريح ، و العلل أو الأمراض .

- علاقة تجاور و ترابط ، مثل ذكر علم الطلسمات ، و استخدام العلويات ، متجاوين لانتمائهما إلى مجال معرفى واحد ، و هو علم التنجيم .

أثر الموقف الفلسفى لجابر بن حيان فى تقسيمه العلوم :

تميزت الفترة التى عاش فيها جابر بن حيان بظهور الفرق الإسلامية المتعددة التى تنتمى إلى اتجاهات فلسفية : أهل السنة و المعتزلة و الشيعة و غيرها ، و كان لها من الآراء و الاتجاهات و العلوم التى تحاول بثها بشكل بعيد عن أعين السلطة ، ولذلك استخدموا الألفاظ الغامضة و العبارات غير الواضحة ، و هذا ما انعكس على

طريقة ابن حيان في تقسيمه العلوم ، حيث استخدم ألفاظا مبهمه لا تعبر بوضوح عن الموضوع الذى يقصده ، و من ثم جاء تصنيفه فى عمومته غير واضح أو سهل الفهم ، و يعود ذلك إلى انتماء ابن حيان إلى فرقة الشيعة الباطنية التى كانت تحاول بث أفكارها بأساليب غير واضحة . (٧) و الأساس الفلسفى الذى بنى عليه تصنيف جابر بن حيان فى السباعية هو الأساس الأنطولوجى ؛ أى دراسة الوجود ، حيث قدم ابن حيان تصنيفا للعلوم متوازيا مع تصوره للكون ، ويعنى ذلك أنه إذا كانت الموجودات كلها فى الكون قد صدرت عن أصل واحد فكذلك العلوم كلها قد صدرت عن أساس واحد و أصل واحد ، وهو الوجود . و من ثم نجده يربط بين جزئيات العلوم والعناصر الطبيعية ، وهى الماء و الهواء و الأرض و النار ، كما نجده يربط المعادن بالكواكب السبعة ، فالرصاص يطبع زحل ، و الذهب يطبع الشمس ، و الحديد يطبع المريخ ، و هكذا . (٨)

تقييم محاولة جابر بن حيان التصنيفية فى السباعية :

يلاحظ على تصنيف السباعية ما يلى :

- اتباعه التقسيم السباعى للعلوم فى تصنيفه الذى يماثل به تقسيم الكواكب إلى سبعة .
- اقتصره على مجموعة العلوم التى تمثل فروع العلم الطبيعى فى التصانيف العربية الإسلامية الأخرى .
- يربط جابر تصنيف العلوم بالطبيعة من حوله ، و لذلك نجده يوازى بين أعضاء الإنسان و الوجود و الطبيعة ، فالدماغ يوازى الماء ، و هو من العناصر الأربعة (٩) ، و الشتاء من الأزمنة . و قد ذكر أن السباعية عنده هى العلوم ذات الصبغة الطبيعية التى تعد انعكاسا لمذهبه ، و هو المذهب الصوفى ، مذهب أصحاب العلوم السرية الباطنية الذين يرون أن تقسيم العلوم يقف بشكل مواز لتصورهم للكون و الطبيعة . (١٠)

مميزات تصنيف السباعية و عيوبه

يتميز تصنيف ابن حيان بعدة مميزات ، منها :

- يعد من المحاولات الرائدة التى وضعت أسسا لترتيب العلوم ، اتبعتها التصانيف اللاحقة عليها ، سواء كان ذلك فى عملية الترتيب التى قامت على أساس تقديم

العلم المهم ، فقدم علم الطب على سائر العلوم الأخرى ، و هو ما سارت عليه التصانيف اللاحقة ، بل نجد في التصانيف الحديثة ، مثل تصنيف ديوى ، تقديم علم الطب على سائر العلوم التطبيقية الأخرى ، أو في تقديم الجزء على الكل ، مثل تقديم علم الطلسمات على استخدام العلويات ، و هو من مبادئ ترتيب العلوم التي أشار إليها حاجى خليفة . (١١)

• اتبع التقسيم العلمى للعلوم ، و هذا ما لم نجده عند غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، بل إن ما وضعه من تقسيم بعض العلوم سارت عليه التصانيف اللاحقة عليه ، مثل علم الكيمياء الذى أخذه عنه الخوارزمى فى التقسيم الخاص به .

ومن عيوب تصنيف السباعية لجابر بن حيان :

• تعظيمه لعلوم التنجيم و السحر ، مثل : علم الطلسمات و استخدام العلويات ، و قد يرجع هذا إلى شغف حكام عصره بهذه العلوم .

• ذكره موضوعات لم يتحدث عنها أو يعرف بها ، مثل تقسيمه لعلم الطب إلى علم التشريح ، و القول فى العلل ، و القول فى العلاج . و قد شرح العلم الأول والثانى ، و لكنه لم يشر بالتعريف و الشرح إلى العلم الثالث و هو القول فى العلاج .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف السباعية :

تعد السباعية انعكاسا للعلوم التى شاعت و سادت فى عصر جابر بن حيان الذى عاش خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، و قد كان معاصرا لآخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، و عاش أزهى أيام حياته فى ولاية هارون الرشيد ، و تميزت هذه الفترة بانتعاش حركة الترجمة التى ركزت على علوم معينة مثل الطب و علم الصنعة و التنجيم ، و من ثم انحصرت العلوم التى عرضها جابر بن حيان فى تصنيفه على هذه العلوم التى كان يراها علوم العالم بأسره .

تصنيف السباعية بين التأثير والتأثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف السباعية ، و من ثم يعد هذا التصنيف من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب . و قد تأثر بتصنيف السباعية العديد من المصنفين اللاحقين ، ومنهم الخوارزمى فى كتابه " مفاتيح العلوم " ، حيث

أخذ عنه تقسيمه لعلم الكيمياء إلى : الآلات ، و العقاقير المستخدمة ، و التجارب الكيميائية أو العمليات الكيميائية ، كما نقل عنه شرحه لعلم الطب . كما استخدم طاشكبرى زادة التقسيم السباعي الذي نجده عند ابن حيان في السباعية .

هل تأثر جابر بن حيان في تصنيفه السباعية بتصنيف أرسطو؟

يعد تصنيف جابر بن حيان تصنيفا عربيا أصيلا ، يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث تقسيمه العلوم إلى سبعة ، و ذكره علومها لم يذكرها أرسطو ، مثل : علم الطب ، و علم الكيمياء . و بالرغم من ذلك فإننا نجد تصنيفه في السباعية قد جاء وفق الفكرة الأرسطية (إخراج ما في القوة إلى الفعل) ، و هذا ما انعكس على علومه ، فعلم الكيمياء يقوم على فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب ، و هذه الفكرة مصدرها الأساسي هو أرسطو . (١٢) و هي تعني أن المعدن المراد تحويله ذهباً يحوى ذهباً بالقوة ، و يحتاج في جعله ذهباً بالفعل إلى تدابير معينة؛ أي إجراء تجارب وأفعال معينة ليصبح بالفعل ذهباً . كذلك كان إيمانه بنظرية الأخلاط (١٣) ، و العناصر الطبيعية ، التي جعلها أساس المعالجة في علم الطب . والأخلاط هي البلغم و الدم و الصفراء و السوداء ، و هو يقابلها بالعناصر الطبيعية الأربعة ، و الأزمنة الأربعة ، فالبلغم يقابله الماء ، و زمنه الشتاء ، و الدم يقابله الهواء ، و زمنه الربيع ، و الصفراء تقابل النار ، و زمنها الصيف ، و السوداء يقابلها الأرض ، و زمنها الخريف . كما يجب التعرف على الطبائع الأربعة و هي النار حارة يابسة ، و الهواء حار رطب ، و الماء بارد رطب ، و الأرض باردة يابسة . و للعلاج بنظرية الأخلاط يجب أن يحدد الطبيب نوع الخلط للاهتمام إلى العلاج ، فإذا كان الخلط حاراً كان العلاج بالبارد . أي أنه إذا كان الجسم محموماً فلا يجوز زيادة حرارته ، و إنما يجب إنقاصها بالمبردات لتخفيف حدة الحرارة في الحميات . و تدور هذه النظرية حول استجابة التركيب الداخلي لجسم الإنسان لمختلف التأثيرات الداخلية ، و قد سيطرت نظرية الأخلاط على الطب اليوناني و انتقلت بدورها إلى الطب العربي مما كان له تأثيره على عدم تقدم علم الفسيولوجيا عند العرب (١٤) ، وإن كان الأطباء العرب قد رفضوا العديد مما جاء به الطب اليوناني بناء على اختباراتهم الشخصية ، أو بناء على تفكير منطقي .

منهج ابن حيان في السباعية :

يتبع جابر بن حيان المنهج الاستنباطي في تصنيفه ، حيث يتدرج بالعلوم مبتدئاً بالعلم الكلي إلى العلوم الجزئية التي تتدرج تحته ، فهو عندما يتناول كل علم يعرضه عرضاً كلياً ثم ينتقل إلى العلوم التي تتدرج تحته ، كما في علم الطب ، يتحدث عن العلم وطريقة العمل فيه ، ثم يعرض العلوم المتفرعة عنه ، مثل علم التشريح ، والأمراض . و لكنه لم يقف عند المنهج الاستنباطي ، وإنما استخدم المنهج الاستقرائي الذي يتلخص السير فيه إلى مشاهدات توحى بفروض ، ثم استنباط النتائج من تلك الفروض ، ثم مراجعة هذه النتائج على الواقع ، وهذا ما طبقه ابن حيان في السباعية ، حيث يربط العلوم التي طرحها بالكون ومركباته ومكوناته ، وذلك ناتج عن مشاهدات تؤدي إلى فروض ، والفروض تؤدي إلى نتائج ، ففي قوله : ” الدماغ مثل البلغم من الرطوبات ، ومثل الماء من العناصر ، ومثل الشتاء من الأزمنة “ ، فكيف يصل إلى هذه النتيجة إلا إذا كان هناك مشاهدة للبلغم وصفاته ، والماء وصفاته ، والشتاء ، وملاحظة ما يربط بينهم ، ووضع الفروض التي توصله إلى نتيجة تكشف عن ارتباط طبيعة الدماغ بكل من البلغم والماء والشتاء .

مستوى المعالجة في تصنيف السباعية :

قسم جابر بن حيان تصنيف السباعية إلى سبعة علوم رئيسية ، و تناول كل منها بالتفريع إلى عدد من الموضوعات ، و تصل تفريعات علم الطب إلى الصف الرابع ، بينما تقف التفريعات في بقية العلوم إلى الصف الثاني ، وهذا ما يوضحه الجدول التالي :

تصنيف	صف أول	الفروع			الإجمالي
السباعية		الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	
السباعية	الطب	٤	٩	٤	١٧
من كتاب	الصناعة	٣	—	—	٣
” إخراج ما في	الخواص	—	—	—	—
القوة إلى الفعل	الطلسمات	١	—	—	١
“	استخدام	٢	—	—	٢
	العلويات	—	—	—	—
	الميزان	—	—	—	—
	التكوين	—	—	—	—
الإجمالي	٧ = ٧	١٠	٩	٤	٢٣ =

جدول رقم (١) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف في تصنيف السباعية

لجابر بن حيان

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلي :

— ذكر جابر بن حيان في السباعية سبعة علوم أساسية تقف على الصف الأول ، وفرع من كل منها عددا من العلوم .

— لا يوجد توازن بين العلوم المفرعة من كل علم ، فبينما تصل إلى الصف الرابع في علم الطب ، نقف عند الصف الثاني في علوم الصناعة و الطلسمات و استخدام العلويات .

— أنه لا يذكر فروعا لعلم الخواص ، و الميزان ، و التكوين .

— يصل عدد العلوم الأساسية إلى سبعة علوم تقف على الصف الأول .

— يصل عدد العلوم المفرعة عن العلوم الساسية السبعة إلى ثلاثة و عشرين علما ، توزع على الصفوف ، على النحو التالي . تبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثاني عشرة فروع ، و تبلغ على الصف الثالث تسعة فروع ، و على الصف الرابع أربعة فروع .

التماسك والتناسق في السباعية :

يسير جابر بن حيان في تقسيم العلوم في السباعية بشكل منتظم ، حيث ينتقل من العلم العام إلى العلوم الجزئية المتفرعة عنه دون إحداث أية قفزات مخلة بالتنظيم العام لتصنيفه ، و من ثم تميز التصنيف بالتماسك . و قد اختل التناسق بسبب عدم التناسب بين فروع كل علم و آخر ، حيث نجده يذكر علوما لا فروع لها ، و يذكر لعلوم أخرى فرعين ، بينما تصل العلوم المتفرعة من موضوع الطب إلى سبعة عشر علما .

التصنيف الثاني : "الحدود"

عرض جابر بن حيان تصنيف الحدود في كتاب "إخراج ما في القوة إلى الفعل" ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن المختارات من رسائل جابر بن حيان ، التي نشرها "بول كراوس" . و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٩٧ إلى ١١٥ من الكتاب المختار .

و قد عرض جابر بن حيان في الحدود لموضوعين ، هما : علم الدين و علم الدنيا . و قد اتصف العرض الأول بالصفة الفلسفية في التقسيم ، و بدا تأثير الفكر الفلسفي في طريقة تقسيمه لعلم الدين ، كما عرض أجزاء علم الدنيا وفقا للخطوات العملية التي يسير عليها العلم ، و من ثم اتصف بالصفة العلمية ، و لذا جمع في تصنيفه الحدود الصفة الفلسفية إلى جانب الصفة العلمية .

الهدف من وضع تصنيف الحدود

يهدف جابر بن حيان من وضع تصنيف الحدود إلى التعرف على كل علم من العلوم المعروفة في عصره ، و لذا لجأ إلى توضيح أقسامه و فروعه ، و بيان انتمائه إلى العلم الأعلى التابع له . و من ثم اضطر إلى وضع تصنيف لكل العلوم ليوضح أماكنها على خريطة المعرفة البشرية ، و من ثم يعطي صورة كاملة للقارئ عن كل علم من حيث إعطاء تعريف جامع مانع يتضح فيه جنس العلم . (١٥) ومن هنا جاء كتاب الحدود ليكون : كتابا في تقسيم العلوم ، و كتابا في تعريفها .

خطة جابر بن حيان في تقسيم العلوم في كتابه الحدود (١٦)

علم الدين

شرعيا

ظاهر

باطن

عقليا

علم الحروف

طبيعي

حرارة

برودة

يبوسة

رطوبة

روحاني

نوراني

ظلماني

علم المعاني

فلسفي

إلهي

علم الدنيا

شريف = علم الصناعة

مراد لنفسه

مراد لغيره

عقاقير

عقاقير يدبر بها

بسائط

مركبة

حجر

تدابير

جواني

أحمر

أبيض

براني

أحمر

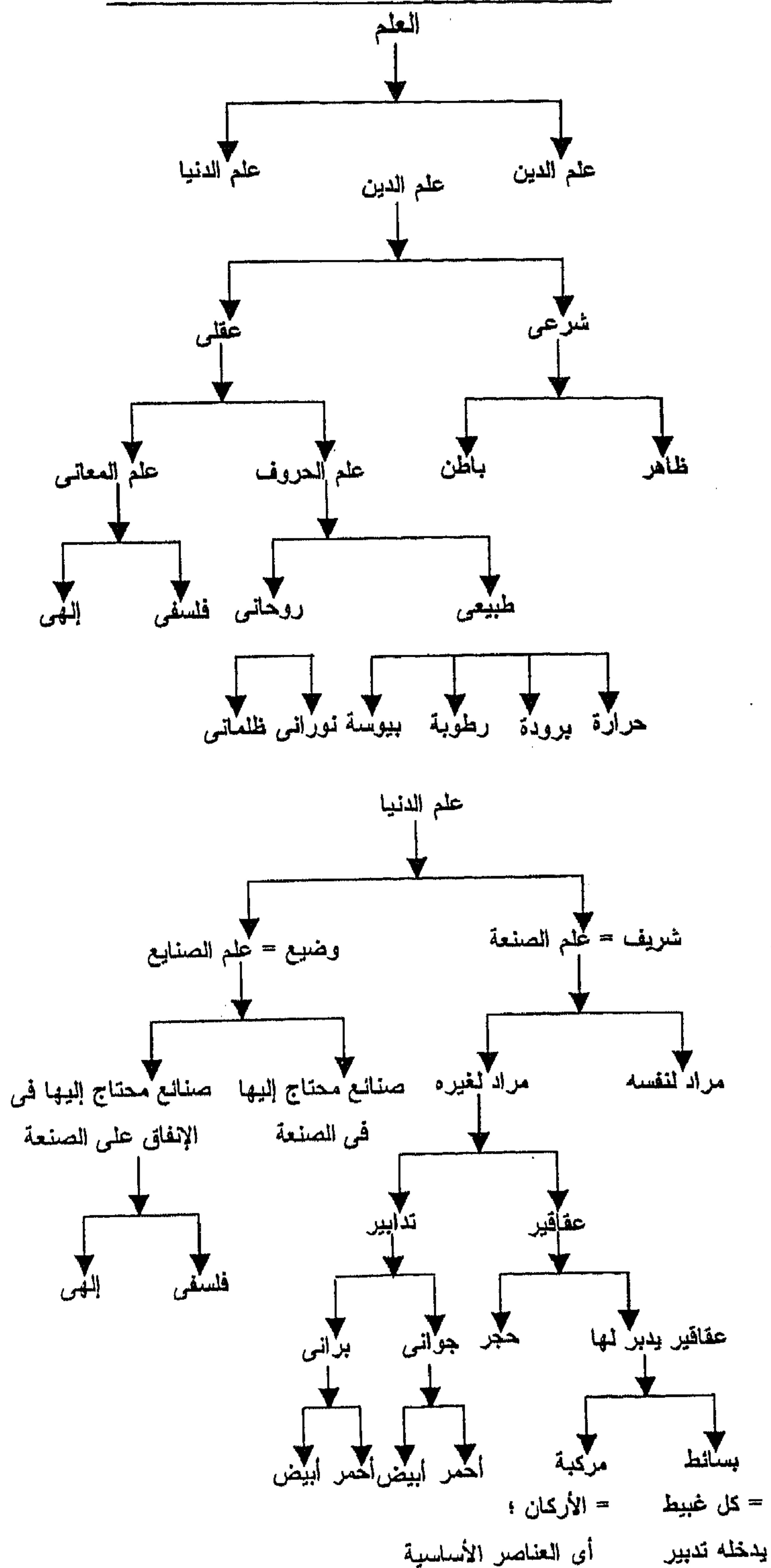
أبيض

وضع = علم الصنائع

صنائع محتاج إليها في الصناعة

صنائع محتاج إليها في الكفاية و الإنفاق على الصناعة

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان فى الحدود



منطق تصنيف العلوم لدى جابر بن حيان في الحدود

اتخذ ابن حيان في تقسيمه العلوم طريقة القسمة الثنائية ، حيث يميز بين نوعين من العلوم : العلوم الدينية ، و العلوم الدنيوية ، ثم يعود فيقسم كلا منها إلى قسمين ، و هكذا يستمر في التقسيم الثنائي لكل قسم ، فيقسم العلوم الدينية إلى نوعين من العلوم : العلوم الشرعية ، و العلوم العقلية ، ويقصد بالعلوم الشرعية : السنن والأمر التي يفعلها الإنسان ليصلح بها حال دنياه و آخرته . و يميز في العلم الشرعي بين العلم الظاهر ، و هي السنن التي تدركها العقول الإنسانية و يفعلها الإنسان ، والعلم الباطن ، و هو العلم بما وراء الأعمال الظاهرة من أغراض لا يدركها العقل البشري ، و إنما هي بحكمة إلهية ، فمثلا ما يقوم به الإنسان من العبادة خمس مرات هي من العلم الديني الظاهر ، أما العلة و السبب وراء كون الصلوات خمسا ، و حكمة الصلاة فهي من العلم الباطن . و من ثم نستطيع أن نقول إن العلم الشرعي بمثابة علوم الدين ، و هو لم يخص بذلك ديننا معينا ، و إنما جعل تقسيمه عاما يصلح لأي دين . و القسم الثاني من علم الدين هو العقلي ، و المقصود بالعقلي الفلسفة بعلومها ، ويقسمها بدوره إلى قسمين : علم الحروف و علم المعاني . و علم الحروف يمثل قضية فلسفية أثارها الفلاسفة قديما ، و ما تزال يثيرها الفلاسفة في العصر الحديث ، و هي إلى أي حد تعبر اللغة بما فيها من ألفاظ و كلمات و حروف على الأشياء في الطبيعة من حولنا ، فأى شيء يمكن ترجمته إلى مجموعة من الحروف تكون كلمة تعادل هذا الشيء ، مثل : صورة العصفور ، فهي في الطبيعة كائن يتحرك ، وتترجمه اللغة إلى كلمة من عدة حروف ، هي : ع ، ص ، ف ، و ، ر . و القسم الثاني وهو المعاني و المقصود به العلم الذي يدرس الأشياء من حيث أصلها وصفاتها ، و السبب و الهدف من وجودها (١٧) ، بمعنى أن علم المعاني هو جملة العلوم المختلفة التي يعبر لها عن طريق اللغة ، و من ثم نجده يقدم علم الحروف (أي علم اللغة) على علم المعاني (أي جملة العلوم المختلفة) باعتبار أن الأول هو مدخل و وسيلة إلى الثاني ، و هو المبدأ الذي اتبعته التصنيف اللاحقة عليه في ترتيب العلوم ، ويقسم علم المعاني إلى قسمين يشملان جملة العلوم المختلفة ، و هي : الفلسفي و الإلهي ، فالعلم الفلسفي يدخل فيه جملة العلوم الطبيعية بما تشمله من طب

و علم النجوم و العلم الرياضى بأقسامه المختلفة من : حساب و هندسة و فلك و موسيقى . و العلم الثانى و هو العلم الإلهى الذى يدرس الوجود للوصول إلى الموجود الأول ، و هو الله . و هذا العلم عرف باسم علم ما وراء الطبيعة .

و فى تقسيم جابر بن حيان لعلم الحروف يميز بين نوعين : طبيعى و روحانى ، و المقصود بالطبيعى تعبير الحروف عن الموجودات الطبيعية من حيوان و نبات و حجر ، التى تتكون بدورها من عناصر أولية ، هى : النار و الهواء و الماء و الأرض ، و يتألف كل عنصر من اتحاد اثنين من الكيفيات الأربعة ، و هى : الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، فمن الحرارة و اليبوسة تتكون النار التى هى عنصر من العناصر المكونة للموجودات الطبيعية ، و من الحرارة و الرطوبة يتكون الهواء ، و من البرودة و اليبوسة تتكون الأرض ، و من الرطوبة و البرودة يتكون الماء . و إذا حددنا الحروف الدالة على العناصر الأربعة أمكن معرفة الحروف الدالة على مختلف الموجودات الطبيعية . و يقسم ابن حيان حروف اللغة الثمانية والعشرين إلى أربعة مجموعات ، و كل مجموعة تمثل إحدى الكيفيات الأربع على النحو التالى . (١٨)

الحرارة : ا ه ط م ف ش د

البرودة : ب و ي ن ص ت ض

اليبوسة : ج ز ك س ق ث ظ

الرطوبة : د ح ل ع ر خ غ . (١٩)

و هذا يفسر تقسيمه الطبيعى من الحروف إلى الأقسام الأربعة : الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة . أما القسم الثانى من علم الحروف و هو روحانى ، فيقسمه إلى : نورانى و ظلمانى ، و المقصود هنا بلغة العلم الحديث دراسة الأجسام التى تمتص الضوء فتصبح معتمة ، و الأجسام التى تعكس الضوء فتصبح نورانية . (٢٠) و من ثم نستطيع القول بأن تقسيم ابن حيان لعلم الحروف إلى طبيعى و روحانى هو دراسة الموجودات الطبيعية و الأجسام .

و يمكن القول بأن جابر بن حيان قد قسم العلوم فى الجزء الخاص بعلم الدين
تقسيمًا منطقيًا مبتدئًا بالعلوم الدينية التى تمثل عنده العلم الشرعى ، ثم تآتى العلوم
العقلية، والتى تمثل الجانب العقلى من علم الدين و يبدوها بعلم اللغة (علم الحروف) ،
ثم مجموعة العلوم الفلسفية ، و يمثلها عنده علم اللغات ، و يقسمها إلى ما عرف فى
التصانيف العربية بالعلم الطبيعى و العلم الرياضى ، الذى يقابلهما القسم الأول من علم
المعانى ، و هو الفلسفى ، ثم يتبعها بالعلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة الذى يقابله
القسم الثانى من علم المعانى و هو العلم الرياضى ، و من هذا فإن علم المعانى عند
جابر بن حيان يقابله علوم الحكمة النظرية عند أرسطو ، و عند من لحقه من
التصانيف العربية الإسلامية .

أما القسم الثانى من العلم و هو علم الدنيا فيجعل محوره علم الصناعة (علم
الكيمياء) ، و يضع تقسيمًا لعلم الدنيا يحدد فيه الخطوات التى يسير عليها علم الصناعة
للوصول إلى الغاية الموجودة منه، وهى الوصول إلى المادة الصابغة التى تحيل
الفضة ذهبًا ، و النحاس فضة . و يقسمه قسمين : نظرى و علمى ، فالنظرى هو
المختص بعلم الصناعة ، حيث يحدد فيه التعريف بعلم الصناعة و الهدف منها ،
والتعريف بالمواد المستخدمة فى الصناعة من الأحجار و المعادن المختلفة ، والخطوات
التى تسير فيها التجارب للوصول إلى الغرض من علم الصناعة ، و وصف النتائج
التى يتوصل إليها من التجارب . أما القسم الثانى و هو العلمى ، فيطلق عليه علم
الدنيا الوضيع أو علم الصنائع ، و يقصد به الوسائل التجريبية التى لا بد منها فى علم
الصناعة ، و من ثم فهو يرى أنها وسيلة موصلة لعلم الصناعة . ويقسم علم الدنيا
الشريف أو علم الصناعة الذى يمثل الجانب النظرى من علم الصناعة إلى مراد لنفسه ،
و مراد لغيره ، فالمراد لنفسه هو الشئ المراد الوصول إليه من علم الصناعة (أى
الوصول إلى تحويل الفضة ذهبًا و النحاس فضة) ، و مراد لغيره يتمثل فى
الخطوات التى يسير عليها علم الصناعة ، و يقسمه بدوره إلى عقاير و تدابير
و العقاير (هى الأجسام التى تجرى عليها التجارب) ، و العقاير ثلاثة أنواع :
عقاير ترابية ، و حيوانية ، و نباتية ، و الترابية مثل النحاس و الفضة و الزئبق
و الحديد . (٢١) التى تقسم بدورها إلى نوعين : عقاير يدبر بها ، و علم الحجر

الذى هو العلم بالمعدن الذى يراد تغيير صفاته ليتحول إلى معدن آخر و هو المراد من إجراء التجارب عليه . و النوع الثانى و هو العقاقير التى يدبر بها ، و هى المعادن الأخرى المستخدمة فى التجارب (هى ذات خواص معينة تعمل على تغيير صفات الحجر المراد تحويله إلى معدن آخر) . و يقسم العقاقير التى يدبر بها إلى قسمين أيضا : عقاقير بسيطة و عقاقير مركبة ، فالبسائط أو العقاقير البسيطة هى العقاقير الخام التى لم يتم إجراء التجارب عليها ، أما المركبة فهى العقاقير التى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و التى يتم إجراء التجارب عليها .

أما التدابير (٢٢) فهى الخطوات و الأعمال التى تتم فى العمليات الكيميائية لتحضير العقاقير المطلوبة التى يقسمها إلى قسمين ، هما : العلم الجوانى ، و العلم البرانى ، و المقصود بالعلم الجوانى باطن المعدن ، و العلم البرانى ظاهر المعدن . و يتضمن هذان العلمان نظرية جابر بن حيان فى تحويل المعادن ، حيث يرى أن كل معدن من المعادن يحمل فى ظاهرة كيفيتين من الكيفيات البسيطة ، و هى الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، و يخفى باطنه الكيفيتين الأخرين ، و عن طريق الكيمياء نستطيع إظهار باطن المعدن و إخفاء ظاهره فيتحول المعدن إلى معدن آخر ، و بتعبير آخر فإن كل معدن يشمل فى باطنه أو داخله معدنا آخر يناقضه فى صفاته الظاهرة أو الخارجية ، فالفضة من الداخل هى نفسها ذهب ، فلو أخرجنا ما داخل الفضة و أخفينا ظاهرها تحولت إلى ذهب ، و شرح ذلك أن لكل من الفضة و الذهب فى الظاهر و الباطن كيفيتين متناقضتين ، و يعطى ابن حيان جدولا يوضح الكيفيات الباطنة و الظاهرة لكل معدن ، فالذهب حار رطب من الظاهر ، و بارد يابس من الداخل ، و الفضة بارد يابس من الخارج ، و حار رطب من الداخل ، و لتحويلها ذهباً يجب أن نظهر ما بداخلها مما يماثل الكيفية الداخلية للذهب ، و نخفى ظاهرها ، فنزيع البرودة الظاهرة إلى الداخل لتخرج مكانها الحرارة الكامنة فيها ، و نزيع اليبوسة إلى الداخل لتخرج مكانها الرطوبة الكامنة ، و يصبح ظاهرها حارا رطبا مثل الذهب ، و من ثم تتحول الفضة إلى الذهب . (٢٣) و هكذا بالنسبة لتحويل معدن إلى معدن آخر ، و هذا يفسر المقصود بالعلم البرانى و العلم الجوانى ، فالعلم الجوانى هو العلم بحالة المعدن الداخلية أو الجوانية ، أى الكيفيتين الداخلتين ، لتجرى عليه

التجارب ليتحول من حالته إلى حالة أخرى ، أى يتحول إلى معدن آخر . و العلم البرانى هو العلم بالكيفية الظاهر ، أو حالته الظاهرة لتجرى عليه التجارب المناسبة لظاهرة لإخفاء ظاهره و إظهار باطنه ، و من ثم يكون الكيميائى على علم بما سيصير إليه أمر المعدن . و يقسم كل من العلم الجوانى و البرانى إلى قسمين : أحمر و أبيض ، و المقصود بالأحمر عملية تحويل الفضة ذهباً ، و الأبيض تحويل النحاس ذهباً .

و يمكن أن نستخلص مما سبق إلى أن المقصود من علم الدنيا علم الصناعة أو الكيمياء التى يقسمها تقسيماً علمياً حسب مكونات هذا العلم ، حيث يفرق بين نظريات علم الكيمياء (و هو ما يسميه بعلم الصناعة أو العلم الشريف) ، و الجانب العملى ، أى مجموعة التجارب ، أو عملية إجراء التجارب ، و هو ما يمثله علم الصناعة الذى يجعله الوسيلة و الآلة الموصلة إلى علم الكيمياء أو الصناعة، و يحدد مكونات علم الكيمياء فى تحديد أنواع المواد التى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و هى مجموعة المعادن أو مواد نباتية أو حيوانية تستخدم فى إجراء التجارب و هو ما يمثّلها علم العقاقير . و الخطوات التى يجب أن تسير عليها التجارب الكيميائية ، و يمثّلها علم التدابير ، و التعريف بكيفية الوصول إلى المعدن المطلوب للوصول إليه من علم الصناعة .

مفاهيم التصنيف وقواعده فى تصنيف الحدود

يتبع تصنيف جابر فى كتابه الحدود علاقة الاشتمال أو التبعية بين العلوم ، مثل التدرج فى تقسيم علم الدين إلى علم شرعى و عقلى ، ثم يتناول الشرعى بتقسيمه إلى علوم أخص تتدرج تحت العلم الشرعى ، و هما علم الباطن و علم الظاهر .

تصنيف جابر وموقفه الفلسفى

تتصف فلسفة جابر بن حيان بأنها الفلسفة الكونية التى جعلها أساس التصنيف عنده ، حيث قسم العلوم على أساس أنطولوجى أو كونى ، فهو يوازى بين الكون والعلوم ، ففى كتاب الحدود يوازى بين اللغة بحروفها و كلماتها و الموجودات الطبيعية ، فدراسة الاسم هى فى الوقت نفسه دراسة للشيء المسمى ، فتركيب الكلام يلزم أن يكون مساوياً للموجودات الطبيعية فى العالم من نبات أو حيوان و حجر . ومن

ثم نجده يقسم الطبيعى من علم الحروف إلى العناصر الأربعة التى يتكون منها كل شىء طبيعى ، سواء كان حيوانا أو نباتا أو معدنا ، و هى الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة .

تقييم محاولة جابر التصنيفية فى كتابه الحدود

يلاحظ على تصنيف جابر فى كتابه الحدود ما يلى :

— اهتمامه بوضع حد أى تعريف لكل علم ، و قد اتصف هذا التعريف بأنه تعريف بالحد التام ، أى يحدد فيه الجنس القريب و الفصل ، و يتضح مفهوم التعريف بالحد التام فى المثال التالى ، إذا أردنا تعريف الإنسان باستخدام الحد التام قلنا : الإنسان حيوان ناطق ، فحيوان تشير إلى الجنس القريب ، و ناطق تشير إلى الفصل حيث يميز الحيوان (٢٤) و يفصله عن بقية الأنواع الأخرى المدرجة معه تحت جنس حيوان .

— عند تعريفه للبسائط أو العقاقير البسيطة يفرعها من العقاقير التى يدبر بها ، و هى الجنس القريب لها ، و يفصلها عن غيرها بقوله إنها العقاقير التى لم يدخلها التدبير (٢٥) ، أى لم تجر عليها أى خطوات أو أعمال فى العملية الكيميائية ، و هو بذلك يفصلها و يميزها على النوع الآخر ، و هى المركبة التى دخلها التدبير .

— استخدم جابر فى الحدود القسمة الثنائية التى التزم بها من بداية تصنيفه إلى آخره مما جعله يقسم العلوم إلى قسمين ، و هما علم الدين و علم الدنيا . و لما كان يريد أن يبرز علم الكيمياء لإيمانه به خصص له علم الدنيا ، فقد اضطر إلى إدماج العلوم الشرعية ، و هى العلوم الدينية بالمعنى الصحيح التى تقوم على النص قياما مباشرا ، و العلوم العقلية التى تقوم على الأحكام العقلية .

مميزات و عيوب التصنيف فى الحدود

يعد تصنيف جابر بن حيان فى الحدود من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب المسلمين ، حيث وضع أساسا للتصنيف مختلفا عما سار عليه التصنيف الأرسطى ، حيث فرق بين العلم الدينى و العلم الدنيوى ، و هو ما سار عليه التصنيف عند الكندى أو الخوارزمى أو ابن خلدون . كما أنه يتميز بإدراكه لأهمية وضع تعريف لكل علم ، و يعد هذا من أهم خطوات البحث العلمى .

و لكن من عيوب التصنيف فى الحدود : استخدامه لمصطلحات مبهمه فى تسمية العلوم ، مثل : العلم الجوانى ، و العلم البرانى ، و أحمر ، و أبيض ، مما جعل تصنيفه محاط بالغموض .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف الحدود

يعكس تقسيم جابر فى كتابه الحدود للعلوم إلى قسمين : علم الدين و علم الدنيا ، و طبيعة العلوم السائدة فى عصره ، فنتيجة حركة الترجمة وجدت علوم الحضارات الأخرى من علوم الفلسفة و المنطق و الكيمياء ، و فى مقابل هذه الثقافة الوافدة ظهر مفكرون إسلاميون يبحثون فى علوم القرآن و الحديث ، و من ثم ظهرت العلوم الشرعية القائمة على النص : القرآن الكريم و الأحاديث النبوية ، كما ظهرت المذاهب الفكرية . و نتيجة لهذه الحركة وجدت مؤلفات دينية و مؤلفات فى علوم أخرى تقوم على المنطق و أحكام العقل ، و هذا ما يفسر التقسيم الذى وضعه جابر فى التمييز بين علم الدين و علم الدنيا .

تصنيف الحدود بين التأثير والتأثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف الحدود لجابر بن حيان ، و من ثم يعد تصنيفه من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب ، و لكن تأثر بتصنيف الحدود عديد من المصنفين اللاحقين عليه ، و منهم الكندى الذى أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى ، و التفرقة بين ما هو علم دينى و علم دنيوى ، حيث أطلق على الأخير الإنسانية . و الخوارزمى فى كتابه " مفاتيح العلوم " ، حيث أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى للعلوم ، ففرق بين علوم الشريعة و العلوم الأجنبية ، أو علوم العجم .

هل تأثر تصنيف جابر بن حيان " الحدود " بتصنيف أرسطو؟

يعد تصنيف الحدود تصنيفا عربيا أصيلا يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث اتباع التقسيم الثنائى للعلوم ، كما ذكر علوما لا توجد عند أرسطو ، مثل العلم الشرعى ، و علم الكيمياء الذى لم يذكره التصنيف الأرسطى . و يرد

بعض الباحثين فكرة التقسيم الثنائي إلى أفلاطون ، حيث قسم العالم أو الوجود إلى العالم المحسوس و العالم المعقول .

منهج ابن حيان في تصنيف الحدود

اتبع جابر بن حيان المنهج نفسه الذي اتبعه في تصنيف السباعية .

مستوى المعالجة في الحدود

قسم جابر بن حيان تصنيف الحدود قسمة ثنائية ، حيث قسم العلوم إلى قسمين ، هما : علم الدين و علم الدنيا ، و تناول كلا منهما بقسمة ثنائية ، و هكذا يسير في تقسيم كل علم قسمة ثنائية لتصل التفريعات عنده إلى الصف السادس ، و هو ما يوضحه الجدول التالي :

تصنيف ابن حيان	صف أول	الفروع					إجمالي الفروع
		صف ثان	صف ثالث	صف رابع	صف خامس	صف سادس	
الحدود	علم الدين	٢	٤	٤	٦		١٦
	علم الدنيا	٢	٤	٢	٤	٦	١٨
الإجمالي	٢	٤	٨	٦	١٠	٦	٣٤

جدول رقم (٢) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف في تصنيف الحدود

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلي :

— ذكر ابن حيان في الحدود علمين كبيرين يقفان على الصف الأول ، و يمثلان رتبتين رئيسيتين في تصنيفه .

— يفرع من كل علم رئيسي عددا من العلوم ، ففي علم الدين يصل تفريع العلوم إلى الصف الخامس ، و في علم الدنيا يصل التفريع إلى الصف السادس .

— يصل إجمالي عدد الفروع أربعة و ثلاثين فرعا توزع على الصفوف على النحو التالي : يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثاني أربعة علوم ، و على الصف الثالث ثمانية علوم ، و على الصف الرابع ستة علوم ، و على الصف الخامس عشرة علوم ، و على الصف السادس ستة علوم .

— يلاحظ التوازن بين أعداد العلوم المفرعة لكل علم رئيسي ، حيث بلغت في علم الدين ستة عشر علما ، و في علم الدنيا ثمانية عشر علما .

التماسك والتناسق

يتصف تصنيف الحدود بالتماسك و التناسق ، حيث جاءت بنية التصنيف متماسكة ، فعرض لكل علم بفروعه ، و لم يحدث قفزات تخل بعرض العلوم في تصنيفه ، كما اتصف بالاتساق لسيره في التقسيم الثنائي ، و لم يحدث إخلال ، و من ثم حدث توازن بين أعداد العلوم المفرعة من كل علم رئيسي في تصنيفه .

و على الرغم من صعوبة فهم تصنيف جابر بن حيان " الحدود " ، سواء في السباعية أو في الحدود ، إلا أنه من الملاحظ أن ابن حيان قد قدم إسهاما عربيا إسلاميا خالصا في تصنيفه السباعية أو الحدود ، و لم يقدم تقليدا أرسطيا ، كما اتبع بعض المفاهيم التصنيفية التي أخذتها عنه التصنيف العربية اللاحقة عليه ، و هذا ما سنلاحظه في تصنيف الكندي الذي قدم محاولة جديدة في التصنيف ترجع إلى القرن الثالث الهجري .

ثانيا : تصنيف الكندي (ت ٢٥٢ هـ)

يؤرخ بعض الباحثين لتاريخ التصنيف عند المسلمين بالكندي (٢٦) فيعدونه صاحب أول تصنيف عربي (٢٧) ، فقد وضع كتابين في تصنيف العلوم : كتاب : "ماهية العلم و أصنافه " ، وكتاب : " أقسام العلم الأنسي " . و قد تتبع هذين الكتابين في المكتبات الكبرى بمصر : دار الكتب المصرية ، و مكتبة بلدية الإسكندرية ، فلم أجد لهما أثرا ، كذلك راسلت بعض المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس ، لعلها تكون ضمن محتويات القسم العربي بها ، و كان الرد بالنفي ، و من ثم اطمأننت إلى آراء الباحثين بضياح هذين التصنيفين و عدم وصولهما إلينا (٢٨) ، و من ثم فقد اعتمدت على رسالة الكندي في " كمية كتب أرسطو و ما تحتاج إليه في تحصيل الفلسفة " التي تضمنت تقسيمه للعلوم .

تصنيف الكندي

ينتمي تصنيف الكندي في رسالته في كمية كتب أرسطو إلى الاتجاه الثاني في التصنيف عند العرب ، القائم على التعرف على تقسيم المعرفة ، و علاقة العلوم ببعضها ، من خلال ترتيب الكتب ، حيث تنصب الرسالة أساسا على ترتيب كتب أرسطو .

الهدف من رسالة الكندي

تناول الكندي ترتيب كتب أرسطو ، و لكن الترتيب في حد ذاته لم يكن هدفا ،
و إنما كان وسيلة للتعرف على العلوم و ترتيبها ، و الغاية منها ، لذلك نجد بعد
عرض الترتيب يتناول كل علم بالتعريف ، و يحدد الغاية منه ، و من ثم فقد جاءت
الرسالة لتحقيق غرضين : الأول بيبيولوجرافى لترتيب كتب أرسطو ، و الثانى
تصنيفى، حيث أوضح مذهبه و نظريته فى تقسيم العلوم .

خطة الكندي فى تقسيم العلوم

جاء تقسيم الكندي للعلوم من خلال ترتيب كتب أرسطو على النحو

التالى: (٢٩)

العلوم البشرية و الإنسانية

الرياضيات

علم الكمية

علم الحساب

علم الموسيقى

علم الكيفية

علم الهندسة

علم الهيئة

المنطقيات

قاطوغورياس " المقولات "

باريارمانياس " العبارة "

أنولوطيقى الأولى " القياس "

أنولوطيقى الثانية " البرهان "

طوبيقا " الجدل "

سوفسطيقا

ريطوريقا " البلاغى "

بويطيقا " الشعري "

الطبيعيات

الخبر الطبيعي

السماء و العالم

الكون و الفساد

العالم العلوى

المعادن

النبات

الحيوان

النوع الثالث ، و يشمل كتبه فى النفس ، و هى :

كتاب النفس

الحس و المحسوس

النوم و اليقظة

طول العمر و قصره

النوع الرابع : ما وراء الطبيعة

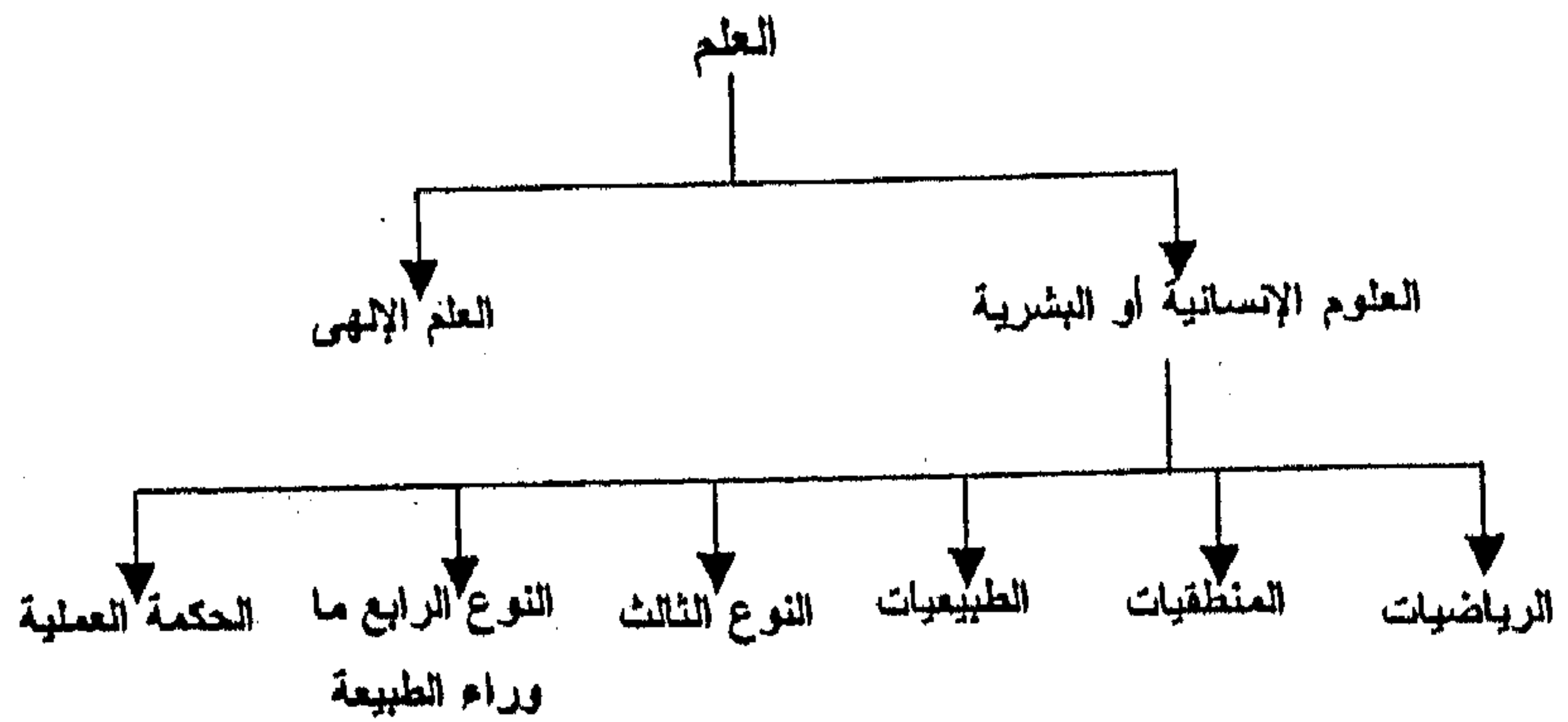
الحكمة العملية

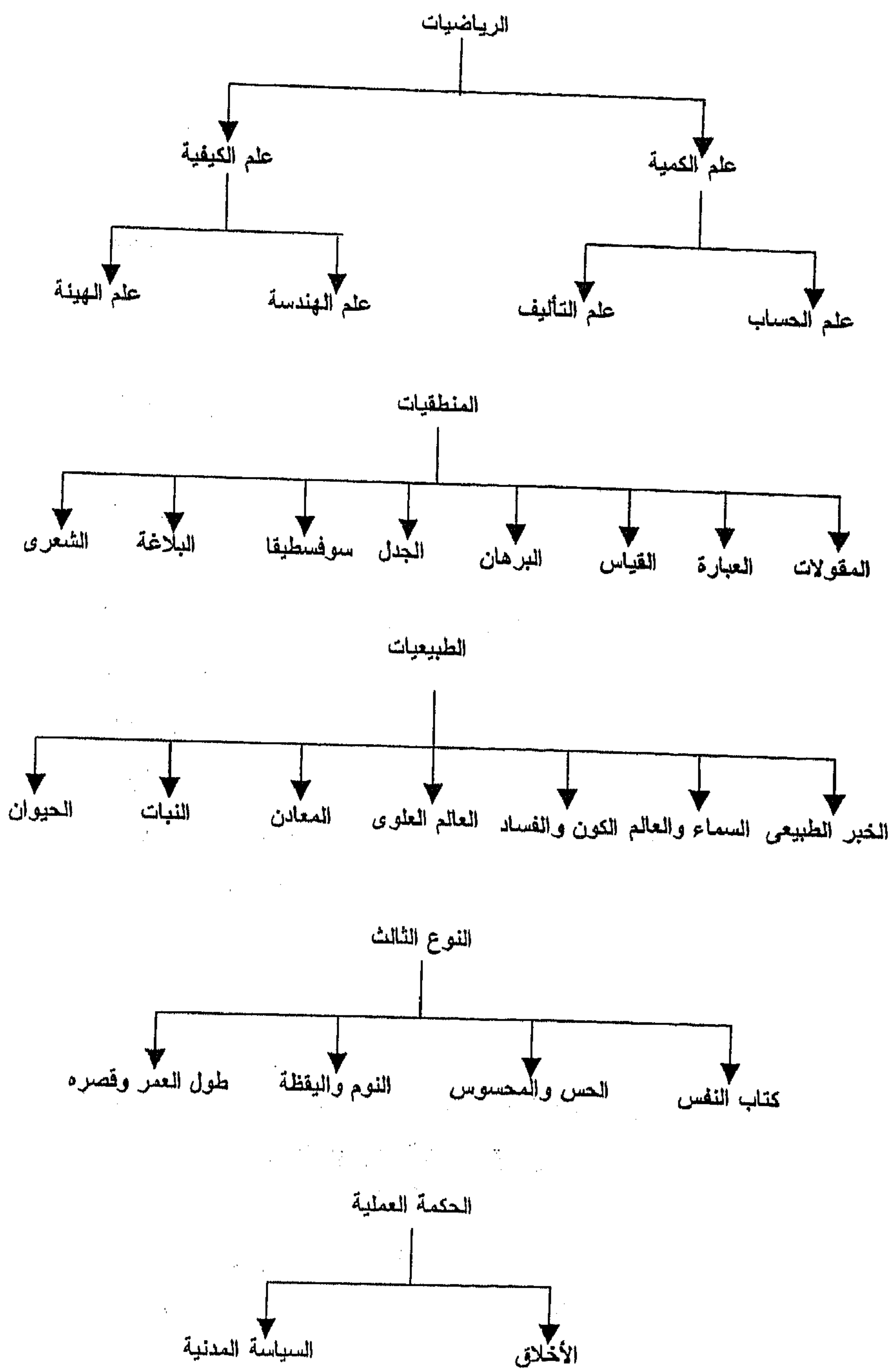
الأخلاق

السياسة

العلم الإلهي ، و جعل محوره العقيدة الإسلامية و علوم القرآن

مخطط هيكلي لتصنيف الكندي





منطق تصنيف العلوم لدى الكندي

يبدأ الكندي بعد مقدمة قصيرة يعرض فيها هدفه ، بتقسيم كتب أرسطو إلى أربعة أنواع ، هي : الكتب المنطقية ، ثم الطبيعيات ، ثم الكتب النفسية ، ثم كتاب ما

وراء الطبيعة ، مستعرضا الكتب فى كل نوع من هذه الأنواع الأربعة ، ثم يعلق بعد ذلك على العلوم التى تتناولها الكتب و الغاية منها ، و تظهر فى هذا الجزء من الرسالة فلسفته و نظريته فى تقسيم العلوم ، حيث يقسمها إلى قسمين كبيرين ، هما : العلوم البشرية أو الإنسانية ، و العلوم الإلهية . و تدور الأولى حول كتب أرسطو ، و يرتب علومها مبتدئا بالرياضيات باعتبارها مدخلا لكل العلوم لاشتمالها على الأدلة البرهانية التى تحتاجها العلوم الأخرى ، كما أن العلوم الرياضية تدرب العقل على إدراك الحقائق ، و من ثم تعد مقدمة يبدأ منها الإنسان لتدريب عقله على فهم ما يليها من علوم ، و يليها المنطق باعتباره آلة و وسيلة لفهم العلوم لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الوقوع فى الخطأ ، و من ثم فعلى الإنسان التسلح به قبل النظر فى العلوم الأخرى ، و من هنا جاء تقديمه على بقية العلوم ، و يليه الطبيعيات ، و نجده يفرق بين قسمين ، الأول يتناول الأجسام المادية المكونة من صورة و مادة ، والثانى ليس بجسم مادى ، و إنما يوجد فى الجسم ، و هو النفس ، ثم يصعد بعد الطبيعيات إلى العلم الأعلى المجرد عن المادة ، و هو العلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة . أما الثانية و هى العلوم الإلهية التى يعرفها بأنها علوم مغايرة من حيث مصدرها ، و وسائلها عن العلوم الإنسانية العادية فهى فى نظره علوم الأنبياء التى تأتى عن طريق الإلهام الإلهى أو الوحي . و قد تناول كل علم من العلوم الإنسانية بالتقسيم إلى علوم خاصة تدرج تحت كل علم عام ، فقسم الرياضيات إلى علمين هما : علم الكم ، و علم الكيف . و علم الكم هو العلم الذى يتناول الأرقام من حيث زيادتها أو نقصانها ، و يقسمه إلى علمى الحساب و الموسيقى ، مبتدئا بعلم الحساب الذى يتناول العدد أو الرقم ، و يقدمه على سائر العلوم الرياضية الأخرى ، لأنها تنبنى عليه ، فإن لم يكن العدد موجودا لا نستطيع إيجاد أية نسبة عدد إلى عدد ، و هو موضوع علم الموسيقى ، و لا علم الهندسة الذى يحتاج إلى العدد فى إيجاد أطوال الخطوط أو مساحة السطوح ، و لا علم الهيئة الذى يحتاج إلى العدد فى دراسة الأجرام و الزمن والحركة .

و علم الكيفية هو العلم الذى يتناول عملية التغير و التحول ، و هو ما نجده فى علم الهندسة التى تتناول الخطوط و السطوح ، و علم الفلك أو الهيئة الذى يتناول الأجرام السماوية والأرضية، وهى الحركة و التغير . و يقدم الهندسة على علم الهيئة باعتبار الأولى كيفية ثابتة ، و الثانية كيفية متحركة . ثم يتناول العلوم الأخرى بتقسيمها إلى أسماء كتب أرسطو ، و تأتى بالترتيب نفسه الذى ورد عند أرسطو .

قواعد التصنيف ومفاهيمه فى تقسيم الكندى للعلوم

اعتمد الكندى فى تقسيمه للعلوم على ما يعرف بـ " السند الأدبى *Literary warrant* " الذى دعا إلى استخدامه و ندهام هلم ، و هو يعنى الاعتماد فى التصنيف على الإنتاج الفكرى الفعلى . (٣٠) و من ثم يسجل للكندى السبق فى استخدام هذا المفهوم قبل و ندهام هلم بقرون عديدة . و قد حافظ الكندى على عدة علاقات بين العلوم ، و منها :

علاقة الاشتمال والتبعية ، و هذا ما نجده فى عرضه لعلوم جزئية تتدرج تحت العلم الذى يشملها ، مثل : علم الحساب ، و الموسيقى ، و الهندسة ، و الهيئة ، التى تعد علومًا جزئية مفرعة من علمى الكم و الكيف ، ثم تفرع كل من علمى الكم و الكيف من العلم العام ، و هو الرياضيات .

علاقة التناسب أو التساوى ، حيث نجد أكثر من علم يقف على صف واحد بالرغم من اشتراكهم فى بعض الجوانب و اختلافهم فى البعض الآخر متفرعين من علم أعلى يشملهم ، و هذا ما نجده فى علمى الحساب و الهندسة ، حيث يختلفان ، فالأول علم كمى ، و الآخر علم كيفى ، و لكنهما يشتركان فى استخدامهما للعدد ، و من ثم يندرجان تحت أمر ثالث ، و هو العلم الرياضى .

— تدرجت العلوم فى تصنيف الكندى بشكل منطقى معتمد على أن كل علم وسيلة للعلم اللاحق عليه ، و هو ما يشبه المبدأ الذى سار عليه " أوجست كونت " فى تقسيمه للعلوم ، بأن كل علم يبنى على العلم السابق عليه . (٣١) حيث تأتى الرياضيات فى قمة العلوم لعدم اعتمادها على غيرها من العلوم ، و اعتماد العلوم الأخرى عليها ، حيث تتعامل مع القوانين البرهانية التى تستفيد منها العلوم التالية عليها ، ثم علم المنطق ، و هو أيضا من العلوم التى تعتمد العلوم اللاحقة عليها ، ثم تأتى الطبيعيات

التي تستفيد مما سبقها من علوم ، سواء كان ذلك في الرياضيات بأدلتها البرهانية أو في قوانين المنطق . و يلاحظ أنه بدأ بعلم الرياضيات ، و وضعها في قمة العلوم ، وهو ما ذهب إليه ” أوجست كونت “ في تفسيمه للعلوم . (٣٢)

تقييم محاولة الكندي التصنيفية في رسالته

مما يلاحظ على تصنيف الكندي :

— أسبقية الكندي في استخدام مصطلح العلوم الإنسانية ، و قد عرفه بأنه العلوم التي تأتي عن طريق سعي البشر و عقولهم ، و هذا يدل على وضوح المصطلح في ذهنه ، و قد جعله في مقابل علوم أخرى تأتي بوحي إلهي بعيدة عن اجتهاد البشر و عقولهم ، و يعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التي تحدد معناها حديثا ، و اتخذ عند الكندي معنى واسعا فضافا . وعلى الرغم من ذلك فإن اهتمام الكندي بهذا المصطلح و تعريفه تعريفا يقترب من معناه الحديث يعد محاولة سابقة لعصره .

— عدم الجزم بأن فكرة تقسيم العلوم و تنظيمها قد تبلورت ، و وضحت عند الكندي ، بالرغم من اطلاعه على تصانيف العلوم عند افلاطون و أرسطو باعتباره من أهم المترجمين — في عصره — عن اليونانية .

— تفريقه بين علم النبي و علم الفيلسوف ، و هو بذلك قد سبق الفارابي في القول بنظرية النبي الفيلسوف . (٣٣)

مميزات تصنيف الكندي و عيوبه

تميز تصنيف الكندي بوضعه الأساس الذي سارت عليه التصنيف اللاحقة في التفريق بين العلوم البشرية و علوم العقيدة القائمة على القرآن الكريم و السنة . ويعاب عليه عدم ذكره بعض العلوم المهمة في عصره ، منها :

— علم الكيمياء ، و علم الطب ، و هما من العلوم التي اشتهرت على عصره ، كما كان للكندي نفسه المؤلفات العديدة فيهما ، فضلا عن ممارسته للعلمين ، بل كانت له تجارب متعددة في علم الكيمياء . و قد يرجع ذلك إلى قيام رسالته على ترتيب كتب أرسطو الذي لم يؤلف كتباً في هذين العلمين .

— العلوم العربية بفروعها المختلفة ، و خاصة أنه قد استقرت هذه العلوم على عصره ، و ظهرت المصنفات العديدة التي قننت قواعدها ، و حددت موضوعاتها ،

سواء فى علم النحو و الصرف أو الشعر ، ففى الفترة التى عاش فيها الكندى ظهر
العديد من النحاة المبرزين : سيبويه ، و الكسائى ، و المفضل الضبى صاحب
كتاب المفضليات .

— العلوم الإسلامية بفروعها ، على الرغم من استقرار التأليف فى علوم الدين
الإسلامى على زمن الكندى ، فقد بدأ التفسير من القرن الأول الهجرى ، و بدأت
الكتابة فى علم الحديث فى القرن الأول ، و استقرت طرق تدوين علوم الحديث فى
النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . (٣٤)

أثر الحياة الفكرية على تصنيف الكندى

عاش الكندى فى أواخر العصر العباسى الأول ، و أوائل العصر العباسى
الثانى ، و قد كان معاصرا للمأمون و المعتصم و المتوكل ، و وصفت تلك المرحلة
بأنها أرقى مراحل الترجمة ، كما تميزت بأنها مرحلة الإبداع و الأصالة ، و من أهم
المعالم المميزة لتلك الفترة وجود المراجعين للترجمات الذين كانوا يقابلونها بالأصل ،
و هذا ما كان يوحى بالدقة العلمية و الأمانة . و قد مثل تلك الفترة خير تمثيل أبو
يوسف يعقوب الكندى صاحب التصنيف الذى نتناوله الآن ، فهو ناقد لأصحاب الكتب
المتجمة ، بالإضافة إلى سعة إسهاماته الإبداعية فى شتى فروع المعرفة . و فى تلك
الفترة اشتغل الناس بالعلوم الدينية ، كما ظهر المتكلمون ، و ظهر العديد من الفرق
الإسلامية ، و ميز الكتاب بين علوم الحضارات الأخرى و العلوم الإسلامية ، و هذا
ما انعكس فعلا على تصنيف الكندى فى محاولته التمييز بين العلوم البشرية أو
الإنسانية التى مثلت الفكر الأجنبى المترجم ، و العلوم الإلهية التى مثلت الفكر
الإسلامى الذى كان نتيجة للواقع الحضارى الإسلامى .

تأثير الحضارات الأجنبية فى تصنيف الكندى

كان الكندى أحد أعلام الترجمة فى العصر الذهبى للترجمة ، و لكنه لم يقف
عند حد النقل الحرفى ، بل كان شارحا ناقدًا لما ينقله ، و قد برع فى الترجمة عن
اليونانية و السريانية ، و من ثم فإن الكندى كان مستوعبا لحضارة اليونان ، و هذا ما
انعكس على تصنيفه الذى قام على تقسيم كتب أرسطو ، مستخدما أسماء كتب أرسطو
نفسها كفروع للعلوم المختلفة ، كما نجد تأثير المدرسة السكندرية فى تقسيمه

للرياضيات ، حيث اختلف عما ذهب إليه أرسطو في تقسيم العلم الرياضى ، فيرد العلم الرياضى إلى الكم والكيف ، و على هذا الأساس يأتى ترتيب العلوم الرياضية على النحو التالى : الحساب و الموسيقى و الهندسة و الهيئة ، و هو الترتيب السكندرى نفسه للعلم الرياضى . (٣٥)

منهج الكندى فى تصنيفه

تبنى الكندى التقسيم الثنائى للعلوم ، حيث قسم العلوم إلى قسمين كبيرين : العلوم البشرية و العلوم الإلهية . و قد تناول العلوم البشرية بتقسيمها إلى عدة أقسام رئيسية تعد علوما عامة ، ثم تناول كلا منها بالتفرع إلى علوم أخص تدرج تحتها ، و هكذا يسير فى عرض علومه بشكل منطقى متدرجا من الكل إلى الجزء ، و هو ما يطلق عليه المنهج الاستنباطى ، و هذا هو المنهج الذى تبناه أرسطو فى تقسيمه للعلوم.

مستوى المعالجة فى تصنيف الكندى

بدأ الكندى رسالته بمقدمة وضح فيها هدفه ، ثم عرض ترتيبه لكتب أرسطو ، ثم أعطى تعليقا بعد ترتيب الكتب ضمنه تقسيمه للعلوم ، حيث قسمها إلى قسمين كبيرين ، متناولا القسم الأول منهما بالتقسيم إلى عدد من العلوم العامة تتفرع منها مجموعة من العلوم الخاصة ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالى :

تصنيف	الرتبة الرئيسية	الفروع			
الكندى	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
من خلال رسالة " فى كمية كتب أرسطو "	العلوم البشرية أو الإنسانية	الرياضيات	٢	٤	١
		المنطقيات	٨		٨
		الطبيعيات	٧		٧
		الكتب النفسية	٤		٤
		ما بعد الطبيعة	—		—
	العلوم الإلهية	الحكمة العملية	٢		٢
الإجمالى	٢	٦	٢٣	٤	٣٣

جدول رقم (٣) : الرتب الرئيسية و الفروع فى تصنيف الكندى

يلاحظ من الجدول السابق أن :

- عدد الرتب الرئيسية في تصنيف الكندي اثنان .
- عدد الفروع من الرتب الرئيسية ثلاثة و ثلاثون .
- لا يعطى أى تفريع من العلم الإلهى ، و من ثم يقف هذا العلم عند الصف الأول .
- وصلت التفريعات عن العلوم البشرية إلى الصف الرابع ، و هذا بالنسبة لعلوم الرياضيات لاهتمامه بهذا العلم الذى اعتبره المدخل لفهم العلوم الفلسفية . بينما وقف التفريع فى بقية العلوم المفرعة عن العلوم البشرية عند الصف الثالث لعدم وجود تفريعات لها عند أرسطو .
- يوجد نوع من التوازن فى التفريع بالنسبة للموضوعات التى تقف عند الصف الثالث ، كما فى المنطقيات و الطبيعيات ، حيث يصل عدد العلوم المفرعة عن العلم الأول ثمانية ، و فى الثانى سبعة .

التماسك والتناسق

— يلاحظ على بنية تصنيف الكندي التماسك إلى حد ما ، فقد عالج كل موضوع بتفريعاته دون القفز بتفريعات العلم إلى مكان آخر ، و يلاحظ عدم الالتزام بالترتيب الذى ارتضاه للعلوم ، فعلى الرغم من أنه يقدم العلم الرياضى على بقية العلوم الأخرى إلا أنه لم يعرف بالعلم الرياضى و فروعها فى البداية ، و إنما بدأ بالمنطقيات و آخر العلم الرياضى .

— يلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم ، حيث لا يعطى أية تفريعات لبعض العلوم، مثل العلم الإلهى ، و بعضها يصل التفريع فيه إلى ثمانية علوم ، و هو العلم الطبيعى ، و من ثم فقد جانب التصنيف التناسق بين تفريعات العلوم .

و يعد تصنيف الكندي من المحاولات الرائدة فى التصنيف العربية الإسلامية، حيث وضع الأساس الذى قام عليه تصنيف العلوم الإسلامية القائمة على القرآن والسنة ، و هو ما استفادت منه التصنيف اللاحقة ، مثل تصنيف الخوارزمى الذى يرجع إلى القرن اللاحق للكندى ، و هو القرن الرابع الهجرى ، الذى زخر بالعديد من التصنيفات .

هوامش الفصل الرابع

١- جابر بن حيان ، هو أبو موسى عامر أبو عبد الله ، وقد اختلف الناس في حقيقته ، فقد أنكره بعضهم ، يذكر ابن النديم أن جماعة من أهل العلم و أكابر الوراقين ينكرون حقيقته و وجوده ، و بعضهم يقول إنه إذا كانت له حقيقة فإن لم يصنف شيئا ، و أن مصنفاته قد ألفها غيره ، ثم نسبوها إليه ، و لكن ابن النديم يؤكد حقيقة جابر بن حيان و وجوده ، و له حجة قوية في ذلك ، فهو يذكر أن رجلا فاضلا يجلس و يتعب و يصنف كتابا يحتوي على ألفى ورقة ثم ينحله غيره ، إما موجودا أو معدوما ، ضرب من الجهل . فالرجل له حقيقة ، و أمره أظهر و أشهر ، و تصنيفاته أعظم وأكثر ، و إذا كان أنكره بعضهم فقد اختلف بعضهم في أمره و مذهبه ، فقالت الشيعة إنه كان من كبارهم ، و زعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم ، و زعم أهل صناعة الذهب و الفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره ، و أن أمره كان مكتوما ، وزعموا أنه كان ينتقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفا من السلطان على نفسه ، كما قيل إنه كان في حملة البرامكة ومنقطعا إليهم : من شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة - الفهرست لابن النديم : مج ١ ص ٦٩٨ . و يرجح الدكتور زكي نجيب محمود أن ابن حيان كان من الشيعة مذهبيا ، و من الفلاسفة جدلا ، و من الكيميائيين علما ، أما اساتذته فهما خالد بن يزيد بن معاوية (ت ١٠٤هـ) و جعفر الصادق ، فقد أخذ اعلم صناعة الكيمياء عن خالد بن يزيد ، و بكن شهرة جابر فاقت شهرة خالد ، و كان جعفر الصادق إماما له في مذهبه الشيعي : زكي نجيب محمود - جابر بن حيان - سلسلة أعلام العرب ٢٣ - القاهرة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و النشر : ١٩٦٧م : ص ٦٢ . و قد ولد جابر بن حيان بطوس ، و يذكر ابن النديم أن أصله من خراسان ، و قد عاش زمنا في الكوفة فيما بين عامي ١٢٠هـ - ١٩٨هـ ، و لذلك لقب بالكوفي . و لم تكن الكيمياء علما بالمعنى المعروف ، و لكن جابر وضع لها أسسا و نظريات و قواعد ، و عرف كثيرا من مصطلحاتها ، و له العديد من المصنفات فيها ، و لذلك فهو يعد رائد علم الكيمياء ، وبالإضافة إلى

- ذلك فهو رجل موسوعى ، كتب فى موضوعات شتى . و قد حصر ابن النديم مصنفات ابن حيان التى وصل عددها إلى ٢١٣ كتابا : شعبان خليفة و وليد العوزة — مرجع سابق : مج ٢ ص ١٠٧ .
- ٢— جابر بن حيان — كتاب إخراج ما فى القوة إلى الفعل ، من مختار رسائل جابر بن حيان — تصحيح بول كراوس — القاهرة — مكتبة الخانجي : ١٣٥٤هـ : ص ٩٥-١ .
- ٣— المرجع السابق : ص ص ٩٥-١ .
- ٤— حاجى خليفة — مصدر سابق : ج ١ ع ٢٣ .
- ٥— جابر بن حيان — مصدر سابق : ص ٤٨ .
- ٦— جلال محمد عبد الحميد موسى — منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية و الكونية — تقديم و تحليل محمد على أبو ريان — بيروت — دار الكتاب اللبنانى : ١٩٧٢م : ص ١٦٦ .
- ٧— أحمد عبد الحليم عطية — دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب — القاهرة — دار الثقافة : ١٩٩١م : ص ١٦٠ .
- ٨— جابر بن حيان — مصدر سابق : ص ٦٢ .
- ٩— العناصر الأربعة : النار و الهواء و الماء و الأرض .
- ١٠— أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق : ص ١٦٤ .
- ١١— حاجى خليفة : مصدر سابق : ج ١ ع ٢٣ .
- ١٢— جلال محمد عبد الحميد موسى — مرجع سابق : ص ١٣٥ .
- ١٣— نظرية الأخلاط : ظلت هذه النظرية أساسا لعلم الطب حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، عندما اسكتشفت الجراثيم ، و نشأ علم البكتريولوجيا والأمراض المعدية ، القائلان بأن كل مرض إنما يحدث نتيجة عدوى خاصة . و يرى غاليوجى أن نظرية الأخلاط التى شيدت على تأملات فلسفية أثبتتها البحوث الحديثة فى كيفية احتفاظ الجسم بتركيبه الداخلى ، و استجابة المحور المكون من الجهاز العصبى و الغدد الصم إلى مختلف التأثيرات الخارجية : جلال محمد عبد الحميد موسى — مرجع سابق : ص ١٧٧ .

١٤- نفس المرجع السابق : ص ١٧٧ .

١٥- الجنس هو ما يميز حقيقة الشيء ؛ بمعنى إذا قلنا جنس الموضوع هو الموضوع الكلى الذى يندرج تحته موضوعات أخرى ، مثل قولنا : الإنسان حيوان ، فكلمة حيوان هى جنس للإنسان ، حيث يشترك فى كلمة حيوان مع الإنسان موضوعات أخرى مثل الأسد و القرد و غيرها . و الفصل : هى الصفات التى تميز الشيء عن الأشياء الأخرى المندرجة معه تحت الجنس عن الأنواع الأخرى المندرجة ، مثل الإنسان حيوان ناطق ، فالحيوان جنس للإنسان ، و ناطق هى الصفة التى تفصله عن الحيوان .

١٦- جابر بن حيان - كتاب الحدود ، فى كتاب مختار رسائل جابر بن حيان - تصحيح بول كراوس - القاهرة - مكتبة الخانجي : ١٣٥٤هـ - : ص ص ٩٧-١١٤ .

١٧- جابر بن حيان - كتاب الحدود : ص ١٠٣ .

١٨- زكى نجيب محمود - مرجع سابق : ص ص ١١٩-١٢٠ .

١٩- يلاحظ أن طريقته فى تكوين المجموعات هى أنه أخذ للحرارة الحروف الأول ، و الخامس ، و التاسع ، و الثالث عشر ، و هكذا . وللبرودة الحرف الثانى ، و السادس ، و العاشر ، و الرابع عشر ، و هكذا . وللبيوسة الحرف الثالث و السابع و الحادى عشر ، و هكذا . وللرطوبة الحرف الرابع و الثامن و الثانى عشر ، و هكذا . على أساس أن ترتيب الحروف الأبجدية هو أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، ث خ ذ ، ض ظ غ . و هنا نلاحظ التقسيم الرباعى للحروف .

٢٠- زكى نجيب محمود - مرجع سابق : ص ٩٥ .

٢١- جلال عبد الحميد موسى - مرجع سابق : ص ١٣٧ .

٢٢- التدابير : وتتمثل فى الخطوات أو الأعمال فى التنقية ، و هى عملية مزج المعادن بالزئبق ، ثم التصعيد ، ثم التكليل ، لتحويل المعدن إلى مسحوق رقيق ، ثم التصديرة لتطهير المادة من وسائنها ، ثم عملية التشميع ؛ أى إضافة بعض المواد لتليينها لتصبح مثل الشمع حتى يسهل ذوبانها على النار ، ثم الحل ؛ أى

حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد و التقطير ، ثم العقد ؛ أى وضع
المسحوق فى إناء ويوقد تحته ليجمد و يعود حجرا : جلال عبد الحميد موسى —
مرجع سابق : ص ١٣٩ .

٢٣— زكى نجيب محمود — مرجع سابق : ص ص ١٩٧—١٩٩ .

٢٤— ماهر عبد القادر — المنطق و مناهج البحث — الإسكندرية — دار المعرفة
الجامعية : ١٩٩٨م : ص ٣٣ .

٢٥— جابر بن حيان — الحدود — ص ١١١ .

٢٦— هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد
بن الأشعث بن قيس ، و تاريخ ميلاده غير معروف على وجه اليقين ، و ترجح
ولادته فى عام ١٨٥هـ ، و قد توفى والده و هو صغير ، و دفعته والدته إلى
الدراسة و العلم ، و بخاصة العلوم الدينية و آلتها (العلوم العربية و التاريخ)
حيث كانت هى العلوم الرائجة فى ذلك الوقت . و قد تعلم علوم اللغة و الأدب
وشينا من علوم الدين ، و لما بلغ رشده اتجه إلى الفلسفة و علومها و علم الكلام
والمتكلمين وغير ذلك من العلوم المنقولة عن الحضارات الأخرى . و كان على
علم ببعض اللغات ، و منها السريانية ، و ترجم العديد من الكتب ، و منها :
المعمور فى الأرض لبطليموس ، كما تخصص فى علم أحكام النجوم . كما كانت
له مؤلفات عديدة فى موضوعات شتى . و قد لقب الكندى بفيلسوف العرب ، ويرى
مصطفى عبد الرازق أن الكندى جدير بهذه التسمية لأنه أول عربى مسلم مهد
للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب فى ظل الإسلام ، حيث كان أمر الترجمة من
قبله لغير العرب ، فكانت الترجمة حرفية يستعصى على العربى فهمها ، فجاء
الكندى وترجم بنفسه، و اصلح ما ترجم ليسهل تناوله ، و لا ينفّر من أساليبه
الذوق العربى : مصطفى عبد الرازق — فيلسوف العرب و المعلم الثانى —
القاهرة — دار إحياء الكتب العربية : ١٩٤٥ : ص ٢٤ .

٢٧— فؤاد سزكين — تاريخ التراث العربى — نقلة إلى العربية الدكتور محمود فهمى
حجازى و فهمى أبو الفضل — القاهرة — الهيئة المصرية العامة للكتاب :
١٩٧٧م : مج ١ ص ٦٢٠ .

- ٢٨— نفس المرجع السابق . — مج ١ ص ٦٢٠ .
- ٢٩— الكندى — كمية كتب أرسطوطاليس و ما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة : فى كتاب رسائل الكندى الفلسفية — تحقيق و إخراج محمد عبد الهادى أبو ريده — القاهرة — دار الفكر العربى : ١٩٥٠ : ص ص ٣٦٤—٣٧٠ .
- 30- Langridge , Derek - *Classifying Knowledge in Knowledge and communication: essays on the information chain* , edited by A.j. Meadows .- London : L.A.1991. P11 .
- ٣١— شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى — التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية و العامة : ص ٩٣ .
- ٣٢— بريل ، ليفى . فلسفة أوجست كونت — ترجمة محمود قاسم و السيد محمد بدوى — القاهرة — مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٥٢ : ص ٤٨ .
- ٣٣— عبد الحليم عطية — دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب : ص ٧٥ .
- ٣٤— عبد الحليم عطية — مرجع سابق : ص ٧٢ .

الفصل الرابع

التصانيف العربية الإسلامية

في العصر العباسي الثاني

(في القرنين الرابع و الخامس الهجريين)

(٢٣٢هـ - ٤٤٧هـ)

مقدمة

بدأ العصر العباسي الثاني مع تولي الخليفة المتوكل الخلافة العباسية ، و تعد فترة حكمه بداية الانحلال في تلك الخلافة ، إلى أن سقطت بسقوط بغداد في يد التتار عام ٦٥٦هـ . و يرجع ضعف الدولة العباسية إلى عدة عوامل ، منها :

- اعتماد العباسيين على الفرس و على الأتراك ، و إيثارهم بالمناصب المدنية والعسكرية دون العرب .
- فتك العباسيين ببني أمية و تمثيلهم بهم .
- قيام العلويين في وجه العباسيين لأن العباسيين استأثروا بالخلافة دونهم .
- ظهور كثير من بدع الملاحدة و الزنادقة كالرواندية و الخرمية ، و أصحاب المقالات، وطوائف من المتكلمين، وأدى هذا إلى انقسام المسلمين شيعاً وطوائف يناهض بعضها بعضاً ، و يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها.

وعلى الرغم من الضعف السياسي الذي أصاب كيان الدولة العباسية إلا أننا نلاحظ ازدهار الحركة العلمية و نشاطها ، حتى إن هذا العصر يعد من أزهى العصور العلمية في حياة الحضارة العربية الإسلامية ، و يرجع ذلك إلى أن الحركات التي بدأت في العصر الأموي و اكتملت في العصر العباسي الأول من الترجمة والتدوير و التأليف قد بدأت تؤتي أكلها ، كما أشتهر في هذا العصر كثير من الخلفاء الذين حاولوا إعادة الدولة العباسية إلى ما كانت عليه من قوة و مجد و على الرغم

من الضعف الذى أصاب الدولة العباسية بظهور الدويلات : السامانية و البويهية والحمدانية و الغزنوية والسلجوقية، وغيرها، فقد كان لها اثر كبير فى تقدم الحضارة الإسلامية و تشجيع العلوم و الآداب و الفنون و غيرها . (١)

و قد زخر العصر العباسى الثانى بظهور العديد من التصانيف ، و بخاصة فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك سوف يتناول هذا الفصل أشهر التصانيف العربية الإسلامية التى توضح الاتجاهات المختلفة فى التصنيف ، و هى : تصنيف الفارابى فى : " إحصاء العلوم " ، و تصنيف الخوارزمى فى : " مفاتيح العلوم " ، و تصنيف ابن النديم فى : " الفهرست " ، و تصنيف ابن سينا فى : " أقسام العلوم العقلية " .

أولاً : تصنيف الفارابى (ت ٣٣٩هـ)

يعد الفارابى (٢) أول من اعتنى من المسلمين بإحصاء العلوم و تقسيمها ، فى كتابه الشهير : " إحصاء العلوم " . و قد ظل هذا الكتاب محل عناية أهل العلم فى الشرق و الغرب ، بل كان له أبلغ الأثر فى تصانيف من أتى بعده من فلاسفة العرب المسلمين ، و نظريات فلاسفة الغرب .

تصنيف الفارابى فى إحصاء العلوم

ينتمى تصنيف الفارابى إلى المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى للمعرفة و تقسيم العلوم . و يعرض الفارابى فى مقدمة كتابه الغرض من وضعه ، ثم يتناول العلوم بأقسامها و تفرعاتها ، متناولاً كل منها بالتعريف و تحديد الموضوع .

الهدف من تصنيف إحصاء العلوم

صرح الفارابى أن من أهم الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها من كتابه تقسيم العلوم المشهورة على عصره ، و التعريف بموضوعاتها و فروعها . (٣) و لا شك أن هذا قد أدى إلى وقوع خلاف بين الباحثين ، فبعضهم يرى أنه لم يرم إلى تقسيم العلوم ، بل هو مجرد إحصاء لها ، و التعريف بها . (٤) بينما يؤكد بعض آخر أنه يهدف إلى تقسيم العلوم ، و إن لم يصرح بذلك . (٥) و نرجح الرأى الثانى لأن عرض الموضوعات فى كتاب إحصاء العلوم جاء وفق ترتيب منطقى ، حيث قسم

العلوم إلى أقسام كبيرة ، ثم تدرج بها إلى فروع تتدرج تحت كل موضوع بشكل متناسق ، و هذا ما صرح به الفارابي نفسه في قوله : ” نعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، و أجزاء كل ما له أجزاء “ ، فعبارة تشير إلى هدفه في تعريف الحدود الموضوعية لكل علم ، و علاقاته بالموضوعات الأصغر التي تتدرج تحته ، وهذا ما يخص التصنيف . و التزام الفارابي بتعريف العلم و تحديد موقعه بين العلوم الأخرى من الأسس التي يقف عليها أى عمل تصنيفي ، و لذلك فإن كتاب ” إحصاء العلوم “ كتاب في تصنيف العلوم ؛ حيث لا يمكن لباحث أن ينفذ بفكره في علوم عصره دون أن تكون لديه فكرة تكاملية عن الترابط الموجود بين هذه العلوم واشتقاقها بعضها من البعض الآخر .

إلى جانب الغرض الأساسي لكتاب إحصاء العلوم ، و هو تقسيم العلوم ، فإن الفارابي يرى لكتابه عدداً من الفوائد ، نجلها فيما يلي :

أولاً : تعريف طالب العلم بالمحتوى الموضوعي لكل علم ، و الغرض منه ، حتى يكون على بيئة بحدود العلم الذي يقبل على دراسته ، و هذا يؤكد على الصفة الموسوعية لكتاب إحصاء العلوم .

ثانياً : مساعدة الطلاب على المفاضلة بين العلوم ، فهو يقدم ترتيباً للعلوم يوضح أى العلوم يجب الابتداء بها في التعليم ، و أيها يأتي لاحقاً ، وهذا يعكس نظام التعليم السدي ساد في عصر الفارابي .

ثالثاً : مساعدة الإنسان على الإحاطة بمجموع العلوم كلها ، فإذا تقابل هذا الإنسان مع شخص يدعى العلم و المعرفة يستطيع أن يكشف كذبه أو صحة دعواه .

رابعاً : ينتفع به — كما يقول الفارابي — المتأدب المتفنن ، فمن يريد أن يكتب في موضوع ، أو ينشد قصائد ، أو يكتب نثراً ، هو في حاجة إلى مجموعة معارف تعينه على هذا الأمر ، فلا يكتب معلومات خاطئة ، أو ما يجانبه الصواب ، و هذه نظرة متقدمة ، ففي العصر الحديث لا يستطيع كاتب أو مؤلف أو ناثر أو قصاص أو شاعر الكتابة في أى موضوع إلا إذا كان محيطاً بمجموعة من المعارف و العلوم . كما يساعد الكتاب كل من يريد الثقافة العامة ، أى يحاول أن يأخذ من كل علم بطرف .

خطة الفارابي في التصنيف

قسم الفارابي المعرفة إلى خمسة قطاعات معرفية ، ثم قسم كل قسم رئيسي إلى عدة علوم فرعية تدرج تحته ، وقد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالي: (٦)

علم اللسان

علم الألفاظ المفردة

علم الألفاظ المركبة

علم قوانين الألفاظ المفردة

الحروف

قوانين أمثلة الألفاظ المفردة

الألفاظ التي عسر النطق بها أول ما وضعت فغيرت حتى سها

النطق بها

علم قوانين الألفاظ المركبة

قوانين أطراف الأسماء و الكلم عندما تتركب أو ترتب

قوانين في أحوال التركيب و الترتيب نفسه في ذلك اللسان

كيف تتركب الألفاظ و ترتب في ذلك اللسان حتى تصير

أقاويل

التركيب و الترتيب الأفصح في ذلك اللسان .

علم قوانين الكتابة . — (الخط)

علم قوانين تصحيح القراءة . — (الإملاء)

علم الأشعار

إحصاء الأوزان المستعملة في أشعارهم

نهايات الأبيات في وزن وزن أيما منها عندهم على وجه واحد

ما يصلح أن يستعمل في الأشعار من الألفاظ عندهم مما ليس

يستعمل في القول الذي ليس بشعر

يصلح أن

علم المنطق

المعقولات

العبارة

القياس

البرهان

المواضع الجدلية

الأقاويل السوفسطائية

الأقاويل الخطبية

الأقاويل الشعرية

علم التعاليم

علم العدد

علم العدد العملى

علم العدد النظرى

علم الهندسة

علم الهندسة العملية

الخطوط و السطوح

علم الهندسة النظرى

المجسمات

علم المناظر

الفحص عما ينظر إليه بالشعاعات المستقيمة

علم المرايا و هو يفحص عما ينظر إليه بالشعاعات غير المستقيمة

علم النجوم

علم أحكام النجوم

علم النجوم التعليمى

أشكال النجوم و أوضاع بعضها إلى بعض و مراتبها فى

العالم

حركات الأجسام السماوية ، كم هى

الأرض المعمورة و غير المعمورة

علم الموسيقى

الموسيقى العامة

الموسيقى النظرية

مبادئ الموسيقى و أوائلها

أصول الموسيقى

الآلات الموسيقية

أوزان النغم

تأليف الألحان

علم الأثقال

علم الموازين

الآلات

علم الحيل

الحيل العددية

الحيل الهندسية

صناعة رئاسة البناء

الحيل فى مساحة أصناف الأجسام

الحيل فى صناعة آلات نجومية و آلات موسيقية و أعداد

آلات لصنائع كثيرة

الحيل المناظرية فى صناعة آلات تسدد الأبصار نحو

إدراك حقيقة الأشياء

حيل فى صناعة أوان عجيبة و آلات لصنائع كثيرة

العلم الطبيعى

السمع الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

الآثار العلوية : المقالات الأولى الثلاث من كتاب الآثار العلوية لأرسطو .
الآثار العلوية : المقالة الرابعة .

النبات

الحيوان و النفس

العلم الإلهي

يفحص فيه عن الموجودات و الأشياء التي تعرض لها بما هي موجودات
يفحص عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية
يفحص فيه عن الموجودات التي ليس بأجسام و لا في أجسام .

الحكمة العملية

العلم المدني

الأخلاق

السياسة

علم الفقه

الآراء ” أصول الفقه ”

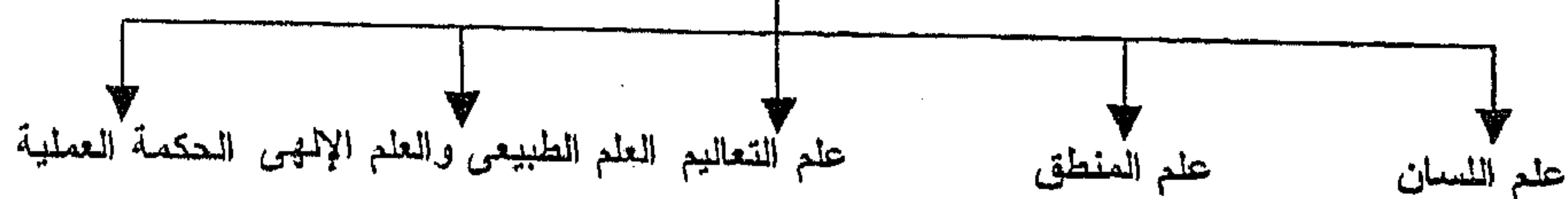
الأفعال ” عبادات ”

علم الكلام

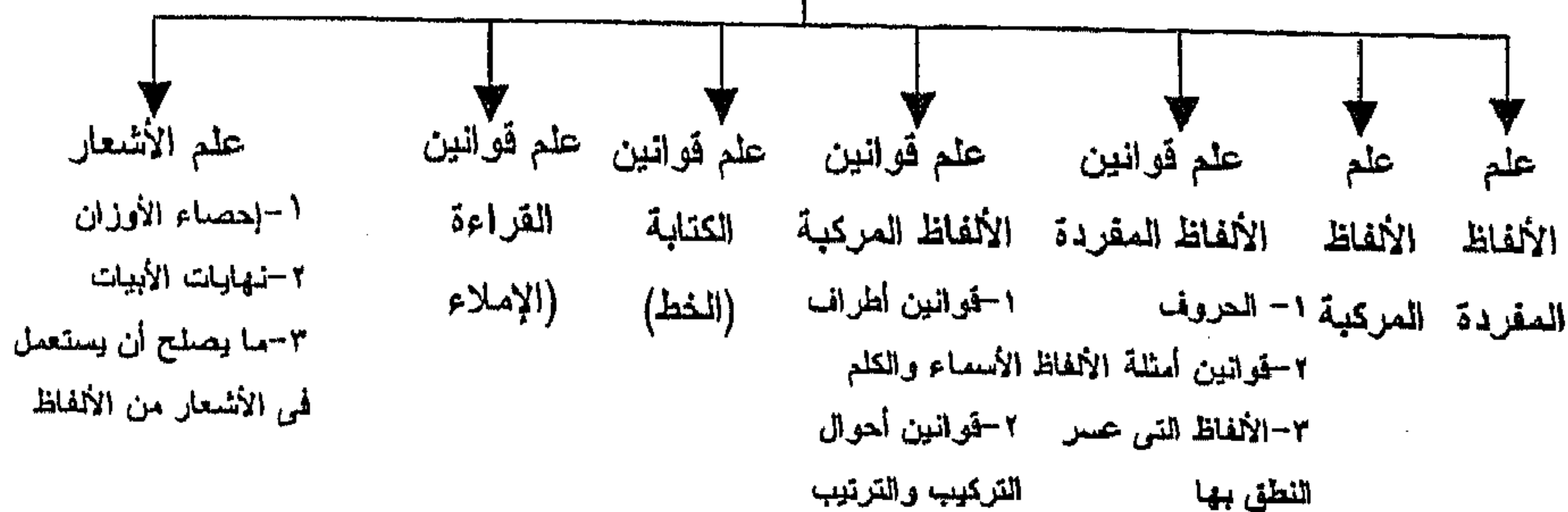
الآراء

الأفعال

مخطط هيكلى لتصنيف الفارابى



علم اللسان

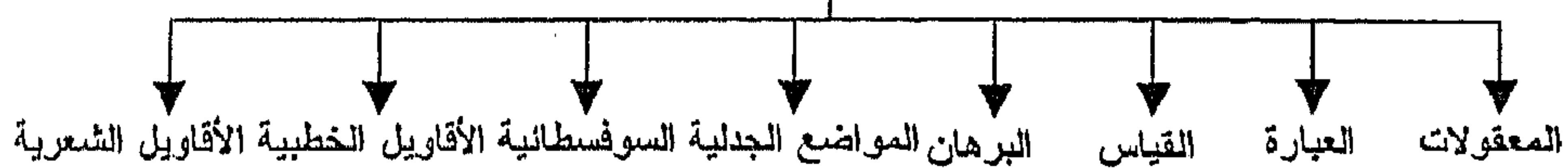


كيف تتركب الألفاظ وترتيب اللسان

التركيب والترتيب

الأفصح فى ذلك اللسان

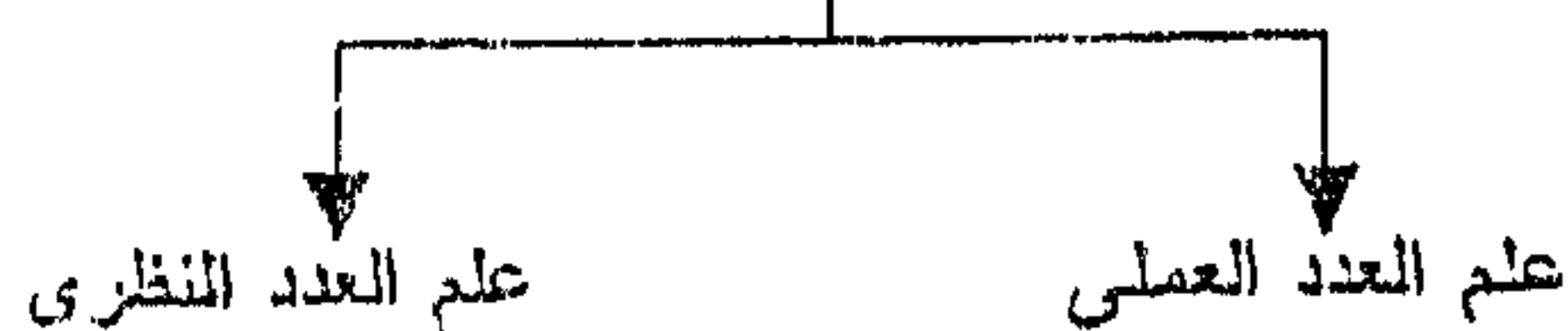
علم المنطق

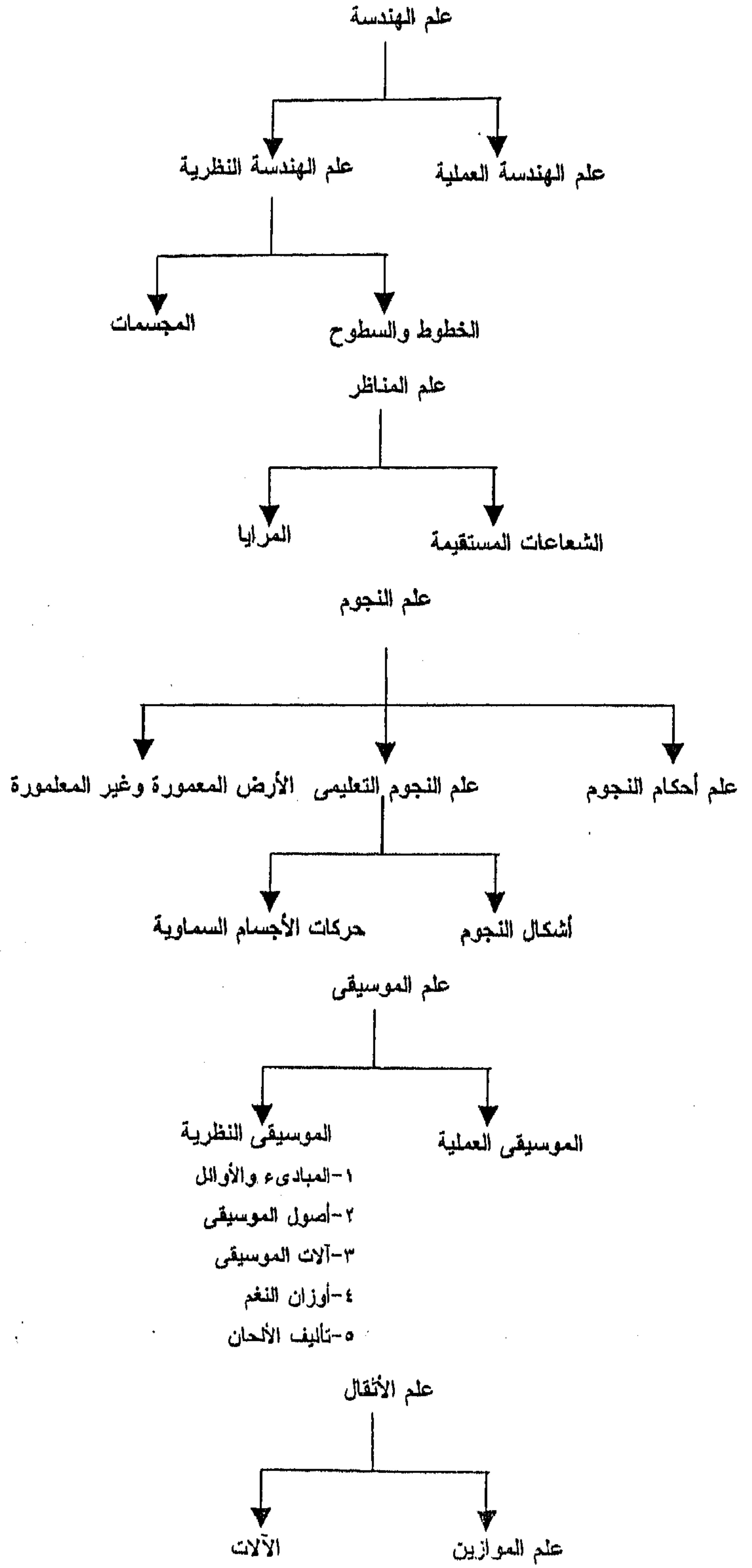


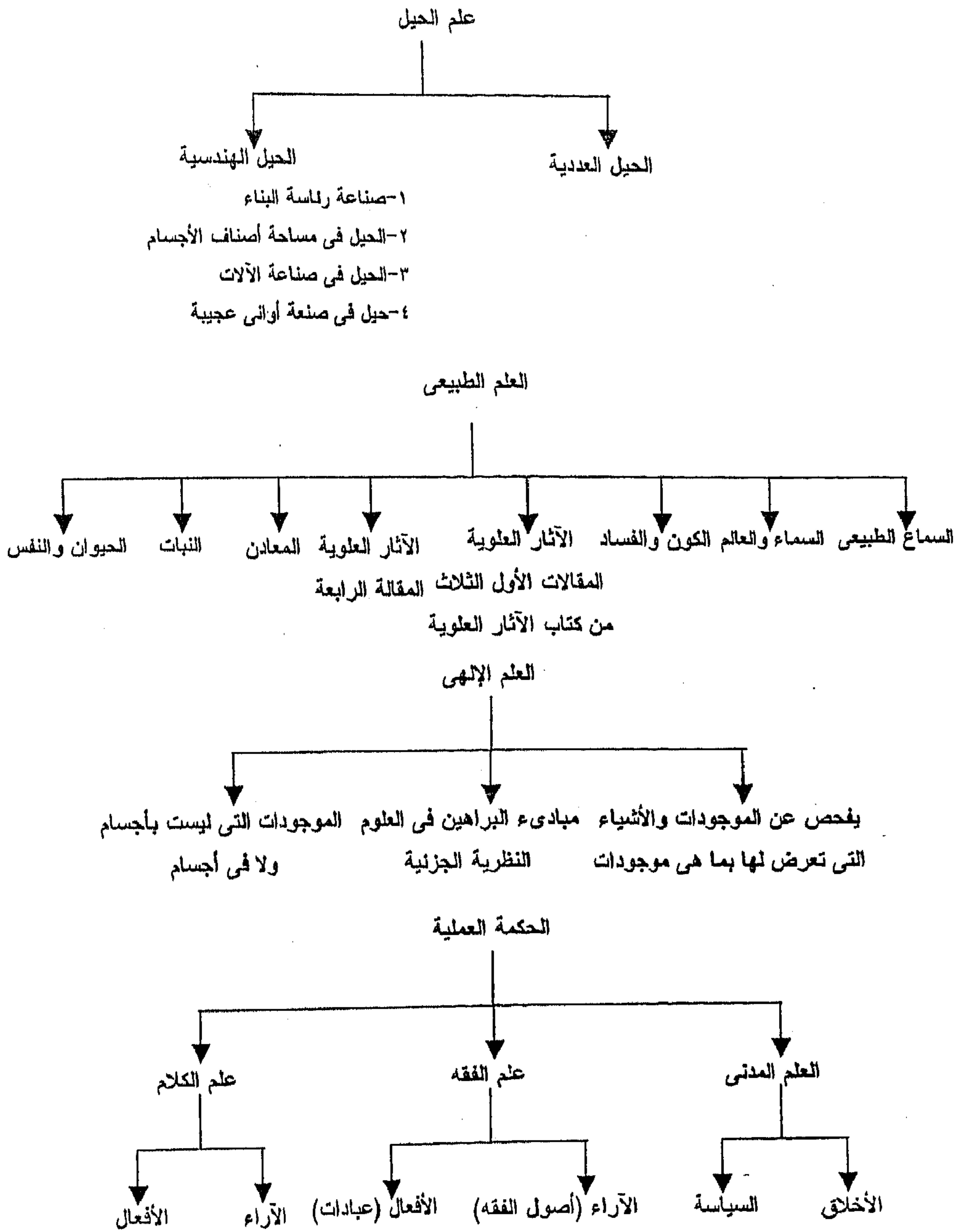
علم التعاليم



علم العدد







منطق تصنيف العلوم عند الفارابي

يقسم الفارابي المعرفة إلى خمسة فصول يمثل كل فصل منها قسماً رئيسياً في المعرفة ، و رتب الأقسام الخمسة الرئيسية ترتيباً منطقياً ، فبدأ تقسيمه للعلوم بعلم اللسان في الفصل الأول ، لأن علم اللسان هو المدخل لدراسة كل العلوم الأخرى ، فمن أتقن اللغة و السياق اللغوي استطاع أن يستخدم الألفاظ استخداماً سليماً محدداً في صياغة أي علم ، و أية مسألة في اللغة هي الأداة لتصحيح ألفاظ الأمة و عباراتها ، ولا يستغنى عنها في دراسة أي علم ، و هذا ما أكدته ” بلاك “ (٧) في القرن العشرين حين أشار إلى أهمية السياق اللغوي في تمحيص المسائل الفلسفية . ثم يأتي علم المنطق في الفصل الثاني ، و يقدمه على بقية العلوم الأخرى باعتباره الأداة لدراسة العلوم الأخرى . فهو يعطى جملة القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو الصواب ، و يكون بذلك قد فصل المنطق عن الفلسفة متبعاً منهج أرسطو في ذلك . ثم يضع العلم الرياضي في مقدمة العلوم العقلية على اعتبار أن العلم الرياضي من العلوم البرهانية التي تعتمد على العلوم الأخرى لقوة أدلتها ، و من ثم قدمه على بقية العلوم الفلسفية الأخرى لشرفه بقوة أدلته . و يجمع في الفصل الرابع العلم الطبيعي مع العلم الإلهي ، و يؤخر العلم الإلهي عن العلم الطبيعي ، و يرجع ذلك إلى اهتمام كل منهما بالموجودات الطبيعية مع صعود العلم الإلهي بهذه الموجودات إلى الموجود الأول و الأكمل و البعيد عن كل نقص . و تأتي الحكمة العملية في الفصل الخامس ، و يأتي الترتيب تطبيقاً لنظريته في تقسيم العلوم التي شرحها في كتابه ” التنبيه على سبيل السعادة “ ، حيث قسم العلوم إلى قسمين كبيرين :

• القسم الأول : تحصل به معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها ، و هي العلوم النظرية .

• القسم الثاني : تحصل به معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل ، و القوة على فعل الجميل منها ، و هي العلوم العملية و الفلسفة المدنية (٨) ، و المقصود هنا السلوك الإنساني .

ثم يعود فيقسم العلوم النظرية إلى علم التعاليم أو الرياضيات ، و العلم الطبيعي ،
والعلم الإلهي . أما العلوم العملية فتتقسم إلى : صنف يحصل به علم الأفعال الجميلة
والأخلاق التي تصدر عنها ، والقدرة على أسبابها ، وهذا هو علم الأخلاق . و صنف
يشتمل على معرفة الأشياء التي تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن ، والقدرة على
تحصيلها لهم و حفظها عليهم ، و هذه تسمى الفلسفة السياسية . و إذا طبقنا هذا المنهج
على تقسيمه الذي عرضناه فسوف نجد أنه قدم علوم اللسان و علم المنطق للأسباب
التي سبق ذكرها ، ثم بعد ذلك يقسم العلوم إلى قسمين : علوم نظرية ، أفرد لها
الفصلين الثالث و الرابع ، و هي علوم الرياضيات ، ثم العلوم الطبيعية و العلم
الإلهي . و القسم الثاني و هي العلوم العملية التي جاء ذكرها في الفصل الخامس ، و هي
العلوم المدنية .

و كان الفارابي قد قسم العلوم إلى خمسة فصول ، ثم قسم كلاً منها إلى علوم
فرعية تدرج تحت كل قسم رئيسي ، و جاء هذا التقسيم في ترتيب منطقي ؛ فعلم
اللسان اشتمل على سبعة أجزاء متدرجاً في الترتيب من علوم اللغة إلى علوم الكتابة
إلى علوم الأدب ، و هذا تدرج منطقي ، فبداية تعرف الإنسان على العالم من حوله
عن طريق الألفاظ ، و هو ما تشمله دراسة اللغة ، ثم يبدأ أولى مراحل التعلم عن
طريق الكتابة و القراءة ، ثم ينتقل إلى مرحلة التدقيق الفني للغة ، و بذلك يبدأ في
كتابة النثر أو الشعر ، و هما مما يشتمل عليه علم الأدب . و يلاحظ معالجة الفارابي
لموضوعات علم اللسان بشكل عام عند جميع الشعوب دون قصرها على لسان الأمة
العربية ، و إن كان يورد الأمثلة من اللغة العربية .

و يقسم علم المنطق إلى ثمانية أجزاء متابعاً نفس التقسيم الأرسطي لعلم
المنطق ، و قد جاء عرض علم المنطق مظهراً لشخصية الفارابي المتميزة في تصويره
لهذا العلم ، فقد عرض تعريف علم المنطق و الغرض منه ، و الموضوعات التي
يشملها ، و معنى علم المنطق لغة و اصطلاحاً ، و الجديد عنده في تحديد أوجه الشبه
و الاختلاف بين المنطق و علم النحو ، و ما أخذه علم النحو من المنطق ، و هذا يعد
انعكاساً لعلوم العصر على زمن الفارابي ، حيث تأثرت نشأة علم النحو بالمنطق ، فقد
اتجه النحويون للانتفاع بعلم المنطق في وضع نظريات و قواعد علم النحو ، و ظهر

هذا جلياً في البصرة قبل ظهوره في المدن الأخرى ، و من هنا جاءت معالجة الفارابي لعلم النحو و علاقته بعلم المنطق في هذا الفصل من كتابه .

و يتابع الفارابي التقسيم المنطقي للعلم الرياضي ، فيبدأ بعلم العدد الذي يبحث في الأرقام ، و الهندسة التي تبحث في السطوح و المجسمات ، و فيها يعتمد على الأرقام ثم المناظر التي تعتمد بدورها على علم الهندسة لأنها تفحص ما يفحصه علم الهندسة ، و لكن على أنها في خطوط و سطوح و مجسمات على الإطلاق . و يأتي علم النجوم بعد علم الهندسة ، و هذا أيضاً في وضعه المنطقي على اعتبار أن علم الهندسة و النجوم يبحثان في الكيف (و هو الشبيه أو الاشبيه) . و في تقسيمه لعلم النجوم نجد أيضاً التدرج المنطقي الذي يقدم علم النجوم المعروف بعلم الجغرافيا في العصر الحديث ، ثم يأتي علم الموسيقى ، و كان من المفروض أن يضعه لاحقاً لعلم العدد ، لأنهما يردان إلى الكم ، فالعلمان يبحثان في الأرقام . ثم يأتي علم رفع الأثقال، و علم الحيل ، و يرتبط العلمان بالبحث في القوى المحركة ، فالأول يبحث في أصول الآلات الرافعة للأشياء الثقيلة ، و الثاني يقوم على مطابقة جميع ما يبرهن وجوده في العلم الرياضي على الأجسام الطبيعية ، فهذا العلم يعد علماً رياضياً ذا علاقة بعلم الطبيعة ، فهو في موضعه الصحيح ، لأنه يقف في مرحلة وسطى بين العلمين ، و من هنا وضع في آخر العلم الرياضي ، و جاء بعده في الترتيب العلم الطبيعي الذي يقسمه إلى ثمانية موضوعات متابعاً فيه نفس أجزاء أرسطو للعلم الطبيعي . و تأتي الحكمة العملية في ترتيبها المنطقي في الفصل الأخير من تصنيفه ، حيث يرتبط الغرض من التصنيف عند الفارابي بالأساس الفلسفي الذي يقوم عليه تقسيم العلوم ، و هو أن غاية الحياة هي السعادة التي تتحقق بالتأمل و النظر في الحكمة و علومها ، كما أن الإنسان يسعى للسعادة من وراء ممارساته العملية في حياته ، و هي الغاية التي يجنيها من المعرفة . و هنا جاءت الحكمة العملية التي تهدف لسعادة الإنسان في حياته من خلال العلم المدني و السعادة الأخروية من خلال العلوم الدينية التي عكسها علم الفقه و علم الكلام .

قواعد التصنيف و مفاهيمه في تقسيم الفارابي للعلوم

يعكس تصنيف الفارابي عدداً من العلاقات بين الموضوعات ، منها :

أولاً : علاقة الاشتغال أو التبعية ، فنجده يعرض للعلم العام الذى يندرج تحته العلوم الخاصة المتفرعة منه ، مثل علم العدد و تقسيمه إلى علم العدد النظرى ، و علم العدد العملى ، و تقسيم علم الحيل إلى قسمين ، و هما : علم الحيل النظرى ، و علم الحيل العملى . و يتفرع علم الحيل النظرى إلى عدد من العلوم الخاصة المتفرعة عنه .

ثانياً : علاقة ترابط أو تجاور ، و هذا نجده فى معالجة موضوعات علم اللسان ، حيث جمع العلوم المتجانسة معاً ، فجمع علم اللغة و علم الكتابة و علم الأدب فى معالجة واحدة ، و يحدد له أنه لم يفرق بين علم اللغة و علم الأدب ، فوضع علم الأدب فى مكان بعيد عن علم اللغة . كما نجد ذلك فى بعض التصنيفات الحديثة مثل تصنيف ديوى الذى باعد بين علمى اللغة و الأدب بالرغم من تجانس موضوعيهما .

ثالثاً : علاقة تساوى أو تناسب بين الموضوعات ، و لهذه العلاقة نماذج متعددة فى تصنيفه ، مثل : علم الحساب و الهندسة اللذين يندرجان تحت علم ثالث هو العلم الرياضى بالرغم من وقوفهما على صف واحد ، كذلك علمى رفع الأثقال و الحيل اللذين يشتركان فى القوة المحركة التى يعالجها كل منهما بشكل مختلف ، فالأول فى البحث عن أصول الآلات التى ترفع الأشياء الثقيلة ، و الثانى فى وجوه التطبيق فى الأجسام المحسوسة و إظهارها فيها ، و هما يندرجان تحت علم ثالث ، و هو علم الرياضيات .

رابعاً : تحديد مدلولات الألفاظ ، و هى من قواعد التصنيف الحديثة . (٩) و هذا ما يظهر فى عبارته

التالية : ” أما ذاك — يقصد علم أحكام النجوم — فإنه إنما يعد فى القوى و المهن التى بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون (١٠) ، مثل عبارة الزجر و الفأل و العرافة . (١١)

و يجرنا الحديث عن مدلولات الألفاظ إلى ما يعرف بالجانب الموضوعى فى التصنيف ، و هو ما أكد عليه كل من ” هويل و دوف “ فى القرن التاسع عشر ، وكان محور اهتمام مصنفى القرن التاسع عشر كما يذكر فيكرى ، و هو ما يعنى الفكرة المتضمنة فى كل علم . (١٢) فالفكرة وراء علم الحساب هو الرقم ، و الطب بدن الإنسان ، و إذا بحثنا عن الجانب الموضوعى عند الفارابى فسوف نجد أوصاف

تصنيفه بالموضوعية ، ففي كل علم يعطى الفكرة الموضوعية وراءه ، كما يعطى تعريفاً محدداً واضحاً ليوضح الحدود الموضوعية لكل علم بحيث لا يختلط مفهومه مع علم آخر ، ففي علم العدد يفرق بين علم العدد العملي و النظري ، و يبنى التفريق على محتواه الفكرى . فعلم العدد العملي يبحث فى الأعداد ، أى الأرقام من حيث هى معدودات ، أى مطبقة على الأجسام من رجال أو أغنام أو دراهم ، أما علم العدد النظري فيبحث فى الأعداد ، أى الأرقام مجردة فى الذهن عن الأجسام ، و عن كل معدود .

و كان الفارابى ملتزماً بمبدأ التسلسل من أول فصل فى تصنيفه إلى آخر فرع من الفصل الأخير ، و هذا المبدأ يعنى أن كل علم فى الخطة التصنيفية يخدم تابعه ، و له ارتباط بالعلم السابق عليه ، و نراه ملتزماً بهذا المبدأ و قد أكد " كونت " على أهمية مبدأ التسلسل ، و لكنه ذهب إلى أن كل علم مبنى على سابقه ، و ليس على تابعه (١٣) ، و لكن " سبنسر " (١٨٢٠-١٩٠٣) الذى تبنى أيضاً فكرة التسلسل قال بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق عليه . (١٤) و هذا ما طبقه الفارابى على تتابع العلوم فى تصنيفه ، فيسير فى ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فيبدأ بعلم اللسان الذى يعد فى نظر الفارابى أعم العلوم ، لأن دراسة اللغة من حيث دلالات ألفاظها وتراكيبها تمهيد لدراسة كل العلوم ، ثم يليها علم المنطق الذى يبحث فى القوانين العامة للفكر بغض النظر عن الموضوع ، و لذلك فهو يسبق كل العلوم الأخرى لأنه يعد آلة لها ، و فى الوقت نفسه يعطينا القوانين التى تدل عليها الألفاظ . ثم ينتقل إلى العلم الثالث وهو العلم الرياضى ، و يقدمه على بقية العلوم الأخرى لأنه ينفذ بقوانينه فى غيره من العلوم ، سواء الطبيعية أو الدينية التى تليه . و قد استخدم المسلمون علم الحساب فى معالجة بعض المسائل الفقهية ، مثل : علم الفرائض ، و هذا ما ظهر فى التصنيف اللاحقة على الفارابى . و نلاحظ تدرج موضوعات العلم الرياضى من العام إلى الأقل عمومية ، كما يلاحظ اعتماد اللاحق على السابق ، فنجد علم الهندسة معتمداً على علم العدد ، و فى الوقت نفسه يستخدم فى الحسابات الفلكية فى علم الهيئة (الفلك) . و آخر فروع العلم الرياضى علم الحيل الذى يستخدم البراهين الرياضية فى الأجسام

الطبيعية ، فهو إذن يخدم تابعه و موضوع بحث للعلم السابق عليه . ثم ينتقل إلى العلم الطبيعي ، و منه إلى العلم الإلهي — و سبق أن أوضحنا صحة هذا الترتيب عنده — . ثم ينتقل إلى العلم المدني الذي يعد علماً عاماً لما بعده ، و هو علم الفقه الذي يطبق نظريات في سلوك الفرد المسلم ، فالعلم المدني يعطي شروط المجتمع الفاضل بصفة عامة ، و يأتي علم الفقه بعده ليقنن سلوك الفرد في مجتمع يسوده الشرع ، ثم ينتهي إلى علم الكلام الذي يعد أخص العلوم لاستخدامه الفلسفة — المتمثلة فيما سبق عرضه من علوم — للدفاع عن العقيدة الإسلامية .

و من هذا العرض يتضح أن مبدأ التسلسل الذي نادى به المصنفون في القرن التاسع عشر له إرهاصات سابقة عند العرب المسلمين ، إذ طبقه الفارابي في تقسيمه للعلوم — مما يؤكد أن جذور التصانيف الحديثة لها سبق من الناحية الحضارية في التصانيف العربية الإسلامية .

تصنيف الفارابي انعكاس لموقفه الفلسفي في تقسيمه للعلوم

تأثر تقسيم العلوم للفارابي بأرائه الفلسفية ، فمن آرائه إمكانية قيام مجتمع بدون شرع ، دون أن تغيب عنه معرفة الموجود الأول ؛ أي بإمكان بلوغ المعرفة بهذا الموجود عن طريق العقل . و لذلك لا يبدأ بالعلوم الدينية ، و إنما يبدأ بالعلوم النظرية التي يعتبرها وسائل للوصول إلى المعرفة ، فنجد علمي اللسان و المنطق علمين نظريين لهما الأسبقية في تصنيفه على علم الفقه الذي يعد علماً عملياً ، كما أن معرفة الموجود الأول عند الفارابي ترجع إلى علم نظري أساسه العقل ، و هو العلم الإلهي ، و لذلك يضعه متأخراً بعد فروع الحكمة النظرية (١٥) . كما يعكس تصنيفه نظريته — كفيلسوف — إلى فضيلة العلوم حيث يرى أن فضيلة العلوم تكون بإحدى ثلاث : إما لشرف الموضوع ، أو باستقصاء البراهين ، و إما لعظم الجدوى الذي فيه ، أو بالثلاث معاً . (١٦) و أما ما يكون لشرف الموضوع فمثل علم النجوم ، و أما ما يكون باستقصاء البراهين فهو علم الهندسة ، و أما ما يكون لعظم الجدوى فيكون للعلوم الشرعية ، و ما تجتمع فيه تلك الصفات فهو العلم الإلهي . و من النظريات الفلسفية التي آمن بها الفارابي نظرية التوفيق بين الدين و الفلسفة التي انعكست على تصنيفه في جمع علمي الفقه و الكلام مع العلم المدني في فصل واحد ،

و يعد هذا الجمع من عيوب تصنيف الفارابى ، فقد كان من الأفضل تخصيص فصل مستقل بهما ، أو إلحاقهما مع العلم الإلهى ، و يؤيد هذا القول " لويس جاردييه " الذى اعتبر محاولة الفارابى فى إدماج علمى الفقه و الكلام فى دائرة العلوم العملية ثمرة حقيقية لعملية التوفيق بين الدين و الفلسفة . (١٧) التى اتسمت بها فلسفة الفارابى، و لكنه فى موضع آخر يرى أن هذا الجمع جعل من تصنيفه عملاً مصطنعاً. (١٨) و قد جاء هذا التصنيف لنظرة الفارابى لعملى الفقه و الكلام على أنهما لترشيد السلوك الإنسانى إلى ما يجنيه من خير،

سواء فى الدنيا و الآخرة ، كما يفعل العلم المدنى الذى يرشد السلوك الإنسانى لخلق مجتمع فاضل .

تقييم محاولة الفارابى التصنيفية

يفرق الفارابى بين ما هو نظرى و ما هو عملى ، و قد اتضح ذلك فى أكثر من موضع ، و نذكر منها على سبيل المثال تفريقه بين علم العدد النظرى و علم العدد العملى ، فالأول ينظر فى الأرقام المجردة فى الذهن ، و الثانى ينظر فى الاستخدام العملى لهذه الأرقام من حيث استخدامها للعمليات الحسابية ، و هو ما يستخدمه الجمهور فى معاملات السوق و المعاملات المدنية . كما فرق بين علم الهندسة النظرى و علم الهندسة العملى ، فالأول ينظر فى الخطوط و السطوح على الإطلاق ، و الثانى فى التطبيق ، أى ينظر إلى هذه الخطوط و السطوح فى الجسم سواء كان خشباً أو حديداً ، و هو ما يمثل المادة المستخدمة فى الصناعة ، و هو فى ذلك يقترب من تقسيم التصنيف الحديثة للعلوم التى تفرق بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالجانب النظرى هو ما يمثل العلوم البحتة ، و الجانب العملى ما يمثل العلوم التطبيقية، كما نجد هذا التعريف فى الفصل الخامس الذى يخصصه للعلم المدنى وعلمى الفقه و الكلام ، و علم الفقه يعد العلم التطبيقى الذى يدور حول مسائل الفروع، أى حول سلوك الفرد المسلم و ممارسته العملية فى حياته المؤتمرة بالعقائد الإسلامية ، و لذلك نجد فيه مباحث علم الإخلاق و السياسة و الاقتصاد ، و غيرها من العلوم الاجتماعية ، التى تعد بمثابة العلم النظرى لعلم الفقه بما تضعه من الشروط الواجب مراعاتها لتحقيق المجتمع الفاضل .

المميزات والعيوب في تصنيف الفارابي

تميز تصنيف الفارابي بعدة مميزات منها : قوة عرضه الموضوعات ، و تمكنه منها ، و السيطرة عليها ، فجاءت الموضوعات متسلسلة من العام إلى الخاص في شكل منطقي سليم ، كما كان في تقسيمه للعلوم يتعامل معها تعامل الخبير بقواعد التصنيف ، كما تعد محاولة الفارابي من أول المحاولات الجادة لتقسيم العلوم في الحضارة الإسلامية التي أثرت في معظم المحاولات التالية له .

و من أبرز العيوب التي ظهرت في تصنيف الفارابي إغفاله بعض الموضوعات في تصنيفه على الرغم من استقرارها كعلوم على زمن الفارابي ، و منها العلوم الدينية : علوم التفسير ، و القراءات ، و علوم الحديث ، و كذلك علم الكيمياء ، و الطب ، و هما من العلوم العقلية التي كان للفارابي فيها بعض المؤلفات ، كما كان لهما شهرة كبيرة على زمن الفارابي . كما أغفل علم التاريخ ، و هو من أوائل العلوم التي وضعت فيها المؤلفات .

أثر الحياة الفكرية والحضارية والعلمية والسياسية في تصنيف الفارابي

ظهر تأثير الحياة الفكرية في تصنيف الفارابي سواء بجانبها العلمي العقلي أو جانبها الديني ، فبالرغم من تأثير الفكر اليوناني المتمثلاً في تصنيف أرسطو في تقسيم الفارابي للعلوم إلا أن الفكر الإسلامي كان له التأثير الأكبر في نظرة الفارابي إلى بعض العلوم . ففي حديثه عن العلم الإلهي ، بالرغم من إشارته إلى كتاب أرسطو " ما وراء الطبيعة " ، يسير في عرضه لهذا العلم صاعداً إلى عقيدة التوحيد ، فيشير إلى البراهين العلمية اليقينية التي تؤكد على وجود الله القادر في أفعاله ، الخالق لجميع الموجودات . (١٩) كما كان للفكر الديني تأثير في تقسيمه العلوم الذي أدى إلى إلحاق علمي الفقه و الكلام بالعلم المدني في الفصل الخامس ، و هذا ما فصلنا فيه الحديث من قبل . كما جاء إيراد علم اللسان بمباحثه المختلفة كنتاج للحركة الفكرية العلمية النشطة في العلوم العربية التي بدأت في العصر الأموي و استكملت في العصر العباسي الأول . و ما أن جاء العصر العباسي الثاني حتى وضعت لهذه العلوم القواعد المحددة الواضحة . و صنفت العديد من المؤلفات في اللغة و الشعر و الأدب ، و قد تمثل الجانب العلمي العقلي في الحياة الفكرية في العصر العباسي الثاني في

الفصل الثانى و الثالث و الرابع و الجزء الأول من الفصل الخامس من تصنيف الفارابى كنتاج لحركة الترجمة لعلوم الحضارات الأخرى و بخاصة اليونانية التى أنتت ثمارها فى العصر العباسى الثانى فهضمه العرب و استوعبوه و تمثلوه و بدأوا فى تصحيحه و الإضافة إليه ، و قد ظهر هذا التأثير واضحاً فى تقسيم بعض الموضوعات كالعلم الطبيعى على حسب أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم .

و بالرغم من النهضة العلمية التى شهدتها العالم الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى إلا أن المعايير الوضعية للعلم لم تكن قد برزت بمدلولاتها المحددة ، فقد كان ينظر إلى أى معرفة على أنها علم لمجرد وجود موضوع خاص بها (٢٠) و انعكس هذا فى تقسيم الفارابى لعلوم النجوم إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها يتعلق بدلالات الكواكب على ما سوف يحدث فى المستقبل ، و اعتباره علماً و هذا لا يمكن قبوله علماً فى العصر الحديث . و قد اتسم العصر الذى عاش فيه الفارابى بالانقسام الفكرى و السياسى ، و لم يكن الفارابى بعيداً عن الصراع فى عصره ، و لذلك هداه تفكيره إلى أن توحيد الإمارات لا يأتى إلا من خلال طريقتن هما وحدة الفكر و وحدة المجتمع . و تمثلت وحدة الفكر لديه فى قضية التوفيق بين الفلسفة و الدين . (٢١) و هذا ما انعكس على تصنيفه من معالجة علمى الفقه و الكلام مع العلم المدنى فى الفصل الخامس معاً .

تصنيف الفارابى بين التأثير والتأثر

تأثر الفارابى بالتصانيف السابقة كما تأثرت به التصانيف اللاحقة عليه .

أولاً : التأثير :

تأثر الفارابى بما ذهب إليه الكندى فى رسالته " أقسام كتب أرسطو " فى التفرقة بين العلوم الإنسانية أو البشرية و العلوم الدينية ، حيث ألحق العلم الإلهى فى نهاية تقسيمه للعلوم ، و هذا ما فعله أيضاً الفارابى ، حيث أبرز العلوم الإلهية (الدينية) فى الفصل الأخير من تصنيفه . كما تأثر بالكندى فى تقديمه علم الرياضى على سائر العلوم العقلية .

ثانياً : التأثير:

ظهر تأثير إحصاء العلوم للفارابي على العديد من أصحاب التصنيفات التالية عليه ، فمنهم من نقل عنه الفكرة أو اساس التقسيم أو تعريف العلوم أو تقسيمه لبعض العلوم ، و من هؤلاء ابن سينا في رسالته أقسام العلوم العقلية (٢٢) ، فبنظرة فاحصة إلى العمل التصنيفي عند كل منهما يلاحظ أن الأساس الذي اتبعه الفارابي في تقسيم العلوم إلى علوم نظرية و أخرى عملية ، و ما سار عليه ابن سينا في تقسيم العلوم في رسالته ، حيث جعل الحكمة على قسمين ، قسم نظري و قسم عملي ، كما تابعه في تقسيم الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام ، و هي العلم الرياضي و الطبيعي و الإلهي ، و قسم الحكمة العملية إلى علم الأخلاق و علم السياسة و علم تدبير المنزل الذي أشار إليه الفارابي ضمناً مع علم السياسة ، و بمقارنة التقسيم عند كل منهما سوف نلاحظ تطابقاً واضحاً من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ و العبارات ، و سوف توضح الباحثة ذلك في معالجة تصنيف ابن سينا .

كما تأثر ابن الأكفاني في رسالته ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ في أكثر من موضع ، فبنظرة فاحصة إلى المقدمة نجدتها تتفق في أكثر من موضع مع مقدمة إحصاء العلوم اتفاقاً لا يقتصر على المعنى و إنما يتناول العبارات أيضاً ، كما تأثر به في تقسيم بعض العلوم ، و منه علم الهيئة و إن زاد ابن الأكفاني في فروع هذا العلم . (٢٣) و سوف نتناول مثل هذه النقاط بالتوضيح في معالجة تصنيف ابن الأكفاني .

هل تأثر تصنيف الفارابي بتصنيف أرسطو؟

إن قضية التأثير بالفلسفة اليونانية التي تثار دائماً حول التصنيفات العربية ، و بخاصة تصنيف الفارابي الذي يشير إليه الكثير (٢٤) من الباحثين العرب من أن تقسيم الفارابي في معظم مباحثه هو تابع لتقسيم أرسطو ، و تؤكد الباحثة هذه المقولة، فقد ظهر تأثير الفارابي بأرسطو في عدة مواضع منها أقسام العلم الطبيعي التي كانت أسماء لكتب أرسطو ، و تأثره بتقسيم العلم المدني إلى علمي الأخلاق و السياسة ، و فصل المنطق عن الفلسفة ، و اعتباره آلة لبقية العلوم . كما قسم العلم الرياضي إلى نفس الأجزاء التي ذكرها أرسطو ، جاعلاً المناظر فرعاً أساسياً و ليس فرعاً مشتقاً

من الهندسة . و ترى الباحثة أن الفارابي لم يقف موقف الناقل فقط و إنما استوعب في تصنيفه أقسام الفلسفة الوافدة من الحضارات السابقة الأخرى ، و اضاف إليها معطيات البيئة العربية الإسلامية التي نشأ فيها ، و هذا ما نجده في إضافة علم اللسان و علمي الفقه و الكلام ، و كذلك طريقة معالجته للعلم الإلهي من وجهة نظر إسلامية لا يونانية . و على أية حال فقد كان تمثيله للفكر الإسلامي ضعيفاً .

منهج الفارابي في تصنيفه

يظهر جلياً من خلال دراسة "إحصاء العلوم" إدراك الفارابي لأهمية تصنيف العلوم ، و ارتباط التصنيف بالمنهج العلمي الذي اتضح عنده في أمرين : الأول تحديد مدلولات الألفاظ والتعريف بكل علم و حدوده ، و موقعه في خطته التصنيفية . والثاني سير الفارابي في ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلم الخاص ، حيث عرض للقسم الرئيسي ثم أعطى تقسيماته الأولية ، ثم الفروع من هذه التقسيمات ، ومن هنا فقد استخدم المنهج الاستنباطي في عرضه للعلوم .

مستوى المعالجة في تصنيف الفارابي

يعرض الفارابي تصنيفه في خمسة فصول تشتمل على ثمانية علوم، و كل علم منها يفرع إلى أجزاء. و يعرض الجدول التالي موضوعات العلوم في خطة الفارابي التصنيفية، موضحاً الرتب والفروع، وإلى أي صف يقف التفرع في تصنيفه:

تصنيف الفارابي	الفروع			الرتب	إجمالي
	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	
إحصاء العلوم	علم اللسان	٧	٨	٢	
	علم المنطق	٨			
	علم التعاليم	٧	١٥	١٤	
	العلم الطبيعي	٨			
	العلم الإلهي	٣			
	العلم المدني	٢			
	علم الفقه	٢			
	علم الكلام	٢			
الإجمالي	٨	٣٩	٢٣	١٦	٧٨

جدول رقم (٤) يوضح توزيع الرتب الرئيسية و الفرعية في تصنيف الفارابي

بلغ عدد الرتب على السطر الأول ثمانية موضوعات ، بلغ إجمالى عدد الفروع ثمانية و سبعين فرعاً ، منها تسعة و ثلاثون على الصف الثانى ، و ثلاثة وعشرون على الصف الثالث ، و ستة عشر على الصف الرابع ، و نستنتج من هذا الجدول أن التفريعات تصل عنده إلى الصف الرابع ، و هذا ما يحدث بالنسبة لموضوعين فقط ، هما : علم اللسان و علم التعليم ، و فيهما تصل التفريعات إلى الصف الثالث ، أما بقية الموضوعات عنده فتقف عند الصف الثانى بتفريعاتها ، وهى : علم المنطق و العلم الطبيعى و العلم الإلهى و العلم المدنى و علم الفقه و علم الكلام ، و يطلق على تفريعات العلوم لفظ أجزاء ، و هذا يدل على تفريقه بين العلم العام و العلوم الجزئية التى تتفرع منه .

التماسك والاتساق

يلاحظ على خطة الفارابى التصنيفية التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخرطة بخطته ، بل سار فى التعريف بكل علم من العلوم مع تفريعاته ، حتى إذا انتهى من هذا العلم انتقل إلى علم آخر مستعرضاً تعريف هذا العلم بكل جزئياته . كما اتصف تصنيفه بالاتساق ، فقد وقفت معظم تفريعات العلوم على الصف الثانى .

و فى النهاية لا يسعنا إلا أن نثنى على كتاب ” إحصاء العلوم “ للفارابى الذى كان له أكبر الأثر على التصنيفات التى تبعتها ، سواء على المستوى العربى أو المستوى الغربى ، و هذا ما سوف توضحه الباحثة فى البحث . و ننقل إلى تصنيف آخر ينتمى إلى نفس المدرسة الفلسفية التى ينتمى إليها الفارابى .

ثانياً : تصنيف الخوارزمى (ت ٣٨٧هـ)

يعد تصنيف الخوارزمى (٢٥) محاولة جديدة فى تاريخ التصنيف ، حيث قدم تقسيم العلوم فى قالب شكلى يختلف عن غيره ، و ذلك من خلال التعريف بمصطلحات كل علم .

تصنيف الخوارزمى من واقع كتابه ” مفاتيح العلوم ”

ينتمى تصنيف الخوارزمى للجانب النظرى الفلسفى فى تقسيم العلوم ، فقد عرض تقسيمه للعلوم فى إطار موسوعى حرص على إبراز كافة المصطلحات فى كل علم ، و هذا ما يتضح من خلال الهدف الذى يعرضه فى مقدمة كتابه مفاتيح العلوم .

الهدف من وضع كتاب مفاتيح العلوم

يشير الخوارزمي في بداية كتابه إلى الهدف من وضع الكتاب ، و يتضح فيه أنه لم يقصد و لم يعتمد إلى وضع تقسيم للعلوم ، و إنما جاء هذا التقسيم للعلوم ليعرض من خلاله المصطلحات الخاصة بكل علم ، و من هنا فإن الهدف الأساسي عرض اصطلاحات العلوم و الصناعات ليفيد منه الأديب الذي يقوم على تحصيل العلوم ، أو الكاتب - ناسخ الكتب - لحاجته إلى مطالعة الفنون و الآداب حتى لا يكون كالأمي . (٢٦) و لذلك لم يحدد الخوارزمي مبادئ معينة أو فلسفية توضح الترابط بين كل علم و كل موضوع ، و إنما جاء التقسيم ليحصر المصطلحات الخاصة بكل علم ، و لكنه بالرغم من ذلك وضع تقسيماً للعلوم سار عليه غيره من اللاحقين .

خطة تصنيف الخوارزمي

سار تقسيم الخوارزمي للعلوم على النحو التالي (٣٣)

المقالة الأولى : العلوم الشرعية وما يقترب بها من العلوم العربية

الباب الأول : الفقه

- الفصل الأول : أصول الفقه .
- الفصل الثاني : الطهارة .
- الفصل الثالث : الصلاة و الأذان .
- الفصل الرابع : الصوم .
- الفصل الخامس : الزكاة .
- الفصل السادس : الحج .
- الفصل السابع : البيع و الشركة .
- الفصل الثامن : النكاح و الطلاق .
- الفصل التاسع : الديات .
- الفصل العاشر : الفريضة ، و المقصود بها (الفرائض)
- الفصل الحادي عشر : النوادر .

الباب الثانى : الكلام

- الفصل الأول : فى مواضع متكلمى الإسلام فيما بينهم .
- الفصل الثانى : فى ذكر أرباب الآراء و المذاهب من أهل الإسلام .
- الفصل الثالث : فى ذكر النصارى و مواضعاتهم .
- الفصل الرابع : فى ذكر أصناف اليهود و مواضعاتهم .
- الفصل الخامس : فى ذكر أرباب الملل و النحل .
- الفصل السادس : فى ذكر عبدة الأوثان من الحرب و أصنامهم .
- الفصل السابع : فى ذكر وصف الأبواب التى يتكلم فيها المتكلمون

من أصول الدين

الباب الثالث : النحو

- الفصل الأول : مبادئ النحو و وجوه الإعراب على مذهب

النحويين عامة .

- الفصل الثانى : فى وجوه الإعراب و ما يتبعها على ما يحكى عن

الخليل بن أحمد

- الفصل الثالث : فى وجوه الإعراب على مذهب اليونانيين .
- الفصل الرابع : فى تنزيل الأسماء .
- الفصل الخامس : فى الوجوه التى ترفع بها الأسماء .
- الفصل السادس : فى الوجوه التى تنصب بها الأسماء .
- الفصل السابع : فى الوجوه التى تخفض بها الأسماء .
- الفصل الثامن : فى الوجوه التى يتبع بها الاسم ما قبله فى وجوه

الإعراب .

- الفصل التاسع : فى تنزيل الأفعال
- الفصل العاشر : الحروف التى تنصب الأفعال
- الفصل الحادى عشر : فى الحروف التى تجزم الأفعال
- الفصل الثانى عشر : فى النوادر .

الباب الرابع : الكتابة

- الفصل الأول : أسماء الذكور و الدفاتر و الأعمال .
- الفصل الثاني : كتاب ديوان الخراج .
- الفصل الثالث : كتاب ديوان الخزن
- الفصل الرابع : كتاب ديوان البريد
- الفصل الخامس : كتاب ديوان الجيش .
- الفصل السادس : كتاب ديوان الصنائع و النفقات .
- الفصل السابع : كتاب ديوان الماء .
- الفصل الثامن : كتاب ديوان الرسائل .

الباب الخامس : فى الشعر والعروض

- الفصل الأول : جوامع هذا العلم و أسماء أجناس العروض و ذكر ما يتقدمها و ما يتبعها .
- الفصل الثانى : ألقاب العلل و الزحافات
- الفصل الثالث : فى ذكر القوافى و ألقابها .
- الفصل تالرابع : اشتقاقات هذه الألقاب و المواضعات
- الفصل الخامس : نقد الشعر و مواضعات نقاده

الباب السادس : الأخبار

- الفصل الأول : ذكر ملوك الفرس و ألقابهم
- الفصل الثانى : ذكر الخلفاء و ملوك الإسلام و نعوتهم و ألقابهم
- الفصل الثالث : ذكر ملوك اليمن فى الجاهلية و ألقابهم
- الفصل الرابع : ذكر من ملك معداً من ملوك اليمن
- الفصل الخامس : ذكر ملوك الروم و اليونانيين
- الفصل السادس : ألفاظ يكثر جريها فى أخبار الفرس
- الفصل السابع : ألفاظ يكثر ذكرها فى الفتوح و المغازى و أخبار

عرب الإسلام

- الفصل الثامن : ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك عرب الجاهلية

الفصل التاسع : ألفاظ يكثر ذكرها في أخبار ملوك الروم .

المقالة الثانية : في علوم العجم

الباب الأول : الفلسفة

الفصل الأول : في أحكام الفلسفة و أصنافها

الفصل الثاني : في جمل العلم الإلهي

الفصل الثالث : ألفاظ يكثر ذكرها في الفلسفة و كتبها

الباب الثاني : المنطق

الفصل الأول : إيساغوجي " المدخل "

الفصل الثاني : قاطيغورياس " المقولات "

الفصل الثالث : باري أرمينياس " العبارة "

الفصل الرابع : أنولوطيقا " القياس "

الفصل الخامس : أفودقسطيقي " البرهان "

الفصل السادس : طوبيقي " الجدل "

الفصل السابع : سوفسطيقي " السفسطة "

الفصل الثامن : ريطوريقي " الخطابة "

الفصل التاسع : ببيوطيقي " الشعر "

الباب الثالث : الطب

الفصل الأول : التشريح

الفصل الثاني : ذكر الأمراض و الأدوية .

الفصل الثالث : الأغذية .

الفصل الرابع : الأدوية المفردة .

الفصل الخامس : أدوية مفردة مشتبهة الأسماء .

الفصل السادس : أدوية مركبة .

الفصل السابع : أوزان الأطباء و مكاييلهم .

الفصل الثامن : النوارد

الباب الرابع : الأرثماطيقى

الفصل الأول : الكمية المفردة

الفصل الثانى : الكمية المضافة

الفصل الثالث : الأعداد المسطحة و المجسمة .

الفصل الرابع : العبارات .

الفصل الخامس : حساب الهند و حساب الجمل و مبادئ الجبر

والمقابلة .

الباب الخامس : الهندسة

الفصل الأول : مقدمات صناعة الهندسة

الفصل الثانى : الخطوط

الفصل الثالث : انبساط

الفصل الرابع : المجسمات

الباب السادس : علم النجوم

الفصل الأول : أسماء النجوم السيارة و الثابتة و صورهم

الفصل الثانى : تركيب الأفلاك و هيئة الأرض و ما يتبع ذلك

الفصل الثالث : مبادئ الأحكام و مواصفات أصحابها

الباب السابع : الموسيقى

الفصل الأول : أسامى آلات هذه الصناعة و ما يتبعها

الفصل الثانى : جوامع الموسيقى المذكورة فى كتب الحكماء

الفصل الثالث : الإيقاعات المستعملة

الباب الثامن : فى الحيل

الفصل الأول : الألفاظ التى يستعملها أهل الحيل فى جر الأثقال

بالقوة

الفصل الثانى : فى صد حركات الماء و صناعة الأوانى العجيبة و

ما يتصل بها فى صناعة الآلات المتحركة .

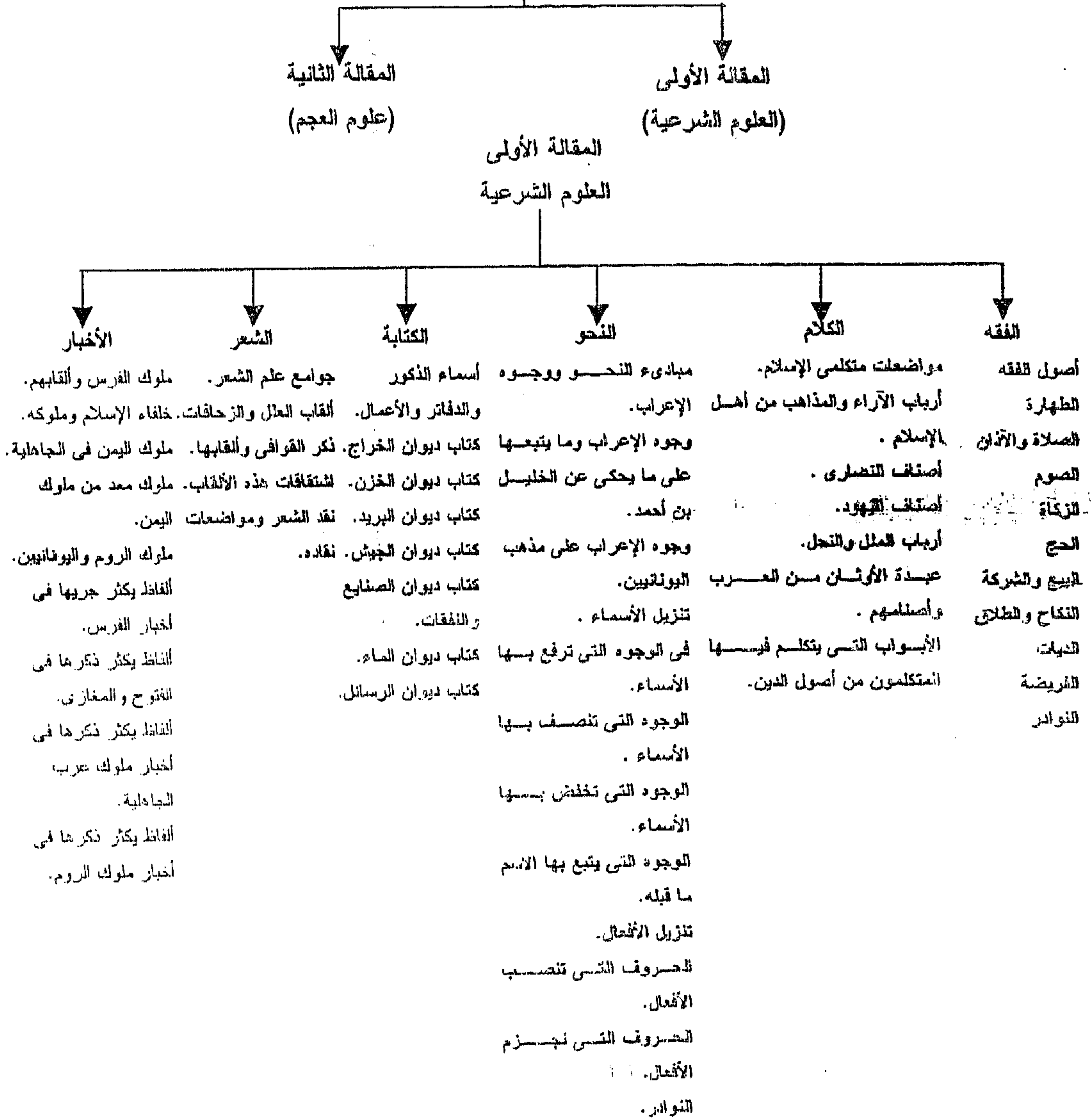
الباب التاسع : الكيمياء

الفصل الأول : آلات هذه الصناعة

الفصل الثاني : عقاقيرهم و أدواتهم من الجواهر و الأحجار

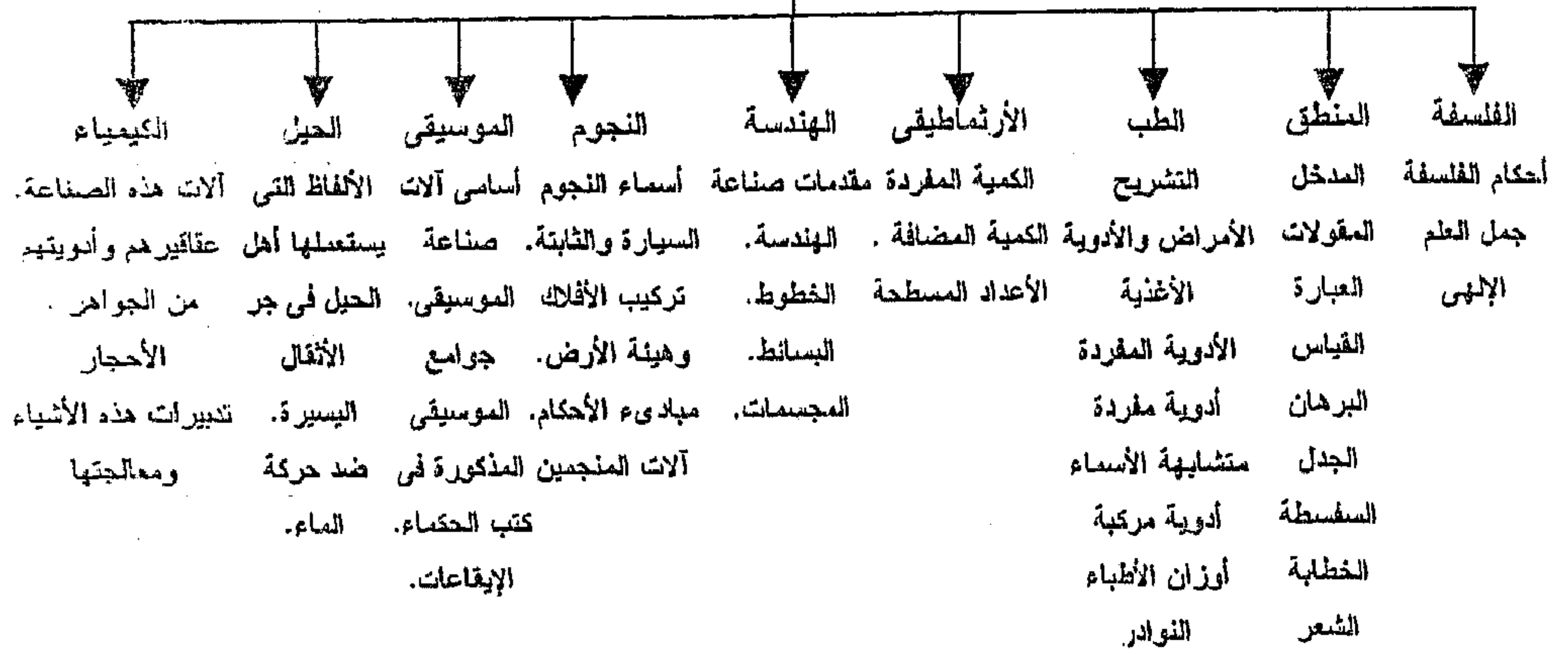
الفصل الثالث : تدبيرات هذه الأشياء و معالجتها .

المخطط الهيكلي لتصنيف الخوارزمي



المقالة الثانية

علوم العجم



منطق تصنيف العلوم عند الخوارزمى

قسم الخوارزمى العلوم إلى قسمين كبيرين ، أو مقالتين ، الأولى فى العلوم الشرعية وما يتصل بها من العلوم العربية ، و المقالة الثانية فى علوم العجم ، و من هنا قد اقتضت المقالة الأولى على معطيات الحضارة العربية الإسلامية من العلوم الدينية و العربية . و المقالة الثانية على معطيات الحضارات الدخيلة على العرب من حضارة الفرس أو الهند و اليونان ، و هى ما يطلق عليها علوم الفلسفة ، و العلوم التابعة لها : الفلك و الطب و الرياضيات و الكيمياء . و من هنا تتضح طريقة العرب فى تقسيم العلوم ابتداء من الخوارزمى فى كتابه " مفاتيح العلوم " . و يعد تقسيم العلوم إلى قطاعين تقسيماً شكلياً للمعرفة ، و إذا حاولنا استقراء طريقة ترتيب المقالات و تتابعها عند الخوارزمى فإننا لا نستطيع أن نجزم بوجود منطق فلسفى تسير على خطاه ، كما وجدنا هذا التتابع و التسلسل عند الفارابى .

وعلى الرغم من أن الخوارزمى رتب الأقسام الرئيسية فى تصنيفه على أساس مرتبة العلم فيما بين العلوم ؛ أى شرف كل علم و فضله بين العلوم . (٢٨) وعلى هذا الأساس يتم تقديمه أو تأخير . و شرف العلم قد يكون لشرف موضوعه وعموميته ، أو لعظم فائدته . و العلوم بعضها مقاصد وبعضها وسائل ، والأولى أشرف من

الثانية، و على هذا الأساس يرتب الموضوعات فى كل مقالة ، فى المقالة الأولى يفرق بين العلوم الشرعية و العلوم العربية و التاريخ ، و يقدم العلوم الشرعية على العلوم العربية لشرف موضوعها ، كما أنها علوم مقصودة لذاتها، والعلوم العربية وسائل لها ، فالعلوم العربية وضعت لخدمة الدين و فهمه ، و لذلك فهى من الوسائل . ثم نلاحظ التدرج فى الأقسام الرئيسية ، فيتقدم علم الفقه على علم الكلام و ذلك لشدة الحاجة إليه لأن به ينتظم إصلاح الدنيا والدين . وبالرغم من اعتبار عدد كبير من المصنفين علم الكلام أشرف العلوم الدينية لبحثه فى ذات الله و صفاته إلا أنه يؤخره على اعتبار عمومية علم الفقه الذى يعرفنا بكافة العبادات ، وهو هنا متأثر بالفارابى فى تقديمه علم الفقه على علم الكلام لعموم الأول و خصوصية الثانى ، و يقدم العلوم العربية على علم التاريخ لأن الأول أكثر ارتباطاً بالعلوم الدينية لأنها تساعد على فهم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعند ترتيب العلوم العربية يبدأ بعلم النحو الذى يعد أبا العلوم العربية . (٢٩) ثم الكتابة ثم الأدب ، و هنا تدرج من اللغة إلى الأدب لتوقف الثانى على الأول ، ثم يلحق علم التاريخ بالعلوم العربية و الشرعية . ويقسم المقالة الثانية (فى علوم العجم) فى تسعة أبواب ، و يبدأ فى الباب الأول بعلم الفلسفة باعتبارها أم العلوم كما كان ينظر إليها قديماً ، ثم المنطق لارتباطه بالفلسفة و اعتباره آلة لكل العلوم ، فهو مقدم عليها ، ثم علم الطب ، و يلاحظ تقديمه على سائر العلوم العقلية التى تتبعه ، و ذلك لشرف موضوعه و الغاية منه ، و ذلك لقيامه على علاج الإنسان ، و هذا ما يفسر تقديم علم الطب و فضله على علم الكيمياء ، و تأخير علم الكيمياء إلى الباب التاسع بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحد ، و هو العلم الطبيعى . و قد أشير إلى هذا التقسيم فى الفصل الأول من الباب الأول فى معرض حديثه عن تقسيم الفلسفة . ثم يبدأ فى عرض العلوم الرياضية فيبدوها بعلم العدد ، و يوالى التتابع المتعارف عليه فى فروع العلم الرياضى إلى أن يصل إلى الباب الثامن الذى يخصه لعلم الحيل الذى لا يعتبره أحد فروع العلم الرياضى ، كما فعل غيره من المصنفين ، لأنه لا يدخل فى جملة العلم الرياضى و لا العلم الطبيعى ، و إنما يأخذ براهين العلم الرياضى ليطبقها على الأجسام الطبيعية فى العلم الطبيعى ، و لذلك وضعه بعد الانتهاء من عرض العلوم الرياضية ، و قبل علم الكيمياء الذى يعد

من جملة العم الطبيعي ، ثم يقسم كل باب إلى عدة فصول ، و أحياناً يعطى ترتيباً منطقياً لترتيب بعض الأبواب ، و أحياناً أخرى لا نرى أى ترتيب منطقي .

و من الأبواب التي حظيت بنوع من الترتيب المنطقي الباب الأول من المقالة في علم الفقه ، و يقسمه إلى فصول ، و يبدأ بأصول الفقه ، لأنه المدخل إلى العلوم الفقهية ثم الطهارة للزومها في كافة العبادات ، ثم يتدرج في عرض المباحث الفقهية من الصلاة إلى الزكاة إلى الصوم إلى الحج ، و هذا الترتيب حسب تسلسل العبادات في أركان الإسلام الخمسة ، ثم يلحق بعلم الفقه عدد من الموضوعات لا ترى الباحثة وجود أى تسلسل منطقي بينها . و في الباب الثاني في علم الكلام يفرق بين الديانات السماوية و الديانات الوضعية و ترتيب الديانات السماوية لا نرى ترتيباً تاريخياً و إنما يبدأ بالإسلام باعتباره دين الدولة و هو الأعلى على بقية الديانات السماوية ، ثم الدين المسيحي لقرب عهده من الإسلام ثم اليهودي . ثم يعرض للديانات الوضعية عند العرب و غير العرب ، و يحتل الترتيب المنطقي في الفصل السابع الذي يخصصه في أصول الدين التي يتكلم فيها المتكلمون . و كان من المفروض إلحاقه بما يخص الدين الإسلامي . و في الباب الثاني في علم النحو نرى ترابطاً للموضوعات مع تسلسل منطقي فيعرض في البداية المذاهب النحوية المختلفة ، ثم يتناول وجوه الإعراب في الأسماء ثم في الأفعال ، و في ترتيب فصول المقالة الثانية لا نلمح ترتيباً منطقياً إلا في الباب التاسع في الكيمياء حيث يبدأ بالآلات المستخدمة في صناعة الكيمياء ثم المواد المستخدمة في العمليات الكيميائية ، ثم ينتقل إلى التعريف بالعمليات الكيميائية نفسها من التقطير و التكليس . و من النماذج الدالة على عدم وجود تدرج منطقي في عرض الموضوعات علم التاريخ في الباب السادس من المقالة الأولى ، فنلمح تقسيماً شكلياً ، حيث يفرق بين التعريف بالملوك و ألقابهم ، ثم الألفاظ الموجودة في كل أمة ، و لكن لا نجد أى تتابع منطقي أو زمني بالرغم من أنه يعالج علماً تتتابع موضوعاته زمنياً ، فنجدته يبدأ بأخبار الفرس ثم الإسلام ، ثم عرب الجاهلية و اليمن ، ثم ملوك الروم ، و كان من المفروض أن يذكر ملوك الروم بجوار ملوك الفرس ثم عرب الجاهلية و اليمن ثم ملوك الإسلام ، و قد يرجع تقديمه لملوك الفرس ثم ملوك الإسلام لتعصبه إلى جذور فارسية ثم الإسلام . و يلاحظ على

بقية فصول الأبواب في المقالتين عدم انتظامهم في ترتيب منطقي لعرض الموضوعات .

القواعد والمفاهيم المستخدمة في تصنيف الخوارزمي

لا نجد في تصنيف الخوارزمي قواعد واضحة للتصنيف كما وجدنا عند الفارابي ، و يرجع ذلك كما أشرنا من قبل إلى أن تقسيم العلوم عنده لم يكن هو الهدف الرئيسي ، و إنما جاء التقسيم لعرض المصطلحات من خلاله ، و لذلك وجدنا عنده جمعاً لموضوعات لا تتسلسل فيما بينها بشكل منطقي أو متتابع للوصول إلى تحقيق غاية أو هدف ، و بالرغم من ذلك نلاحظ أن الموضوعات تسير وفق مبدأ الشمولية أو التبعية حيث يقسمها إلى أقسام رئيسية ، و كل قسم يتدرج تحته عدد من الموضوعات ، فهو بذلك يسير من العام إلى الخاص .

كما نلاحظ على تقسيم العلوم عنده علاقة تجاور حيث يعرض العلوم المتشابهة معاً ، فيعالج العلوم الدينية معاً ، ثم العلوم العربية متجاورة . كما تتجاور عنده العلوم الرياضية . و من العلاقات أيضاً علاقة تساوي ، و هذا ما نجده في علم الحساب والهندسة حيث يقفان على رتبة واحدة بالرغم من اشتراكهما في معالجة المقدار ، فالمقدار في الحساب أعداد مجردة ، و في الهندسة نجد المقدار مشخص في شكل خطوط و سطوح و مجسمات .

تقييم محاولة الخوارزمي التصنيفية

من استقراء تقسيم العلوم عند الخوارزمي نجد أنه ذكر علوماً و موضوعات عند معالجة بعض الفصول في كل باب ، و لم يبتددها و لم يضعها في إطار تصنيفه ، و من أمثلة ذلك يذكر في علم أصول الفقه في الفصل الأول من الباب الأول علوماً وموضوعات من الإجماع و القياس . كما يعرض في الفصل الخامس من الباب الرابع في علم الحساب عدداً من العلوم : علم حساب الخطأين ، و علم الجبر و المقابلة ، و علم الديباجة ، و علم الوصايا و الموارد . وقد ذكرت هذه الموضوعات كفروع لعلم الحساب في التصانيف اللاحقة عليه . و يذكر في الفصل الثاني من الباب السادس (علم النجوم) ، و يذكر عدة موضوعات منها الأرض المعمورة و غير المعمورة ، و الأزياج و هي من العلوم التي ذكرتها التصانيف اللاحقة عليه ، و أبرزتها في

خططها التصنيفية ، ولم يتطرق في علم النجوم إلى موضوعات التنجيم و دلالات الكواكب على المستقبل ، كما نجد عند الفارابي ، وبذلك تنحى بتصنيفه عن الخزعات .

و من الملاحظات التي تعد انعكاساً حقيقياً لنظرة العلوم في عصره معالجته العلوم العربية مع العلوم الشرعية ، و يرجع ذلك إلى توقف فهم العلوم الدينية على العلوم العربية ، و لذلك نشأت العلوم العربية لخدمة الدين و فهم معاني القرآن الكريم و الحديث ، و نتيجة لهذا الارتباط نلاحظ معالجة العلوم العربية ملحقة بالعلوم الشرعية عند معظم المصنفين العرب المسلمين ، كما يجعل الخوارزمي علم التاريخ علماً من العلوم العربية المساندة للعلوم الشرعية ، و يرجع أيضاً إلى ارتباط نشأة علم التاريخ بالعلوم الشرعية ، فقد بدأت الحاجة إلى علم التاريخ في تدوين الأخبار المتعلقة بالرسول - صلى الله عليه و سلم - و الصحابة ، و الحوادث و المغازي التي حدثت في أوقاتهم . كما أن علم رواية الحديث قد اقتضى البحث فيه البحث في السير و الأنساب من أجل التأكد من الشخصيات التي يسند إليها رواية الحديث ، و لذلك فإن ما يستخدمه علم التاريخ من الإسناد هو ما يستخدمه علم رواية الحديث من الإسناد ، و من هنا جاءت معالجة الخوارزمي للتاريخ مع العلوم الشرعية أو الدينية ، و هذا الدمج في معالجة علم التاريخ مع العلوم الشرعية اقتضته طبيعة المعرفة في ذلك الوقت و النظرة إلى العلاقات بين العلوم . و نجد ما يماثل هذه النظرة عند مصنف في الغرب في عصر النهضة و منهم " بيكون " الذي جمع معالجة التاريخ المدني مع التاريخ الديني . (٣٠) و يلاحظ بنظرة إجمالية إلى تصنيف الخوارزمي أن تقسيمه للعلوم ينبع من فكرة وحدة العلم الكلي ، فهو يقسم العلوم إلى قطاعات معرفية كبيرة تتدرج إلى قطاعات معرفية أصغر . كما يلاحظ أيضاً فصل العلوم عن الفلسفة بالرغم من وضعها على رأس المقالة الثانية ، إلا أنه لم يسر على نفس تقسيم الفلسفة للعلوم ، و إنما استخدم تقسيماً مختلفاً سار على مبدأ شرف الموضوع و أهميته ، و إن أدى ذلك إلى بعد بعض الموضوعات المتقاربة على خريطته التصنيفية ، و لكنه يتميز بمحاولة جديدة في تقسيم العلوم .

مميزات تصنيف الخوارزمي و عيوبه

من أهم ما يميز تصنيف الخوارزمي استيعابه لمعظم علوم عصره بطريقة جديدة لم يسبقه إليها غيره من المصنفين ، و على الرغم من محاولة كل من سبقه منهم لإبراز العلوم العربية و الشرعية إلا أن الخوارزمي استطاع أن يحدد مكاناً واضحاً لها تميز بالمنطقية ، و اتبعه غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، كما تميز تصنيفه بالتحديد الواضح و التعريف الجامع المانع لمصطلحات العلوم في عصره . كما تميز تصنيفه بالنظرة المتقدمة لبعض علوم عصره ، و منها علم الحيل (الميكانيكا) الذي أخرجه من دائرة العلوم الرياضية ، و لكنه لم يحدد إلى أى قطاع معرفي ينتمي هذا العلم ، و قد يرجع ذلك إلى أن الصورة الوضعية لعلم الحيل لم تكن مكتملة ، و هذا العلم أصبح أحد فروع علم الفيزياء في العصر الحديث ، كما تميز تصنيفه بإيراد فصل في آخر معظم أبواب مقالاته يسمى النوار يخصصه لعرض موضوعات متناثرة لا يستطيع جمعها تحت عنوان علم . وهذا ما نجده في التصانيف الحديثة بتسميات مختلفة ، مثل موضوعات أخرى ، أو معارف متنوعة .

و من أهم عيوب تصنيف الخوارزمي عدم ذكر العديد من العلوم والموضوعات المعروفة على عصره ، و منها بعض العلوم الشرعية ، مثل علم التفسير و القراءات و علوم الحديث ، و بعض علوم العلم الطبيعي ، بالرغم من أنه أشار إليها في بداية حديثه عن تقسيم الفلسفة ، و قد يرجع ذلك إلى تركيزه على مصطلحات علوم معينة يستخدمها الكتاب ، و قد كان واحداً منهم ، فكان على علم بأهم العلوم ذات الصلة بعمل هؤلاء الكتاب . كما أغفل أيضاً علوم الحكمة العملية ، ويرجع ذلك إلى أن الخوارزمي اعتبرها نوعاً من السلوك و التطبيق العملي ، و لم يعتبرها علوماً بالمعنى الصحيح ، ومن هنا فهي ليست مجالاً للنظر العلمي ، بل غاية أو هدف للإنسان عليه تحقيقه . (٣١) و يرجع ذلك إلى شهرتها بين الجمهور ، و هذا ما صرح به الخوارزمي نفسه في مقدمة كتابه و أكدده عند عرضه لأقسام الفلسفة . ومن العيوب عدم تفريقه بين العلوم حيث يذكر مباحث علم الصيدلة مع مباحث علم الطب تحت عنوان واحد ، هو علم الطب ، و يرجع ذلك إلى عدم تكوين تصور وضعي عن علم الصيدلة ، و وضع حدود فاصلة بين الصيدلة و الطب ، وإنما ارتبط

البحث فى العلمين معاً ، و كان فى العادة الطبيب المعالج هو الصيدلى الذى يحضر الدواء ، و بالرغم من ذلك فإن الإشارة إلى علم الصيدلة تعد إضافة من جانب الخوارزمى فى تقسيم العلوم .

و من العيوب أيضاً إشارته إلى موضوعات فى غير مكانها الصحيح ، و منها إلحاق علم الأغذية بموضوعات علم الطب ، فهذا العلم دخیل على علم الطب حيث لا توجد صلة بينهما ، و هذا واضح فى طريقة المعالجة ، فهو لا يتعرض للأغذية وصلاتها بصحة الإنسان ، أو تأثيرها على بعض الأمراض ، و لكنه يتناولها بالوصف و طريقة الإعداد و التعريف بما تدل عليه أسماؤها ، و لكن قد نلتمس له العذر فى ذلك لعدم وجود مكان مناسب على خريطته التصنيفية يمكن أن يوضع فيه هذا العلم بالإضافة إلى أن لجوء العرب فى البداية إلى الترجمة فى علم الطب بسبب اعتلال صحتهم من دخول بعض الأكلات الأجنبية المعقدة التى لم يكن للعرب عهد بها .

و من العيوب أيضاً التباعد بين علمى الطب و الكيمياء بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحد ، و هو العلم الطبيعى ، و هو ما صرح به فى الفصل الخاص فى تقسيم الفلسفة .

أثر الحياة الفكرية والثقافية على تصنيف الخوارزمى

لقد عكس تصنيف الخوارزمى للمعرفة فكر المجتمع العربى الإسلامى و حضارته ، فهو يعد من أول المصنفين الذين أبرزوا العلوم الشرعية و العربية بشكل واضح ، و هذا يدل على استقرار هذه العلوم و كثرة المؤلفات فيها ، كما ظهر تأثير العقيدة الإسلامية فى معالجته للعلم الإلهى ، فبعد به عن المفهوم الأرسطى ، و اتجه فى معالجته بالإشارة إلى الله الواحد القهار ، و وجوب توحيده و عبادته . كما أن تعصبه للإسلام جعله يبرزه كأول الديانات عند معالجة علم الكلام ، بالرغم من أنه آخر الديانات ظهوراً ، و هذا لا يعد عيباً يؤخذ على الخوارزمى ، فهذا ما تتبعه التصانيف الحديثة التى تبرز تقدم الفكر الدينى و الثقافى بمجتمعها ، بغض النظر عن تسلسله التاريخى ، مثل تصنيف ديوى الذى وضع الدين المسيحى الذى يدين به فى أول الديانات ، و عالجه معالجة مفصلة .

تصنيف الخوارزمي بين التأثير والتأثر

تأثر الخوارزمي في تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر في بعضهم ، ممن

جاء بعده :

أولاً : التأثير

تأثر الخوارزمي بتصنيفي جابر بن حيان : السباعية و الحدود ، و تمثل ذلك في إيراد علم الطب و الكيمياء اللذين ذكرهما جابر في السباعية ، كما ذكر ابن حيان علم الكيمياء في الحدود ، فنجد الفصل الأخير من الباب الخاص بعلم الطب يخص فيه ما جاء عند ابن حيان في علم الطب من الأمزجة و الأخلاط و الأعضاء الرئيسية . (٣٢) و لكن تميز الخوارزمي في التوسع في فروع العلمين مع وضوح المعالجة والألفاظ في كل منهما . كما تأثر بفكرة التقسيم الثنائي في كتاب الحدود ، في علم الدين و علم الدنيا ، و لكنه استخدم تسمية مختلفة مع التوسع في فروع العلوم ، وهذا نابع من استقرار العلوم و نضجها في عصره .

عدم تأثر الخوارزمي بالفارابي في التصنيف ، و اختلاف معالجة الخوارزمي للعلوم عن معالجة الفارابي . (٣٣) و هذا صحيح من خلال الإطار العلم للتصنيف ، لكن التأثير قد ظهر في جوانب متعددة ، منها : معالجة العلوم الشرعية التي لم يذكر منها سوى علمي الفقه و الكلام ، و تقديمه علم الفقه على علم الكلام في الترتيب ، و هذا كما فعل الفارابي . كذلك طريقة ترتيب العلوم العربية التي بدأها بعلم النحو ، ثم الكتابة ، ثم الأدب الذي تمثل في الباب الخاص بالشعر . كما أن تقسيم الشعر عنده هو نفسه عند الفارابي ، فهو يتدرج من العروض إلى القوافي إلى نقد الشعر الذي ذكر عند الفارابي في الجزء الثالث من الشعر ، بما يفحص عما يصلح أن يستعمل في الأشعار من الألفاظ . و هنا نجد المعالجة نفسها مع اختلاط التسميات .

ثانياً : التأثير

كان للطريقة التي نظم بها الخوارزمي العلوم في الفصل بين العلوم النقلية و العلوم العقلية تأثير على كثير من المصنفين العرب المسلمين اللاحقين عليه ، و على رأسهم ابن خلدون الذي استخدم القسمة الثنائية نفسها . كما تأثر ابن الأكفاني بالخوارزمي في أكثر من موضع في تصنيفه ، و منها طريقته في تقسيم المذاهب

الإسلامية المختلفة ، كما نقل عن الخوارزمي كثير من العلوم التي ذكرها الخوارزمي إجمالاً في بعض العلوم دون إعطائها مكاناً محدداً على خريطته التصنيفية ، و منها علم الجبر و المقابلة ، و علم حساب الخطأين ، ضمن فروع علم الحساب ، كما استخدم نفس تقسيم الخوارزمي لعلمي الحساب و الهندسة ، و عد هذا التقسيم أصولاً لتلك العلوم .

هل تأثر الخوارزمي في تصنيفه بتصنيف أرسطو؟

يلاحظ على تصنيف الخوارزمي تحرره من الفكر الأرسطي و النظريات الفلسفية الإغريقية ، فقد ميز بين العلوم العربية الإسلامية الصرفة و العلوم الأجنبية مستخدماً القسمة الثنائية في مقابل التقسيم الثلاثي عند أرسطو . كما أنه أعطى تسميات أخرى للعلوم غير الحكمة النظرية و الحكمة العملية بتقسيم مباشر للمعرفة إلى علم المنطق و الطب و الحساب و الهندسة ، و لذلك جاءت بنية تصنيف الخوارزمي مخالفة تماماً لما وجد عند أرسطو أو غيره من المصنفين من أصحاب الحضارات السابقة عليه .

و قد ذكر العديد من الموضوعات التي لم ترد في تصنيف أرسطو أو غيره من المصنفين ، مثل علم التاريخ و علم الطب و علم الكيمياء ، و مجموعة العلوم الشرعية و العلوم العربية التي هي معطيات المجتمع الإسلامي الجديد . و من الاختلافات الأساسية بين الخوارزمي و أرسطو أن الأخير يذكر الشعر ضمن علوم الفلسفة الإنتاجية ، بينما يذكره الخوارزمي في المكان الصحيح ضمن العلوم العربية ، و هو بذلك قد تنحى به عن أقسام الفلاسفة . و لكن للفكر الأرسطي بعض التواجد على الخريطة التصنيفية للخوارزمي ، و من ذلك تقسيم الخوارزمي علم المنطق إلى تسعة فصول ، هي تقسيمات أرسطو نفسها لعلم المنطق ، و التي تحمل عناوين كتب أرسطو في المنطق . كما تأثر بالفكر الأرسطي في نظريته إلى علم الفلسفة على أنها أم العلوم ، و من هذا المنطلق وضعها في الباب الأول من المقالة الثانية الخاصة بعلوم العجم . كما تأثر الخوارزمي بتقسيم أفلاطون للعلم الرياضي إلى أربعة أقسام فقط ، مستبعداً علم الحيل من فروع العلم الرياضي ، بعكس أرسطو الذي ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الرياضي .

منهج الخوارزمي في التصنيف

اتبع الخوارزمي طريقة القسمة الثنائية ، و ذلك في تقسيمه المعرفة إلى قطاعين هما العلوم الشرعية و ما يتعلق بها من العلوم العربية ، و علوم العجم . ويظهر المنهج الاستنباطي بصورة واضحة في طريقة تقسيم العلوم عند الخوارزمي ، حيث يستند في تقسيمه إلى ذكر العلوم التي موضوعها أخص من موضوع علم آخر ، و التي تسمى علوماً جزئية تحت العلم العام ، و من ثم يسير بطريقة منطقية في تقسيم العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلوم الجزئية التي تدرج تحت العلم العام .

مستوى المعالجة في تصنيف الخوارزمي

يبدأ الخوارزمي كتابه بمقدمة مختصرة يعرض فيها الدافع أو الهدف من وضع الكتاب ، كما يعرض المنهج المتبع في تجميع المصطلحات و عرضها ضمن مجموع العلوم التي حصرها في الكتاب . و يعرض الجدول التالي مجموع الرتب و الفروع التي تضمنها تصنيف الخوارزمي :

تصنيف	الرتب	الفروع		إجمالي
الخوارزمي	على الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	
مفاتيح العلوم	المقالة الأولى في العلوم الشرعية و ما يتعلق بها من العلوم العربية	الفقه	١١	
		علم الكلام	٧	
		النحو	١٢	
		الكتابة	٨	
		الشعر و العروض	٥	
		الأخبار	٩	
	المقالة الثانية في علوم العجم	المجموع = ٥٢		
		الفلسفة	٣	
		المنطق	٩	
		الطب	٨	
		الحساب	٥	
		الهندسة	٤	
		علم النجوم	٤	
		الموسيقى	٣	
		الحيل	٢	
		الكيمياء	٣	
		المجموع = ٤١		
الإجمالي	٢=٢	١٥	٩٣	١٠٨=

جدول رقم (٥) : يوضح توزيع أعداد العلوم المفرعة على كل صف في الخريطة التصنيفية للخوارزمي .

• قسم الخوارزمي المعرفة إلى رتبتين كبيرتين ، هما العلوم الشرعية و العربية ، و علوم العجم . و فرع من كل منهما عدداً من الموضوعات بلغت في المقالة الأولى ستة علوم ، و في المقالة الثانية تسعة موضوعات . ثم عاد ففرع من كل موضوع عدداً من التفريعات ، و هو يقف بالتفريع إلى الصف الثالث ، و لم يزد عليه ، بالرغم من إمكان زيادة التفريع إلى الصف الرابع لاشتمال بعض الموضوعات على الصف الثالث على علوم يمكن إعطائها تفريع على الصف

- الرابع ، و لكنه عالجها مدمجة مع الموضوعات الرئيسية لها على الصف الثالث ، كما فى بعض فصول علم الفقه ، و هذا ما عرضناه سابقاً . و بلغ عدد الفروع على الصف الثانى خمسة عشر علماً ، و على الصف الثالث ثلاثة و تسعين علماً ، و بذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم عنده مائة و ثمانية علوم .
- تتفاوت التفريعات من علم لآخر ، فبعض العلوم تصل إلى أقصى تفريع لها ، حيث يبلغ عدد التفريعات اثنى عشر علماً ، و تقل فى بعض الموضوعات ، كما فى علم الحيل لتصل إلى علمين فقط .
 - كما يلاحظ زيادة عدد العلوم المفرعة من موضوعات المقالة الأولى فى العلوم الشرعية و العربية ، وهذا يعكس اهتمام الخوارزمى بإبراز العلوم الشرعية و العربية ، وإمعانه فى الإحاطة بكل تفريعاتها . كما أن له تفسيراً حضارياً يعكس مدى تقدم هذه العلوم على زمن الخوارزمى ، و خاصة أن تصنيفه يعد انعكاساً للحياة الفكرية و الحضارية فى المجتمع الإسلامى .
 - يمثل علم المنطق ، و هو من علوم المقالة الثانية ، أعلى تفريع ، بحيث يبلغ تسعة علوم . و يليه علم الطب ، حيث يصل التفريع فيه إلى ثمانية علوم . و إذا كان فى العلم الأول ناقلاً نفس عدد العلوم المفرعة عند أرسطو ، فإنه يعكس فى العلم الثانى مدى اهتمام المسلمين بعلم الطب ، و ما وصل إليه من تقدم . و هذا أمر طبيعى لأن علم الطب أول العلوم التى اهتم بترجمتها المسلمون ، و شجعوا على البحث فيه لما اقتضته متطلبات الحياة الحضارية الجديدة للعرب .
 - يتفاوت التفرع فى علوم المقالة الثانية ما بين ثلاثة إلى خمسة علوم مفرعة من كل موضوع .

التماسك والاتساق

يلاحظ التماسك على الخطة التصنيفية للخوارزمى ، فهو لم يحدث أية قفزات مخرطة بتصنيفه، وإنما سار فى التصنيف معالماً كل موضوع بتفريعاته دون القفز من موضوع إلى آخر ، و العودة لمعالجة الموضوع الأول . و لكن يعيب تصنيف الخوارزمى عدم معالجة علم الطب و الكيمياء متتاليين لأنسهما ينتميان إلى العلم الطبيعى كما أشار فى الفصل الأول عن الفلسفة و تقسيماتها .

و يلاحظ الاتساق فى تفريع كل الموضوعات التى تقف كلها بشكل متوازن على الصف الثالث ، كما أن أعداد التفريعات لكل موضوع على الصف الثانى كانت متقاربة فيما عدا عدد قليل من الموضوعات ، مثل علم النحو ، حيث يلاحظ الزيادة فى عدد الفروع ، أو علم الحيل الذى يقل عدد العلوم المفرعة منه .

و أخيراً يمكن القول بأن الخوارزمى قدّم رؤية تصنيفية جديدة تختلف عن تصنيفات من سبقه من المصنفين ، كما كانت له إضافات سواء فى طريقة التقسيم أو ما ذكره من علوم أخذها عنه من أتى بعده من المصنفين .

و ننقل إلى تصنيف جديد يعد حلقة أضافت الكثير إلى علم التصنيف ، و هو تصنيف ابن النديم .

ثالثاً : تصنيف ابن النديم (ق ٤ هـ)

يرى بعض الدارسين و الباحثين أن أعظم كتابين أنتجتهما الثقافة العربية الإسلامية ، هما : كتاب الفهرست لابن النديم ، و كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندي ، فالمطالع لكتاب الفهرست يرى أنه كتاب جامع لتاريخ الأدب العربى (٣٤)

الهدف من تصنيف ابن النديم

يوضح ابن النديم (٣٥) الهدف من كتابه فى عبارة موجزة فى بداية كتابه ، وفيها ذهب إلى أن هدفه الرئيسى هو حصر الكتب المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إلى العربية التى ورقت (نشرت) بالعالم الإسلامى فى مختلف العلوم و تسجيلها مع التعريف بمؤلفيها . و قد تطلب ذلك تصنيف الإنتاج الفكرى ، أى توزيع الكتب على فروع المعرفة البشرية ، مع التعريف بكل فرع من فروعها و شرحه ، و من هنا فابن النديم لم يعتمد مباشرة إلى تصنيف المعرفة ، و إنما جاء تقسيم المعرفة لتقسيم الكتب من خلالها ، و لذلك فإننا لا نجد فلسفة بعينها تقف وراء التقسيم ، و إنما برزت مدرسة جديدة فى التصنيف .

تصنيف ابن النديم

قدم ابن النديم تصنيفه للمعرفة من خلال كتابه الفهرست ، و ينتمى تصنيفه إلى المدرسة الثانية فى التصنيف ، و هى التى تعتمد على تقسيم المعرفة بناء على

الإنتاج الفكرى الفعلى ، فقد حصر الإنتاج الفكرى الذى من خلاله قام بتقسيم المعرفة ،
و هو بذلك قد اعتمد السند الأدبى الذى قال به ويليام هالم . (٣٦)

خطة ابن النديم فى التصنيف

قسم ابن النديم المعرفة على عشرة مقالات ، و كل مقالة إلى عدة فنون على النحو
التالى : (٣٧)

المقالة الأولى :

الفن الأول : وصف لغات الأمم من العرب و العجم ، و نعوت أقلامها و
أنواع خطوطها و أشكال كتاباتها .
الفن الثانى : أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين و مذاهب
أهلها .

الفن الثالث : فى نعت الكتاب الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد ، و أسماء الكتب المصنفة فى علومه ، و أخبار القراء .

المقالة الثانية : فى النحو واللغويين

الفن الأول : فى ابتداء النحو و أخبار النحويين البصريين و فصحاء العرب .
الفن الثانى : فى أخبار النحو و النحويين و اللغويين الكوفيين .
الفن الثالث : فى ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين .

المقالة الثالثة : فى الأخبار والآداب والسير والأنساب

الفن الأول : فى الأخباريين و الرواة و النسابين و أصحاب السير
والأحداث .

الفن الثانى : فى أخبار الملوك و الكتاب و المترسلين و عمال الخراج
وأصحاب الدواوين .

الفن الثالث : فى أخبار الندماء و الجلساء و الأدباء و المغنين و الصفادسة
والصفاعة و المضحكين .

المقالة الرابعة : فى الشعر والشعراء

الفن الأول : فى طبقات الشعراء الجاهليين و الإسلاميين ممن لحق الجاهلية و صنّاع دواوينهم .

الفن الثانى : فى طبقات الشعراء الإسلاميين و المحدثين إلى عصرنا هذا (ابن النديم) .

المقالة الخامسة : فى الكلام والمتكلمين

الفن الأول : فى ابتداء الكلام و المتكلمين من المعتزلة و المرجئة .

الفن الثانى : فى أخبار متكلمى الشيعة و الإمامية و الزيدية .

الفن الثالث : فى أخبار متكلمى الجبرة و الحشوية .

الفن الرابع : فى أخبار متكلمى الخوارج و أصنافهم .

الفن الخامس : فى أخبار السباح الزهاد و العباد و المتصوفة و المتكلمين على الوسوس والخطرات .

المقالة السادسة :

الفن الأول : فى أخبار مالك و أصحابه .

الفن الثانى : فى أخبار أبى حنيفة النعمان و أصحابه .

الفن الثالث : فى أخبار الإمام الشافعى و أصحابه .

الفن الرابع : فى أخبار داود و أصحابه .

الفن الخامس : فى أخبار فقهاء الشيعة .

الفن السادس : فى أخبار فقهاء اصحاب الحديث و المحدثين .

الفن السابع : فى أخبار أبى جعفر الطبرى و أصحابه .

الفن الثامن : فى أخبار فقهاء الشراة .

المقالة السابعة : فى الفلسفة والعلوم القديمة .

الفن الأول : فى أخبار الفلاسفة الطبيعيين و المنطقيين

الفن الثانى : فى أخبار أصحاب التعاليم : المهندسين ، و الأرثمسطيقيين ،

والموسيقيين ، و الحساب ، و المنجمين ، و صنّاع الآلات ، و أصحاب الحيل

والحركات .

الفن الثالث : ابتداء الطب ، و أخبار المتطبيين من القدماء و المحدثين .

المقالة الثامنة : فى الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة .

الفن الأول : فى أخبار المسامرين و المخرفين و المسطورين .

الفن الثانى : فى أخبار المعزمين و المشعبدین و السحرة .

الفن الثالث : فى أسماء الكتب المصنفة فى معان شتى .

المقالة التاسعة : فى المذاهب والاعتقادات .

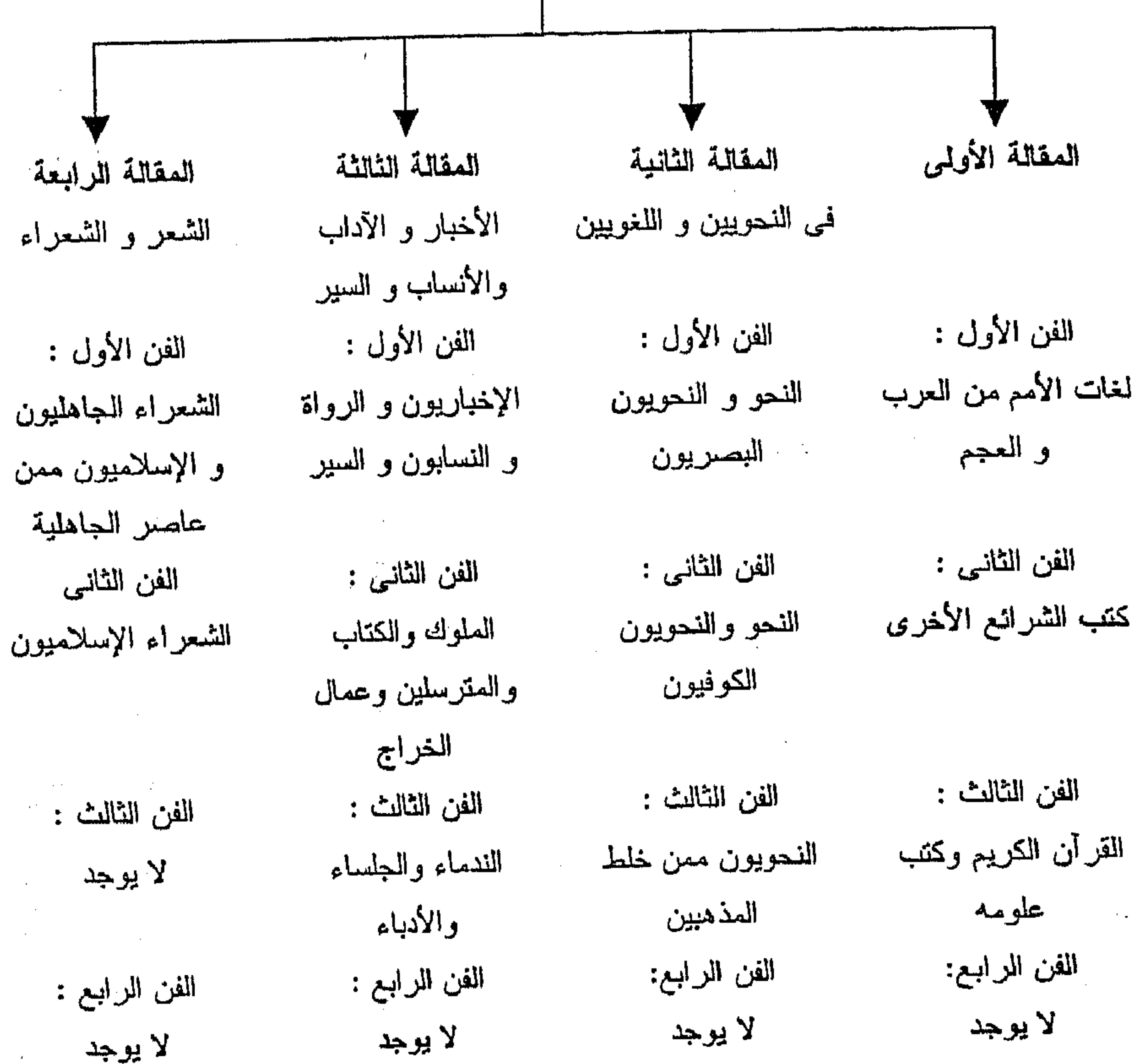
الفن الأول : فى مذاهب الحرائية و الكلدانيين المعرفين فى عصرنا بالصابئة ،

ومذاهب التنوية من المنانية و الديصانية و الخرمية و المرقيونية والمزدكية .

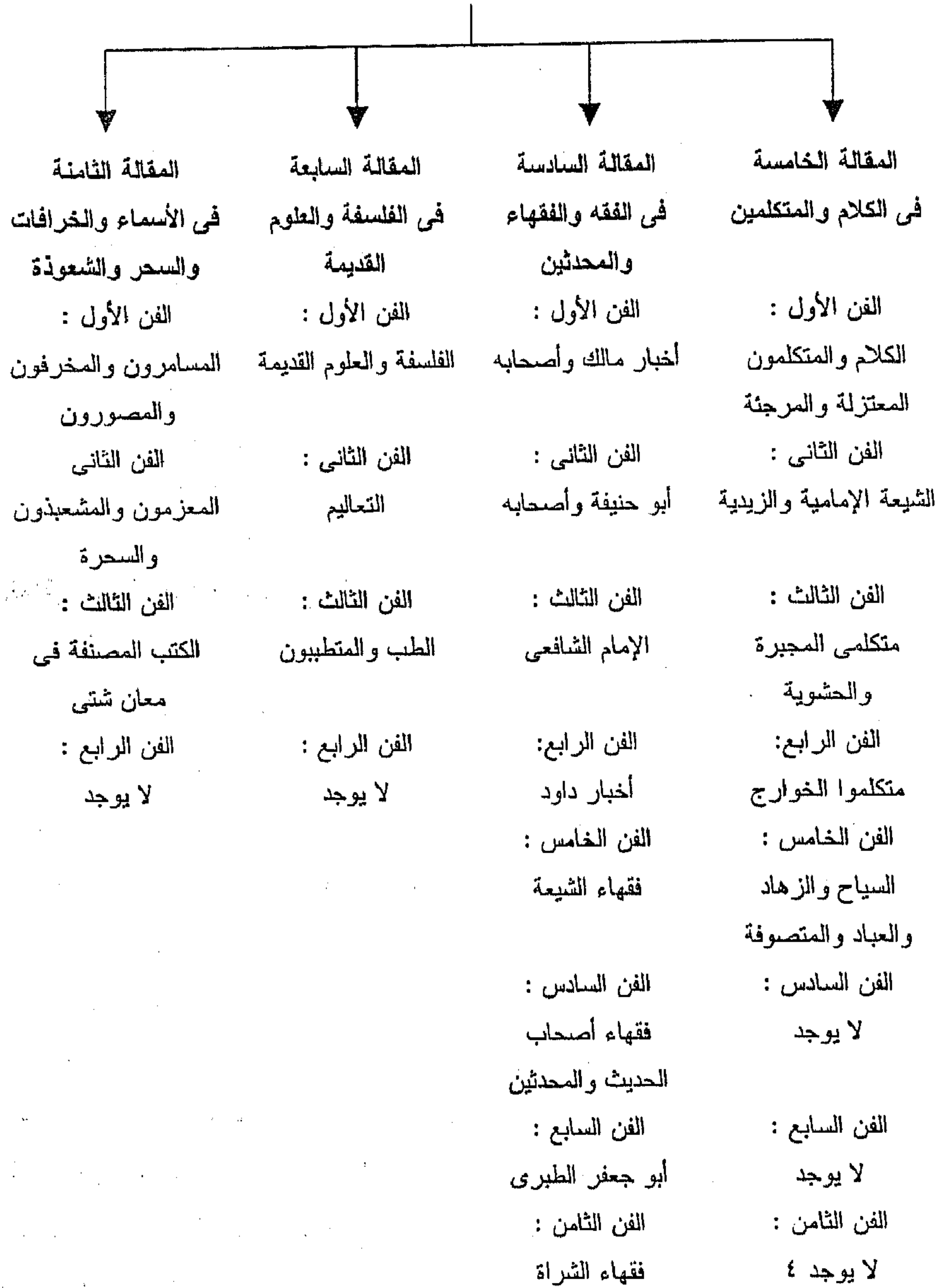
الفن الثانى : فى وصف المذاهب الغربية الطريقة كمذاهب الهند و الصين .

المقالة العاشرة : فى أخبار الكيميائيين و الصناعيين من الفلاسفة القدماء و المحدثين .

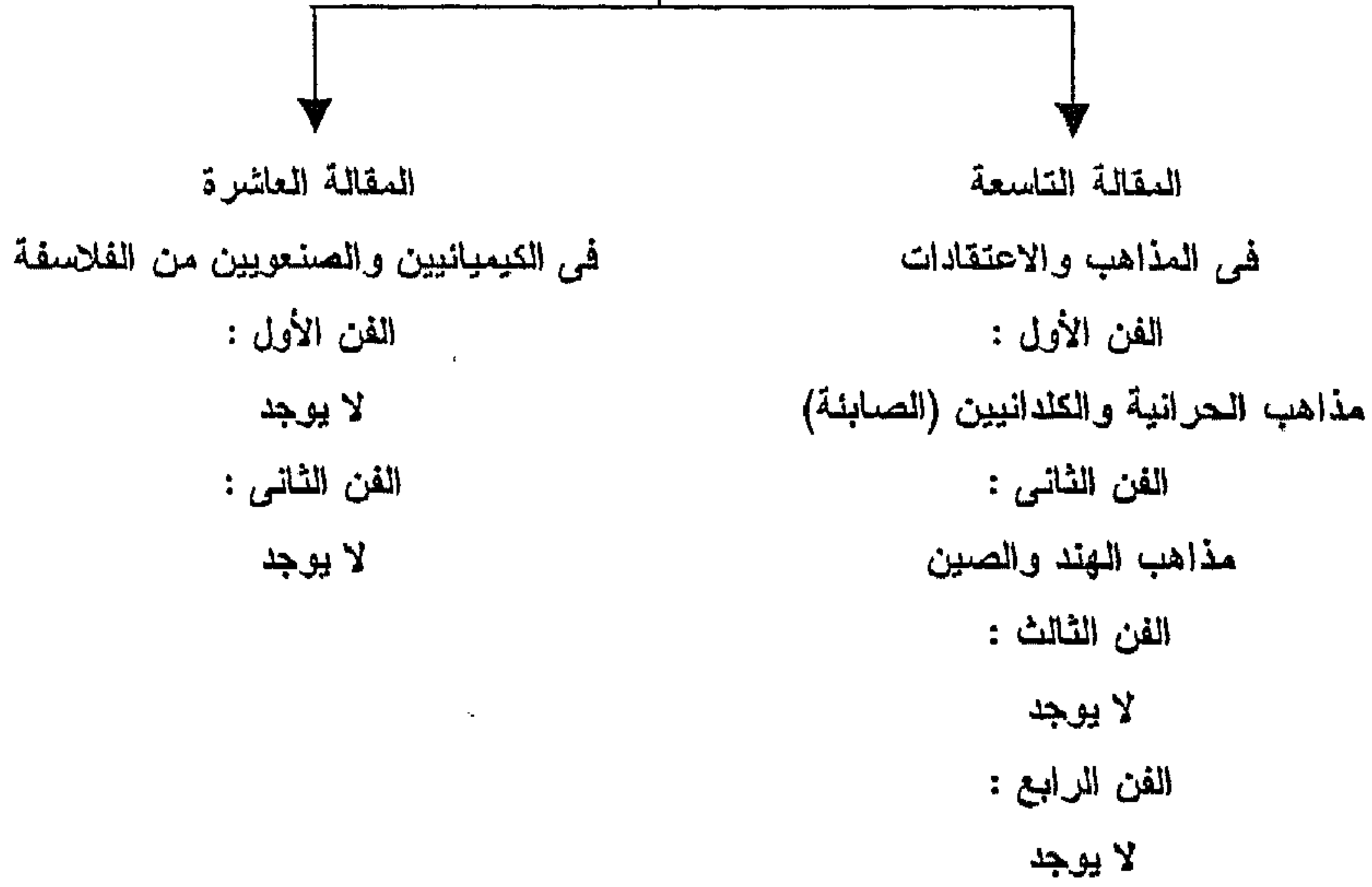
مخطط هيكلى لتصنيف ابن النديم يوضح المقالات العشر و الفنون المفرعة عنها



تابع المخطط الهيكلي لتصنيف ابن النديم



تابع المخطط الهيكلي لتصنيف ابن النديم



منطق تصنيف العلوم عند ابن النديم

أشار بعض الباحثين إلى أنه لا توجد أية فكرة فلسفية وراء تصنيف ابن النديم للكتب على المنوال السابق ، و أننا لا نستطيع أن ندعى أن هناك ترتيبا تاريخيا وراء هذا التقسيم . (٣٨) و عقب عليه بأن ابن النديم قد أولى التسلسل التاريخى لظهور الموضوعات و تأليف الكتب فيها عناية كبيرة ، كما رأى تقدم الموضوع الأكثر أهمية من وجهة نظره فيما لم يلتزم فيه بالترتيب التاريخى . (٣٩) و لكن تقسيم العلوم عند ابن النديم تقسيم منطقى معتمد على الأسلوب العلمى ، حيث نلاحظ أن تتابع المقالات قد جاء بصورة منطقية ، فكل مقالة تخدم ما بعدها ، و المقالة اللاحقة مستفيدة مما سبقها ، و هذا يشبه مبدأ الاعتماد فى العلوم *Dependence* الذى نادى به ” أوجست كونت “ و تبعا لمنطق عصره و نظرتة للمعرفة نجده يفرق بين العلوم الشرعية و العربية ، و العلوم العقلية الأجنبية ، فيخصص المقالات الست الأولى للعلوم الشرعية و العربية ، و الأربع مقالات الأخيرة تمثل الفكر الأجنبى أو الإنتاج الفكرى فى المجالات العقلية .

تبدأ المقالة الأولى فى وصف لغات الأمم جميعا ، و طريقة الكتابة فيها ، وهذه المقالة بداية صحيحة ، فبداية الإنسان مع المعرفة كان عن طريق اللغة ، فهى

وسيلة الاتصال المعرفية التي عن طريقها بدأ الإنسان في صياغة تجاربه و معارفه ، كما أنها تعد وسيلة للتواصل الحضاري و الفكري عبر العصور ، و تعد دراسة الكتابة عند كل أمة المدخل لما يأتي بعدها من علوم ، لأن المعرفة كلها تعتمد في صياغتها و نقلها على اللغة و الكتابة ، و ألحق في هذه المقالة الكتب السماوية ، و قد كان هذا موضع نقد من الباحثين لجمعه علم اللغة مع علم ديني ، و لكن ما فعله هو فعل مصنف مدرك لموقع كل علم ، فاللغة و العلوم الدينية يستفيد كل منهما من الآخر ، و هذا ما يسمى بتبادل الاعتماد بينها ، كما أن تقديمه للكتب المقدسة يرجع إلى قدسيتها و أهميتها ، فإذا كان عمله يقوم أصلا على حصر الكتب فأهم الكتب وأعظمها هي الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه . و هو يتدرج بها من آدم إلى الإنجيل ، و هو هنا يمهد للدين الإسلامي و القرآن الكريم الذي هو أكمل الديانات . فهذه المقالة بداية صحيحة و تمهيد لما يأتي بعدها من علوم ، و تليها المقالة الثانية في النحو و اللغة العربية ، و إذا كان الدكتور عبد الوهاب أبو النور يرى أنه كان من الواجب أن يستكمل ابن النديم في المقالات التالية علوم الدين ثم اللغة ثم التاريخ والأخبار ، و لكنه لم يفعل . فإننا نرى أن ابن النديم كان موقفا في جعل المقالة الثانية في النحو و اللغة العربية ، فقد استخدم مبدأ تبادل الاعتماد ، فالقرآن الكريم ، الذي ورد في المقالة الأولى قبل النحو مباشرة ، هو المصدر الأصلي لجامعي اللغة العربية ، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية معينة للغويين و النحويين ، كما أن أساليبه البلاغية لها تأثير كبير في الدراسات البلاغية . (٥٢) و من هنا فالمقالة الثانية في موضعها الصحيح من حيث اعتمادها على ما سبقها من علوم القرآن ، و هي تعد علما خاصا جاء في ترتيبه المنطقي بعد العلم العام ، و هو علم اللغة الذي عالجه عند كل الأمم في الفن الأول من المقالة الأولى . و تعد هذه المقالة بما يتبعها من علوم عربية المقدمة لدراسة العلوم الدينية التي تليها ، فعلوم الدين يتوقف فهمها على تعلم اللغة العربية ، ثم تأتي المقالة الثالثة في علم الأخبار . و قد نرى في ذلك كسرا في الوحدة الموضوعية ، و كان من الواجب عليه أن يأتي بالشعر لارتباطه المباشر بالنحو ، ولكن تقديمه علم الأخبار الذي يدرس فيه الأسانيد و التراجم مقدمة مهمة للمقالة الرابعة في الشعر و الشعراء لمعالجتها جامعي الأشعار ، و ليس الشعر نفسه ، و هنا

فعلم الأخبار يتقدم تاريخيا على حركة جمع الشعر ، كما تحتاج مسألة جمع الشعر إلى التحقيق فى سند من ينسب إليه الشعر ، و هذا ما يقدمه علم التاريخ بالإضافة إلى أنه يعطينا ترجمة للشاعر و القائم على جمع الشعر . كما لا تخلو أسبقية علم الشعر للعلوم الدينية من المنطقية ، فقد استخدم الشعر أحيانا فى تفسير القرآن الكريم ، وممن اتبع ذلك عبد الله بن عباس — رضى الله عنه — ثم يعرض العلوم الدينية فيقدم علم الكلام على الفقه لأنه يختص بإثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ، ويبحث موضوعه فى إثبات وجود الله و صفاته . فمن المنطق تقديمه على علم الفقه الذى يبحث فى العبادات و وجوه التحريم و الحلال ، و لذلك فإن اتباع الأحكام الشرعية التى يدور حولها علم الفقه لا يبحث عنه الإنسان إلا بعد ثبوت العقيدة ، و هو ما يدور حوله علم الكلام . وجاء تأخير علم الفقه عن كل العلوم الدينية لأنه العلم الذى تصب فيه العلوم الدينية جميعا .

ثم ينتقل إلى مجموعة العلوم الأجنبية ، و يبدوها بالمقالة السابعة التى هى فى الفلسفة و العلوم القديمة ، و التى جاء ترتيبها طبيعيا بالنسبة إلى القسم الثانى من العلوم ، حيث نلاحظ الترتيب المنطقى لعلومها ؛ فقد بدأ بمجموعة العلوم الفلسفية ذات الأهمية الكبرى التى تحظى بعدد أكبر من المؤلفات ، فقد بلغت ١٣٣٣ بنسبة ٢٠,٦٢% من جملة الكتب المحصورة فى الفهرست (٤٢)، و تلتها المقالة الثامنة فى الأسمار و الخرافات و العزائم التى تأتى بعدها فى الأهمية . ثم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية ، و قد وضعها تالية بعد المقالة الثامنة ، و ذلك لارتباط موضوعيهما ، حيث توجد علامة متداخلة بين المعتقدات الدينية الوثنية القديمة والمعتقدات الممارسة فى السحر ، و هذا الموضوع محل بحث علماء الأنثروبولوجيا منذ القرن التاسع عشر . (٤٣) و قد عكس هذه العلاقة فهرس مكتبة معبد إدفو فى الحضارة الفرعونية القديمة الذى تناول الأعمال فى السحر إلى الكتب الخاصة بالمعبد و الكهنة ، فقد كان للسحر دور بارز فى الديانة المصرية القديمة التى تمثل نوعا من الديانات الوضعية ، ثم تأتى المقالة العاشرة فى علم الكيمياء ، و مكان هذا العلم على خريطة التصنيفية غير مقبول ، فكان من الأفضل معالجة هذا العلم مع فنون المقالة السابعة الخاصة بالعلوم العقلية باعتباره ينتمى إلى العلم الطبيعى ، و لكن قد يكون

هناك مبرر خاص لدى ابن النديم في نظريته إلى هذا العلم ، فالبعض لم يعترف بهذا العلم ، و عدوه قرينا للسحر و الطلسمات مثل ابن خلدون . (٤٤) حتى إننا نجد ابن النديم في حديثه عن بعض من يترجم لهم في المقالة العاشرة يشير إلى اشتغاله وشهرته في السحر و الشعوذة إلى جانب اشتغاله بالكيمياء ، و منهم ابن وحشية . (٤٥) و نتيجة هذه النظرة إلى علم الكيمياء جعلت ابن النديم يرجح وضعه بعد علوم السحر و الشعوذة باعتباره امتدادا له ، و قد يرجع إلى شهرة هذا العلم و أهميته على عصر ابن النديم ، و اهتمام الناس به ، و إقبال القراء و الكتاب على طلب كتب هذا العلم ، و ما يدل على ذلك كثرة التأليف في هذا العلم ليصل عدد كتبه إلى ثلاثمائة و سبعين . و بخاصة أن مهنة الوراقه مكنته من الإحاطة بشهرة هذا العلم ومدى إقبال العلماء و القراء على كتب الكيمياء . هذا عن طريقة ابن النديم في ترتيب الأقسام الرئيسية في كتابه ، التي يمثل كل منها مقالة . أما عن طريقة ترتيب الفروع من هذه الأقسام أو الفنون داخل كل مقالة ، فقد اتبع ابن النديم طريقة التسلسل التاريخي مع استخدام المنطق أحيانا أخرى . عالج ابن النديم في المقالة الأولى ثلاثة فنون ، اختص الأول منها بنشأة اللغة و تطورها بشكل عام ، سواء في الأمة العربية أو غيرها من الأمم المعروفة للعرب في ذلك الوقت ، وهي تعد مدخلا طبيعيا للتصنيف ، فأول معرفة الإنسان تكون عن طريق اللغة ثم الكتابة ثم الكتاب ، و بذلك تعد هي بداية كل المعرفة ، و يأتي الفن الثاني و الثالث في الكتب المقدسة ، ويعرض الموضوعات فيهما حسب التسلسل التاريخي ، فلا يقدم الدين الإسلامي ، و هو آخر الديانات السماوية على غيره من الديانات ، و إنما يعرض للكتب السماوية من أول آدم وصولا إلى الدين اليهودي ثم المسيحي ، ثم يخصص الفن الثالث للقرآن الكريم . وفي المقالة الثانية يعرض لثلاثة فنون ، نلاحظ أيضا الترتيب التاريخي لظهور العلوم فيها ، فالفن الأول في اللغة و النحويين البصريين ، ثم الفن الثاني للكوفيين ، و الفن الثالث فيمن خلط المذهبين . و نلاحظ هنا التقسيم التاريخي المنطقي ، فقد سبق البصريون الكوفيين في النحو ، ثم ظهر من العلماء الذين خلطوا المذهبين معا ، و هو يصرح بالسبب في تقديمه البصريين على الكوفيين في قوله : ” إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية أخذ عنهم ، و لأن البصرة أقدم بناء من الكوفة “ . (٤٦) و من هنا

يصرح باتباعه التقسيم التاريخي المنطقي لموضوعات هذه المقالة . و يعرض في المقالة الثالثة ثلاثة فنون ، و نلاحظ فيها التسلسل التاريخي المنطقي للموضوعات ، فظهور الرواة و النسابين سابق على الملوك في الدولة الأموية ، ثم ظهر الملوك وكتابهم . ثم ظهر الندماء و الجلساء و الأدباء و المضحكين في مجالس الملوك . و نجد ابن النديم يتابع التسلسل المنطقي في فنون المقالة الرابعة ، فيبدأ بشعراء الجاهلية والإسلاميين الذين لحقوا بالجاهلية ، ثم الشعراء المحدثين إلى زمن ابن النديم . ويتابع التسلسل التاريخي لعرض موضوعات المقالة الخامسة ، فيبدؤها بالمعتزلة و المرجئة لأنهم خرجوا في أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني الهجري ، فقد اعتزلوا مجلس الحسن البصري عام ١١٠ هـ . و يخصص الفن الثاني للشيعة ، وتأتي في تسلسلها التاريخي بعد المعتزلة لأن أشهر مؤلفي الشيعة ، و هو هشام بن الحكم توفي في أواخر القرن الثاني الهجري . (٤٧) و قد قدم المعتزلة و الشيعة لاهتمامهم بالمذاهبين ، كما زعم البعض أنه كان منهم . و يأتي الفن الثالث لأهل السنة ، و الرابع للخوارج . و قد أخرج الخوارج بالرغم من ظهورهم في القرن الأول الهجري لاهتمامهم بالمعتزلة و الشيعة . و يأتي الفن الخامس في تسلسله التاريخي نظرا لأن الزهاد و المتصوفة و العباد ظهروا في العصر العباسي ، الأول كاتجاه مضاد لحياة البرزخ و الترف التي عاشها العباسيون ، و يقسم فنون المقالة السادسة في الفقه إلى ثمانية . و يرتب فنونها حسب الأهمية ، و بعضها حسب التسلسل التاريخي ، فبدأ بالمذاهب ذات الأهمية و هي المشهورة ، فقدم مذهب الإمام مالك و ثنى بالإمام أبي حنيفة بالرغم من معاصرتهما بعضهما ، إلا أن تقديم الإمام مالك لكونه من أهل البيت الذي يتشيع له ابن النديم . ثم يأتي الفن الثالث في الإمام الشافعي و أصحابه ، و هو في تسلسله التاريخي ، ثم الفن الرابع لداود بن علي و أصحابه ، و قد كان في عام ٢٧٠ هـ و هو هنا في تسلسله التاريخي ، ثم الفن الخامس في فقهاء الشيعة ، وبالرغم من تقدمهم تاريخيا إلا أنه قدم المذاهب المشهورة عليهم . ثم الفن السادس في فقهاء المحدثين ، و هم في تتابعهم التاريخي أيضا . و الفن السابع للطبري و أصحابه عام ٣١٠ هـ ، و هم في موضعهم الطبيعي . ثم الفن الثامن في الفقهاء الشراة ، و بالرغم من معاصرتهم فقهاء الشيعة إلا أنه قد أخرجهم لقلتهم و عدم شهرة مذهبهم . و يرتب

فنون المقالة السابعة ترتيباً يذكّرنا بتقسيم المعرفة عند أرسطو ، فهو يبدأ بالمنطق الذي يسبق غيره من العلوم لكونه آلة لها ، ثم علوم الرياضيات ، ثم علم الطب الذي يمثل العلم الطبيعي ، و هذا الترتيب هو ما وجدناه عند كل المصنفين المتأثرين بفلسفة أرسطو ، مثل الفارابي و ابن سينا ، فهو هنا قد استخدم الترتيب المنطقي لعلوم هذه المقالة ، و هو في المقالة الثامنة يوازي بين فنونها في الأفضلية ، فيقدم المسلمين و المخرفين لأنهم أفضل عملاً من المشعوذين و السحرة و أصحاب الحيل و الطلسمات الذين يعد عملهم باطل ينكره الإسلام . ثم يخصص الفن الثالث لمعان شتى ، و يجمع فيه كل علم لا نجد له مكاناً على خريطته التصنيفية ، حيث يعرف مجموعة من الموضوعات معا ، بعضها ينتمي إلى مجال الترفيه ، مثل كتب في الخرافات أو الباطنة (الجنس) . و بعض الموضوعات تنتمي إلى الحروب ، و هذا الموضوع لم يفتن إليه غيره من المصنفين سوى طاشكبرى زادة . كما أورد كتباً تنتمي إلى العلم الطبيعي مثل كتب البيطرة و علاج الدواب ، و صفات الخيل ، و إن كانت تعالج في العصر الحديث ضمن العلم البيطري . كما ذكر كتباً في المواعظ و الآداب و الحكم ، و هي تدخل في العلم المعروف في عصرنا الحديث بعلم الاتيكيت . كما ذكر موضوع الطبخ الذي يعالج ضمن علوم التدبير المنزلي حديثاً ، و قد سبق ذكره عند الخوارزمي تحت علم الطب ، و هو يدل على عدم اكتمال الصورة الوضعية لهذا العلم . كما أورد كتباً تنتمي إلى علم الصيدلة و أسماها كتباً مؤلفة في السموم و عمل الصيدلة ، و هو بذلك قد عرض موضوعات تنتمي لعلوم مختلفة ، و يرجع ذلك إلى :

- ١- عدم نضج هذه الموضوعات ، و الدليل على ذلك أن مجموع الكتب التي يعرضها تحت كل موضوع قليل ، و هذا يدل على أن محاولات التأليف فيها بدائية و ضعيفة .
- ٢- عدم قدرة ابن النديم من إيجاد مكان مناسب لها على خريطته التصنيفية ، أو إمكانية جعلها فرعاً من فروع علم آخر ، و لكن يحمدها إبرازها و إعطاؤها اسم موضوع تنتمي إليه . و يمكن أن نطلق على هذا الفن اسم معارف أخرى أو موضوعات متنوعة ، كما يتم في تصانيف العصر الحديث من إعطاء عنوان لمجموعة من المعارف الجديدة لم يتضح انتمائها المعرفي ، و لم يظهر فيها إنتاج فكري ، و هذا ما حدث فعلاً في تصنيف ابن النديم ، فهو بذلك سابق لعصره . و

ننتقل إلى المقالة التاسعة حيث يرتب فنونها على أساس شهرتها و مدى قربها أو بعدها عن الأمة الإسلامية ، فيبدأ بالحرانية و الكلدانية لقربهم من بلاد الإسلام ، بل إن بعضهم يعيش في بلاد المسلمين . ثم ديانات الهند و الصين لبعدها و عدم شهرتها بالنسبة إلى العرب و المسلمين .

قواعد التصنيف المستخدمة عند ابن النديم

من استقراء تقسيم ابن النديم للعلوم نلاحظ استخدامه لقاعدة أساسية في تصنيفه، و هي علاقة التبعية أو الشمول ، فهو يقسم العلوم إلى مجموعة من الأقسام الرئيسية ، و هي المقالات العشر ، ثم يتدرج بها إلى أقسام فرعية ؛ أي ينتقل من العام إلى الخاص . كما أنه يحافظ على علاقة التجاور بين الموضوعات ، فيعالج الموضوعات المتشابهة إلى جانب بعضها ، و لو أدى إلى كسر قاعدة الترتيب ، و هو التسلسل التاريخي للعلوم الذي غلب على أساس التقسيم ، فنجد يجمع موضوعات العلوم العربية متجاورة ، ثم موضوعات العلوم الشرعية ، و يعالج مجموعة العلوم الفلسفية في مقالة واحدة .

كما عكس تصنيف ابن النديم ما يعرف في التصنيف الحديث بالفئة المفضلة *Fevoured Category* . (٤٨) أي تقديم الموضوعات التي تهتم بها الأمة ؛ أي الموضوعات ذات الصبغة المحلية ، وهذا ما وجدناه في تقديم الأقسام الخاصة بعلوم الدين الإسلامي و العلوم العربية ، وهذا ما تفعله التصنيف الحديث ، حيث يأتي ترتيب الأقسام عندها انعكاساً لفكرها ، ففي تصنيف ديوى يقدم دراسة اللغة الإنجليزية و الأدب الأمريكى و الإنجليزى على غيره من اللغات أو الآداب الأخرى ، كذلك فى الدين يبرز الدين المسيحى و يعطيه سبعة أقسام من مجموع الأقسام العشرة المخصصة للديانات . كما يعكس التصنيف الهندى الكلاسيكيات الهندية و الكتب المقدسة مع أسمائها الخاصة سواء فى الطب أو فى التجربة الروحية و السحر ، أو فى الفنون الجميلة أو الآداب أو اللغة أو الدين أو الفلسفة الهندية . كما نجد التصنيف السوفيتى يبدأ بالماركسية اللينينية ، باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين، ثم يصيغ أقسامه بعد ذلك بالتفسير المادى للمعرفة و الماركسية اللينينية . و هكذا لو

تتبعنا التصنيف عند كل أمة فسوف نجد لكل أمة و لكل عصر خصوصيات فى التصنيف تعكس فكر الأمة ، و هذا ما وجدناه عند ابن النديم .

تقييم محاولة ابن النديم فى التصنيف

يلاحظ على تصنيف ابن النديم أنه جمع فى المقالة الأولى موضوع لغوى مع موضوع دينى ، وكان من الأفضل تخصيص المقالة الأولى لعلم اللغة ، و فصل موضوع الكتب السماوية و الديانات السماوية و جعله فى مقالة أخرى . و قد يكون حرصه على التقسيم العشرى لموضوعات المعرفة أدى إلى هذا الجمع ، و لعدم إيجاد مكان آخر على خريطته التصنيفية مناسب فى نظره لموضوع اللغة و الكتابة ، و اعتبارها مقدمة مباشرة للكتب السماوية ، و هذا يعكس مدى الارتباط بين دراسة اللغة و دراسة القرآن الكريم ، و يعكس هذا الترتيب النشأة التاريخية للعلوم عند العرب ، فأول العلوم التى انبثقت عن الإسلام هى دراسة علم اللغة ، و تلتها دراسة علوم القرآن الكريم . و يلاحظ على موضوعاته إدراج علم التاريخ فى مجموعة العلوم العربية لا الشرعية ، و هذا يعكس طبيعة هذا العلم كعلم مساعد للعلوم الشرعية، و لا يعد أحد علومها .

و يفرد ابن النديم مقالتين لموضوعات لا تدخل فى جملة العلوم ، و منها موضوعات يرفضها الإسلام ، و هما المقالة الثامنة التى فى السحر ، و المقالة التاسعة التى فى الديانات الوضعية ، و قد يبرر ذلك كون تصنيفه من التصانيف البيبليوجرافية التى تتصف بالشمولية لكل المعرفة بغض النظر عن موقف البعض منها من حيث كونها صحيحة أو مزيفة ، علوم باطلة أو محرمة ، فما دام لهذا العلم كتب فلا بد من الإشارة إليها و تصنيفها ، و يجرنا ذلك إلى ملاحظة أخرى ، و هى فصله الديانات السماوية عن مجموعة الديانات الأخرى الوضعية ، فهو بالرغم من ذكره الديانات الوضعية لا يعد ذلك اعترافاً منه بها ، أو من عصره بها ، و لهذا جاء الفصل بينها لتمييز الصحيح من الزائف ، فنجده يقدم الديانات السماوية فى المقالة الأولى ، و يؤخر الديانات الوضعية ، و يجعلها لاحقة للعلوم الزائفة و الباطلة: علوم السحر و الطلسمات .

ملاحظات على تنظيم المادة العلمية داخل الفهرست

يعالج الفهرست تحت كل فن العلم أو الموضوع ، و أول من ألف فيه ، ثم يسرد المؤلفين ، و تحت كل منهم الكتب التي ألفها كل واحد منهم في هذا العلم . و إذا كان للمؤلف تخصصات عديدة فإنه يوزع كتبه على التخصصات المختلفة ، كما فعل مع إبان اللاحق في الفن الثاني من المقالة الثالثة . فقد ذكره و ذكر مجموعة من الكتب التي ألفها ، و هي :

- كتاب كليلة و دمنة .
- كتاب سيرة أردشير .
- كتاب سيرة أنو شروان .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب رسائل .
- كتاب حلم الهند .

كما ورد ذكر إبان اللاحق في الفن الثاني من المقالة الرابعة ، و ذكر معه مجموعة من كتبه في هذا الفن ، و هي :

- كليلة و دمنة .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب سندباد .
- كتاب مزدك .
- كتاب الصيام و الاعتكاف .
- كتاب مردوك .

و هنا نرى اختلاف مجموعة الكتب ، فلم يكرر سوى كتابين يراهما مشتركين في الفنين . و كذلك مع إبراهيم بن المهدي بن محمد بن علي بن عبد الله ، ورد ذكره مع كتبه في الفن الثاني من المقالة الثالثة ، و عاد فذكره بدون كتبه في الفن الثاني من المقالة الرابعة ، و مرة ثالثة ذكره مع كتاب واحد له ، و هو كتاب آداب إبراهيم بن المهدي في الفن الثالث من المقالة الثامنة . وفي حالة ترجمته للشخص الواحد في موضوعين يذكر موضوعاته في أحدهما ، كما في ترجمته للكسائي في موضوعين ،

ذكر كتبه في أحدهما ، أو يذكر مؤلفاته الخاصة بكل فن في موضعها . وكما فعل في ترجمة الصولي مع الأدباء ، فذكر كتبه في الأدب ، و عاد وترجم له مع الشطرنجيين فذكر رسائله في الشطرنج . وهذا أمر طبيعي لمن يلتزم بالترتيب الموضوعي . و قد يحدث تكرار بعض الكتب ، نتيجة اشتغال الكتاب على أكثر من موضوع كما سبق أن عرضنا في كتب إبان اللاحق . ويغلب على تصنيف ابن النديم ترتيبه للمؤلفين حسب تاريخ الوفاة ، فلو أننا تتبعنا الفنون داخل المقالات لوجدناه يبدأ بنشأة العلم ، و يسرد المؤلفين من بدايتهم إلى عصره ، و قد يكون من بينهم من لم يذكر له تاريخ وفاة ، فإنه يحاول وضعه في مكان أقرب إلى الصواب ، و ذلك على سبيل التخمين . وبالنسبة إلى ترتيب الكتب فلم يخضعه إلى أى نوع من الترتيب .

مميزات تصنيف ابن النديم و عيوبه

يتميز تصنيف ابن النديم ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه بعض المآخذ :

أولا : المميزات

يرى بعض الباحثين أن تصنيف ابن النديم لا يرقى إلى مرتبة تصنيف العلوم ، حيث اقتصر على ذكر العلوم الموجودة في عصره دون أن يقدم أى تصور واضح عن العلاقات بينها . (٥١) وهذا الحكم فيه كثير من التجنى على ابن النديم ، فقد تميز تصنيفه بالأسلوب العلمى البعيد عن أى تعصب دينى أو جنسى ، فقدم الدين اليهودى على المسيحى ثم الإسلامى . كما حافظ على الوحدة الموضوعية التى تجمع الموضوعات المتشابهة إلى جوار بعضها . و تعد محاولة ابن النديم تجربة رائدة فى تقسيم المعرفة ، حيث استند فى تقسيم المعرفة على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و هو ما عرف بالسند الأدبى . و بالرغم من ذلك لم يفتقر إلى الجانب المنطقى العلمى فى إبراز العلاقة بين الموضوعات ، و هذا ما نادى به " بليس " صاحب التصنيف البيبليوجرافى فى بداية القرن العشرين ، فقد أنكر أى صراع بين التصنيف المنطقى العلمى و التصنيف البيبليوجرافى العلمى ، و نادى بوجوب الربط بينهما و توحيد هدفهما ، بحيث نجعل هذا التصنيف فى خدمة النواحي التعليمية . (٥٢) و قد جاء تصنيف ابن النديم بالفعل انعكاسا للمنهج التعليمى التربوى فى العصور الإسلامية ، فبداية التعلم معرفة القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم ، ثم الدراسات اللغوية

والنحوية ، لتكون مدخلا للتعلم في العلوم الدينية بمباحثها المختلفة ، و بعد إتقان الطالب مجموعة العلوم الشرعية و العربية يبدأ في البحث في فروع المعرفة المختلفة بجوانبها الفلسفية و الرياضية و غيرها ، و قد سار تصنيف ابن النديم بنفس التدرج المتبع للتعليم في هذه الفترة .

و لم يكن تصنيف ابن النديم تصنيفا فلسفيا تجريديا ، و لكنه وضع لخدمة الحقيقة الدينية والحياة الفكرية الإسلامية، وهذه تعد نقطة الانطلاق عند ابن النديم في محاولة استيعاب فكر وحضارة الإسلام و العلوم الوافدة من الثقافات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ، و تنظيمه حسب خطة تصنيفية موضوعية تعكس علوم عصره .

ثانيا : العيوب

يعيب تصنيف ابن النديم فصل علم الكيمياء في مكان بعيد عن علم الطب بالرغم من انتمائهما إلى مجال واحد هو العلم الطبيعي .

أثر الحياة الفكرية والثقافية في تصنيف ابن النديم

يعكس تصنيف ابن النديم صورة واقعية عن الحياة الفكرية في تلك الفترة (ق ٤ هـ) ، فهو يعطى مؤشرات مهمة و واقعية حول اتجاهات الفكر و مجالات التأليف ، كما أعطى صورة عن مدى الاعتماد على الإنتاج الفكري المترجم و نسبته في كل مجال . و قد قام الدكتور شعبان خليفة بإعداد دراسة قيمة عن الفهرست لابن النديم ، و أعطانا مؤشرات للإنتاج الفكري في الفهرست ، فيذكر أن أعداد الكتب في كل مقالة كالآتي : (٥٣)

المقالة	المجال الفكرى	عدد الكتب
الأولى	الدين اليهودى و المسيحى	٤٥
	علوم القرآن	٣٢٦
الثانية	اللغة و النحو	١١٢٧
الثالثة	تاريخ و جغرافيا و تراجم	١٧٢٤
الرابعة	الشعر و الشعراء	٦٩٨
الخامسة	علم الكلام	١١٩٧
السادسة	الفقه	١٠٣٠
السابعة	علوم بحث و تطبيقية	١٣٣٣
الثامنة	فنون و ترفيه	٤٢٨
التاسعة	ديانات وضعية	٨٢
العاشرة	الكيمياء	٣٧٠
المجموع	١٠	٨٣٦٠

و إذا حاولنا إعادة التنظيم لهذه المقالات ، لتجميع الموضوعات التى تنتمى إلى مجال معرفى واحد ، فسوف نجد أن أعلى مجال فى الإنتاج الفكرى لعلوم الدين الإسلامى ، حيث يبلغ عدد الكتب فيها ٢٥٥٣ ، بنسبة ٣٠,٥٣% ، متدرجة من علم الكلام إلى علوم الفقه إلى الكتب المتعلقة بالقرآن الكريم و علومه . وهذا يعكس التوجه العام للتأليف فى هذه الفترة لخدمة الدين و الحقيقة الدينية ، ولذلك فإن علوم التاريخ و الجغرافيا و التراجم التى وضعت فى خدمة الدين قد احتلت المرتبة الثانية فأعداد الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع قد بلغت ١٧٢٤ ، بنسبة ٢٠,٦٢% ، واقترب من هذه النسبة الإنتاج الفكرى فى العلوم البحثية و التطبيقية بما فيها الكيمياء . و قد وصلت أعداد الكتب فيها إلى ١٧٠٣ ، بنسبة ٢٠,٦٢% تقريبا ، و هذا يعكس اهتمام العرب بالعلوم العقلية و اشتغالهم بها . ثم تأتى فى المرتبة الرابعة علوم اللغة و النحو حيث تبلغ نسبتها ١٣,٤٣% ، و ارتفاع التأليف فى علوم اللغة و النحو يعكس أهمية تلك الموضوعات التى كانت تعد بمثابة مقدمات أو آلات لدراسة العلوم الدينية ، ويأتى

الشعر العربى فى المرتبة الخامسة بنسبة ٨,٣٤% ، ثم الفنون و الترفيه فى المرتبة السادسة بنسبة ٤,٨٦% ، و تحتل الديانات الوضعية المرتبة السابعة بنسبة ٠,٩٨% ، ثم علوم الدين اليهودى فى المرتبة الثامنة بنسبة ٠,٤٤% ، ثم علوم الدين المسيحى بنسبة تصل إلى ٠,١% . كما يعكس لنا الفهرست صورة للفكر المترجم حيث بلغت حوالى ٦٣٢ ، بنسبة تقترب من ٧,٥٥% . وهذه النسبة تعنى وجود فكر عربى أصيل فى المجالات المعرفية المختلفة فى القرن الرابع الهجرى تصل نسبته إلى ٩٢,٤٥% . كما يعطينا الفهرست مؤشرات عن المجالات التى تم النقل فيها إلى العربية ، والحضارات التى تم النقل منها ، فأعلى عدد للكتب المترجمة فى مجال الطب ، حيث بلغت أعداد الكتب ١٧٠ كتابا من مجموع الكتب المنشورة فى العالم الإسلامى الى بلغت ٤٢٦ كتابا . وتركز النقل من الحضارة اليونانية و القبطية و عدد قليل من الهندية و الفارسية ، تلتها علوم الرياضيات و الفلك و الميكانيكا ليبلغ عدد الكتب المترجمة ١٣١ كتابا من مجموع ٤٧٦ كتابا منشور فى العالم الإسلامى . وتركز النقل من الحضارتين اليونانية و الهندية . وتأتى فى المرتبة الثالثة الفلسفة فقد بلغت أعداد الكتب المترجمة ١١٨ كتابا من ٤٣١ كتابا منشورا فى العالم الإسلامى . و تم النقل من الحضارة اليونانية ، و هذا يشير إلى تأثير الفلسفة اليونانية فى الفكر العربى أكثر من أية فلسفة أخرى . كما بلغت أدنى كتب مترجمة فى موضوعات السحر والشعوذة ، حيث بلغت أعداد الكتب المترجمة ستة كتب من مجموع تسعة كتب منشورة ، و هذا يشير إلى رفض العرب لهذا الفكر ، و زيفه فى نظرهم . كذلك فى تفسير الأحلام وصل عدد الكتب المترجمة إلى أربعة كتب من عشرة كتب مؤلفة ، وفى السموم إلى كتابين من تسعة كتب منشورة فى العالم الإسلامى .

و من هذا العرض نصل إلى نتائج مؤداها : تميز الفكر العربى فى القرن الرابع الهجرى بالأصالة وظهور المؤلفات التى فاقت الكتب المترجمة ، مما يدل على أن هذا القرن هو قرن الإبداع العربى فى مختلف المجالات ، كما يشير إلى أن توجه العلوم المختلفة كان لخدمة الدين الذى احتل مكانة بارزة فى الإنتاج الفكرى .

تصنيف ابن النديم بين التاثر والتأثير

تأثر ابن النديم فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر فى بعضهم بعده :

التأثير

بالرغم من أن تصنيف ابن النديم يختلف كثيرا عما سبقه في طريقة التقسيم أو عرض العلوم ، ولكن من الواضح تماما تأثيره بالاتجاه العام في تقسيم العلوم الذي ورد عند الخوارزمي في التفريق بين العلوم الشرعية و العربية من جهة ، و العلوم العقلية أو الأجنبية من جهة أخرى ، و لذلك فإننا نلاحظ أن تدرج المقالات عنده يتبع الاتجاه نفسه عند الخوارزمي ، فالمقالات الست الأولى تركزت في العلوم الشرعية والعربية ، و المقالات الأربع الأخيرة في العلوم العقلية و الأجنبية .

التأثير

تأثر بالطريقة التي ابتدعها ابن النديم في تقسيم المعرفة كل من : الأنصارى في رسالته ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ ، و طاشكبرى زادة في ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ ، فقد اتبع كل منهما طريقته في تقسيم المعرفة بناء على الإنتاج الفكري مع التقسيم المنطقي للمعرفة ، كما أبرز طاشكبرى زادة العديد من العلوم التي ذكرها ابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثامنة ، و حدد لها مكانا واضحا على خريطته التصنيفية في كتابه ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ ، ومنها علم الباه و علم الطبيخ و علم الشطرنج ، كما أخذ عنه البدء بالعلوم العربية كمدخل لما يأتي بعدها من العلوم .

هل تأثر تصنيف ابن النديم بتصنيف أرسطو؟

جاءت خطة ابن النديم التصنيفية في الفهرست مختلفة تماما عما سبقه من تصانيف الأمم السابقة ، فقد استخدم التقسيم العشري ، و هذا ما لم نجده في التصانيف الأجنبية ، و إنما جاء متأثرا بالعقيدة الإسلامية ، و يرد هذا التقسيم إلى مكانة الرقم (١٠) عند العرب ، و وروده في القرآن الكريم في تسعة مواضع لها علاقات مهمة بالبشر و التشريع . (٥٤) و قد يرجع ذلك أيضا إلى تأثير ابن النديم بطريقة تقسيم ابن قتيبة في كتابه ” عيون الأخبار “ حيث قسمه إلى عشرة كتب ، كل منها يمثل موضوعا . و تأثر ابن النديم في تقسيم فنون المقالة السابعة التي تدرج من علم المنطق إلى العلم الرياضي إلى علم الطب الذي يمثل العلم الطبيعي بطريقة أرسطو

فى تقسيم المعرفة إلى علم المنطق ثم الحكمة النظرية لما فيها من العلم الرياضى ثم العلم الطبيعى .

منهج ابن النديم فى الفهرست

يمثل تصنيف ابن النديم المنهج الاستقرائى التجريبي ، حيث يقدم تصنيفه من خلال جهد تجميعى استقرائى للإنتاج الفكرى فى مختلف العلوم ، و قد اعتمد فى جمع مادته العلمية على ثلاث خطوات ، هى : (٥٥) القراءة ، و المشاهدة ، و السماع . و قد اعتمد ابن النديم على القراءة ليجمع معلوماته بنفسه ، فيقول فى أكثر من موضوع ” قرأت “ ، كما فى الفن الأول من المقالة الأولى يقول : ” قرأت بخط ابن سعد على هذه الصورة وبهذا الإعراب ابجد هوز “ . و ما يدلنا على اعتماده على السماع فى جمع مادته على ما ورد فى المقالة الأولى فى الفن الأول : قال محمد بن إسحاق : ” و أما الذى يقارب الحق و تكاد النفس تقبله فذكر الثقة أن الكلام العربى بلغة حمير و طسم و جديس و أرم و حويل . (٥٦) و هنا يقر أنه سمع من الثقة ، أى أنه متأكد من صحة ما سمعه من معلومات . و فى حديثه عن الكلام على القلم الحميرى يقول : ” زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون أن حمير كانت تكتب بالسند على خلاف أشكال ألف و باء و تاء ، و رأيت أن جزءا من خزانة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين المأمون “ . (٥٧) و هنا فى هذه العبارة يعتمد على السماع و ينسبه إلى من سمع عنه ، و المشاهدة فى قوله ” رأيت “ . و فى الحديث عن الكلام على السودان يقول : ” و قال لى من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور و لزتهم الشدائد جلس خطيبهم على ما علا من الأرض و أطرق و تكلم بما يشبه الدمومة و الهمهمة فيفهم عنه الباؤون . قال : و إنما لهم فى تلك الخطابة رأى الذى يريدونه فيعملون عليه ، و الله أعلم “ . (٥٨) ويتضح من هذه العبارة أنه اعتمد على السماع فى إيراد هذه المعلومة ، كما يتضح أمانته العلمية فى نسبة الكلام إلى من قاله ، كذلك يشير إلى عدم روايته بنفسه ، وتأكده بنفسه ، ولذلك يقول : الله أعلم .

مستوى المعالجة في تصنيف ابن النديم

يعرض ابن النديم في مقدمة كتابه الهدف ، ثم يتناول تقسيمه للمعرفة البشرية الذي نعرضه في الجدول التالي :

تصنيف ابن النديم	الصف الأول	الصف الثاني
الفهرست	المقالة الأولى	٣ فنون
	المقالة الثانية	٣ فنون
	المقالة الثالثة	٣ فنون
	المقالة الرابعة	فنان
	المقالة الخامسة	٥ فنون
	المقالة السادسة	٨ فنون
	المقالة السابعة	٣ فنون
	المقالة الثامنة	٣ فنون
	المقالة التاسعة	فنان
	المقالة العاشرة	فن واحد
المجموع	١٠	٣٣

جدول رقم (٦) يوضح تقسيم ابن النديم للمعرفة البشرية

قسم ابن النديم المعرفة إلى عشر مقالات تقف على الصف الأول ، و قسم كل مقالة إلى عدة فنون تقف على الصف الثاني ، و لم يعط أى تفريع من الصف الثاني . و بلغ عدد الموضوعات على الصف الأول عشرة موضوعات ، و على الصف الثاني ثلاثة و ثلاثين موضوعا .

و تفاوت التفريع عنده في كل مقالة على الصف الأول ، فقد بلغت التفريعات في خمس مقالات ثلاثة فنون ، و بلغ أعلى تفريع في المقالة السادسة إلى ثمانية فنون ، و تلتها المقالة الخامسة الخاصة بعلم الكلام التي بلغت خمسة فنون ، و يرجع ذلك إلى أنهما يمثلان موضوعات الدين الإسلامي ، كما أن اتساع التفريع فيهما يدل على مدى اتساع التأليف و الاهتمام بهذه الموضوعات . و بلغ عدد الفنون في المقالة الرابعة فنين فقط ، و بالرغم من أهمية فن الشعر لدى العرب و اتساع التأليف فيه إلا أنه قسم

هذا العلم إلى فنين فقط ، و يرجع ذلك إلى طريقته فى التقسيم التى ميز فيها بين الشعر الجاهلى و الحديث ، و لم يعط تقسيما أكثر ، فكان من المفروض أن يميز بين الشعر الجاهلى و شعر صدر الإسلام و الشعر الأموى و شعر العصر العباسى على أساس تميز كل فترة بمميزات خاصة اثرت فى الشعر ، و لكن عدم تمييزه يرجع إلى تأخر جمع العرب لأشعارهم ، و عدم نضج الدراسات التى تبرز هذا التميز على زمن ابن النديم . كما قسم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية إلى فنين على أساس إقليمي، فقد حصر فى الفن الأول الديانات الوضعية القريبة من الأمة الإسلامية ، وفى الفن الثانى الديانات البعيدة فى الهند و الصين ، فكان التوزيع على أساس إقليمي . أما المقالة العاشرة فلم يعطها أى تفريع و إنما خصصها لموضوع واحد هو علم الكيمياء ، و يلاحظ هنا تفاوت التفريع بين علم وآخر ؛ أى مقالة و أخرى . كما يلاحظ عدم الالتزام بالتقسيم العشرى لكل موضوع ، أو الالتزام بعدد معين من الفنون ، ولكن جاء التفريع فى كل مقالة تمثل موضوعا معيناً حسب اتساع هذا الموضوع ونضجه بما يفرزه من معلومات و موضوعات محددة .

التماسك والاتساق فى تصنيف ابن النديم

جاء تصنيف ابن النديم تصنيفاً منطقياً ، حيث يأتى العام قبل الخاص ، و هذا ما لاحظناه فى معالجة علم اللغة قبل علم النحو الذى خصه لمعالجة نحو اللغة العربية، كذلك عمل على تجميع موضوعات العلم الواحد و معالجتها بشكل متكامل مع بعضها البعض ، و لذلك جاءت خطوات التقسيم متقاربة و متوازية دون إحداث أية قفزات مخلة فى هيكل النظام التصنيفى ، و لذلك جاءت خطته متكاملة دون إحداث أى خلل فى هيكلها التصنيفى . كما يلاحظ وقوف التفريع فى كل المقالات التى على الصف الأول إلى الصف الثانى ، و لم يزد فى التفريع لأية مقالة ، و لذلك جاءت خطته متماسكة و متسقة و متناسقة . و يعد هذا الجهد المحمود لابن النديم مظهراً لمدى إلمامه بالموضوعات فى عصره .

و إذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجرى الذى يعد امتداداً للقرون الأربعة الهجرية الأولى فى الأصالة و الإبداع نجد ابن سينا و تصنيفه الفلسفى فى رسالة أقسام العلوم العقلية .

رابعاً : تصنيف ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)

عاش ابن سينا (٥٧) في أواخر القرن الرابع الهجرى و الربع الأول من القرن الخامس الهجرى الذى يعد بداية تأصيل الفلسفة ، فقد استقر كثير من العلوم و برزت الشخصية العربية الإسلامية فيها ، و ظهر إبداع المفكر الإسلامى ، و إضافته ، وتصحيحه للعلوم و ابتكاره لها . هذا و يعد ابن سينا صاحب أشهر تصانيف العلوم التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى نادرة عصره فى علمه و زكائه ، فقد برع فى معظم علوم عصره من طب و فلسفة و موسيقى و حساب و هندسة و فلك ، و قد صنف ما يقارب من مائة مصنف ما بين مطول و مختصر ، و قد مكنته هذه الصفة الموسوعية فى المعرفة من وضع تقسيم للمعرفة ضمنه العديد من الكتب ، و لكن سوف نركز الاهتمام على رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، لأنها تعكس بشكل فعلى طريقته فى تقسيم المعرفة .

تصنيف ابن سينا من واقع رسالته فى أقسام العلوم العقلية

ينتمى تصنيف ابن سينا إلى المدرسة الفلسفية فى التصنيف ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى لمعرفة العلوم و تقسيمها ، و فى بداية الرسالة يعرض للهدف و الغرض منها .

الهدف من تقسيم العلوم فى رسالة أقسام العلوم العقلية

يشير ابن سينا إلى هدفه من رسالته فى أقسام العلوم العقلية فذكر أن تأليفها جاء استجابة لطلب أحد الاشخاص لتعريفه بأقسام العلوم العقلية ، و هو هنا يصرح بأنه عمد إلى تقسيم العلوم ؛ أى تصنيف العلوم مقتصرًا على العلوم العقلية لا النقلية (الشرعية و العربية) ، و قد رسم لنفسه منهجا يعتمد على الإيجاز مع الكمال فى عرض العلوم ، و بعد تعريف القارئ بهدفه من هذه الرسالة ، و قبل أن يعرض تصنيفه يعرف الحكمة بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه و ما عليه الواجب مما ينبغى أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه ، و تستكمل و تصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، و ذلك بحسب الطاقة الإنسانية . (٥٨) و قد ضمن ابن سينا فى هذا التعريف العلوم النظرية المجردة إلى جانب العلوم العملية كما جاء فى خطة تصنيف

أرسطو ، و لكن الجديد عند ابن سينا إضافة العلوم الشرعية إلى قسم العلوم العملية ، وهذا الذى يفهم من إشارته فى تعريف الحكمة بقوله : ” لأن كمال النفوس لا يتم بطلب ما هو معقول فحسب بل إن الاستعداد للأخرة ؛ أى لعالم المعاد ، هو أمر متمم لسعادة الإنسان ، بل لحصوله على السعادة القصوى فى الآخرة “ ، وهذا لا يتضمنه قسم العلوم العملية عند أرسطو التى تشتمل على الأخلاق و السياسة و تدبير المنزل . و من هنا نتعرف أساس تقسيم العلوم عند ابن سينا إلى قسمين كبيرين هما الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، و قد سارت خطته التصنيفية على النحو الآتى . (٥٩)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعى

العلم الرياضى

العلم الإلهى

الحكمة العملية

الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة

العلم الطبيعى (الأقسام الأصلية)

القسم الأول : المادة و الصورة و الحركة .

القسم الثانى : السماء و العالم

القسم الثالث : الكون و الفساد

القسم الرابع : الآثار العلوية

القسم الخامس : المعادن

القسم السادس : النبات

القسم السابع : الحيوان

القسم الثامن : النفس و الحس و المحسوس

العلم الطبيعى (الأقسام الفرعية)

الطب

علم النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيربجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الجمع و التفريق

علم الجبر و المقابلة

علم الهندسة

علم المساحة

علم الحيل المتحركة

علم جر الأثقال

علم الأوزان و الموازين

علم الآلات الجزئية

علم المناظر و المرايا

علم نقل المياه

علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم الموسيقى

اتخاذ الآلات الغريبة و العجيبة

العلم الإلهى (الأقسام الأصلية)

النظر فى معرفة المعانى العامة لجميع

و الكثرة .

الموجودات من الهوية و الوحدة

النظر في الأصول و مبادئ العلوم .
النظر في إثبات الحق الأول و توحيده و الدلالة

على تفردده و ربوبيته

النظر في إثبات الجواهر الأولى الروحانية و

الملائكة

تسخير الجواهر الجسمانية السماوية و الأرضية
الروحانية

لتلك الجواهر

العلم الإلهي (الأقسام الفرعية)

معرفة كيفية نزول الوحي

علم المعاد

المنطق

المدخل

المقولات

العبارة

القياس

البرهان

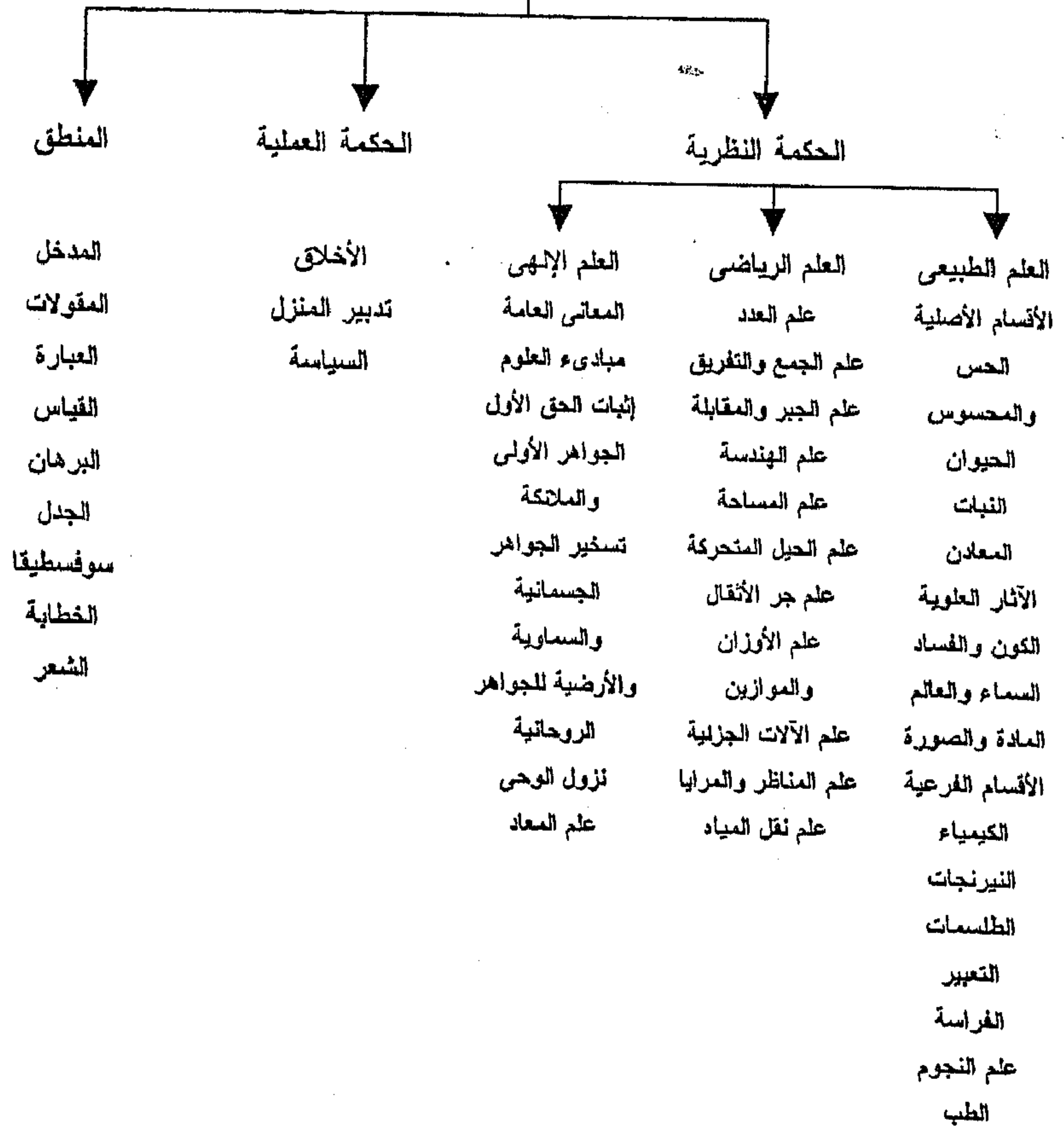
الجدل

سوفسطيقا

الخطابة

الشعر

مخطط هيكلى لتقسيم ابن سينا للعلوم



منطق تصنيف العلوم عند ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة (العلوم) إلى قسمين كبيرين ، هما ك الحكمة النظرية والحكمة العملية ، و يجعل المنطق آلة للعلوم ، و هو هنا يتابع أرسطو و الفارابى فى هذا التقسيم للعلوم ، و يجعل الغاية من الحكمة النظرية الوصول للمعرفة ذاتها دون النظر إلى أى منفعة عملية . أما القسم العملى (الحكمة العملية) فالغاية منه الوصول إلى خير الإنسان فى دنياه و آخرته ، و هذا التقسيم هو تقسيم أرسطو نفسه للعلوم العملية . و يتناول كلا من الحكمة النظرية و العملية بالتقسيم فيقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة ، و هى نفس أقسام الحكمة النظرية عند الفارابى و أرسطو ،

ويرجع تقسيمه الثلاثي للحكمة النظرية و ترتيبها على أساس الموضوعات التي تدرسها، فالعلم الإلهي و هو العلم الأعلى عنده لدراسة موضوعات لا ترتبط بالمادة المحسوسة أبداً ، ثم العلم الرياضي الذي يجعله هو العلم الأوسط لدراسته موضوعات غير قادرة على الانفصال عن المادة انفصال تاماً و لكن الخيال يكون قادراً على تصويرها دون إرجاعها إلى المادة ، و هذه حالة الأعداد و الأشكال ، ثم العلم الطبيعي و هو العلم الأسفل الذي يبحث في موضوعات غير قابلة للانفصال عن المادة و الحركة أبداً ، بحيث لا يمكن تصويرها بدونها . و هو بذلك يجعل العلم الطبيعي علماً وضيعاً ، و العلم الرياضي علماً برهانياً ، فالأول استقرائي لأنه يقوم على النظر في المادة ، و الثاني قياسي ، و هذا هو أساس التفريق في طريقة النظر في كل منهما ، فالعلم الرياضي يعتمد على التصور الذهني بالإضافة إلى النظر في المادة و لهذا يقدمه على العلم الطبيعي . و يقسم كل قسم من أقسام الحكمة النظرية إلى أقسام أصلية ، ثم أقسام فرعية ، فالعلم الطبيعي يقسمه إلى ثمانية أقسام أصلية ، و كل قسم منها يرجعه إلى اسم من أسماء كتب أرسطو ، و يلاحظ الترتيب المنطقي لهذه الأقسام ، ففي البداية يحدد المفاهيم الكبرى التي ينبغي تحديدها بوضوح كمقدمة لدراسة العلم الطبيعي ، و لا يخلو منها جسم طبيعي هو مجال دراسة العلم الطبيعي . و المفاهيم الكبرى هي الطبيعة التي يعني بها الموجودات التي هي في آثار الطبيعة ، مثل الحيوانات والنباتات و العناصر ، و هذه الموجودات الطبيعية التي هي مجال دراسة العلم الطبيعي تشترك في مبدأ الحركة ، و هو أيضاً المادة ، و يعني بها ما يتكون منه الشيء ، مثل الخشب للسريز ، ثم يتناول الموجودات الطبيعية ، فيبدوها بأبسطها و هي الأركان الأربعة أو العناصر الأربعة التي أطلق عليها العرب اسم الاسطقسات و هي الماء و الهواء و التراب و النار التي خلق منها جميع ما على وجه الأرض من النبات و الحيوان ، ثم يتناول ما يعرض للأجسام الطبيعية من الفناء والنمو ، و هو ما يضمه القسم الثالث ، و في القسم الرابع يتناول الظواهر الجوية المختلفة من البرق والرعد و الأمطار و غيرها . ثم يتدرج في دراسة الموجودات الطبيعية من المعادن إلى النبات إلى الحيوان ليصل في النهاية إلى دراسة النفس ، و هو التدرج نفسه عند

أرسطو . حيث تؤلف الموجودات الطبيعية سلما تصاعديا تقع الأجسام البسيطة (العناصر الأربعة) فى دركه ، ثم يليها بالمعادن فالنبات فالحيوان فالإنسان .

و تبدأ الأقسام الفرعية عنده بالطب ، و هو يقدمه على سائر العلوم ، ويرجع ذلك إلى أنه مجال الاهتمام الأول عند ابن سينا . كما يرجع إلى شرف موضوعه لبحثه فى بدن الإنسان الذى يعد أعلى الموجودات الطبيعية ، و يليه علم النجوم الذى يقدمه على سائر الموضوعات التى تليه لأن موضوعه أشرف و أعلى قدرا منها . وهو هنا متأثر بأرسطو الذى يرى أن الأجرام السماوية تقع فى ذروة سلم الموجودات لأنها أرفعها قدرا ، كما أنه متأثر أيضا بالفارابى الذى يفاضل بين الصناعات و العلوم على اسس منها شرف الموضوع الذى يخص به علم النجوم . (٦٠)

و يتدرج ابن سينا بالموضوعات حسب أهميتها ، فيقدم علم الفراسة و علم التعبير على علوم السحر من الطلسمات و النيرنجات ، و لكنه يؤخر علم الكيمياء ويجعله لاحقا لعلوم السحر ، و هنا يتابع ابن النديم فى تأخير علم الكيمياء و تقديم علم الطب ، و قد يرجع ذلك إلى النظرة التى قرنت علم الكيمياء بعلم السحر . و يقسم العلم الرياضى إلى أقسامه الأربعة المعروفة ، و هى الموجودة عند أفلاطون ، و هذا تدرج طبيعى منطقى ، فيبدأ بالعدد الذى فى المقادير من حيث هى كم مجرد ثم الهندسة التى تبحث أيضا فى المقادير ، و لكنه كم مشخص فى شكل خطوط و سطوح ، فهما مشتركان فى دراستهما لموضوع واحد ، و هو المقدار ، ثم علم الهيئة الذى يشترك مع الهندسة فى الكيف الذى يعنى التحول و التغير من حال إلى أخرى ، ثم علم الموسيقى الذى يعد العلم التطبيقى لموضوع النسب العددية و الهندسية ، فأصوات النغم الموسيقية منها الخفيف و منها الثقيل ، و هما متنافران متباينان لا يمكن أن يجمع بينهما إلا بمركب أو مؤلف يؤلفهما ، و يكون ذلك على النسبة التى تكون منهما اثتلافا و نغمة واحدة لا يميز السمع بينهما و تستلذهما الطبيعة . (٦١)

و فى الأقسام الفرعية للعلم الرياضى نلاحظ التدرج المنطقى للعلوم كعلم العدد الذى يقسم إلى علم نظرى يبحث عن العدد بإطلاق و ما يلحقه من الجمع و الطرح . ثم علم الجبر و المقابلة الذى يستخدم الرموز فى العمليات الحسابية لإخراج المجهولات ، و يفرع الهندسة لعلوم متعددة وردت فى تصنيف الفارابى كعلوم أصلية،

و هي علم الحيل و علم المناظر و علم جر النقال و علم الأوزان و استخدمها ابن سينا كنوع مشتقة للعلم الرياضى .

و يلاحظ على الأقسام الأصلية و الفرعية للعلم الإلهى التآرجح بين الفكر اليونانى و العقيدة الإسلامية التى يكون لها الغلبة فى أول قسمين أصليين متأثرين بالفكر اليونانى ، و بقية الأقسام الأصلية و الفرعية متأثرة بالفكر الإسلامى ، و يدخل فى هذا العلم مباحث علم التوحيد المختلفة سواء الكلامية أو الفلسفية أو صفات مثل الكثرة و العلة و المعلول و الكلية و الجزئية . أما القسم الثانى للحكمة ، وهو الحكمة العملية نجد تدرجا من المستوى الشخصى إلى المستوى العام ، فالفضيلة التى تبحث عنها الأخلاق و هو ما يكون بشخص واحد مرتبط بسلامة النظام السياسى الذى يعيش فيه الإنسان ، و سلامة هذا النظام مرتبطة بمكارم الأخلاق التى يتحلى بها الأفراد الذين تتألف منهم الدولة ، ولذلك تسن القوانين لما يقترن منها من قسر وإلزام . و على هذا الأساس يسير فى تقسيم الحكمة العملية من الأخلاق على مستوى الفرد إلى تدبير المنزل على مستوى الأسرة إلى مستوى الدولة ، و ينظر إلى هذه الأقسام على أنها أصول الحكمة العملية و لكنه يشير إلى موضوعات إسلامية يربطها بالحكمة العملية ، و منها وجوه النبوة و حاجة نوع الإنسان فى وجوده و بقائه إلى الشريعة ، و هو بذلك يفتح المجال لفروع عملية أخرى متصلة بالدين ، وهنا يتضح الطابع لفلسفته الى تقوم على التوفيق بين الدين والفلسفة . و فى المنطق يتابع أرسطو فى تقسيمه إلى تسعة أقسام هى كتب أرسطو فى علم المنطق .

القواعد والمفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن سينا

وضع ابن سينا دراسة عن اختلاف العلوم و اشتراكها ضمنها أسسا و قواعد توضح طرق تقسيم العلوم على رتبة واحدة أو على رتبتين ، أو تدرج العلوم من العلم إلى الخاص . (٦٢) و قد عكس تصنيفه مجموعة من العلاقات بين الموضوعات ، ومنها ؟

• علاقة تجاور أو ترابط ، حيث يوجد تشابه بين الموضوعات يجعلها تقرب من بعضها ، و هذا ما لاحظناه فى ترتيب فروع العلم الطبيعى ، فعالج كل من علم

الطلسمات و علم النيرنجات متالين لتشابه موضوعيهما ، فالغرض فى كل منهما

تمزيج القوى السماوية مع بعض الأجرام أو الجواهر الأرضية ليحدث عنها قوة تفعل فعلا غريبا ، وهما بذلك ينتميان إلى علوم السحر باستخدام الكواكب والأجرام السماوية ، و في فروع علم الهندسة في العلم الرياضي تتقارب الموضوعات التي تنتمي إلى علم الحيل ، منها : علم الحيل المتحركة و علم جر الأثقال و علم الأوزان و الموازين و علم الآلات الجزئية .

• علاقة التساوي أو التناسب ، و هي اشتراك العلوم في مبدأ واحد يجعلها تقع على رتبة واحدة ، و من الأمثلة على ذلك : اشتراك علم الحساب و الهندسة في دراسة موضوع واحد هو المقدار ، ولكن تختلف نظرة كل منهما إلى المقدار ، فالمقدار في الحساب كم مجرد ، و في الهندسة كم مشخص في شكل خطوط وسطوح ، و لذلك نجدتهما يقفان على رتبة واحدة لوجود علاقة التساوي بينهما .

• علاقة الاشتمال أو التبعية ، التي عبر عنها ابن سينا باشتراك العلوم في موضوع واحد ، و لكن كل منهما ينظر في الموضوع من جهة مخالفة للآخر ، و هذا ما نلاحظه في العلم الرياضي الذي يبحث الأعداد و الأشكال ، و نجد أن علم الحساب يشترك معه في دراسة العدد ، و لكن من حيث هو كم مجرد ، ولذلك اندرج تحت العلم الرياضي الذي يعد علما عاما له ، ثم يقسم الحساب إلى علمي الجمع و التفريق الذي يبحث في العدد ، و لكن من حيث الإضافة أو النقص ، و لذلك اندرج تحت علم الحساب ، و هنا تتضح علاقة التبعية والاشتمال في التدرج من العام إلى الخاص .

تقييم محاولة ابن سينا التصنيفية

يلاحظ على تقسيم ابن سينا قصره على العلوم العقلية متجاهلا العلوم العربية و العلوم الشرعية ، بالرغم من استقرار هذه العلوم و نضجها على زمن ابن سينا ، و قد يرجع ذلك إلى أن عنوان الرسالة محدد بأقسام العلوم العقلية ، و قد يكون قد تطرق لها في كتب أخرى لم تصل إلينا في تقسيم العلوم ، و منها : رسالة في الصنائع العملية ، و الدر النظيم في أحوال العلوم و التعليم ، و موضوعات العلوم ، و مقالته في تقاسيم الحكمة و العلوم . (٦٣)

مميزات تصنيف ابن سينا و عيوبه

يتميز تصنيف ابن سينا ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه أيضا بعض المآخذ :

أولا : المميزات

تميز تصنيف ابن سينا بوجود مبدأ فلسفى يقف وراء عملية التقسيم ، و هو الوصول إلى السعادة ، و بينما تتحقق السعادة فى المعرفة النظرية عن طريق المعرفة الخالصة و بلوغ اليقين ، فإن السعادة تتحقق فى نطاق المعرفة العملية عن طريق المنفعة العملية من تحصيل العلوم . كما تميزت خطته التصنيفية بأنها خطة مفتوحة لموضوعات قد تستجد من واقع المجتمع الإسلامى ، و ذلك من خلال جعل الأقسام الأصلية للحكمة العملية مستفيدة من الشريعة الإسلامية ، و هو بذلك يكون قد فتح المجال أمام فروع أخرى تتفرع من هذه الأصول .

ثانيا : العيوب

من عيوب خطة ابن سينا ذكره موضوعات على خريطته التصنيفية فى أماكن غير مناسبة ، مثل وضع موضوع حاجة الإنسان إلى النبوة ضمن أقسام الحكمة العملية و كان من الأفضل ذكره مع فروع العلم الإلهى ، و لكن محاولته الفلسفية فى التوفيق بين الفلسفة و الدين جعلته يشير إلى هذا الموضوع فى سياق حديثه عن السياسة . و ترى الباحثة أن ابن سينا نفسه غير راض عن وجود هذا الموضوع ضمن أقسام الحكمة العملية فى تصريحه فى بداية الحديث عن أقسام الحكمة العملية بأنها ثلاثة ، و لم يذكر أنها أربعة . كما جعل علم أحكام النجوم من أقسام العلوم الطبيعية بالرغم من قرب هذا الموضوع من العلوم الرياضية ، و هذا واضح من تعريف العلم ، حيث يقول : " علم تخمينى والغرض منه الاستدلال من شكل الكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، و بقياسها إلى درج البروج ، و بقياس جملة ذلك إلى الأرض . (٦٤) و يلاحظ إدراج هذا العلم ضمن العلوم الرياضية فى التصنيف العربية الأخرى ، كفرع لعلم الهيئة . و يدرج فى العلم الإلهى أقساما هى أقرب إلى المبادئ و ليست علوما (٦٥) ، ولذلك سماها بالأقسام و لم يسمها الأصول أو العلوم ، كما فعل فى العلم الرياضى أو العلم الطبيعى . ومنها : النظر فى المعانى العامة لجميع الموجودات من الهوية و الوحدة و الكثرة والوفاق والخلاف والتضاد ، وكذلك

القسم الثانى : النظر فى الأصول و المبادئ مثل علم الطبيعيين و الرياضيين و علم المنطق، والقسم الثالث فى إثبات الحق الأول و توحيده . وعالج علم تدبير المنزل (من فروع الحكمة العملية) من وجهة النظر اليونانية للمجتمع على أنه مجموعة من الأسر الكبيرة يبرز فيها عليه القوم دون العبيد و المهجنين ، و هذا ما يخالف حياة المجتمع الإسلامى التى تساوى بين أفرادها و طبقاته ، و لذا فابن سينا بهذا التعريف الأرسطى لتدبير المنزل قد بعد تماما عن صورة المجتمع الإسلامى فى عصره الذى كان يجب إبرازه و بخاصة قيام فلسفته على أساس الربط بين الدين و الفلسفة .

تصنيف ابن سينا انعكاس لموقفه الفلسفى

قامت فلسفة ابن سينا متابعة الفارابى على أساس التوفيق بين الدين و الفلسفة ، و قد انعكس فى ارتباط الغرض من تصنيفه بالأساس الفلسفى القائم على الوصول إلى السعادة القصوى فى الآخرة مخالفا للتصور الأرسطى للسعادة . كما جعل مبدأ العلوم العملية مستفادا من الشريعة الإسلامية ، فالغرض من الأخلاق الوصول إلى السعادة فى الدنيا و الآخرة ، و العلوم السياسية تدرس حاجة النوع الإنسانى إلى النبوة التى هى مطلب طبيعى له فى كل مكان و زمان ، و هذا ربط أساسى بين الدين والأخلاق من جهة و الفلسفة السياسية من جهة أخرى . و فى نهاية رسالته ينتهى إلى القول بعدم مخالفة أى قسم من أقسام الحكمة عن منهاج الشرع . (٦٦)

أثر الحياة الفكرية والثقافية على تصنيف ابن سينا .

إن وجود الثقافة الإسلامية إلى جانب الثقافة العقلية قد جعل ابن سينا يدخل موضوعات إسلامية في خريطة تقسيم العلوم العقلية ، و لكنه لم يوفق في إيجاد أماكن مناسبة ، و هذا ما نلاحظه في ذكر حاجة الإنسان إلى النبوة مع العلوم السياسية في الحكمة العملية . ظهر تقدم العلوم في عصره مما أدى إلى ذكر علوم مفرعة من أقسام العلم الرياضي كانت تعد في التصنيف السابقة أقساما أساسية للعلم الرياضي ، و منها علم المناظر و الموازين و جر الأثقال الذي ورد عند الفارابي فروعاً أساسية مباشرة من العلم الرياضي .

تصنيف ابن سينا بين التأثير والتأثر

تأثر ابن سينا في تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، كما أثر في بعضهم بعده :

أولاً : التأثير

ظهر واضحاً تأثر ابن سينا بتصنيف الفارابي في تقسيمه المعرفة ، حيث تطابق تقسيم ابن سينا مع الفارابي من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ والعبارات ، فقد جعل المنطق آلة للعلوم ثم قسم العلوم إلى العلوم النظرية التي جعلها الغاية منها الوصول إلى اليقين و العلوم العملية والغاية منها الوصول إلى الخير ، وهذا ما نجده عند الفارابي . كما أن الأقسام الأصلية للعلوم النظرية والعملية متطابقة عند كل منهما .

ثانياً : التأثير

تأثر بابن سينا العديد من المصنفين الذين أتوا من بعده ، و من أبرزهم الطوسي في رسالته ” فصل في أقسام العلوم العقلية ، و ابن الأکفانی في كتابه ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ ، وطاشکبری زادة في كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، و سوف نتعرض لوجوه التأثير و النقل عند دراسة كل منهما .

هل تأثر تصنيف ابن سينا بتصنيف أرسطو ؟

يتفق تقسيم ابن سينا مع تقسيم أرسطو للمعرفة في عدة وجوه في التقسيم الأساسي ، و منها جعل المنطق آلة للعلوم و ليس قسماً من أقسام الفلسفة أو العلم ، كما أن الأقسام التسعة التي يتفرع إليها علم المنطق هي نفسها كتب أرسطو في هذا

العلم . كما جاء تقسيم الفلاسفة أو الحكمة إلى قسمين : الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، والتقسيم الثلاثي للحكمة النظرية مطابق لتقسيم أرسطو و الأقسام الرئيسية للعلم الطبيعي هي نفسها أسماء كتب أرسطو في هذا العلم ، ولكن إضافته جاءت في فروع العلم الطبيعي نتيجة لتطور العلم الطبيعي على أيدي العرب . وعلى الرغم من مطابقة التقسيم الثلاثي للحكمة الطبيعية عنده لأرسطو إلا أن الترتيب اختلف ، فذكر علم السياسة في المرتبة الثالثة بعد تدبير المنزل ، و جاء تعريف كل من علمي الأخلاق و السياسة نابعاً من الشريعة الإسلامية ، و قد استخدم تقسيم أفلاطون للعلم الرياضي إلى أربعة أقسام أصلية ، كما جاء القسم الرابع من العلم الإلهي ، و هو النظر في الجواهر الأولى الروحانية التي هي مبدعاته و أقرب مخلوقاته منزلة عنده ، و الدلالة على كثرتها و اختلاف مراتبها ، و طبقاته قريبة إلى التصور الأفلاطوني في نظرية الفيض التي شاعت عند الفلاسفة المسلمين . (٦٧)

المنهج العلمي في تصنيف ابن سينا

يعد ابن سينا من رجال المنهج الاستقرائي التجريبي ، فإن له العديد من التجارب في مجال الطب والكيمياء ، كما نلمح استخدامه لهذا المنهج في تصنيفه من خلال عبارة ذكرها في نهاية الرسالة ، قال فيها : ” و قد دلت على أقسام الحكمة هذه و ظهر أنه ليس شيء منها يشتمل على ما يخالف الشرع “ . (٦٨) و من هذه العبارة نستنتج أن إirاده للعلوم في تصنيفه قام على تقييم العلوم العقلية واستقرائها من خلال تعليمات الشريعة الإسلامية ليرى ما يوافقها و ما يخالفها ، و قد جاء ترتيب العلوم في رسالته معتمداً على المنهج الاستنباطي الذي يسير في خطوات منظمة من العام إلى الخاص .

مستوى المعالجة في تصنيف ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين و يتناول كل منهما بالتعريف ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام أصلية و أقسام فرعية ، و هذا ما يتضح من الجدول التالي :

تصنيف ابن سينا	رتبة رئيسية صف أول	صف ثان	أقسام أصلية صف ثالث	أقسام فرعية صف رابع	الجملة
"رسالة في أقسام العلوم العقلية"	الحكمة النظرية	طبيعي رياضي	٨ علم العدد علم الهندسة علم الهيئة علم الموسيقى	٧ ٢ ٧ ١ ١ ٢	
	الحكمة العملية المنطق	إلهي الأخلاق تدبير المنزل السياسة ٩	٥		
الإجمالي	٣=٣	١٥	١٧	٢٠	٥٢

جدول رقم (٧) يوضح تقسيم ابن سينا للعلوم على الصفوف

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين ، و المنطق آلة لها ، و تقف هذه العلوم الثلاثة الكبيرة على الصف الأول ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام ؛ فالحكمة النظرية تقسم إلى أقسام ثلاثة تقف على الصف الثالث ، ثم يقسمها إلى أقسام فرعية تقف على الصف الرابع ، و بذلك يبلغ عدد الأقسام على الصف الثاني من الحكمة النظرية ثلاثة علوم ، و على الصف الثالث سبعة عشر ، و على الصف الرابع عشرين . أما الحكمة العملية فيقسمها إلى ثلاثة أقسام تقف على الصف الثاني ، و لا يعطى أى تفريع منها ، و يقسم المنطق إلى تسعة أقسام تقف على الصف الثاني ، وبذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول التي تعد عنده رتبة رئيسية ثلاث علوم ، والعلوم المفرعة منها على الصف الثاني يبلغ إجمالاً خمسة عشر علماً ، و عدد العلوم على الصف الثالث سبعة عشر علماً ، و على الصف الرابع عشرين . و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة من الرتبة الرئيسية على الصف الأول اثنين و خمسين علماً ، بينما يعدها ابن سينا ثلاثاً و خمسين علماً ، و يرجع ذلك إلى أنه عند تقسيمه للحكمة

العملية أشار إلى موضوع جديد فرعه من علم السياسة و ربطه بالدين هو حاجة الإنسان إلى النبوة ، و لكنه لم يشر إليه صراحة عند تقسيمه الحكمة العملية ، حيث يذكر أن العلوم العملية كانت ثلاثة ، و لم يصرح بأنها أربعة .

و يلاحظ على التفريعات عدم التوازن ، فبينما تصل الفروع في الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجدها في علم المنطق و الحكمة العملية تقف على الصف الثاني ، و يرجع ذلك إلى تأثيره في تقسيم علم المنطق بتقسيم أرسطو الذي يقف على الصف الثاني ، و كذلك الحكمة العملية بالرغم من أنه ربطها بالدين ، و بذلك أعطى الفرصة لعلوم تفرع منها ، و لكن قد يكون عدم اكتمال نضج هذه العلوم بالشكل الكافي لإعطاء تفريعات أكثر منها ، بعكس العلوم الطبيعية ذات النضج الدائم .

التماسك والاتساق

يلاحظ على خطة ابن سينا التصنيفية للمعرفة التماسك ، فلم يحدث فيها أية قفزات ، وإنما سار في معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، ثم ينتقل إلى العلم الذي يليه ، فقد عرض للحكمة النظرية ثم أقسامها الأصلية و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، وبعد أن انتهى منها استعرض الحكمة العملية بفروعها الثلاثة ، ثم المنطق ، أما الاتساق فلم يسر في التفريعات بنسب ثابتة ، فبينما تصل التفريعات عنده في فروع الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجده في الحكمة العملية و المنطق يقف على الصف الثاني دون أى تفرع ، و قد يعود ذلك إلى عدم النضج الكافي لهذه الموضوعات بحيث يسمح بزيادة التفرع .

هوامش الفصل الخامس

- ١- حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى : الجزء الثالث / العصر العباسى الثانى . ط ٢ . - القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠م . - ص ١ - ٢ .
- ٢- الفارابى : هو أبو نصر محمد بن نصر بن أوزلغ بن طرخان ، ولد فى مدينة فاراب فى بلاد الترك من أرض خراسان ، إلا أنه رحل عنها صغيرا إلى بغداد و اتخذها موطنًا له ، و هناك اتاحت له الدراسة فعكف على دراسة الطب و الموسيقى و العلوم ، و لا سيما الفلك و الرياضيات ، و تعلم اللغة العربية حتى إتقنها ، و درس الفلسفة دراسة عميقة ، و تلقى علوم الحكمة و المنطق على يد يوحنا بن جيلان ، و تتلمذ على يد متى بن يونس الذى انتهت إليه صناعة المنطقيين فى عصره حتى برع فى تلك العلوم و سلح نفسه بسلاح المنطق ، كما قرأ النحو على ابن السراج ، و كلن عارفا بالفارسية و اليونانية و السريانية و التركية بالإضافة إلى العربية : عن ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان / تحقيق إحسان عباس . - بيروت : دار صادر ، ١٩٧٢م . - ج ٤ ص ٢٤٠ . و قد وضع الفارابى عددا كبيرا من الرسائل العلمية و الفلسفية ، و ألف فى بغداد عديدا من الكتب ، منها : آراء أهل المدينة الفاضلة ، و الموسيقى الكبرى ، و إحصاء العلوم ، كما ألف فى مختلف العلوم و الفنون و المنطق و الفلسفة و الطب ، و الكيمياء و الفلك و الإلهيات ، و الطبيعة و الرياضيات ، و بعد أن قضى فى بغداد نحو ثلاثين عاما غادرها متوجها إلى دمشق عام ٣٢٩هـ ، و عاش فى كنف الأمير سيف الدولة الحمدانى إلى أن توفى عام ٣٣٩هـ عن عمر يناهز الثمانين عاما : عن مصطفى عبد الرازق . فيلسوف العرب و المعلم الثانى . - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٤٥م . - ص ٦٤ . و قد لقب الفارابى بالمعلم الثانى ، و قد تضاربت الآراء حول هذه التسمية ، فيذكر حاجى خليفة أن تلقب الفارابى بالمعلم الثانى يرجع إلى ترجمته كتاب أرسطو أطلق عليه التعليم الثانى : عن حاجى خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٣٥ . و يذهب دى بور و عثمان أمين إلى أن الفارابى هو المعلم الثانى بعد أرسطو الذى يعد المعلم الأول ، و ذلك لشهرة الفارابى بكتابه إحصاء العلوم ، كما



اشتهر أرسطو بالكتابة في تصنيف علوم زمانه : انظر : دى بور ، ت . ج . تاريخ الفلسفة في الإسلام . - ص ١٣٢ . و عثمان أمين . مقدمة تحقيق كتاب إحصاء العلوم . - القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٤٨م . - ص ٣ . و مما يؤكد هذا رأى الدور الكبير الذى قام به الفارابى فى النهضة الفلسفية الإسلامية ، و إثراء الدراسات الفلسفية ، و ما قام به من نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية ، سواء بالشرح أو التحليل أو النقد ، أو بالتحليل و التعليق و التفسير .

٣- الفارابى . إحصاء العلوم / تحقيق و تقديم و تعليق عثمان أمين . - ص ص ٤١-٤٢ .

٤- عثمان أمين . المرجع السابق . - ص ٥ .

٥- عبد الوهاب أبو النور . مقدمة مفتاح السعادة و مصباح السيادة . - ص ٣١ . و محمد على أبو ريان . التصنيف بين الفارابى و ابن خلدون . - مجلة عالم الفكر ، ١٩٧٨م . - مج ٩ ع ١ . - ص ١٢ .

٦- الفارابى . مصدر سابق . - ص ص ٤٣-١١٣ .

٧- ماكس بلاك ، استاذ الفلسفة المعاصر بجامعة كورنيل بالولايات المتحدة . - خالد الحديدى . مرجع سابق . - ص ٥٥ .

٨- الفارابى . التنبيه على سبيل السعادة . - حيدر آباد ، ١٣٤٦ . - ص ص ١٥-٢٦ .

٩- خالد الحديدى - مرجع سابق : ص ٥٨ .

١٠- الفارابى . إحصاء العلوم . - ص ٨٤ .

١١- العرافة : الاستدلال على بعض الحوادث الآتية بمناسبة أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما .

12- Vikery , B.C. Classification and indexing in science . - P167 .

١٣- بريل ، ليفى . مرجع سابق . - ص ٥٧ .

14- Vikery , B.C. op cit . - P166 .

١٥- محمد وقيدى . المبادئ المعرفية و الخلفيات الفلسفية للتصنيفات الإسلامية العربية للعلوم . - دراسات عربية : ع ٥ - السنة ١٨ - مارس ١٩٨٢م . - ص

٨٣ .

- ١٦- الفارابى . رسالة فى فضيلة العلوم و الصناعات . ط ١ . - حيدر آباد الدكن . - دائرة المعارف النظامية بالهند ، ١٣٤٠هـ . - ص ٢ .
- ١٧- لويس جاردييه . التوفيق بين الدين و الفلسفة عند الفارابى ، فى مجلد الفارابى و الحضارة الإنسانية . - مهرجان الفارابى . - بغداد ، ١٩٧٥ . - ص ١٢٩ .
- ١٨- لويس جاردييه و جورج شحاتة قنواتى . فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام و المسيحية . - بيروت ، ١٩٧٦ . - ص ١٩٢ .
- ١٩- الفارابى . إحصاء العلوم . - ص ١٠١ .
- ٢٠- محمد وقيدى . مرجع سابق . - ص ٨١ .
- ٢١- زينب عفيفى شاکر . الفلسفة الطبيعية و الإلهية عند الفارابى / إشراف محمد عاطف العراقى و عامر يس النجار . - جامعة أسيوط . - كلية الآداب ، ١٩٨٩م . - ص ١٦ .
- ٢٢- ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية ، من كتابه : تسع رسائل فى الحكمة و الطبيعيات . ط ١ . - قسطنطينية . - مطبعة الجوائب ، ١٢٩٨هـ .
- ٢٣- ابن الأکفانى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقلصد فى أنواع العلوم . - القاهرة . - دار الفكر العربى ، ١٩٩٠ . - ص ص ٩١-٩٢ .
- ٢٤- انظر معالجة هذه القضية : محمد عبده صيام . رأى فى قضية تأثير خطة تصنيف أرسطو على خطط التصنيف للفلاسفة و العلماء المسلمين فى العصور الوسطى . - مجلة المكتبات و المعلومات العربية . - س ١١ ع ٢٤ ، ٣ - أبريل - يوليو ١٩٩١م .
- ٢٥- الخوارزمى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الكاتب البلخى الخوارزمى ، ت ٣٨٧هـ - ٩٩٧م . و قد ولد ببلخ ، و عاش بنيسابور فى بلاط الساسانيين ، فهو من أهل القرن الرابع الهجرى الذى يعد فترة ازدهار المعارف المختلفة فى الحضارة العربية الإسلامية ، و قد وضع كتابه مفاتيح العلوم للشيخ أبى الحسن عبيد الله بن أحمد العتبى وزير نوح بن منصور السامانى : عن حاجى خليفة . كشف الظنون . - مج ٢ ع ١٧٥٦ .
- ٢٦- الخوارزمى - مفاتيح العلوم - القاهرة - مطبعة الشرق (د . ت) : ص ٢ .

- ٢٧- نفس المصدر السابق .
- ٢٨- محمد أبو عليان الشافعي - كتاب اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم - القاهرة - المطبعة الحسينية (د . ت) : ص ٨٢ .
- ٢٩ - نفس المصدر السابق . - ص ٣٧-٤٠ .
- ٣٠- حبيب الشاروني . فلسفة فرانسيس بيكون . - الدار البيضاء . - دار الثقافة ، ١٩٨١م . - ص ٤١ .
- ٣١- الخوارزمي . مصدر سابق . - ص ٨٠ .
- ٣٢- نفس المصدر السابق . - ص ١٣١ .
- ٣٣- عثمان أمين . مرجع سابق . - ص ١٥ .
- ٣٤- شعبان عبد العزيز و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . - مج ١ ص ٣ . و فؤاد سركين . مرجع سابق . - ج ١ ص ٢٦٤ .
- ٣٥- ابن النديم ، هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم ، و يكنى بأبي الفرج . و قد لقب أبوه بالنديم ربما لأنه كان من ندماء الخلفاء أو الأمراء و عليه القوم، أو ربما لأنه كان حلو الحديث حسن المعاشرة كثير السمر مع الإخوان و الخلان . و يرجع الدكتور شعبان خليفة اسبب الأول بالاستناد إلى تحيلات الفهرست لمعنى المنادمة . و ترجح ولادة ابن النديم بين عامي ٣١٥هـ ، و ٣٢٠هـ ، أما تاريخ وفاته فهو محل خلاف بين الباحثين ، فالبعض يرجح أنه كان عام ٣٨٠هـ ، ومصادر أخرى تحددته بسنة ٣٨٥هـ ، و هناك اقوال أخرى ، و أيا كان تاريخ وفاته فإن أهم ما يشير إليه أنه عاش في القرن الرابع الهجري الذي تميز بأنه قرن النضج الفكري و العقلي في العالم الإسلامي ، على الرغم من ضعف الدولة العباسية والتفكك السياسي للأمة الإسلامية ، فقد استقلت أجزاء كثيرة منها عن الخلافة العباسية، فظهرت الدولة الغزنوية في أفغانستان و الهند ، و الدولة الحمدانية في الشام ، والدولة الفاطمية في مصر ، و الدولة الأموية في الأندلس ، و بنى بويه في العراق و فارس و خراسان . و قد عرف عن حكام العالم الإسلامي في تلك الحقبة من الزمن حبهم للعلم و العلماء ، و إنشاؤهم المكتبات و المساجد و المدارس ، و تنافسهم على جذب العلماء و الشعراء والأدباء إلى بلاطهم . و كان لهذا المناخ الفكري الذي ساد العالم

الإسلامي تأثير كبير على فكر ابن النديم ، و كان ممهدا و مساعدا له على تأليف كتاب الفهرست . و قد ولد ابن النديم و عاش في بغداد ، و استفاد من مكتبة بيت الحكمة التي كانت في أوج ازدهارها في القرن الرابع ، كما استفاد من غيرها من المكتبات الرسمية في إعداد كتابه الفهرست ، حيث اقتنت تلك المكتبات أعدادا كبيرة من الكتب يصل بعضها إلى عدة ملايين ، كما هو الحال في مكتبة بيت الحكمة . و قد عمل ابن النديم بالوراقة ، فقد ورث دارا للوراقة ، كما تؤكد بعض المصادر أنه كان كاتباً ، و يرجح أنه كان ينسخ الرسائل في ديوان الإنشاء ، و قد هيأت له هذه المهنة الاطلاع على العديد من الكتب في مختلف العلوم ، فزودته بالمعلومات التي ساعدته على إعداد كتابه ، كما أتاحت له مهنة الوراقة الالتقاء و الاحتكاك و الاتصال بعدد كبير من المؤلفين و المثقفين ، كما أتاحت له زيارة المكتبات الشخصية التي كانت من عوامل توفير مادة علمية ساعدته على تأليف الفهرست : شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة . مرجع سابق . - مج ١ . - صفحات متفرقة .

36- Langridge , Derek . Op cit .- P11.

- ٣٧- شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . الفهرست .
- ٣٨- خالد الحيدى . مرجع سابق . - ص ١١٨ .
- ٣٩- عبد الرحمن بن محمد العقيان . مرجع سابق . - ص ١١٣ .
- ٤٠- عبد الوهاب أبو النور . مرجع سابق . - ص ٩٤ .
- ٤١- علي الصالحى المالكي . رسالة تحقيق مبادئ العلوم الأحد عشر . - القاهرة . مطبعة السعادة . - ط ١ ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م . - ص ٢٨ ، ٥٣ .
- ٤٢- شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . - ص ٤٨ .
- 43- Christain , Clerk : Magic in: Academic american Encyclopedia Danburg . Grobier incorporated , 1995 .-vol 2, P41 .
- ٤٤- ابن خلدون . مقدمة ديوان العبر : ص ٤٦٥ .
- ٤٥- شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - مج ١ ص ٧٩ .
- ٤٦- نفس المرجع السابق . - مج ١ ص ١٠٩ .
- ٤٧- عبد الرحمن العقيان . مرجع سابق . - ص ١١٩ .

٤٨- عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . - ص ٩٦ .

٤٩- شعبان خليفة و وليد العوزة . الفهرست . - مج ١ ص ٧٩ .

٥٠- نفس المرجع السابق . - مج ١ ص ٢٠٨ ، ٢٩٧ ، ٦٣٦ .

٥١- محمد وقيدى . مرجع سابق . - ص ٩١ .

52- Vikery , B.C. Classification and indixing in science . - P170 .

٥٣- شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - مج ١ ص ٤٨ .

٥٤- عبد الرحمن محمد العقيان . مرجع سابق . - ص ص ١١٤-١١٥ .

٥٥- شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - مج ١ ص ٨١ .

٥٦- نفس المرجع السابق . - مج ١ ص ١٢ .

٥٧- ابن سينا ، هو أبو على الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا ، و قد ولد عام ٣٣٠هـ فى إحدى قرى بخارى ، و انتقل مع أسرته إلى بخارى و هو فى الخامسة من عمره ، و حفظ القرآن الكريم ، و درس الأدب و أصول الدين و الحساب و الهندسة و الجبر و هو لم يجاوز العاشرة من عمره ، ثم درس على أبى عبد الله الناتلى الفلسفة و المنطق ، و درس وحده الطبيعيات و الإلهيات مستعينا فى ذلك بمؤلفات الفارابى ، ثم درس الطب ، و نبغ فيه ، و لم يكن جاوز السابعة عشرة من عمره ، و لما اضطربت أحوال الدولة السامانية خرج ابن سينا من بخارى و قصد خوارزم شاه على بن مأمون بن محمد ، ثم انتقل إلى نيسابور و طوس و غيرها من البلاد ، و تقلد الوزارة لشمس الدولة بن فخر الدولة (٣٨٧-٤١٢هـ) و ظل فيها إلى أن مات شمس الدولة ، و تولى تاج الدولة فلم يستوزره فتوجه إلى أصفهان ثم إلى همدان ، و توفى بها عام ٤٢٨هـ - ١٠٢٦م . و قد خلف ابن سينا كتبا كثيرة فى مختلف فروع العلم ، و لعل من أشهرها كتاب القانون فى الطب ، الذى ظل يدرس فى مدارس الطب فى آسيا و أوروبا أكثر من ستة قرون ، و خاصة ما يتعلق بعلم الصحة والرضاع : عن ابن خلكان . مصدر سابق . - ج ١ ص ١٥٢-١٥٤ .

٥٨- ابن سينا . مصدر سابق . - ص ٧١ .

٥٩- نفس المصدر السابق . - ص ص ٧١-٨٠ .

- ٦٠- الفارابي . رسالة في فضيلة العلوم و الصناعات . - ص ٢ .
- ٦١- رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا . - ج ١ ص ١٨٩ .
- ٦٢- ابن سينا . الشفاء ، المنطق ، البرهان ، تحقيق أبو العلا عفيفي ، و تصدير و مراجعة إبراهيم بيومي مذكور . - القاهرة . - وزارة التربية و التعليم ، ١٩٥٦ م .
- ص ١٥٩ ، ١٦٥ .
- ٦٣- القفطي . تاريخ الحكماء / تحقيق جوليوس ليبيرت . - ليبسك . - د . ن ،
- ١٩٠٣ . - ص ٤١٨ .
- ٦٤- ابن سينا . رسالة في أقسام العلوم العقلية . - ص ٧٥ .
- ٦٥- أحمد عبد الحليم عطية . دراسات في تاريخ العلوم عند العرب . - ص ٨٨ .
- ٦٦- ابن سينا . مصدر سابق . - ص ٨٠ .
- ٦٧- أحمد عبد الحليم عطية . مرجع سابق . - ص ٨٩ .
- ٦٨- ابن سينا . مصدر سابق . - ص ٨٠ .

الفصل الخامس

التصنيف العربية الإسلامية

في العصرين الثالث والرابع العباسيين

(من القرن السادس إلى أواخر القرن التاسع

الهجريين)

مقدمة

يلقى هذا الفصل الضوء على أهم التصنيفات التي أنتجتها الحضارة العربية للإسلامية إبان العصرين الثالث والرابع العباسيين ، ذلك لأننا سوف نلتقي بتصانيف الطوسي و ابن الأكفاني و ابن خلدون و السيوطي و غيرهم . و سوف نتناول تلك التصنيفات من عدة اتجاهات ، منها :

- الترجمة لصاحب التصنيف .
- إلى أي مدرسة تصنيفية ينتمي .
- الهدف من وضع التصنيف .
- إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفي .
- توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم في التصنيف .
- أهم الملاحظات على الخريطة التصنيفية .
- أهم مميزات التصنيف و عيوبه .
- تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف .
- الاتجاه الفلسفي لصاحب التصنيف .
- تأثير صاحب التصنيف بمن سبقه ، و تأثيره فيمن أتى بعده .

- تأثير الفكر الأرسطي في تصنيفه نظراً لما يتردد من أن التصنيف العربيّة الإسلامية ما هي إلا نقل حرفي عن تصنيف أرسطو .
- مستوى المعالجة في التصنيف .
- مدى التناسق و التماسك في العمل التصنيفي .

أولاً : تصنيف الطوسي (٦٧٢هـ)

يتناول نصير الدين الطوسي (١) موضوع تصنيف العلوم في مقدمة كتابه "أخلاق ناصري" ، كما أفرد له رسالة مختصرة بعنوان "أقسام الحكمة" (٢) ، وهذه الرسالة هي التي نتناولها بالدراسة في هذا البحث ، للتعرف على تصنيف العلوم فيها ، و الإسهام الذي قدمه المصنف في مجال التصنيف ، مما كان له أثره على تصنيف العلوم في القرن السابع الهجري .

تصنيف الطوسي "فصل في أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز" من واقع حالته :

ينتمي تصنيف الطوسي إلى المدرسة الأولى في التصنيف ، و هي المدرسة الفلسفية ، فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية تبنى فيها التصنيف الأرسطي ، و خضع لتصنيف ابن سينا ، و لكن اختلف عنهما في أمور كثيرة من تصنيفه بما يتوافق مع تجربته الفلسفية و نمو استقلاله الذاتي .

الهدف من تصنيف الطوسي

لم يذكر الطوسي هدفاً من وضع تقسيم العلوم في رسالته ، و إنما عمد مباشرة إلى التعريف بالحكمة ، و بيان أقسامها ، و أغلب الظن أن الطوسي قد هدف مباشرة إلى إعطاء تقسيم للعلوم بناء على تصوره الفلسفي ، و إن لم يصرح بذلك .

خطة الطوسي التصنيفية

جاء تقسيم الطوسي الحكمة على النحو التالي : (٣)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعي

العلم الرياضي

العلم الإلهي

الحكمة العملية

علم الأخلاق

علم تدبير المنزل

علم السياسة

العلم الطبيعي

الأمور العامة للأجسام الطبيعية

أركان العلم

الكون و الفساد

الآثار العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

فروع العلم الطبيعي

الطب

أحكام النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيرانجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الهندسة

علم الهيئة

علم الموسيقى

الفروع

علم الجمع و التفريق
علم الجبر و المقابلة
علم المساحة
جر الثقيل
علم الزيجات و التقويم
علم الآلات الغربية

العلم الإلهي

الأمور العامة
مبادئ العلوم
إثبات العلة الأولى
إثبات الجواهر الروحانية الأمور
كيفية ارتباط المنفعة الأرضية بالقوى الفعالية السماوية

الفروع

كيفية الوحي
علم المعاد الروحاني

المنطق

إيساغوجي (المدخل)
قاطيغورياس (المقولات)
باري ارمينياس (العبارة)
أنالوطيقا (تركيب القضايا)
أنالوطيقا الثانية (البرهان)
سوفسطيقا (المغالطة)

الخطابة

الشعر

منطق تصنيف العلوم عند الطوسي

ينفذ الطوسي مباشرة إلى تقسيم الحكمة (العلوم) دون تعريف واضح و محدد للحكمة ، في رسالته ، و لكن نتعرف على تعريفه الحكمة و فلسفته في تقسيمها من مقدمة كتابه ” أخلاق ناصري “ ، فيعرف الفلسفة أو الحكمة بأنها : ” معرفة الأشياء على ما هي عليه و توجيه أفعالنا بقدر الإمكان في الطريق الصحيح لتصل النفس إلى الكمال الذي تتوق إليه “ (٤) و من هنا فالحكمة على شقين ، الأول : حصول الإنسان على المعرفة لذاتها ، و الثاني : عملي يرتبط بتحقيق خير الإنسان ، بناء على العمل الصحيح السليم ، و من ثم فالحكمة أو الفلسفة عنده تنقسم إلى جزئين ، الأول : الحكمة النظرية ، و هي إدراك حقائق الأشياء و تأملها على ما هي عليه دون الارتباط بسلوك الإنسان و إرادته ، و الثاني : الحكمة العملية ، و هي تعتمد على إرادة الإنسان و سلوكه للوصول إلى تحقيق الخير ، و من ثم يتفق تقسيمه للحكمة و الغرض منها مع ابن سينا ، و لكن الأخير يجعل الغرض من الحكمة العملية تحقيق الخير الدنيوي و الآخروي ، فينطلق بها من مفهوم إسلامي ، على عكس الطوسي الذي يتبنى المفهوم الأرسطي فيقسم الحكمة العملية إلى أقسامها الثلاثة المعتادة دون تقديم أي جديد فيها ، متابعاً أرسطو و ابن سينا ، و يربط تقسيم الحكمة النظرية بالمادة ، فيميز بين قسمين ، أحدهما يتناول الأشياء التي لا يلزم لوجودها المادة ، و يمثلها العلم الإلهي أو الميتافيزيقيا ، و الثاني يتناول الأشياء التي لا يكون لها وجود إلا في المادة ، و تنقسم بدورها إلى قسمين ، الأول يتناول الأشياء التي لا تعرف إلا من خلال تجسدها في مادة ، مثل علم الأجرام و السماوات و الأرض و الحيوان و النبات ، و هو ما يشمل العلم الطبيعي ، و الثاني يتناول الأشياء التي لا يكون الفهم والتجسد المادي جوهرياً أو ضرورياً ، مثل الأعداد ، و هو ما يشمل العلم الرياضي ، و بناء على ذلك يأتي العلم الإلهي في قمة العلم الطبيعي ، و العلم الرياضي هو العلم الأوسط ، و العلم الطبيعي هو العلم الأسفل ، و يتناول كل قسم منها بالتقسيم إلى علوم أصلية ، ثم علوم فرعية ، و يتفق في تقسيمه لها مع التقسيم السينوي ، فالأقسام الأصلية للعلم الطبيعي هي نفسها أسماء كتب أرسطو في هذا العلم ، و يرتبها ترتيباً تصاعدياً مبتدئاً بالشروط الأولية للأشياء ، و ثم العناصر

البسيطة و المركبة ، و هى الماء و الهواء و النار و التراب ، ثم عملية التحول للمادة ، من حيث النمو و الفناء ، ثم ينتقل إلى الظواهر الجوية لما لها من آثار على بقية الموجودات ، و هو ما يمثلته الكتاب الرابع (الآثار العلوية) . وبعد دراسة المفاهيم المكونة و المؤثرة على الأجسام الطبيعية يتدرج فى دراسة الموجودات الطبيعية مبتدئاً بالجماد منها ، و يسمى علم المعادن ، ثم الأجسام التى تشملها الظواهر الحيوية ، وهى النبات ، ثم دراسة الأجسام التى تتحرك بإرادتها الخاصة ، و ما لها من ظواهر حيوية ، و يسمى علم الحيوان ، إلى أن يصل إل قمة الموجودات ، و هو دراسة العقل البشرى و استخدام قواه ، سواء كان ذلك داخل الجسم أو كان خارجه ، و هو ما يسمى بعلم النفس .

لقد اتفقت الأقسام الأصلية عند الطوسى مع أقسام أرسطو للعلم الطبيعى ، إلا أن الطوسى يتفوق عليه بإعطاء علوم مشتقة من العلم الطبيعى ، و منها علم الطب والزراعة و النجوم . (٥) و يلاحظ أن علم النجوم الذى وجد عند أرسطو كأحد العلوم الأصلية يذكره الطوسى كأحد العلوم المشتقة . و يتابع الطوسى التقسيم السينوى لفروع العلم الطبيعى ، فيبدأ بعلم الطب لشرف موضوعه ، و هو دراسة بدن الإنسان ، ثم علم أحكام النجوم المقدم على سائر الموضوعات الأخرى لدراسته الأجرام السماوية التى تقع فى ذروة الموجودات . و يتفق هنا مع نظرة أرسطو لها . و يجعل علم الكيمياء فى آخر العلوم الطبيعية بعد علوم السحر . و يبدو اتفاق كل التصنيف على هذا الموضع لعلم الكيمياء ، فقد سبقه إلى ذلك ابن النديم و الخوارزمى و ابن سينا . ويتفق مع ابن سينا فى تقسيم العلم الرياضى إلى أربعة أصول ، و فى الوقت نفسه يختلف مع أرسطو فى هذا التقسيم ، و يستند تقسيمه الرباعى للرياضيات إلى الفيثاغورية التى تقسم الرياضيات استناداً إلى علم الكم و علم الكيف ، و كل منهما قسمة ثنائية ، فالكم يكون لدراسة الأعداد مطلقة ، وهو علم الحساب ، أو دراسة نسب الأعداد بعضها لبعض ، و هو ما يعرف بعلم التأليف أو الموسيقى ، حيث ترد الأعداد بعضها لبعض ، و علم الكيف الذى يقوم على دراسة التغير و التحول ، فيقسم إلى : علم الهندسة باعتباره كماً متصلاً بقدر ما هو ثابت أو غير متحرك ، و هو ما يوجد فى الأشكال و الخطوط ، و علم الفلك باعتباره كماً متصلاً بقدر ما هو طبيعة متحركة

بذاتها ، و هو ما يوجد فى الأجرام السماوية والأرض . (٦) و أغلب الظن أنه إذا كان الطوسى قد تأثر بتقسيم أرسطو للحكمة ، أو التقسيم الفيثاغورى للرياضيات إلا أنه اضاف علوماً مشتقة من العلم الرياضى لا توجد فى التقسيم اليونانى للعلوم ، و قد أشاد بذلك فيكرى فمدح إضافة الطوسى علم الجبر إلى العلوم الرياضية (٧) ، و هو ما لم يكن موجوداً عند أرسطو ، و تطور هذا العلم على يد العلماء العرب . و لكن يؤخذ عليه أنه جعل علم الجبر من فروع علم الحساب متابعاً ابن سينا الذى سبقه بحوالى قرنين من الزمان ، و قد تطور خلالهما علم الجبر ، فكان من الأحرى به جعل هذا العلم مستقلاً عن علم الحساب ، و جعله قسماً أساسياً للعلم الرياضى . و يلاحظ عدم توسعه فى فروع العلم الرياضى ، و هو يعد من علماء الرياضيات فى الحضارة الإسلامية . و ينطلق فى تقسيمه للعلم الإلهى من مفهوم إسلامى ، حيث تناول موضوعات مختلفة لها اتصال وثيق بالعقيدة الإسلامية : علم النبوة ، و مراتب الولاية ، و شروط العالم الآخر . كما تناول كيفية نزول الوحي و تعريف الإلهامات ، و علم المعاد الروحانى ، و من ثم فإنه يختلف تماماً مع أرسطو فى تقسيمه للميتافيزيقا ، و على الرغم من اتفاقه إلى حد ما مع ابن سينا إلا أنه يختلف عنه فى مسألة وضع النبوة ملحقة بالعلم السياسى من الحكمة العملية .

و ينظر الطوسى إلى المنطق على أنه آلة للعلوم ، و خادم لها ، و لكن يضعه فى آخر تصنيفه و لا يقدمه على أقسام الحكمة ، كما يفعل الفارابى الذى ينظر إلى علم المنطق على أنه آلة العلوم و يضعه فى مقدمة أقسام الحكمة ، و يتبنى الطوسى التقسيم الثمانى مستبعداً الجدل أو الطوبيقا ، بعكس ابن سينا الذى يتبنى التقسيم التساعى فى رسالته ” أقسام العلوم العقلية “ . و أقسام المنطق عنده هى أسماء كتب أرسطو ، و من هنا يتضح أن تصنيف الطوسى يعكس فلسفته التى نراه يتبعها متأثراً بأرسطو و من اتبعه من الفلاسفة المسلمين ، سواء الفارابى أو ابن سينا ، و إن اختلف معهما فى بعض مواقع تصنيفه ، كما فى العلم الإلهى ، نتيجة تأثير العقيدة الإسلامية .

القواعد والمفاهيم التى عكسها تقسيم الطوسى للمعرفة

تميز تصنيف الطوسى بالمنطقية و اتباعه عدداً من العلاقات بين الموضوعات ،

منها :

• علاقة الاشتمال والتبعية فى موضوعات عامة يتفرع عنها موضوعات خاصة ،
مثل العلم الرياضى الذى يندرج تحته أربعة أقسام أصلية ، ثم يتفرع عنه عدد من
الموضوعات الفرعية ، كذلك العلم الطبيعى الذى يقسم إلى عدد من الأقسام
الأصلية ، ثم عدد من العلوم الفرعية .

• علاقة تساوى ، و هذا ما يلاحظ فى ظهور عدد من الموضوعات على رتبة واحدة ،
مثل علم الحساب و علم الهندسة اللذان يشتركان فى دراسة المقدار ، و لكن
يختلفان فى نظرتهم إلى ، من حيث هم كم مجرد فى الحساب ، و كم مشخص فى
الهندسة ، و هما بالتالى يندرجان فى الحكم تحت أمر ثالث و هو العلم الرياضى ،
و لذلك نرى علاقة التساوى بينهما ، كذلك علم الحساب و علم الموسيقى اللذان
يشتركان فى الكم المنفصل (الأعداد) ، و لكنه فى الحساب كم مجرد ، وفى
الموسيقى يعتمد على علاقة التناسب بين الأعداد ، و هما فى ذلك يرجعان إلى أمر
ثالث و هو العلم الرياضى ، و من ثم فهما متساويان .

و تتضح علاقة التساوى أيضا بين علم النيرانجات و علم الطلسمات
لاشتراكهما فى استخدام الجواهر الأرضية ، و لكن الطلسمات تمزج مع القوى
السماوية ، و فى النيرانجات تمزج القوى فى جواهر العالم الأرضى ، و هما فى
الوقت نفسه نوعان من العلم الطبيعى ، لذلك فهما يندرجان تحت أمر ثالث ، لذلك
يقفان على رتبة واحدة ، أى بينهما علاقة تساوى .

تقييم محاولة الطوسى التصنيفية

• يلاحظ على تصنيف الطوسى للعلوم اقتصره على العلوم العقلية متجاهلا العلوم
العربية و الشرعية بالرغم من استقرارها و نضجها فى عصره ، و لكن قد يكون
عمله تحت إمرة المغول (٨) قد جعلته يتجنب هذه العلوم القومية التى تدين
للإسلام و العرب على خريطته التصنيفية .

• كما تميز تصنيف الطوسى بعدة مميزات ، منها التفريق بين العلوم البحتة والعلوم
التطبيقية ، و هو ما وجد فى العلوم الفرعية من العلم الطبيعى . التى تعد بمثابة
الجانب التطبيقى فى العلوم الطبيعية . و لكن يعيبه عدم التوسع فى فروع العلم

الرياضى على الرغم من تقدم هذا العلم فى عصره ، وعلى الرغم من زيادة عدد العلوم المفرعة عند ابن سينا السابق عليه .

انعكاس الحياة الفكرية على تصنيف الطوسى

جاء تصنيف الطوسى مقلداً لتقسيم ابن سينا للعلوم فى رسالته " أقسام العلوم العقلية " ، حيث سادت روح النقل و التقليد فى معظم كتابات القرن السابع ، و لم تظهر العقلية الإبداعية التى وجدت فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك جاء تصنيف الطوسى مقلداً من سبقه ، و لم يقدم جديداً .

تصنيف الطوسى بين التأثير والتأثر

اتبع الطوسى فى تقسيمه العلوم فى هذه الرسالة ما كان متبعاً عند الفارابى وابن سينا ، حيث قسم الحكمة إلى قسمين : حكمة نظرية و حكمة عملية ، و جعل المنطق آلة العلوم . كما اتفقت أصول هذه العلوم و فروعها مع ما اتبعه ابن سينا فى تقسيم العلوم فى رسالته " أقسام العلوم العقلية " و إن اختلف معه فى التقسيم الثمانى للمنطق مقابل التقسيم التساعى عند ابن سينا . و قد أثر تصنيف الطوسى فى ابن الأكفانى فى كتابه " إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد " ، فقد نقل عنه الأقسام الأصلية و الفرعية للحكمة النظرية و العملية .

مدى تأثير تصنيف الطوسى بالتصانيف اليونانية

تأثر الطوسى بالفيثاغورية فى تقسيمه الرباعى للرياضيات ، كما اتبع تقسيم أرسطو للحكمة ، فقد قسمها إلى قسمين : النظرية و العملية ، كما تابعه فى اعتبار المنطق آلة العلوم و خادمها . و على الرغم من توسعه فى العلوم الفرعية للعلم الطبيعى إلا أن أصول هذا العلم هى كتب أرسطو نفسها فى هذا العلم ، و من هنا يتضح استمرار التأثير الأرسطى على التصنيف إلى القرن السابع الهجرى .

المنهج العلمي في تصنيف الطوسي

يسير الطوسي في تصنيفه متدرجاً من العام إلى الخاص ، حيث نجده يعرض الأقسام الرئيسية لكل من الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، ثم يتدرج في التقسيم من الأقسام الأصلية إلى الفرعية .

مستوى المعالجة في تصنيف الطوسي

يعرض الطوسي في رسالته " أقسام الحكمة " لتقسيم الحكمة إلى نظري وعملية مباشرة ، دون الإشارة إلى أى هدف أو تعريف للحكمة ، ثم يتناول الحكمة النظرية و العملية بالتقسيم ، ثم يقسم أقسام الحكمة النظرية إلى أصول و فروع ، وهو في تقسيمه يقف إلى الصف الرابع ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول الآتي :

تقسيم الطوسي	صف أول	صف ثان	صف ثالث (أقسام أصلية)	صف رابع (أقسام فرعية)	الجملة
في رسالة (أقسام الحكمة)	الحكمة النظرية	علم طبيعي	٨	٧	١٥
		علم رياضى	علم العدد	٢	
			الهندسة	٢	١٠
			الهيئة	١	
	الحكمة العملية	علم إلهى	٥	٢	٧
		الأخلاق			
		تدبير المنزل			٣
		السياسة			٨
المنطق		٨			
الإجمالى	٣=٣	١٤	١٧	١٥	٤٦

جدول رقم (٨) : يوضح توزيع العلوم في تصنيف الطوسي على الصفوف

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

- تقسيم الطوسي الحكمة إلى قسمين كبيرين ، هما : الحكمة النظرية و الحكمة العملية . و أنه يجعل المنطق آلة لهما . و تقف هذه الموضوعات الثلاثة على الصف الأول .

- يقسم الطوسي الحكمة العملية تقسيماً ثلاثياً يقف على الصف الثانى .

- يقسم المنطق إلى ثمانية أقسام تقف على الصف الثانى .

- يمتد التفريع من علوم الحكمة النظرية إلى الصف الرابع .
- يبلغ إجمالي الفروع في تصنيف الطوسي ستة و أربعون علماً موزعة على ثلاثة صفوف ، فيبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثاني أربعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثالث سبعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الرابع خمسة عشر علماً .
- يلاحظ زيادة أعداد العلوم المفرعة من الحكمة النظرية عن علوم الحكمة العملية و المنطق ، و يرجع ذلك إلى النمو الدائم لعلوم الحكمة النظرية التي تقابلها من علوم العصر الحديث العلوم البحتة والتطبيقية أكثر من علوم الحكمة العملية والمنطق اللذين تقابلهما من علوم العصر الحديث العلوم الاجتماعية ، و هذا ما يؤكد " جيفوتس " ، حيث يرى اختلاف نمو كل من العلوم التطبيقية والبيولوجية و الاجتماعية ، حيث لا توجد نسبة ثابتة لنموهم جميعاً ، فالعلوم التطبيقية والبيولوجية أسرع في النمو من العلوم الاجتماعية التي يكون بها ثبات نسبي . (٨) و هذا ما يفسر عدم وجود موضوعات مفرعة من أقسام الحكمة العملية تقف على الصف الثالث و الرابع ، كما في أقسام الحكمة النظرية .
- يرمز الطوسي للعلوم الأصلية بالفاظ مثل : الأول ، الثاني ، الثالث . و يرمز للأقسام الفرعية بحروف أبجدية ، مثل : أ : الطب . ب : أحكام النجوم . ويختلف الأمر بالنسبة للعلم الإلهي الذي يرمز للأصول بالفاظ ، و الفروع بنفس الألفاظ ، حيث يطلق على الأصول : الأول، الثاني، وهكذا . والفروع أيضاً : الأول ، الثاني .

التماسك والاتساق أو التناسق في تصنيف الطوسي

يلاحظ على تصنيف الطوسي التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخلة بتسلسل عرض العلوم وترتيبها ، إنما سار في معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، متنقلاً للموضوع الذي يليه ، فقد عرض الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية ، و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، و بعد الانتهاء منها استعرض علم المنطق بكل تفريعاته ، و لكن اختل اتساق و تناسق عرض العلوم ، حيث لم يسر بنسب ثابتة في تفريعات كل علم ، فبينما تصل التفريعات في الحكمة النظرية إلى الصف الرابع ، و يبلغ عدد العلوم

المفرعة عنها إلى اثنين و ثلاثين ، تقف التفرعات في الحكمة العملية إلى الصف الثاني ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثلاثة ، كما تقف التفرعات في علم المنطق إلى الصف الثاني ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثمانية .

و إذا كان الملاحظ على القرن السابع الهجرى قلة تصانيفه و سطحيته ، إلا أننا نجد الموقف يختلف في القرن الثامن الهجرى ، حيث قدم عدداً من التصانيف كانت بمثابة إضافة جديدة في علم التصنيف .

ثانياً : تصنيف ابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)

يعد كتاب ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ لابن الأكفاني (٩) بداية تأليف الموسوعات المختصرة ، و قد اقتفى أثره عدد من العلماء في هذا النوع من التأليف ، منهم السيوطى و طاشكبرى زادة .

تصنيف ابن الأكفاني من واقع كتاب ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ”

ينتمى تصنيف ابن الأكفاني إلى المدرسة الثالثة في التصنيف ، التى تجمع بين الجانب الفلسفى فى عرض الموضوعات ، فتعرف نحدود كل علم ، و السند الأدبى ، حيث تعرف بأهم الكتب فى كل علم . و هو بذلك حقق ما نادى به ” بليس “ فى القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية و الطريقة البيبليوجرافية فى التصنيف ، بحيث يتفق التصنيف مع المنهج التعليمى التربوى السائد فى عصره . وهذا ما يتضح للقارىء من خلال استعراض تصنيف ابن الأكفاني .

الهدف من تصنيف ابن الأكفاني

أوضح ابن الأكفاني فى مقدمة كتابه أن غرضه من تأليفه هو غرض تعليمى تربوى ، و قد اقتضى ذلك من المؤلف ذكر أنواع العلوم و بيان مراتبها ، والتعريف بأهم الكتب فى كل علم ، ومن هنا جاء كتابه دليلاً مصنفاً للعلوم ، وقائمة بيبليوجرافية مختارة بأهم الإنتاج الفكرى فى كل علم ، ودائرة معارف تعرف بحدود كل علم ومجاله و أهميته ، ولكنه لم يقف عند هذا الغرض من كتابه ، وإنما أراد به أن يساعد كل طالب علم أو إنسان على عدة أمور :

- أى العلوم يبدأ بها فى الدراسة و التعليم .
- التعرف على الحدود الموضوعية لكل علم .

- المقايسة بين العلوم للتعرف على تدرجها حسب شرفها .
- التفريق بين الشخص العالم و الجاهل الذى يدعى العلم ، و يساعده على ذلك حصيلته المعرفية .
- مساعدة الكاتب الأديب المتفنن بما يتكون لديه من معرفة إجمالية من كل علم .
- تمكين من أراد من ذوى المناصب من الإحاطة بجملة المعارف ، ليرفع من قدر نفسه أمام أهل العلم . (١٠)

و تتفق هذه المقدمة مع ما ورد فى مقدمة الفارابى (١١) مع اختلاف فى الغرض الأساسى لكل منهما . وعلى الرغم من أن القصد فى إحصاء العلوم علمى فلسفى و فى تصنيف ابن الأكفانى تعليمى تربوى إلا أن الأمور المستفادة من وراء هذا الغرض متفقة تماماً ، سواء كان ذلك فى الجوهر أو فى استخدام بعض الألفاظ والعبارات أو ترتيبها . كما أن وسيلة تحقيق هذا الغرض واحدة ، و هى تقسيم العلوم ، و إن زاد ابن الأكفانى عليه بما قدمه من بيبليوجرافيا مختارة لأهم الكتب فى كل موضوع .

و بعد بيان غرضه من وضع كتابه يقدم ابن الأكفانى الجديد فى بداية تصنيفه الذى جعله مختلفاً عن سبقه من المصنفين ، وهى مقدمة فى التعليم والتعلم وشروطهما مستعرضاً فيهما القواعد والنظريات التربوية التى كانت سائدة عند المسلمين فى عصره (ق ٨ هـ) ، و ترجع أهميتها باعتبارها وثيقة مهمة تؤرخ للعملية التربوية والتعليمية عند المسلمين ، و تثبت هذه المقدمة أن ابن الأكفانى لا يعد مقلداً أو تابعاً لغيره ، و إنما نجده عالماً يهتم بوضع النظريات العلمية و الوسائل العملية التى تكفل تحقيق الغرض التعليمى التربوى الذى يصبو إليه من وضع كتابه هذا . ويعرض فيه مسالك ثلاثة يتبعها العلماء والباحثون فى طلب العلم ، وهى :

- مسلك الباحثين الذى يقوم على إدراك العلم بالبحث والملاحظة والوصول إلى النتائج بالدليل والبرهان .
- مسلك النساك الذى يقوم على الرياضة الروحية لتصفية النفس والوصول إلى أمور وجدانية لا يقوم عليها دليل أو برهان .

• مسلك جماعة الصوفية الذي يبدأ بالبحث و الملاحظة و ينتهى إلى تصفية النفس. (١٢)

و لا يكتفى ابن الأكفانى بذكر هذه المناهج الثلاثة فى طلب العلم، وإنما يبدى رأيه مرجحاً أحدها و هو طريق الباحثين ، و من ثم فهو يدعو إلى المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجربة وإعمال العقل . و يقف ابن الأكفانى موقفاً مناصراً للكتاب ، و يشيد بفائدته للطالب الذى يلزمه اختيار الكتاب الجيد، و يحدد للكتاب الجيد المواصفات التى يجب أن تتوفر فيه، وفى حديثه عن التعليم و التعلم يحدد منهجاً تربوياً للطالب و الأستاذ يحصره فى عشر نقاط يجمال فيها المنهج التربوى الإسلامى. و يستعرض ابن الأكفانى بعد المقدمة خطته فى تقسيم العلوم ، و يبدوها بالقول فى حصر العلوم ، حيث يوضح الأقسام الأساسية فى تصنيفه ، ثم يعرض كل قسم منها متدرجاً فى توضيح العلوم المتفرعة عنه :

مرتبة أولى فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته (العلوم الحكمية)
ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و إنما آلة لغيره من العلوم

مرتبة ثانية فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته

الحكمة النظرية

الحكمة العملية

ما لا يكون مقصوداً لذاته

علم الأدب

علم المنطق

مرتبة ثالثة فى التصنيف :

الحكمة النظرية

العلم الأعلى " العلم الإلهى "

العلم الأوسط " العلم الرياضى "

العلم الأدنى " العلم الطبيعى "

الحكمة العملية

السياسة

الأخلاق

تدبير المنزل

علم الأدب

علم اللغة

علم التصريف

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القوافى

علم النحو

قوانين الكتابة

قوانين القراءة

علم المنطق

إيساغوجى " المدخل "

قاطيغورياس " المقولات "

باديرمينياس " العبارة " : يطلق عليها فى بعض التصانيف "

بارميناس أو باريرمينياس

أرنولوطيقى " القياس "

بادييطيقى " البرهان "

طوبيقى " الجدل "

ريطورىقى " الخطابة "

طورىقى " الشعر "

سوفسطيقى " القياسات المغالطية "

مرتبة رابعة فى التقسيم :

العلم الإلهى

النظر فى الأمور العامة ، مثل الوجود و الماهية و

الوحدة و الكثرة

النظر فى مبادئ العلوم

النظر فى إثبات وجود الإله الحق و الدلالة على وحدانيته

النظر فى إثبات الجواهر المجردة من العقول و النفوس و

الملائكة

أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل الإنسانية و

حال المعاد

علم النواميس

علم القراءات

علم رواية الحديث

علم التفسير

علم دراية الحديث

علم أصول الدين

علم أصول الفقه

علم الجدل

علم الفقه

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام أصلية :

العلم الطبيعى

السماع الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

الآثار و العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

مرتبة خامسة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام فرعية :

علم الطب

الببيرة و الببيرة

الفراصة

تعبير الرؤيا

أحكام النجوم

السحر

الطلسمات

السيميا

الكيميا

الفلاحة (الزراعة)

الرمل

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الرياضى :

الأوسط " العلم الرياضى "

الهندسة

الهيئة

العدد

الموسيقى

يقسم الأقسام الأصلية فى العلم الرياضى إلى أقسام أصلية ثم فرعية :

الهندسة

أحوال الخطوط المستقيمة

الدوائر و القسى

حال الخطوط المنحنية التى تسمى الزائد

والناقص

الأشكال المستقيمة الخطوط

مرتبة خامسة فى تقسيم الهندسة فى العلم الرياضى :

النسب الكلية الإجمالية و التفصيلية

الخواص العددية

الأشكال الحادثة عن الدوائر الواقعة على الكرة

أحوال المجسمات المستوية السطوح

أحوال المجسمات الكرية و الأسطوانية و

المخروطية

حال الكرة المتحركة و خواصها

مرتبة سادسة فى تقسيم الهندسة :

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم جزر الأثقال

علم البنكومات

علم الآلات الحربية

علم الآلات الروحانية

الهيئة

جملة الأفلاك و وضع بعضها إلى بعض ،

وبيان أنها متحركة والأرض ساكنة

حركات الأجرام السماوية

الأرض المعمور منها و المعمور و الخراب
مقادير أجرام الكواكب و أبعادها

مرتبة سادسة في تقسيم علم الهيئة :

علم الزيجات و التقاويم
علم المواقيت
علم كيفية الأرصاد
علم تسطيح الكرة و الآلات الحادثة

عنه

علم الآلات الظلية

مرتبة خامسة في التقسيم :

علم العدد

لواحق الأعداد كالزوجية و الفردية
لواحق الأعداد عند إضافة بعضها إلى بعض
و التناسب

كالتساوى و التفاضل

مرتبة سادسة في تقسيم العدد :

الحساب المفتوح
حساب التخت و الميل
حساب الجبر و المقابلة
حساب الخطأين
حساب الدور و الوصايا
حساب الدرهم و الدينار

علم الموسيقى

المبادئ الموسيقية و كيفية استنباطها
النغم و أحوالها
الإيقاع
تأليف الألحان

منطق ابن الأكفاني في تقسيم العلوم

تكمن فلسفة ابن الأكفاني في تقسيم العلوم و ترتيبها على أساس شرف كل علم و فضله بين العلوم ، حيث تتفاوت العلوم ، و ترتب تصاعدياً و ترتقى حتى تصل إلى أشرفها الذي يقع في قمة التصنيف ، و هي عادة العلم الإلهي ، أو قد يكون علم الكلام، أو علم التصوف ، حسب نظرة كل مصنف و تقييمه لشرف العلم ، و شرف العلم قد يكون حسب الغاية أو الحاجة أو الموضوع . (١٣) و يقدم ابن الأكفاني تقسيمه العلوم بمقدمة يوضح فيها مراتب العلوم المختلفة و نصيبها من الشرف ، فيرى أنه على الرغم من اشتراك العلوم كلها في الشرف ، إلا أن هذا الشرف يختلف من علم إلى آخر ، فمن العلوم ما يكون الشرف فيه بحسب الموضوع كالطب ، فإن موضوعه بدن الإنسان ، وبعضها بحسب الغاية مثل علم الأخلاق ، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية، و منه ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه، ومنها ما يجتمع فيه كل هذه الأمور، مثل العلم الإلهي ، فإن موضوعه شريف، و غايته فاضلة ، و الحاجة إليه مهمة. (١٤) و من مبادئ ترتيب العلوم حسب الشرف تقسيمها إلى مقاصد (١٥) ووسائل . (١٦) و الأولى أشرف من الثانية . و في الترتيب تتقدم الوسائل على المقاصد لكونها آلة و مقدمة للمقاصد . (١٧)

و هذا ما يذهب إليه الغزالي في أن نسبة العلم إلى غيره من جهة كون غيره مقدمة له أو تنمة له . (١٨) وعلى هذا الأساس جاء تقسيم ابن الأكفاني للعلوم و ترتيبها ، ففرق بين قسمين من العلوم، الأول ما يكون مقصوداً لذاته، و هي العلوم الحكيمة التي تعد مقاصد ، و الثاني ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و يكون آلة لغيره من العلوم ، و هو ما يعرف بالوسائل ، و لذلك فهي تتقدم على العلوم الحكيمة .

و يستمر في التقسيم و الترتيب حسب الشرف ، فما كان آلة لغيره يقسمه قسمين : علم الأدب ، و علم المنطق . و في الترتيب يتقدم علم الأدب على المنطق ، لكونه يدرس ما نصل به إلى الإحاطة بالمعاني (و هو علم المنطق) من اللفظ والخط. ويقول ابن الأكفاني : ” إنما ابتدأت به لأنه أول أدوات الكمال ، و لذلك من عرى عنه لم يهتم بغيره “ (١٩) ، فعلم الأدب هو الوسيلة الأولى الممهدة لدراسة

بقية العلوم ، و من ثم عدده المدخل الذى ينفذ إلى دراسة العلوم الأخرى ، و ثنى بعلم المنطق لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الخطأ ، و من هنا فعلى الدارس التسلح به لدراسة العلوم الأخرى ، و يتمثل هذا الترتيب مع ما جاء فى إحصاء العلوم للفارابى ، حيث بدأ بعلوم اللسان (علوم الأدب) ، و ثنى بالمنطق باعتبارهما التين ووسيلتين لما يأتى بعدهما من العلوم . وينتقد ابن الأکفانى الفارابى و ابن سينا والطوسى لاعتبارهم المنطق آلة لغيره من العلوم لا علماً فى نفسه .

و يرى ابن الأکفانى أن كون المنطق آلة لغيره لا ينفى كونه علماً فى نفسه ، و هذا يعد نظرة متقدمة من ابن الأکفانى لعلم المنطق . ثم ينتقل إلى العلوم الحکمیة التى هى المقاصد فتقسم إلى قسمين : حكمة نظرية ، و الغاية منها الوصول إلى المعرفة ذاتها . و القسم الثانى : الحكمة العملية ، و الغاية منها وصول الإنسان إلى الخير باقتفاء الفضيلة و اجتناب الرذيلة ، و هى نفس الغاية عند ابن سينا ، و من قبله أرسطو ، و لكن ابن سينا ينطلق بمفهوم الخير من منطق إسلامى ، فيجعله خيراً دنيوياً وأخروياً . (٢٠) و يتابع ابن الأکفانى أرسطو و الفارابى و ابن سينا و الطوسى فى ذكر الأقسام الثلاثة للعلم الطبيعى ، و لكن يختلف الترتيب ، فيأتى العلم الإلهى فى البداية لأنه يمهد الذهن للعلم الطبيعى والرياضى بما يشمله من مبادئ للعلوم ، ويثنى بالعلم الطبيعى مباشرة بعد الإلهى لارتباط مباحثه مباشرة به ، و هذا ما يقوله ابن الأکفانى ، و بالنسبة للعلم الإلهى فإنه يمهد الذهن لمباحثه (يقصد العلم الطبيعى) ولذلك قدم عليه فى التعليم . ثم العلم الرياضى لاعتماد علمى الهندسة و الهيئة على بعض مبادئ العلم الطبيعى لتعامله مع مواد حسية ، مثل الخطوط و الأجسام فى الهندسة و الأجرام العلوية و السفلية فى علم الهيئة لاشتراكهما فى مبدأ الكيف ، أى الحركة و التغير التى نجدها فى الأصل الأول من العلم الطبيعى . و يسير تقسيمه للحكمة العملية متدرجاً من الخاص إلى العام فيقسمها إلى ما يكون خاصاً بشخص واحد ، و هو علم الأخلاق ، و غير الخاص ، و إنما يتم بالشركة التى تكون بحسب اجتماع منزلى ، فهو علم تدبير المنزل ، أو بحسب اجتماع مدنى ، و هو الأعم ، فيكون علم السياسة .

و يتناول ابن الأکفانی فی کل قسم من الأقسام الأساسية بالتفریع إلى علوم أصلية و علوم فرعية ، و یفرق بينهما على أساس الموضوع ، فالعلم الأصلی يتناول موضوعاً کلیاً أو ما یمثله من الموضوع العام ، أما العلم الفرعی فیمثل موضوعاً جزئياً من الموضوع الکلی ، فمثلاً یعد موضوع علم الطب موضوعاً جزئياً (بدن الإنسان) ، و هو مندرج تحت موضوع العلم الطبیعی الذی يتناول موضوعاً کلیاً هو الأجسام المادية بشكل مطلق و لواحقها . و على هذا الأساس یفرع کل قسم إلى موضوعات أصلية ثم موضوعات فرعية ترتیب بطریقة منطقية . فیبداً بالعلوم الأدبية (٢١) فیقسمها و یرتبها فی تسلسل منطقی مستنداً إلى مبدأ اعتماد العلم اللاحق على السابق ، فیقسمها إلى قسمین : علوم تعتمد على اللفظ و علوم تعتمد على الخط ، و الأولى تسبق الثانية لأن اختراع اللفظ و الكلمة سبق اختراع الكتابة ، والكتابة علم یعرف به أحوال حروف الهجاء التي یترکب منها اللفظ ، و من ثم فهي لاحقة على العلوم التي تتناول اللفظ لاعتمادها علیها . و یقسم الموضوعات التي موضوعها اللفظ إلى ثلاثة أنواع ، الأول : علوم تعتمد على اللفظ المفرد ، و یمثله علوم اللغة فی علم اللغة والصرف ، و الثاني فی المركبات اللفظية . و تضم علوم المعانی والبیان و علم البديع و علم العروض و علم القوافی . و الثالث ما یعتمد على اللفظ المفرد و المركب و یمثله علم النحو . وهنا نلاحظ التقسیم المنطقی للأنواع الثلاثة ، كما جاء تسلسل العلوم معتمداً على مبدأ الاعتماد ، أى أن کل علم یخدم تابعه فهو مبنی على سابقه ، و فی الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له ، فنجد ابن الأکفانی یوضح فی کل علم یعرضه احتیاج هذا العلم إلى سابقه ، و ارتباطه بالعلم اللاحق علیه ، فیزکر— مثلاً — أن علم المعانی یحتاج إلى اللغة و التصریف ، و هی العلوم السابقة علیه ، و علم النحو ، و هو العلم اللاحق علیه ، و هذا ما سوف یتناوله البحث بتوضیح فی عرض العلوم الأدبية العشرة . وقد نادى ” أوجست کونت “ فی القرن التاسع عشر بمبدأ التسلسل ، و بنی علیه تصنیفه الوضعی، ولكنه اقتصر على أن لكل علم مبنی على سابقه و لیس على تابعه ، و زاد علیه ” سبنسر *Spencer* (١٨٢٠—١٩٠٣) ” بأن کل علم یخدم تابعه ، و فی الوقت نفسه موضوع بحث للعلم السابق له . (٢٢)

و يبدأ ابن الأكفاني العلوم بعلم اللغة الذي يعد علماً عاماً لا يعتمد على غيره ،
و إنما تعتمد بقية العلوم عليه ، فموضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها على
معانيها ، و يثنى بعلم الصرف لبحثه في اللفظ المفرد من حيث بنية الكلمة . و هنا
نلاحظ اعتماد علم الصرف بشكل مباشر على ما في علم اللغة من الألفاظ ، و هذا ما
يذكره ابن الأكفاني في احتياج علم الصرف إلى علم اللغة والقوافي ، ثم على علم
المعاني ، و هو الأول في المجموعة الثانية و العلوم الأدبية التي تبحث في الألفاظ
المركبة ، فمكانه مناسب لأنه يعد أفضل العلوم الأدبية لأن به يعلم إعجاز القرآن
الكريم الموصول للفوز بسعادة الدارين . (٢٣) و هنا يراعى الترتيب حسب فضيلة
العلم و شرفه ، كما يراعى مبدأ الاعتماد من حيث اعتماده على ما سبقه من علم اللغة
و الصرف ، و اعتماد علم البيان (العلم اللاحق له) عليه ، فيقول محمد بن عمر
الجركسي : ” يقدم علم المعاني على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب ،
لأن رعاية المطابقة التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان مع شيء آخر
وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كالتعبير عن اتصاف زيد بالكرم بزيد كثير
الرماد “ . (٢٤) ثم علم البديع الذي يأتي في ترتيبه الطبيعي لأنه يعتمد على كل ما
سبقه من العلوم الأدبية ، فيذكر ابن الأكفاني أن علم البديع يحتاج إلى علوم اللغة
والنحو و التصريف و المعاني و البيان و الاستكثار من مختار الشعر . و هو يقدم كل
هذه العلوم الأدبية على ما بعدها لأنها وسائل إلى فهم كتاب الله المنزل و كلام الرسول
— عليه الصلاة و السلام — ، و هنا نلاحظ استخدام مبدأ شرف العلوم و فضيلتها في
تقديم العلوم السابقة على العلوم اللاحقة لها .

و يعرض للعلوم الخاصة بالشعر و يبدأ بالعروض ثم القوافي ، و ذلك على
عادة الكتاب في علوم اللغة و الأدب في دراسة علم القوافي و معالجته بعد العروض ،
و لكونه متصلاً بعلم العروض و أجزاء منه ، و كما يذكر الجركسي من أن عادة
العروضيين قد جرت بذكر علم القوافي بعد العروض لكون أحدهما شبيهاً بالآخر . (٢٥)
يعرض القسم الثالث من العلوم التي تختص بالألفاظ و هو علم النحو الذي
يأتي في ترتيبه المنطقي لكونه يتناول اللفظ المفرد و المركب معاً ، ثم يعرض لعلوم
الخط و يبدؤها بعلم الكتابة ، و يثنى بعلم القراءة ، و ذلك لتوقف الثاني على الأول ،

فالقراءة تتبع الكلمات المكتوبة نظاماً و نطقاً ، فهي إذن تعتمد على الكتابة، وهو ما يخص العلم السابق لها ، كما يتلزم علماً الكتابة و القراءة فى غاية واحدة ، و هى معرفة دلالة الخط على اللفظ، ومن هنا كانت معالجة علم القراءة تالية لعلم الكتابة .
و يقسم المنطق تقسيماً تساعياً مبتدئاً بالمدخل و منتهياً بالسوفسطيقى ، فجعل الشعر و الخطابة تسبقان السوفسطيقى مختلفاً عن ابن سينا الذى اتبع التقسيم التساعى للمنطق ، فجاء السوفسطيقى سابقاً للشعر و الخطابة .

و بعد الانتهاء من العلوم التى تعد وسيلة و آلة لغيرها يبدأ بالعلوم التى هى المقاصد و يبدوها بالعلم الإلهى لكونه أشرف العلوم ، و العلم الأعلى من علوم الحكمة النظرية على اعتبار أنه يقع فى أعلى الموجودات فيسيران بالعلوم تصاعدياً للوصول إلى الذات الإلهية . و يفرق ابن الأكفانى بين أصول هذا العلم و فروعه و الأصول منها ما هو مأخوذ من الفلسفة اليونانية مثل الأول و الثانى والرابع الذى يفرع منه فروع العلم الإلهى و كلها تمثل علوم الشريعة الإسلامية (٢٦) التى يقسمها إلى ثمانية فروع. و يحدد ابن الأكفانى فلسفته و نظريته فى تقسيم العلوم الشرعية ، فهى إما متعلقة بالنقل ، أو لفهم المنقول ، أو لتقريره و تشييده بالأدلة ، أو باستخراج الأحكام المستنبطة . فهو هنا يحدد أربعة وسائل يسير عليها فى تقسيمه للعلوم الشرعية، فالعلوم النقيضة منها ما نزل على الرسول بواسطة الوحي ، و هى ” علم القراءات“ ، و منها ما صدر عن الرسول ، و هى ” علم رواية الحديث “ ، والثانى لفهم المنقول، فمنها ما هو متعلق بكلام الله تعالى ، و هو ” علم تفسير القرآن الكريم “ ، و إما متعلق بكلام الرسول ، و هو ” علم دراية الحديث “ ، و الثالث للتقرير فيختص به ثلاثة علوم : إما للأراء ، و هو ” علم أصول الدين “ ، و إما للأفعال ، و هو ” علم أصول الفقه “ ، و إما لما يستعان به على التقرير ، و هو ” علم الجدل “ ، والرابع لمعرفة الأحكام المستنبطة ، و هو ” علم الفقه “ .

و يلاحظ ترتيب العلوم على أساس شرف الموضوع ، فيقدم ما يختص بكلام الله ” القرآن الكريم “ على ما يختص بكلام الرسول ” الحديث “ ، كما يقدم ما هو خاص بإثبات وحدانية الله ” علم أصول الدين “ على ما يختص بالعبادات ” علم الفقه “ . و قد جاء تقسيمه هذا على أساس شكلى منهجى أكثر منه على أساس

موضوعي ، فأدى به إلى الفصل بين موضوعات وثيقة الصلة ، مثل علم القراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصالاً بالتفسير منه بعلم رواية الحديث . والأخير أوثق اتصالاً بعلم دراية الحديث ، كما أنه آخر علم أصول الدين الذي يأتي في معظم التصانيف من جهة شرفه في قمة العلوم الشرعية لاتصالها بالبحث في الذات الإلهية . و كان من الأفضل أن تسير علوم الشريعة الإسلامية لتحافظ على مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، فيبدأ بعلم أصول الدين ، ثم علم القراءات ، ثم علم التفسير ، ثم علم رواية الحديث ، ثم علم دراية الحديث ، ثم علم أصول الفقه ، ثم علم الفقه ، ثم علم الجدل .

ثم يأتي العلم الطبيعي (٢٧) في المرتبة الثانية من الحكمة النظرية ، و كان من الأفضل ، أي يثنى بالعلوم الرياضية باعتبارها العلم الأوسط ، كما حدد في بداية تقسيمه للحكمة النظرية ، و يفرق بين الأصول و الفروع لهذا العلم ، و في عرضه للأصول يتابع أرسطو و من اتبعه من الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي و ابن سينا والطوسي في إيراد ثمانية أجزاء هي نفسها كتب أرسطو في هذا العلم، وهو يسير بها تصاعدياً للوصول إلى أعلى الموجودات و هو الإنسان و ما ينسب إليه من موضوعات النفس و الحركة و الإدراك و النوم و اليقظة . و يقرر في الأصول الأساس الذي يبنى عليه دراسة الأجسام الطبيعية من التعرف على أحوال الأجسام وموادها و صورها ، و التفريق بين الجسم البسيط و المركب ، و العام ، و هو ما يشمل البسيط و المركب معاً . فالأجسام البسيطة : أحكام النجوم والطلسمات ، والأجسام المركبة : علم السيميا و الكيمياء و الفلاحة ، و ما يكون بذى النفس العاقلة وهي العلوم المتعلقة بالإنسان ، و هي علم الطب و ما يماثله عند الحيوان من علم البيطرة و البيزرة ، و ما يخص أحوال الإنسان من علم الفراسة ، و علم تعبير الرؤيا ، ثم العام ، و هو علم السحر .

و يلاحظ أن تقسيمه لفروع العلم الطبيعي أساسه شكلي منهجي ، و لكن جاء ترتيبه للفروع على أساس موضوعي متبعاً مبدأ شرف العلم و فضيلته فبدأ بمجموعة العلوم التي تخص الإنسان مبتدئاً بعلم الطب لشرف موضوعه ، وهو البحث عن بدن الإنسان من جهة ما يصح و يمرض ، و يثنى بعلم البيطرة و البيزرة لما بينهما من

تناسب حيث يتناول أجسام الحيوانات و الطيور من جهة الصحة والمرض ، فهو للحيوان كالطب للإنسان ، و يستكمل الموضوعات الخاصة بالإنسان ، و يتدرج بها من الذى يعالج أحواله الظاهرة الدالة على أحواله الباطنة ، و هو علم الفراسة ، ثم ما يخص نفسه فى حالة غيبته عن جهة ، وهو ” علم تعبير الرؤيا “ ، ثم علم أحكام النجوم لشرف موضوعها عما يليها من العلوم لتعلقها بالأجرام السماوية ، و هو متأثر بنظرة أرسطو لها باعتبارها تقع فى ذروة سلم الموجودات ، ثم يتناول العلوم المتعلقة بالسحر ، و يبدوها بالعلم العام و هو السحر الذى يتناول الأجسام البسيطة و المركبة ، و يتبعه بالعلوم المرتبطة به ، و المتفرعة عنه ، و هى علم الطلسمات الذى أخره عن علم أحكام النجوم بالرغم من تعلقهما بالجسم البسيط ، إلا أن موضوع علم الطلسمات يرتبط بعلم السحر لأن مبادئه و أسبابه مأخوذة من علم السحر . و يتبعه علم السيميا لارتباطه أيضا بعلم السحر ، و يأتى فى آخر العلوم الطبيعية علم الكيمياء الذى جرت العادة فى التصانيف العربية الإسلامية على ذكره بعد علوم السحر . و أغلب الظن أن رفض بعض العلماء له و اعتباره تابعا لعلوم السحر مما أدى إلى وضعه فى آخر التصانيف ، كما عند ابن النديم و الخوارزمى ، ثم استمر الوضع لهذا العلم بتأخيره إلى آخر العلوم ، سواء عند معالجة فروع العلم الطبيعى أو معالجة العلوم العقلية ككل . و يضيف ابن الأكفانى علما جديدا و هو علم الفلاحة ، و يضعه بعد علم الكيمياء ، و كان من الأفضل أن يلحق به علم البيطرة و البيزرة ، فقد جرت عادة الكتاب على معالجة الموضوعين معا ، و هذا واضح من كتاب ” الفلاحة “ لابن العوام الذى يعالج فيه علم البيطرة و البيزرة . (٢٨)

و يأتى ترتيبه لفروع العلم الرياضى (٢٩) مختلفا عما سبقه ، فيبدأ بعلم الهندسة لما لها من اتصال مباشر بالعلم الطبيعى لاستمدادها بعض المبادئ منه ، ويقدمها على بقية الأقسام الأساسية للعلم الرياضى لأنه يمهد الذهن لدراسة بقية الأقسام الرياضية بما تكسبه من حدة و نفاذ و ترويض للفكر ، و يستفاد من علومه الفرعية فى بقية العلوم الرياضية من علم الهيئة و الحساب و الموسيقى . و يثنى بعلم الهيئة بعد الهندسة لكونه آلة لعلم الهيئة . ويقدمه على بقية العلوم الرياضية وذلك لشرف موضوعه لما جاء فى التنزيل الإلهى من الحث على النظر فى هذا العلم

وموضوعاته و للاحتياج إليه في ضبط أحوال الأزمة المتعلقة بالعبادات و المعاملات، و يليه في الشرف علم الحساب لدخوله في حساب بعض المعاملات الشرعية ، مثل حساب الدور و الوصايا ، و قد قدمه على علم الموسيقى باعتباره آلة لها ، فعلم الموسيقى يعتمد على الأعداد المتناسبة ، كما أنه يعد آخر العلوم الرياضية في الشرف لانحصار منفعته في اللذة و السرور ، و في كل قسم من الأقسام الرياضية يفرق بين الأصول و الفروع ، و يأتي ترتيب الفروع في كل قسم حسب منهج معين يقوم على أساس وجود فكرة معينة متضمنة في كل علم ، و قد أسماها كل من " هوبل ودوف " (ق ٩ م) : الطبيعة الجوهرية للعلوم . (٣٠) فيقسم فروع علم الهندسة على نهج يفرق فيه بين العلوم على أساسين ، أحدهما عن إيجاد المطلوب من الأصول الكلية لعلم الهندسة ، و الثاني الباحث عما ينظر إليه ، أو لا ينظر إليه . والأخير يتناول موضوعات علم عقود الأبنية ، ثم علم المناظر ، ثم ما يخص المنظور إليه إن اختص بانعكاس الأشعة ، و هو علم المرايا المحرقة ، و الباحث عن إيجاد المطلوب في الأصول الكلية يقسم شكلياً بدوره إلى قسمين : الأول من جهة التقدير ، فإن اختص بالنقل فهو علم مراكز الأثقال ، و إن كان ثابتاً فهو علم المساحة . و الثاني من حيث إيجاد الآلات أو ما يستخدم الآلات . و الأخير هو علم إنباط المياه . أما العلوم الخاصة بالآلات فيفرق بينها على أساس نوع الآلة ، فإما أن تكون تقديرية أو غير تقديرية ، و التقديرية تقسم بدورها إلى قسمين : آلات ثقيلة ، و هو علم جر الأثقال ، أو زمانية و هي علم البنكومات ؛ أي الآلات المقدره للوقت ، التي ليست تقديرية ، و هي إما آلات حربية أو آلات روحانية .

و يفرق بين الأصول في علم الهيئة و الفروع ، و يرتب الأخير على أساس فكرة متضمنة لكل علم ، فيفرق بين العلوم على أساس حساب الأعمال ، أو ما يتوصل إليها بالآلات ، فالأول إن اختص بالكواكب المتحيرة فهو علم الزيجات و التقاويم ، و إن اختص بتقدير الأزمنة فهو علم المواقيت . أما ما يتوصل إليه بالآلات فيقسم على أساس نوع الآلات ، فإن كانت آلات رصدية فهو علم كيفية الأرصاد ، و إن كانت آلات شعاعية فهو علم تسطيح الكرة ، و إن كانت آلات ظليلة فهو علم الآلات الظلية .

و يستمر استخدامه للمنهج القائم على فكرة معينة في ترتيب فروع علم الحساب على أساس التفريق بين البحث عن الأعداد المعلومة و الأعداد المجهولة ، فالأول منها يقسم إلى قسمين ، ما يبحث في الأعداد مجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، أو ما يتقيد برقوم خطية ، و هو علم حساب التخت و الميل . و الثانى يقسم على أساس تناسب الأعداد أو عدم تناسبها ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن اختص بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، و الثانى إما يخص الدور و هو علم الدور و الوصايا ، أو علم حساب الدرهم و الدينار ، و على هذا الأساس يتم ترتيب فروع علم الحساب .

القواعد و المفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن الألفانى للمعرفة

تميز تقسيم ابن الألفانى للمعرفة بالمنطقية و الترابط بين أقسامه ، فقد عكس عدداً من العلاقات التصنيفية ، بل تضمن عدداً من المفاهيم التى نادى بها مصنفو العصر الحديث ، و من هذه العلاقات :

• علاقة الاشتمال والتبعية التى سارت عليها كل الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى أقسام رئيسية ، مثل تقسيمه للعلوم كمقاصد ، و كآلة ، و كل منهما بدوره قسمه إلى أقسام رئيسية ، فالمقاصد ميز بين قطاعين كبيرين للمعرفة ، و هما معرفة نظرية و أخرى عملية ، و تناول كلا منهما بالتقسيم ، فالمعرفة النظرية إلى قطاعاتها الثلاثة ، و كل قطاع منها إلى عدد من الأقسام الرئيسية ، و كل قسم مقسم إلى أصول و فروع .

• علاقة تساوى ، و قد عكس تصنيفه نماذج متعددة أدت إلى وقوف علوم متباينة فى موضوعاتها على صف واحد لا ندرجها تحت أمر ثالث يضمهم ، فنجد علم الطب الذى يتناول بدن الإنسان ، و علم أحكام النجوم الذى يتناول الأجرام السماوية ، و علم السحر و علم الكيمياء ، فبالرغم من التباين بينهم إلا أنهم يشتركون فى معالجة موضوع واحد هو الجسم الطبيعى موضوع العلم الأعم الذى يضمهم و هو العلم الطبيعى ، و من هنا وجدت علاقة التساوى أو التناسب بينهم .

و ظهر فى تصنيف ابن الألفانى عدد من مبادئ التصنيف التى نادى بها مصنفو الغرب فى القرنين التاسع عشر و العشرين ، و من هذه المبادئ :

• مبدأ تسلسل العلم الذي نادى به " كونت " فى القرن التاسع عشر ، على أساس أن كل علم بنى على سابقه ، و ليس على تابعه ، و زاد عليه " سبنسر " بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له . (٣١)
و قد طبق ابن الأكفانى هذا المبدأ فى ترتيب علومه

• اتبع ابن الأكفانى منهجاً فى ترتيب العلوم المتفرعة عن الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، يقوم على أساس الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و التى أصبحت من المبادئ المهمة فى تصنيف القرن التاسع عشر ، و أول من نادى بضرورة اتباع هذا المبدأ كل من " ويليام هويل " و قد أسماها الطبيعة الجوهرية لكل علم ، و هى الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و " دوف " الذى أسماها الهدف الأسمى للعلم ، فمثلاً المنطق يعتمد على الشخصية ، و الحساب يبنى على الرقم ، و الجبر على الكمية ، و على هذا الأساس جاء تسلسل العلوم عند كل منهما كالاتى : (٣٢)

تصنيف و يليام هويل		تصنيف دوف	
العلم	الفكرة المتضمنة	العلم	الفكرة أو الهدف الأسمى
الهندسة	الفراغ أو الفضاء	المنطق	الشخصية
الحساب	الرقم	الحساب	الرقم
الجبر	العلامة	الجبر	الكمية
الفلك	الحركة	الهندسة	الفراغ أو الفضاء
الاستاتيكا	القوة	الاستاتيكا	القوة
الديناميكا	الشيء	الديناميكا	الحركة
الاستاتيكا	القصور الذاتى	السمعيات	الصوت
الهيدرولوجية	الضغط المتدفق	البصريات	الضوء
الديناميكا	الوسيط	المغناطيسية	القوة المغنطة
الهيدرولوجية	النوعيات	الكيمياء	الألفة
السمعيات	المادة		
البصريات	التشابه		
الكيمياء			
علم البلورات			

و قد حدد ابن الأكفاني الفكرة التي يتضمنها ، و التي على أساسها يقسم العلوم و يرتبها ، فيقسم العلوم الأدبية على أساس علوم تبحث في الألفاظ ، و أخرى في الخط ، ثم يقسم العلوم الباحثة في الألفاظ إلى علوم تبحث في الألفاظ المفردة ، و ثانية تبحث في الألفاظ المركبة ، و ثالثة تجمع بين الاثنين ، و هذا ما ذكر في عرض العلوم الأدبية . كذلك في تقسيم فروع العلم الطبيعي و ترتيبها ، أو العلوم الرياضية ، فمثلا علم الحساب ترتب علومه على أساس الفكرة المتضمنة لكل علم كالآتي : (٣٣)

العلم	الفكرة
الحساب المفتوح	العدد المعلوم المجرد
حساب التخت و الميل	العدد المعلوم المقيد برقوم خطية
الجبر و المقابلة	المجهولات
حساب الخطأين	أعداد متناسبة
الدور و الوصايا	الدور
الدرهم و الدينار	

و قد أطلق " هويل " على عملية إبراز الأفكار المحتواة في كل علم " الجانب الموضوعي في التصنيف " ، و هو ما أكد عليه مصنفو القرن التاسع عشر . (٣٤) وقد أشار حاجي خليفة إلى هذا الجانب الموضوعي ضمن القواعد التي ذكرها للتصنيف في كتابه كشف الظنون ، و عبر عنها بقوله : " إن اسم كل علم موضوع بإزاء مفهوم إجمالي شامل له " . وقد سار تصنيف ابن الأكفاني على هذا المبدأ ، فذكر لكل علم موضوعه و مبادئه و غرضه و منفعته ، فهو مثلا يعرف علم الهندسة بأنه علم يعرف منه أحوال المقادير و لواحقها ، وأوضاع بعضها عند بعض ونسبها ، و يحدد موضوعه ، وهو المقادير ، و منفعته أن يكتسب الذهن حدة و نفاذا ، و يروض الفكر . (٣٥) وهذا ما يتبعه في كل علم .

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية في التصنيف العربية الإسلامية ، و هو من أهم المبادئ التي بنى عليها " بليس " تصنيفه البيبليوجرافي . وقد تميز تصنيف ابن الأكفاني باتباع هذا المبدأ الذي سار عليه تصنيفه منذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة في تصنيفه ، سواء على مستوى

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية في التصنيف العربية الإسلامية، وهو من أهم المبادئ التي بنى عليها " بليس " تصنيفه البيبليوجرافي . و قد تميز تصنيف ابن الأكفاني باتباع هذا المبدأ الذي سار عليه تصنيفه منذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة في تصنيفه ، سواء على مستوى الأقسام الرئيسية أو الفرعية ، فعلى مستوى الأقسام الرئيسية جمع معالجة علمي اللغة و الأدب متجاورين تحت تسمية علم الأدب ، كذلك فروع العلم الطبيعي، فعلى الرغم من التقسيم الشكلي الذي أشار إليه عند التقديم لها إلا أن ترتيبها في المعالجة جاء على أساس موضوعي ، حيث عمل على أساس تجاور الموضوعات المتشابهة ، فتجاورت الموضوعات التي تتناول الإنسان ، مثل الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا ، كما تجاورت علوم السحر مع السحر والطلسمات وعلم السيميا .

و من أهم المبادئ التي بنى عليها " بليس " تصنيفه البيبليوجرافي مبدأ التفرع الذي يعنى تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود في الروابط بين الموضوعات الكبيرة ، و أسماه " بليس " التداعى بالخصوصية ، و هو يشبه إلى حد كبير ما جاء به " سبنسر " من مبدأ التسلسل الذي كان امتداداً لمبدأ التسلسل الذي نادى به "كونت" ، وتعنى هذه الفكرة أنه على الرغم من وجود عدد من الموضوعات الصغيرة تتساوى في الدرجة إلا أن بعضها يعتمد في وجوده على تلك الموضوعات الأخرى .

و إذا بحثنا على خريطة تقسيم المعرفة عند ابن الأكفاني وجدنا لهذه الفكرة تطبيقاً في أكثر من موضع نسوق منها ترتيبه لفروع علم العدد الذي يذكر أن فروعها ستة ، و هي على الترتيب : الحساب المفتوح ، و حساب التخت و الميل ، و حساب الجبر و المقابلة ، و حساب الخطأين ، و حساب الدور و الوصايا ، و حساب الدرهم و الدينار ، فبالرغم من وجود هذه الموضوعات الستة على صف واحد ، و تساويها في الدرجة إلا أن ذكر بعضها لاحقاً لعلم سابق عليه يعود إلى اعتماده على نتائج الموضوع السابق عليه ، فهو يقدم العلوم التي تعتمد على الأعداد المعلومة مبتدئاً بالعلم الذي يعتمد على الأعداد المجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، ثم يليه ما يعتمد عليه ، و هو حساب التخت و الميل الذي يبحث في الأعداد المعلومة متقيداً

برقوم خطية ، ثم تأتي العلوم التى تبحث فى المجهولات لاستخراج المعلومات ، فهى تعتمد على ما يتضمنه علم الحساب المفتوح من تناسب الأعداد ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد المتناسبة ، فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن تحدد بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، ثم ما لا يعتمد على التناسب ، و هو علم الدور و الوصايا ، ثم علم حساب الدرهم و الدينار .

تقييم محاولة ابن الأكفانى التصنيفية

- ينطلق ابن الأكفانى بتصنيفه من منطلق عربى إسلامى ، حيث بدأ تقسيمه للعلوم بالعلوم العربية متمثلة فى علوم الأدب التى جعلها المنفذ لدراسة ما يليها من العلوم سواء الشرعية أو العقلية ، كما جعل العلم الإلهى بما يتضمنه من العلوم الشرعية المستمدة من الدين الإسلامى هو بداية الحديث فى العلوم الحكمية التى هى المقاصد من العلوم .
- استخدم ابن الأكفانى المنهج النقدى فى تقييم العلوم أو الكتب ، فنراه يقسم الكتب إلى مبسطة و مختصرة و متوسطة ، كما ينقد المادة العملية ، كما فى حديثه عن علم دراية الحديث ، فيقول : ” الكتب المنسوبة لهذا العلم تقرب التيسير للنواوى ، و علوم الحديث للحاكم ، و الكفاية للخطيب بن بكر بن ثابت ، إنما هى مداخل و ليست كتباً كافية لهذا العلم “ . و فى حديثه عن كتب علم الهيئة يقول : ” و من المبسطة القانون المسعودى لأبى الريحان البيرونى ، و شرح المجسطى للتبريزى ، و هذه الكتب تتوقف على علم الهندسة ، لأن مقدمات براهينها هندسية “ . و يقيم كتاب القانون لابن سينا بقوله : ” فهو الذى أخرج الطب من التلغيق إلى التهذيب والترتيب ، و هو أجمع الكتب و أبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً “ .

و يعرض ابن الأكفانى لموضوع الفرق الإسلامية و الفرق اليهودية والمسيحية ضمن علوم العلم الإلهى ، و لكنه لا يحدد لها مكاناً محدداً ضمن علوم الشريعة ، فلم يفرعها عن علم النواميس كما فعل مع بقية العلوم الشرعية ، و لا من الأقسام الأصلية للعلم الإلهى ، ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم اعتراف أهل السنة بوجهة نظرهم ، فالإسلام عندهم هو الإسلام السننى فقط ، و ما عداه هرطقة . كما لم يكن التأليف فيها

مقصوداً و إنما جاء إيراد آرائهم للرد عليها و مناقشتها ، و من هنا كانت الكتابة عن هذه الفرق إلزاماً من قبل الكتاب و ليس عملاً مقصوداً . (٣٧) و لذلك كانت إشارة ابن الأكفاني لها لوجود إنتاج فكري يتحدث عنها، و من هنا ذكرها و عرف بها ، ولكنه لم يستطع أن يحدد لها مكاناً ضمن العلوم الدينية ، سواء فقهية أو خاصة بعلوم القرآن أو الحديث . و على الرغم من متابعة ابن الأكفاني من سبقه من المصنفين في وضع علم الكيمياء لاحقاً لعلوم السحر ، و ما يتبعه هذا من شبهة اقتراب مفهوم البعض له من اشتماله على جوانب سحرية و بطلانه ، إلا أن معالجة ابن الأكفاني لهذا العلم بعدت به تماماً عن هذا المفهوم ، بل كانت معالجة تتم عن مدى تقدم هذا العلم على زمن ابن الأكفاني و إحاطة ابن الأكفاني بحدود هذا العلم و مفاهيمه و منافعه، فهو يشير إلى نفع هذا العلم و تأثيره في أعمال الطب ، و استخدام مركباته في علاج أمراض خطيرة كالصرع و البرص و الجذام ، و هذا ما نجده في اعتماد علم الصيدلة الحديث على الكيمياء في إنتاج أدوية مركبة لعلاج العديد من الأمراض ، و بخاصة الأمراض الخطيرة .

مميزات تصنيف ابن الأكفاني و عيوبه

يعد تصنيف ابن الأكفاني أكمل التصانيف التي وصلتنا من القرن الثامن الهجري لتمثله لمعظم علوم عصره ، سواء العربية و الشرعية أو العلوم الأجنبية ، و تميز تصنيفه بالحفاظ على الوحدة الموضوعية ، فتجمعت عنده الموضوعات ذات الصلة مثل علوم اللغة و الأدب و علوم الخط ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصانيف الغربية المشهورة ، مثل تصنيف " بيكون " الذي فصل علوم اللغة و الخط و البلاغة عن العلوم الأدبية الأخرى ، و اعتبرها أدوات لتوصيل العلوم و المعارف ، و لكن كانت نظرة ابن الأكفاني لها أكثر تقدماً فقد اعتبرها علوماً و في الوقت نفسه أدوات ، ولذلك وضعها في مكان صحيح في بداية تصنيفه باعتبارها مقدمة لدراسة ما بعدها من العلوم ، و ما يوجه له " بيكون " من نقد ينسحب على تصنيف " ديوى " الذي فصل علم اللغات عن الأدب .

وقد إتجه المصنفون في القرن التاسع عشر إلى التمييز بين العلوم البحتة و التطبيقية ، و ممن قاد هذا الاتجاه " الكسندر بين *Alexander Bain* " و "

جوبلو *Gobolot* “ . (٣٨) و قد قام “ أوجست كونت “ في ١٨٣٠م بالتمييز بين فئتين من العلوم ، الأولى أسماها “ العلوم العامة أو التجريدية “ التى تهدف إلى استخلاص القوانين المنظمة للظواهر . و الثانية “ العلوم الحية أو الوصفية “ التى تقوم على تطبيق القوانين على الكائنات الفعلية . (٣٩) و قد وضع هذا الاتجاه عند ابن الأکفانى ، سواء فى العلوم الطبيعية أو الرياضية ؛ ففى أصول العلم يرسخ النظريات و المبادئ ، و فى الفروع نجد الاتجاه التطبيقى ، فمثلاً فى العلم الطبيعى يذكر فى الأصول علم الحيوان ، و فى الفروع علم البيطرة و الببيرة ، و فى علم الهندسة من أقسام العلم الرياضى يحدد فى الأصول القوانين و فى الفروع الجانِب التطبيقى ، فيقول عند تعدادهِ لفروع علم الهندسة : “ و أما العلوم المنقرعة عليه فهى عشرة : علوم عقود الأبنية ، و ... “ . (٤٠) و ذلك لأنه إما أن يبحث عن إيجاد ما يبرهن عليه فى الأصول الكلية بالفعل ، و هنا إشارة إلى القوانين والنظريات التى احتوتها الأصول التى عرضها لعلم الهندسة و ما يعرضه من الفروع هو الجانب التطبيقى لها . كما يذكر عن علم الزيجات و التقاويم ، وأنه فرع من فروع علم الهيئة . (٤١) كما يتعرف منه مقادير الكواكب السيارة ، منتزعاً من الأصول الكلية ، و هنا يشير إلى اعتماد هذا العلم على النظريات و القوانين التى احتوتها العلوم الأصلية فهو العلم التطبيقى لها . و إذا كنا نجد فى تصنيف ابن الأکفانى تطبيقه لمفاهيم تصنيفية نادى بها مصنفو القرن التاسع عشر إلا أن تصنيفه قد تميز بعدم الفصل بين الجانب النظرى و التطبيقى ، و هذا ما أخذ على بعض التصنيف الغربية الشهيرة ، مثل تصنيف بيكون الذى فرق إثنين : الموضوعات التى تنتمى إلى مجال معرفى واحد فيعالج التاريخ الطبيعى بعيداً عن علم الطبيعة و قوانين الطبيعة . بعكس الأنصارى الذى عالج موضوعات العلم الطبيعى سواء ما يتصل بالقوانين أو العلوم التطبيقية لها متجاوزة ، فلم يقفز بعلم الفلاحة (الزراعة) فى مكان بعيد عن علم النبات على خريطته التصنيفية ، و هذا ما يؤخذ على “ ديوى “ الذى فصل علم النبات عن علم الزراعة ، كما فصل غيره من العلوم ذات الصلة القوية عن بعضها . و جاءت معالجة ابن الأکفانى لعلم الهيئة بعيدة عما لحق به من ارتباط بعلم التنجيم ،

و الاستدلال به على المستقبل ، و عالجته معالجة موضوعية مبرزاً أهميته بالنسبة للعلوم الشرعية .

و على الرغم من المميزات الكثيرة لتصنيف ابن الأکفانی إلا أن هناك بعض المآخذ ، منها :

• عدم إشارته لبعض العلوم المهمة في عصره ، و منها علم التاريخ الذي كان يعد من العلوم التي تعتمد عليها العلوم الشرعية ، فكان لها بمثابة الوسيلة ، أو الآلة ، و إذا كان الأنصارى في بداية تصنيفه قد فرق بين ما هو آلة لغيره ، و ما هو علم في نفسه ، فكان من الأحرى به ذكر هذا العلم ضمن العلوم الآلية كمقدمة للعلوم الشرعية نظراً لتقدم هذا العلم على زمن ابن الأکفانی و زيادة عدد الكتب المؤلفة فيه .

• أنه ذكر علوماً و لم يحدد لها مكاناً على خريطته التصنيفية ، مثل : علم الفرق الإسلامية الذي أسهب في الحديث عنه ضمن عرضه للعلم الإلهي دون تحديد مكان مناسب على خريطته التصنيفية

• ذكره لعلم الرمل ضمن فروع العلم الطبيعي على الرغم من عدم الإشارة إليه في فروع العلم الطبيعي .

• ذكره للعلوم الباطلة ، و هي علوم السحر ضمن العلم الطبيعي ، و كان من الأفضل لرجل يؤمن بالتجربة و أهميتها أن يتحى بتصنيفه عن مثل هذه العلوم ، و أغلب الظن أن ابن الأکفانی يرصد و يسجل العلوم الموجودة ذات الإنتاج الفكري العقلي ، فهو لا ينتقى من بين العلوم ما يعرض أو لا يعرض ، و لكنه يسجل الواقع الفعلي لعلوم عصره مما يميز تصنيفه بالواقعية .

تصنيف ابن الأکفانی انعكاس للحياة الفكرية في عصره

اتسم العصر الذي عاش فيه ابن الأکفانی بأنه عصر تأليف الموسوعات ، و لذلك جاء كتابه : ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ نموذجاً للموسوعات الصغيرة ، قسم فيها المعرفة البشرية مع التعريف بكل علم ، و معالجته معالجة موجزة مستوفاة لجميع جوانب الموضوع مع إعطاء قائمة ببليوجرافية بالكتب المؤلفة في كل علم .

و قد عكس تصنيف ابن الأكفاني مدى تقدم العلوم فى عصره بما أضافه من علوم عديدة مشتقة فى مختلف أقسام المعرفة ، و بخاصة العلوم العقلية ، مثل : علم عقود الأبنية على فروع علم الهندسة ، و علم تسطيح الكرة ، و علم المواقيت ، و علم الآلات الظلية على فروعه علم الهيئة ، و أضاف على فروع علم الحساب علم حساب التخت و الميل ، و علم الدور و الوصايا ، و علم حساب الدرهم و الدينار ، كما أضاف علم الفلاحة ، و علم الرمل ، و علم البيطرة ، و البيزرة ، و علم السيميا . كما أن ذكر علم الآلات الحربية فى فروع علم الهندسة يعد نتاجاً للحروب المتعددة التى خاضتها الأمة الإسلامية حتى عصر ابن الأكفاني . و يظهر تأثير البيئة الإسلامية على مجموعة العلوم العملية فى تصنيفه ، حيث يشير إلى السيرة النبوية كأفضل مثال يحتذى الإنسان فى حياته العملية ، سواء كان ذلك على المستوى الشخصى أو الأسرى أو المدنى .

تصنيف ابن الأكفاني بين التأثير والتأثر

استوعب ابن الأكفاني فى تصنيفه كل ما جاءت به التصنيفات السابقة عليه ، و لكنه لم يقف عند حد النقل ، و إنما سار على فلسفة خاصة به فى عرض العلوم و ترتيبها ، كما أضاف العديد من العلوم المشتقة إلى الأقسام المعرفية فى تصنيفه لم يشر إليها أحد من قبله ، و هذا ما اتضح من قبل ، و يمكن تحديد التصنيفات التى أخذ عنها فيما يلى : يعد الفارابى و ابن سينا من أكثر المصنفين اللذين تأثر بهم ابن الأكفاني ، و نقل عنهما الكثير ، سواء كان ذلك فى طريقه التقسيم أو فى تعريفات العلوم .

تأثره بالفارابى

اختلف الباحثون فى مدى تأثر ابن الأكفاني بالفارابى ، ذكر عثمان أمين فى مقدمة كتاب إحصاء العلوم أن كتاب ” إرشاد القاصد “ قد استفاد فبعضهم يرى أن ابن الأكفاني قد استعرض إحصاء العلوم شيئاً غير قليل بالإضافة إلى اتفاق المقدمة عند كل منهما فى نقاط كثيرة بينما يفند البعض الآخر هذه المقولة ، بالإضافة إلى أن ابن الأكفاني قد أحاط بعدد أكبر من عدد العلوم التى تم تناولها فى الإحصاء (٤٣) وإذا كان هذا رأى صحيحاً إلا أن ابن الأكفاني قد استفاد كثيراً من الفارابى ، ففى

مقدمته تناول تقريباً كل النقاط التي تناولها الفارابي في مقدمته ، بل إنه أحياناً يتناول نفس الألفاظ و العبارات ، و من الأمثلة على ذلك ، يقول ابن الأكفاني عن الأمور التي يستفيد منها أي قارئ لكتابه ” أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل و أشرف ، و أيها أتقن و أوثق و أيها أوهن و أوهى “ (٤٤) و عن هذا الأمر نجد نفس العبارة و نفس الألفاظ عند الفارابي فيقول ” و بهذا الكتاب يقدر الإنسان أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل و أيها أنفع ، و أيها أتقن و أوثق و أقوى ، و أيها أوهن و أوهى وأضعف “ (٤٥)

كما تشابه ابن الأكفاني مع الفارابي في الابتداء بعلم الأدب الذي أسماه الفارابي علم اللسان ، كما اتفق كل منهما على اعتباره آلة و وسيلة لتحصيل غيره من العلوم ، و قد جاءت فروع هذا العلم متشابهة عند كل منهما ، و إن اختلفت التسميات ، فعلم اللغة عند ابن الأكفاني أطلق عليه الفارابي علم الألفاظ المفردة ، و علم التصريف عند ابن الأكفاني أطلق عليه الفارابي علم قوانين الألفاظ المفردة ، و علم النحو عند الأكفاني هو علم قوانين أطراف الأسماء ، و الكلم عندما تركيب ، كما ذكر الاثنان علم قوانين الكتابة ، و علم قوانين القراءة ، و قد عالج الفارابي في علم الأشعار الأقسام التي عالجها ابن الأكفاني نفسها ، و هي علم البديع و علم العروض و علم القوافي ، و هكذا نجد الاتفاق بينهما في فروع علم الأدب و إن اختلف الترتيب ، و تميز ابن الأكفاني باستخدام ألفاظ محددة واضحة تطلق على كل علم مع توسع ابن الأكفاني في شرح كل علم شرحاً مبسطاً واضحاً و إعطاء تعريف العلم و حدوده و منفعة و الإشارة إلى أهم الكتب المؤلفة فيه ، و هذه هي إضافة ابن الأكفاني في إعطاء صورة للإنتاج الفكري في عصره ، و لذلك انتمى تصنيفه إلى التصنيف البيبليوجرافي ، بينما اعتبر تصنيف الفارابي تصنيفاً فلسفياً .

و قد تابع ابن الأكفاني الفارابي أيضاً في ذكر علم المنطق بعد علم الأدب واعتبره آلة للعلوم ، و لكن نظرة ابن الأكفاني لهذا العلم كانت أكثر تقدماً لاعتباره علم المنطق علماً في نفسه و آلة لغيره من العلوم ، مثل علم الهندسة الذي يعد علماً في نفسه و آلة لعلم الهيئة . و يذكر ابن الأكفاني تسعة أقسام لعلم المنطق ، بينما يقصره الفارابي على ثمانية فقط لاغياً المدخل .

تأثره بابن سينا

يعد ابن سينا من أكثر المصنفين الذين تأثر بهم ابن الأکفانی فی الجزء الثانی من تصنیفه الخاص بعلوم الحکمة ، و من جوانب تأثره بابن سينا تعريفاته للحکمة النظرية و العملية و الغاية من کل منهما ، فيقول ابن الأکفانی فی تعريف الحکمة النظرية : ” تكون بحصول الاعتقادات اليقينية فی معرفة الموجودات و أحوالها “ (٤٦) و يعرفه ابن سينا بأنه الغاية من العلم النظرى هو حصول الاعتقاد اليقینى بحال الموجودات التى لا يتعلق و جودها بفعل الإنسان و يكون المقصود هو حصول رأى فقط “ (٤٧) و هنا نلاحظ التوافق التام بين التعريفين بل الاتفاق فى الألفاظ و الغاية التى تنحصر فى الوصول إلى المعرفة لذاتها عند کل منهما . كذلك يتفق تعريف کل منهما للحکمة العملية فيقول ابن الأکفانی : ” يكون بتركيز النفوس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل “ . (٤٨) و يذكر ابن سينا بقوله : ” المقصود فيها حصول صحة رأى فى أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه فلا يكون المقصود حصول رأى فقط بل حصول رأى لأجل عمل ، و غاية العمل هو الخير “ . (٤٩) و يتفق معنى التعريفين فى حصول الخير من وراء الحکمة العملية و لكن يكمن الاختلاف بينهما فى القدرة اللغوية حيث يتفوق الأکفانی على ابن سينا فى المقدرة اللغوية حيث يصل للمعنى بعبارة قوية مختصرة سهلة تنفذ للغرض بسهولة . و يتبع ابن الأکفانی التقسيم التساعى للمنطق كما فعل ابن سينا حيث يبدأ مثله بالمدخل ويشير إلى كتب أرسطو و الفارابى و ابن سينا فى علم المنطق و هذا دليل على معرفته بتصانيفهم و تأثره بهم سواء بالنقل المباشر أو بالفكرة . و يظهر بوضوح تأثر ابن الأکفانی بتقسيم ابن سينا لأقسام الحکمة النظرية من حيث التفريق بين أصول العلم وفروعه ، وقد اتفقت الأصول عند کل منهما إلى حد كبير سواء فى العلم الإلهى أو فى العلم الطبيعى ، مع بعض الاختلافات البسيطة ؛ ففى العلم الإلهى يدمج ابن الأکفانی فروع العلم الإلهى عند ابن سينا فى اصول العلم مثل علم المعاد كما اتفقت أصول العلم الطبيعى اتفاقاً تاماً ، و ترد عند کل منهما إلى أسماء كتب أرسطو .

و قد نقل ابن الأکفانی عن ابن سينا فروع العلم الطبيعى و العلوم الرياضية ، و إن زاد عليها كثيراً : فمثلاً تبلغ فروع العلم الطبيعى عند ابن سينا سبعة بينما تصل

إلى أحد عشر علماً عند ابن الأکفانی ، و يذكر ابن سینا علماً واحداً مفرعاً عن علم الهيئة ، بينما يذكر ابن الأکفانی خمسة علوم فرعية في علم الهيئة ، كما ينقل ابن الأکفانی تعريفات كثيرة من العلوم عن ابن سینا ، و منها : تعريفه لعلم الطب و علم الكيمياء و علم الهندسة و غيرها من العلوم .

تأثره بالخوارزمي

نقل عن الخوارزمي علم الآلات الروحانية الذي أشار إليه الخوارزمي في الفصل الثاني من الباب الثامن من المقالة الثانية تحت عنوان ” حركة المله “ (٥٠) وصفة الأواني العجيبة و ما يتصل بها من صناعة الآلات المتحركة لذاتها ، ويشير ابن الأکفانی إلى الآلات التي ذكرها الخوارزمي و أعطى وصفاً لها ، و منها السرج والقطارة ، و قدح العدل ، و الجور الذي أسماه الخوارزمي بجام العدل. (٥١)

تأثره بجابر بن حيان

يظهر تأثره بجابر بن حيان في عرضه لعلم الكيمياء ، فيلخص تقريباً ما عرضه جابر عن هذا العلم في السباعية أو الحدود ، مستخدماً ألفاظه عن هذا العلم من التدبير و تقسيم التدبير إلى الجواني والبراني والعقاقير المستخدمة في التدبير ، وفي نهاية حديثه يشير إلى كتب ابن حيان في هذا العلم .

ثانياً : تأثير ابن الأکفانی فيمن بعده

تأثر بكتاب ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ العديد من العلماء والمصنفين الذين أتوا بعد ابن الأکفانی ، و منهم السيوطي في كتابه ” إتمام الدراية لقراء النقاية “ ، و طاشكبري زادة في كتابه ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ ، كما تأثر به التهانوي في كتابه ” كشف اصطلاحات الفنون “ ، و سوف يتم التعرض لهم في الصفحات القادمة من البحث . كما تأثر به الفيروزآبادي ، حيث استعان بجزء كبير في هذه الموسوعة فأثبتته عند حديثه عن عدد من الموضوعات في بداية كتابه الشهير ” بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز “ ، و في هذه الموضوعات التي تناولها تشابهت مع ما ورد في كتاب ” إرشاد القاصد “ في فضل العلم و أنواعه و مراتبه و شروط التعلم والتعليم، والقول في حصر العلوم، و لكنه لم يشر إلى ابن الأکفانی و كتابه . (٥٢) و ممن تأثروا به أيضاً القلقشندي في كتابه

”صبح الأعشى فى صناعة الإنشا “ ، فقد ورد فصل بعنوان المقصد الثانى فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء و المشهور من الكتب المصنفة فيها و مؤلفاتهم ، و بقراءة دقيقة لهذا الفصل يتضح أنه تلخيص دقيق لكتاب إرشاد القاصد لابن الأكفانى ، فقد أخذ منه أسماء العلوم . (٥٣) و تعريفاتها أحياناً و ذكر أمثلة الكتب نفسها التى وردت عند ابن الأكفانى ، و قد أشار القلقشندى نفسه إلى أنه نقل عن إرشاد القاصد ، فقد ذكر فى أكثر من موضوع ، قال فى إرشاد القاصد ، كما كتب حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون متحدثاً عن الكتاب بقوله ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى الأكفانى السنجارى المتوفى سنة أربع و تسعين وسبعمائة مختصر أوله الحمد لله الذى خلق الإنسان و فضله .. إلخ ، ذكر فيه أنواع العلوم و أصنافها و هو ما أخذه مفتاح السعادة لحاشكبرى زادة . و جملة ما فيه ستون علماً منها عشرة أصلية و سبعة نظرية ، و هى : المنطق و الإلهى و الطبيعى و الرياضى بأقسامه ، و ثلاثة عملية ، و هى السياسة والأخلاق و تدبير المنزل ، و ذكر فى جملة العلوم أربعمائة تصنيف. (٥٤)

كما نقل حاجى خليفة عن ابن الأكفانى عن مقدمته بعض الأفكار بثبها فى بعض موضوعات مختلفة منها عند حديثه عن التعليم ” ما ورد عنده فى المقدمة فى الباب الرابع فى فوائد منثورة فى أبواب العلم ، فقد صنف العلوم إلى علوم مقصودة للذات ، و علوم هى آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية و المنطق ، و هذا ما جاء عند ابن الأكفانى فى حصر العلوم. (٥٥) .

المنهج المتبع فى تصنيف ابن الأكفانى

حصر ابن الأكفانى العلوم و المعارف فى نوعين اثنين ، و هما : علوم مقصودة لذاتها و هى المقاصد ، و علوم غير مقصودة لذاتها ، و إنما آلة لخيرها ، و هى الوسائل ، ثم قسم كلا منهما إلى علوم رئيسية عامة ، و كل علم منها قسم إلى عدة علوم يتفرع منها علوم أصلية و علوم فرعية ، و هو بذلك ينتقل من العلم العام إلى الخاص مستخدماً المنهج الاستنباطى .

مستوى المعالجة في تصنيف ابن الأکفانی

يقسم ابن الأکفانی العلم من علم کلی إلى علم جزئی ، و يستمر التدرج فی التقسیم لیصل إلى الصف السادس ، و یوضح الجدول التالی عدد العلوم على کل صف و مستوى التفریع لها .

تصنيف الأنصاری	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع أجزاء أصلية	صف خامس علوم فرعية	صف سادس علوم فرعية	إجمالي
'' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ''	مقصودة لذاتها	حكمة نظرية	علم طبیعی	٨	١١	١١	١١
			علم إلهی	٦	٨	٨	١٢
		حكمة عملية	علم ریاضی	هندسة	١٠	١٠	٢٠
			سیاسة	هيئة	٤	٥	٩
		أدب	أخلاق	عدد	٢	٦	٨
	غير مقصودة لذاتها	منطق	تدبير المنزل	موسیقی	٥		٥
			١٠				١٠
			٩				٩
إجمالي	٢=٢	٤	٢٥	١٨	٣٠	٢١	٩٨

جدول رقم (٩) : یوضح توزيع الرتب و الفروع فی تصنيف ابن الأکفانی

قسم الأنصاری المعرفة البشرية إلى نوعین ، هما علوم مقصودة لذاتها ، و علوم غير مقصودة لذاتها ، و هی تقف على الصف الأول من التصنيف ، ثم يتناول كلاً منهما بالتقسیم ، فالأول قسمه إلى حكمة نظرية و حكمة عملية . و الثاني قسمه إلى المنطق و الأدب ، و هذه العلوم الأربعة تقف على الصف الثاني من التصنيف ، ثم يتناول كل علم عام من هذه العلوم الأربعة بالتقسیم ، فقسم الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام ، هی العلم الإلهی ، و الریاضی و الطبیعی . و الحكمة العملية إلى ثلاثة أقسام ، هی : السياسة و الأخلاق و تدبير المنزل ، و هذه العلوم الستة تقف على الصف الثالث ، و لا يعطى أى تقسیم من علوم الحكمة العملية على الصف الرابع أو الخامس ، و هذا يعود إلى انتمائها إلى العلوم الاجتماعية التي يكون نمو علومها أبطأ من العلوم البحتة و التطبيقية و البيولوجية ، و هی التي تمثل فروع الحكمة النظرية ، حيث يتابع تقسیم العلم الطبیعی إلى ثمانية أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ثم يفرعها أحد عشر علماً فرعياً تقف على الصف الخامس . كما يفرع من العلم الإلهی ستة أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ، ثم يقسمها إلى ثمانية علوم فرعية تمثل

علوم الشريعة الإسلامية تقف على الصف الخامس ، و لا يتابع التقسيم فى كل من العلم الطبيعى و الإلهى إلى الصف السادس . و يقسم العلم الرياضى إلى أربعة علوم عامة تقف على الصف الرابع ، ثم يتناول كل منها بالتقسيم إلى عدد من الأجزاء الأصلية ، ثم العلوم الفرعية ، فيقسم علم الهندسة إلى عشرة أجزاء أصلية تقف على الصف الخامس ، و عشرة علوم فرعية تقف على الصف السادس . و يقسم علم الهيئة إلى أربعة أجزاء أصلية ، تقف على الصف الخامس ، ثم يفرعها إلى خمسة علوم فرعية تقف على الصف السادس . و يقسم علم العدد إلى جزئين أصليين ثم يفرعها إلى ستة علوم فرعية تقف على الصف السادس . و يقسم علم الموسيقى إلى خمسة علوم أصلية تقف على الصف الخامس ، و لا يعطى منها أى تفريع . و من هنا يبلغ عدد العلوم المفرعة من العلم الرياضى ست و أربعون علماً ، منها أربعة على الصف الرابع ، و واحد و عشرون على الصف الخامس ، و واحد و عشرون على الصف السادس ، و هذا يدل على مدى نمو العلم الرياضى و تقدمه على عهد الأنصارى .

و يلاحظ التفاوت فى أعداد العلوم المفرعة فى أقسام العلم الرياضى ، فترتفع فى علم الهندسة لتصل إلى عشرة أجزاء أصلية ، و عشرة علوم فرعية ، و هذا دليل على تقدم هذا العلم و الاهتمام به ، كما يليه علم الهيئة حيث يبلغ عدد العلوم الأصلية أربعة و الفرعية خمسة ، و هذا دليل على اهتمام العرب بهذا العلم لمنفعته فى تحديد مواقيت الصلاة ، و تحديد بدايات الشهور العربية ، كما أن الرحلات التى قام بها العرب ، و المؤلفات العديدة التى وضعت لوصف البلاد ، سواء المعمور منها من أراضى الدولة الإسلامية أو من بلاد العجم . و يبلغ عدد العلوم الأصلية و الفرعية من علم العدد ثمانية ، منها علمان أصليان ، و ستة علوم فرعية ، معظمها ينتمى إلى علم الجبر و المقابلة ، مثل علم الدرهم و الدينار و علم حساب الخطأين ، و منها ما أوجده الحضارة العربية الإسلامية ، مثل حساب الدور والوصايا ، ثم علم الموسيقى الذى تقدم كثيراً على يد المسلمين ، و لهم فيه المؤلفات العديدة ، ولذلك يزيد عدد العلوم المفرعة ليصل إلى خمسة علوم . أما النوع الثانى من العلوم فهى العلوم غير المقصودة لذاتها ، فقد قسمها إلى علمين كبيرين ، هما : علم الأدب والمنطق ، التى وقفت على الصف الثانى ، ثم فرع فى كل منهما عدداً من العلوم تقف على الصف

الثالث فبلغت العلوم المفرعة فى علم الأدب عشر موضوعات ، و العلوم المفرعة عن علم المنطق تسع موضوعات ، و لم يزد التفريع أكثر من ذلك ، و بذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول علمين ، و عدد العلوم على الصف الثانى أربعة علوم ، وعلى الصف الثالث خمسا و عشرين علما ، وعلى الصف الرابع ثمانية عشر علما ، وعلى الصف الخامس ثلاثين علما ، و على الصف السادس واحدا و عشرين علما . وبذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم المفرعة من الصف الأول ثمانية وتسعين علما . و من ذلك نخرج بعدد من الملاحظات ، منها :

- زيادة نمو فروع علوم الحكمة النظرية بعلومها الثلاثة الأساسية لتقف فى علمين على الصف الخامس ، و فى العلم الرياضى على الصف السادس .
- وقوف علوم الحكمة العملية على الصف الثالث بنفس علومها التى أشار إليها كل المصنفين السابقين عليه ، و لم يحدث أى نمو فى علومها .
- يقف المنطق عند الصف الثالث بنفس فروعه التى وجدت عند أرسطو ، التى أشار إليها من سبقه من المصنفين العرب دون وجود أى نمو فى فروع علومه .
- يقف علم الأدب عند الصف الثالث أيضاً ، و لكن يحدد لابن الأكفانى إدراجه علم الأدب ، والإشارة إلى فروعه فى خطته التصنيفية .
- يلاحظ تفاوت التفريعات من علم لآخر ، سواء العلوم الأصلية أو الفرعية ، و ذلك حسب اتساع كل علم و نضجه بما يعطيه من معلومات أو يفرزه من علوم تتفرع عنه .

التماسك والاتساق فى خطة ابن الأكفانى التصنيفية

يلاحظ على خطة ابن الأكفانى التنظيم التام فى عرض العلوم ، فهو يعرضها فى رتب ، و بعد الانتهاء من كل رتبة ينتقل إلى الرتبة التى تليها ، و هو يسير فى ترتيب العلوم بشكل منتظم و محكم دون إحداث أية قفزات مخلة بهيكل خطته التصنيفية ، و هو يسير فى المعالجة من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فعند معالجته الحكمة النظرية مثلاً فإنه ينتقل من الأقسام العامة ، و هى الطبيعى و الإلهى والرياضى ، إلى العلوم الأصلية المفرعة منها إلى العلوم الفرعية دون القفز فى المعالجة من علم لآخر ، لذلك تحقق فى خطته التماسك التام لموضوعاته ، فلا يشعر

انقارىء لخطته بأى خلل أو اضطراب فى عرض العلوم ، و يرجع ذلك إلى سعة الأنصارى العلمية ، و تمكنه من فروع المعرفة البشرية بكل جزئياتها . و قد اختلفت التفرعات فى كل علم ، سواء فى عدد علومها الأصلية أو الفرعية ، كذلك لم يتساو عدد صفوف التفرع فى كل علم ، و لذلك لم يكن هناك اتساق أو تناسق فى عرض فروع كل علم فى خطته .

و يعد هذا التصنيف لبنة جديدة فى علم التصنيف أضافت الكثير إلى خطط التصنيف العربية ، سواء كان ذلك من حيث شمولها لفروع المعرفة البشرية فى عصرها أو من حيث طريقة التقسيم الجديدة التى اتخذها لنفسه الأنصارى فى تقسيم العلم أو من حيث مقدماته الرائعة التى تقر نظريات جديدة فى علم التربية ، و ما جاء فى نهاية رسالته من شرح للألفاظ الغامضة التى وردت فى تصنيفه ، و لذلك تعد خطته من أبرز الخطط التصنيفية التى بعدت عن التقليد الأرسطى ، و انطلقت من معطيات الحضارة العربية الإسلامية .

و ننتقل إلى تصنيف آخر أضاف به صاحبه إلى علم التصنيف جديداً ، و هو تصنيف ابن خلدون الذى يرجع إلى القرن الثامن الهجرى .

ثالثاً : تصنيف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

جاء تصنيف العلوم عند ابن خلدون (٥٦) فى الفصل الرابع من الباب السادس فى مقدمته ، تحت عنوان " فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد " ؛ أى عهده .

أثر الحياة السياسية والاجتماعية فى تصنيف ابن خلدون

يمثل القرن الثامن الهجرى الذى عاش فيه ابن خلدون ثمرة الحضارة العربية الإسلامية التى تم نضجها و بلغت غايتها فى العصور الإسلامية . و يعد هذا القرن من الناحية السياسية من أسوء القرون التى مر بها الإسلام ، فقد جاء هذا القرن عقب سقوط الخلافة العباسية ببغداد على أيدى المغول ، كما شهد تحفز الأسباب للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس التى كان يحكمها بنو الأحمر الذين كانوا يتنافسون على الحكم فيما بينهم . أما فى المغرب العربى فكان التنافس الشديد بين الحكام و السولاة ، فبعد انقراض دولة الموحدين منذ القرن السابع للهجرة انقسم المغرب ثلاثة أقسام يحكم

كل قسم منها اسرة حاكمة ، فبنو مرين في المغرب الأقصى (مراکش) ، و بنو عبد الواد في المغرب الأوسط (الجزائر) ، و بنو حفص في المغرب الأدنى (تونس). (٥٧)

و قد تميز مجتمع ابن خلدون بظاهرة التباين الصارخ بين أقصى أنواع البداوة و أقصى أنواع الحضارة ، و قد أدى هذا التباين إلى حدوث فوضى سياسية ، فقد كان الولاة في المغرب يستعينون بهؤلاء البدو و البربر في تحقيق أطماعهم ، و كانت حملاتهم حملات هدم و تخريب مما أدى إلى تتابع ظهور الدول و الإمارات . و كانت الحروب الصليبية في الشرق تدمى جراحه ، و جحافل التتار تهدده . (٥٨) و كان لهذا المجتمع المضطرب المشحون بالأحداث أثره في الإنتاج الفكري ، فقد غلبت روح جمع المصنفات الضخمة و تدوينها خوفاً من ضياعها بعد هجمات التتار و غيرهم ، وكان هذا يهدد التراث العربي الإسلامي ، و قد اتضح أثر ذلك عند ابن خلدون في تصنيفه ، حيث حرص على أن يضمن مقدمته كل ما انتهى إليه و توفر لديه من علوم العصر ، فحاول تجميعه في مقدمته خوفاً من ضياعه ، و اختفاء ذكره . كما أن الأحداث الكثيرة التي مرت بالدولة الإسلامية ، و دخول ابن خلدون في معترك الحياة ، كان له أثره في إبداعه لفلسفة علم الاجتماع و فلسفة علم التاريخ .

تصنيف ابن خلدون

ينتمى تصنيف ابن خلدون إلى المدرسة الأولى في التصنيف ، و هى التى تتبع التقسيم الفلسفى للعلوم ، و قد جاء ترتيبه للعلوم عاكساً مرتبة العلوم ؛ أى نسبته إلى غيره من العلوم عند التحصيل لكى يقدم أو يؤخر ، فهو يرتب العلوم حسب تدرجها فى الدراسة، ومن ثم فهو يحقق ما نادى به ” بليس “ فى القرن العشرين من ضرورة اتفاق التصنيف مع المنهج التربوى التعليمى . (٥٩)

الهدف من تصنيف ابن خلدون

لم يصرح ابن خلدون بهدف معين من تقسيم العلوم فى الفصل الخاص بأصناف العلوم الواقعة فى العمران ، بل عمد مباشرة إلى توضيح الأساس الذى يقوم عليه تقسيم العلوم ، و اتجه إلى بيان أقسامها و فروعها ، ثم تناول كل علم بالتعريف به والحديث عنه ، و لهذا فالهدف الرئيسى لتصنيف العلوم .

خطة تصنيف ابن خلدون

جاء تصنيف ابن خلدون العلوم على النحو التالى : (٦٠)

العلوم النقلية الوضعية :

العلوم اللسانية

علم اللغة

علم النحو

علم البيان

علم الأدب

الشرعيات

العلوم القرآنية

القراءات

رسم القرآن

التفسير

علوم الحديث

الناسخ و المنسوخ

الأسانيد

علم غريب الحديث

علم تصريف القوانين

علم مصطلح الحديث

علم الفقه

علم أصول الفقه

الخلافيات

الجدل

علم الكلام

علم التوحيد

علم التصوف

علم تعبير الرؤيا

العلوم العقلية أو العلوم الطبيعية

المنطق

المقولات

العبارة

القياس

البرهان

الجدل

السفسطة

الخطابة

الشعر

الطبيعيات

الطب

طب الحضر

طب البادية

الفلاحة

العلم الإلهي

العلوم العددية أو العلم الرياضي أو علوم التعاليم

الأرثماطيقى

معرفة خواص الأعداد

صناعة الحساب

الجبر و المقابلة

المعاملات و تصريف الحساب في المعاملات ؛ أي علم

المعدود

علم الفرائض (حساب المواريث)

الهندسة

الهندسة العامة

هندسة الأشكال الكرية

الأشكال المخروطية

علم الحيل

علم المساحة

المناظر

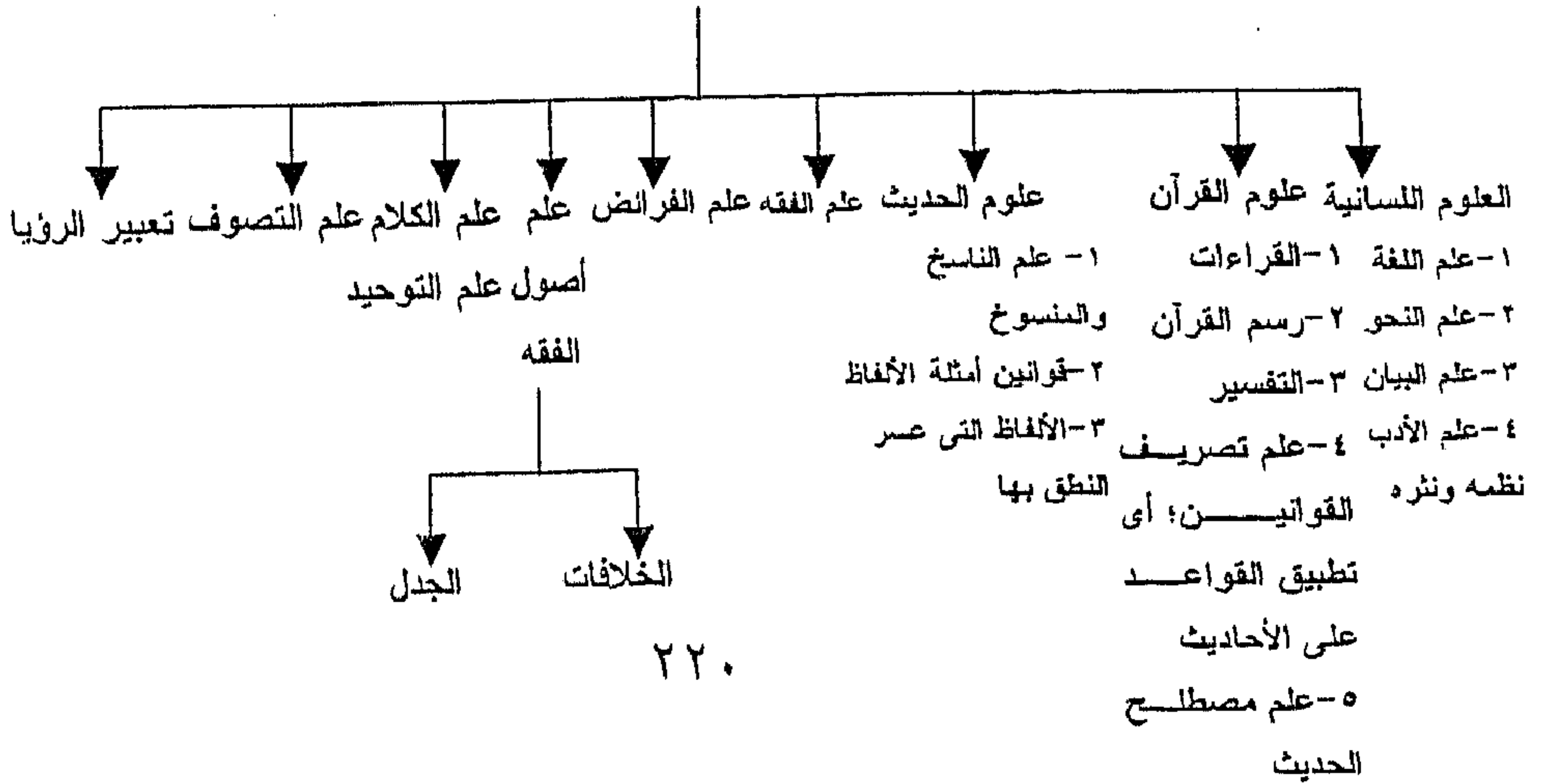
الموسيقى

علم الهيئة

الأزياج

الأحكام النجومية .

العلوم النقلية الوضعية عند ابن خلدون





• الأول : طبعی یهتدی إلیه الإنسان بفكره .

• الثاني : نقلی يؤخذ عن وضعه .

۲۲۱

يقدم فى التحصيل ، و أئها يؤخر ، و لذلك فهو يقدم العلوم النقلية لاشتمالها على الشرعيات المستندة إلى الكتاب و السنة، وهى بذلك تصون الفكر من الوقوع فى معاطب الفلسفة . و تشتمل العلوم النقلية عند ابن خلدون على العلوم الشرعية من الكتاب و السنة ، و ما يتبعها من علوم اللسان العربى الذى هو لسان الأمة و به نزل القرآن الكريم . و يقدم العلوم اللسانية على العلوم الشرعية لتوقف الثانية على الأولى، فالعلوم اللسانية وسيلة لفهم العلوم الشرعية . و تتدرج العلوم اللسانية من علم اللغة باعتباره أعم العلوم التى لا تعتمد على غيرها ، بينما تعتمد عليه بقية العلوم الأخرى ، و يثنى بالفحو لأن موضوعه من الأول (اللغة) ، فموضوعه الكلمات العربية من حيث الإعراب و البناء . و يأتى علم البيان فى المرتبة الثالثة بعد النحو لتوقفه على علم اللغة و النحو ، فيقول عنه : ” هذا العلم حادث فى الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده ، و يقصد بها الدلالة عليه من المعانى “ . و من ثم فهذا العلم متمم لكمال الكلام بعد كمال الإعراب ، فمعنى علم البيان هو المنطق الفصيح المعبر عما فى نفس الإنسان ، و لا يتأتى ذلك إلا بعد سلامة الإعراب (النحو) . و يشتمل هذا العلم على البحث عن ثلاثة أصناف : علم البلاغة و الاستعارة و الكناية و علم البديع . و يأتى علم الأدب فى نهاية العلوم اللسانية لأنه ثمرته ، فهو الإجادة فى فنى المنظوم و المنثور على أساليب العرب، وهذا يعنى استفادته من كل ما تقدم من علوم اللغة و النحو والبيان ، بالإضافة إلى ما ينتفع به من متون العلوم الشرعية (القرآن الكريم و الحديث الشريف)، وانتفاع العلوم الشرعية منه ، فقد كان بعض المفسرين يفسرون آيات القرآن الكريم بالشعر العربى ، كما فعل ابن عباس — رضى الله عنه — و لذلك يقف الأدب فى مرحلة وسطى بين علوم اللغة التى تسبقه ، و علوم الشريعة التى تلحقه ، و هذا استخدام لمبدأ تبادل الاعتماد فى التصنيف . (٦١)

و فى ترتيب ابن خلدون العلوم الشرعية اتبع منهجاً جيداً عند التقديم لها ، ولكنه غير ترتيب بعض العلوم عند المعالجة المفصلة ، فهو يرى أن العلوم النقلية تؤخذ من الكتاب و السنة بالنص أو الإجماع أو الإلحاق ، و من ثم ترتب العلوم الشرعية على النحو التالى : ما يخص الكتاب ، و هو علوم القرآن الكريم ، و ما

يتناول ألفاظ القرآن ، و هو علم التفسير ، و ما يتناول نقله و روايته بالإسناد إلى الرسول — صلى الله عليه و سلم — و قراءاته ، و هو علم القراءات ، ثم ما يخص السنة ، و هو علم الحديث ، ثم الإجماع و الإلحاق ، و هو ما يتناول بقية العلوم الشرعية التى منها ما ينظر فى الأدلة الشرعية (القرآن ز السنة و الإجماع و القياس) من حيث تؤخذ منها أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين ، و هو علم أصول الفقه ، ثم تأتى الثمرة ، و هى التكاليف التى يكلف البشر بأدائها ، و هو ما يخص علم الفقه ، ولما كانت تلك التكاليف منها البدنى و منها القلبى ، و هو المختص بالعقائد الإيمانية ، والاعتقاد بصفات الله ، فهذا علم الكلام ، و يأتى بعد علم الكلام علم التصوف ، و قد جاء بعد العلوم السابقة لأنه وفق تعبيره من العلوم الحادثة فى الملة ، فهو ليس من العلوم التى يحتاج إليها المسلم فى معرفة التكاليف . و هذا ما يذكره فى تقديم العلوم الشرعية ، و قد عدل مواضع بعض العلوم ، و ذلك عند العرض ، ففى علوم القرآن قدم علم القراءات و علم رسم المصحف على علم التفسير ، و هذا ترتيب أصوب من الأول لأن علم القراءات و علم رسم المصحف بمثابة إقامة النص ، و إقامة النص تسبق الفهم و التفسير . (٦٢) و هو ما يخص علم التفسير . و قدم علم الفقه على علم أصول الفقه ، و الأصل أن يعكس الترتيب ، فعلم أصول الفقه هو العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه . و عليه ينبنى علم الفقه ، فهو بمثابة التمهيد و التقديم لعلم الفقه ، و من ثم لم يوفق فى هذا التعديل . و هو هنا يرتب العلوم من جهة شرفها ومرتبتها بين غيرها من العلوم ، فقدم علوم القرآن لتناولها كتاب الله ، ثم علوم الحديث لتناولها الأحاديث النبوية الشريفة ، و أفعال الرسول — صلى الله عليه و سلم — و هو ما يأتى بعد القرآن الكريم من جهة الشرف ، ثم أصول الفقه و الفقه لاعتمادهما على الكتاب و السنة باعتبارهما دليلين أصليين فى أصول الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقه . و يأتى علم الكلام بعد الحديث عن الفقه باعتباره متمما لعمل الفقه ، فبينما يقوم علم الفقه بحاجات القوة العملية فى الإنسان ، يقوم علم الكلام بحاجات القوة النظرية فيه ، و سعادة الإنسان فى الدارين تكون بكمال قوته النظرية و العملية . و يرى ابن خلدون أن بداية علم الكلام ترجع إلى بداية الانحراف فى العقيدة ، و لذلك نشأ للرد على المبتدعة و المنحرفين فى الاعتقادات . (٦٣) و من هنا أخره عن جميع العلوم

الشرعية ، على عكس مصنفين آخرين يقدمونه على بقية العلوم الشرعية لتوقفها عليه، والتوقف هنا توقف اعتقاد ، لأن الاعتقاد بوحداية الله تعالى و نبوة الرسول - صلى الله عليه و سلم - وغيرها من العقائد الإسلامية يسبق أى شىء آخر فى الإسلام. كما يرجع تقديمه لبحثه فى أسمى المعلومات عن ذات الله تعالى و صفاته وأفعاله، وهذا ما نجده عند السيوطى و التهانوى .

ثم ينتقل إلى الصنف الثانى من العلوم، وهو العلوم العقلية التى بعددها بسبعة علوم ، فيعرض أولاً طريقة القدماء فى الترتيب ، ثم يعقب عليها بطريقته فى ترتيبها، فيذكر أن أصول العلوم الفلسفية سبعة ، و يأتى ترتيبها على النحو التالى : المنطق ، وهو المقدم منها باعتباره العلم الذى يعصم الذهن من الخطأ ، لاشتماله على القوانين التى بعرف منها الصحيح من الخطأ ، و هو بذلك آلة لما يليه من العلوم. ثم علم العدد الذى يتناول موضوع المقدار باعتباره كمأ مجرداً ، ثم علم الهندسة الذى يتناول المقدار باعتباره كمأ مشخفاً فى الخطوط و السطوح و الحجوم، حيث يعرف علم الهندسة بأنه ” العلم الذى ينظر فى المقادير إما المتصلة كالخط والسطح و الجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد “ . (٦٤) و هنا يلاحظ الترتيب المنطقى فى تقديم علم الحساب على الهندسة لاشتراك الهندسة مع الحساب فى معالجة موضوع واحد ، و هو المقدار ، و لكن من وجهتى نظر مختلفة ، ثم علم الهيئة لاعتماده على الهندسة (السابقة له) ؛ حيث يستخدم الهندسة فى البرهنة على حركات الكواكب و أشكال وأوضاع أفلاكها، ويأتى علم الموسيقى (٦٥) آخر العلوم الرياضية باعتباره علم تأليفى بين النسبة الكمية فى العدد و النسبة الكيفية فى علم الهندسة . وبعد العلوم الرياضية يذكر العلم الطبيعى باعتباره العلم الذى ينظر فى المحسوسات من الأجسام ، ثم العلم الإلهى باعتباره العلم الذى ينظر فى الأمور التى وراء الطبيعة ، و يستند فى ترتيب العلم الطبيعى و الإلهى إلى الترتيب الأرسطى الذى يقدم العلم الطبيعى على العلم الإلهى ، و يشير ”كولبه“ إلى أن هذا الترتيب يرجع إلى أن مصنفى كتب أرسطو كانوا قد وضعوا بحوثه و دراساته الفلسفية العامة بعد دراساته فى العلوم الطبيعية ، و لما كانت الأخيرة تعرف باسم الطبيعة فقد أطلقوا على الأخرى اسم ما بعد الطبيعة . (٦٦)

القواعد والمفاهيم التي عكسها تصنيف ابن خلدون

اعتمد ابن خلدون في عرضه لتصنيفه على ما يعرف بالسند الأدبي ، فقد قام بتجميع العلوم التي عرضها في تصنيفه من واقع الأنشطة الثقافية و الفكرية الفعلية للبيئة الإسلامية ، و ذلك عن طريق مسح العلوم الموجودة فعلاً ، سواء كانت جزءاً من النظام التعليمي العام أو مسجلة في الكتب ، و هذا ما نجده بوضوح من خلال استعراضه لتاريخ العلم و تطوره ، و أهم الكتب المصنفة فيه . و قد اعتمد ابن خلدون في تصنيفه على السند الأدبي الذي وضع بجلاء في العنوان الذي وضعه لتصنيفه : ” فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد “ . وهو إلى جانب اعتماده على السند الأدبي عرض تصنيفه في إطار فلسفي بما يتوافق مع النظام التعليمي السائد على وقته ، الذي تمثل في إبرازه للعلوم الشرعية و ما يساندها من العلوم العربية ، ثم العلوم العقلية ، التي كان يأتي تدريسها لاحقاً للعلوم الشرعية . وإذا كان ” ويليام هالم “ في القرن العشرين قد نادى بضرورة الاعتماد على السند الأدبي . (٦٧) و جاء ” بليس “ بينادي بوجوب الربط بين السند الأدبي و التصنيف الفلسفي بحيث يأتي التصنيف متوافقاً مع الإجماع العلمي التعليمي بحيث تتداعى جزئيات المعرفة في تسلسل منطقي متفقاً مع الطريقة التعليمية التي تدرس بها العلوم . (٦٨) فلا شك في أن ابن خلدون قد حقق ما نادى به ” بليس “ في القرن العشرين . و ميّز ابن خلدون في تصنيفه بين الجانب النظري و الجانب التطبيقي للعلم ، و هذا ما ظهر في موضوعي الطب و الفلاحة ، حيث سمى الجانب النظري علماً ، وهو ما ينطوي على مباحث عقلية ، و الجانب التطبيقي صنائع ، و هي التطبيق العملي للعلم ، و هذا ما قدمه ” كونت *August Conte* “ في تصنيفه للمعرفة ، الذي سمى بالتصنيف الوضعي ، حيث ميز بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالعلوم البحتة تقوم على دراسة القوانين للظواهر ، و العلوم التطبيقية هي تطبيق القوانين التي قالت بها العلوم البحتة على ما يوجد في الكون من حولنا . (٦٩) و تميز تصنيف ابن خلدون بالمنطقية ، فقد اشتمل على العديد من العلاقات التصنيفية ، و منها :

• علاقة الاشتمال والتبعية ، و تعنى تفريع الموضوع الخاص من الموضوع العام ، و هذا ما سارت عليه الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى قطاعين كبيرين تدرج من كل منهما عدد من الأقسام الرئيسية التى بدورها فرعت إلى أقسام فرعية اندرجت تحتها ، مثل علوم القرآن الكريم ، التى هى قسم من العلوم النقلية ، و التى بدورها فرعت إلى عديد من العلوم الخاصة ، مثل : علم القراءات و علم رسم المصحف و علم التفسير . كذلك علم التعاليم كقسم من العلوم العقلية ، و الذى قسم إلى عدد من الأقسام الرئيسية : الحساب و الهندسة و الهيئة و الموسيقى ، و كل منها قسم إلى عدد من العلوم الفرعية الخاصة .

• علاقة تساوى ، أى أن هناك أوجه اختلاف بين العلمين ، و لكن توجد أوجه تشابه بينهما ، مما يجعلهما بقفان على صف واحد مندرجين تحت علم عام يضمهما ، وقد تمثلت تلك العلاقة بين علمى الطب و الفلاحة ، فعلى الرغم من التباين بينهما لاختلاف موضوع كل منهما ، فهو فى علم الطب بدن الإنسان ، و فى الفلاحة النبات ، إلا أنهما يتشابهان من جهة دراستهما الجسم الطبيعى ، و هو موضوع العلم الطبيعى ؛ أى العلم العام الذى يندرجان تحته . كذلك علما الحساب و الهندسة اللذان يشتركان فى دراسة المقدار و يختلفان فى أن المقدار فى علم الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى السطوح و الخطوط ، و هما بالتالى يندرجان تحت أمر ثالث ، هو العلم الرياضى .

• يعد مبدأ الترباط أو التجاور من المبادئ المهمة التى نادى بها " بليس " فى القرن العشرين ، و التى بنى عليها تصنيفه البيبليوجرافى . وقد كان تصنيف ابن خلدون مثل غيره من التصنيفات العربية الإسلامية التى سارت على هذين المبدأين ، فمبدأ الترباط الذى يعنى جمع المجموعات المتشابهة معاً تمثل فى تجاور علوم اللغة و الأدب و جمعهما فى معالجة واحدة مع التمييز بين كل منهما ، و هذا ما افتقرت إليه بعض النظم الغربية ، مثل تصنيف بيكون الذى فرق بين علوم الأدب و اللغة ، كما وقع ديوى فى الأمر نفسه ، فقد فرق بين علوم اللغة و الأدب ، و عالجهما فى موضعين متباعدين فى تصنيفه . كما تجاورت علوم الأدب مع العلوم الشرعية ، وبالرغم من اختلاف الموضوعات إلا أن ارتباطهما واعتماد كل

منهما على الآخر جعلهما متجاورين . كما عالج موضوعات العلم الرياضى متجاورة . و كذلك فى العلم الطبيعى لم يفصل معالجة العلوم النظرية عن الجانب التطبيقى لتجاور الجانب النظرى للعلم مع الجانب التطبيقى له ، واتضح ذلك فى موضوعى طب و الفلاحة .

تقييم محاولة ابن خلدون فى تصنيفه

- توجد بعض الملاحظات على تصنيف ابن خلدون للمعرفة :
- اقتران العلوم العربية بالعلوم الشرعية تحت تسمية واحدة هى العلوم النقلية ، وهذا يعكس نشأة العلوم العربية لخدمة العلوم الشرعية ، فهو يجعلها وسيلة و آلة لها ، و لذلك تتقدم العلوم العربية العلوم الشرعية فى الترتيب .
 - جعل خطته التصنيفية خطة عامة تصلح أن تتبعها أية أمة ، و يتضح ذلك من خلال نظراته للعلوم النقلية التى يرى أنه على الرغم من أنها تخص الأمة الإسلامية إلا أن كل أمة لا بد فيها من مثل هذه العلوم الدينية و العلوم اللسانية كل حسب شريعته ، و من ثم فإن لكل أمة خصوصيات تمثل فكر الأمة و ثقافتها يمكنها إبرازها فى خططها التصنيفية مع العلوم الأخرى المشتركة بين الأمم المختلفة، وهذا ما فعله ابن خلدون فى إبراز العلوم النقلية التى تخص الأمة الإسلامية، وألحق بها العلوم العقلية التى تشترك فيها كل الأمم ، و إذا ما استعرضنا العديد من خطط التصنيف الحديثة سوف نجدها تبرز خصوصيات أمتها، فتصنيف ديوى يبرز الدين المسيحى الذى يدين به ، كما يبرز اللغة الإنجليزية التى يتحدث بها ، و الأدب الأمريكى الذى ينتمى إليه . كما أن التصنيف الروسى يبدأ بالماركسية اللينينية باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين . و فى فرنسا و بعد الثورة تحول المجتمع إلى مجتمع علمانى بعد أن كان مسيحياً ، و من ثم عارض " كامى Camus " وضع المسيحية على رأس التصنيف ، و هى الطريقة التى كانت متبعة قبل ذلك . (٧٠)
 - إقرار نظرية مهمة تربط ربطاً أساسياً بين العلم و الحضارة ؛ بين ازدهار العلوم و كثرة العمران — فى نهاية كلامه عن العلوم النقلية — فهو يرى أنه لا تقدم للعلم إلا حينما تزدهر الحضارة و تكثر الصنائع، ويؤكد هذا على حقيقة تاريخية تشير

إلى كساد العلوم فى الغرب مع رواجها فى الشرق على عصره ، و يرجع هذا الكساد إلى تناقص العمران فيه ، و انقطاع سند العلم و التعليم ، أما الازدهار فيرجع إلى كثرة كل ذلك .

• عدم وجود إقبال واضح لتصنيفه مما جعل العديد من الباحثين يقع فى حيرة من ذكر علوم الذكر والشعوذة و الطلسمات و علم أسرار الحروف و علم الكيمياء بعد العلم الإلهى ، فبعضهم يستبعداها من تصنيفه . (٧١) و بعضهم يرى أنها جزء من تصنيفه ، مثل عبد الرحمن مرحبا الذى أخذ عليه إلحاق هذه العلوم بالعلوم العقلية و إفراده لها فصولا طويلة من مقدمته لا تتناسب مع قيمتها العلمية و فائدتها و ضرورها للعمران ، و لكنه يرى أن ابن خلدون يسجل كل العلوم الواقعة فى العمران بصرف النظر عن جواز هذه العلوم من عدمه ، أو حلها أو حرمتها ، باعتبار حصره للعلوم هو عمل تصنيفى ، و على المصنف أن يسجل و يرصد كل العلوم فى عصره ، لا أن يكون ناقدا أو مستبعدا لبعضها (٧٢) و يسانده فى هذا رأى الدكتور عبد الوهاب أبو النور . (٧٣) ولكن الباحثة تساند رأى القائل باستبعادها ، لعدة اعتبارات منها : أن ابن خلدون عند تعداد العلوم العقلية لم يشر إليها مطلقا كأحد أقسام العلوم العقلية ، و إنما أوضح فى التقديم أن العلوم العقلية سبعة ، كما حدد ترتيبها و أشار إلى فروعها التى لم يكن فيها أية علوم سحر أو غيرها ، وعندما ذكر تلك العلوم لم يحدد انتمائها إلى أى قطاع معرفى ، وبخاصة اتجاه معظم التصانيف التى ذكرتها إلى اعتبارها من فروع العلم الطبيعى ، كما تلاحظ الباحثة أنه لم يذكر كل العلوم العقلية ، و إنما اقتصر على العلوم التى تتخذ الحقيقية الدينية و تتكامل مع علوم الدين الإسلامى — و هذه نقطة سوف يتعرض لها البحث فيما بعد — و من ثم فقد أغفل علوما عقلية مثل علوم الحكمة العملية و علمى التاريخ و العمران ، و هما علمان ركز ابن خلدون فى مقدمته على وضع الأساس لهما و إقرارهما ، كما أغفل علم الجغرافيا ، حيث تلحقه التصانيف العربية ضمن فروع علم الهيئة — الذى ذكره — كما أغفل ذكر فروع كثيرة للعلم الطبيعى و اقتصر على علمى الطب لما له من شرف حفظ بدن الإنسان ، و علم الفلاحة لتوفير غذائه ، مما ساعد الإنسان على أداء العبادة و تحصيل العلوم

الشرعية ، و لو كان عمله التصنيفي يقوم على حصر كل العلوم — كما يذهب إلى ذلك عبد الرحمن مرحبا — لكان من الأولى ذكر كل تلك العلوم السابقة ، و من هنا فإن ابن خلدون يقف بتصنيفه عند العلم الإلهي كآخر العلوم العقلية ، و يرجع ذكره لها بعد الانتهاء العلوم العقلية السبعة التي حددها كنوع من التسجيل والرصد التاريخي بما يتناسب مع درجة شيوعها و انتشارها في المغرب ، فهي حقيقة اجتماعية قائمة ، و مظهر من مظاهر الحياة في المجتمعات المتخلفة ، وبخاصة أنه يقدم في مقدمته علما جديدا قائما على دراسة المجتمع و ظواهره، و من ثم فابن خلدون ينكرها كفرع للعلوم العقلية و يعدها من العلوم الباطلة ، و حدد ذلك في التفكير السني لابن خلدون الذي لا يعترف بتلك العلوم و لا يعتبرها علوما بالمرّة. و من الملاحظات الإجمالية على تصنيف ابن خلدون تعريف العلم و حدوده وتاريخه و السبب وراء وجود العلم ، و هذا ما يوضحه في علم القراءات و التفسير ، كما يؤرخ لمن كان له الباع و اليد الطولى في ترسيخ العلم ، و أشهر الكتاب لهذا العلم و الكتب التي صنف في . و من أمثلة ذلك ما نجده في قوله عن علم التفسير : ” و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب كشف الزمخشري من أهل خوارزم بالعراق . (٧٤)

• تغير موضع بعض العلوم عن موضعها في تصانيف أخرى سابقة عليه ، مثل : علم تعبير الرؤيا الذي ذكره كآخر العلوم الشرعية مستندا إلى رؤيا يوسف — عليه السلام — و أحاديث الرسول — صلى الله عليه و سلم — عن الرؤيا الصالحة ، ولكن يرد ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الطبيعي في التصانيف الأخرى ، و تدخل مباحث هذا العلم في موضوع علم النفس .

• التمييز بين الصنائع و العلوم ، فالعلوم تنطوي على مباحث عقلية ، و الصنائع هي التطبيق العملي لهذه العلوم ، و هذا ما ذكر في موضوع الطب و الفلاحة ، ولكن عند المعالجة لم يقدم تمييزا واضحا بين صناعة الطب و علم الطب ، بل إن التعريفات التي يضعها لكل منهما تكاد تكون متطابقة ، و هذا ما يخص الفلاحة كصناعة و كعلم .

يلاحظ نضج تصنيف ابن خلدون للعلوم الشرعية و النقلية ، و تمكنه من الإحاطة بموضوعاتها ، و نقل تلك المقدرة في عرضه للعلوم العقلية ، و عدم الإحاطة بكل علومها و فروعها ، فنجد يغفل بعض العلوم العقلية المهمة ، كما يغفل العديد من فروع العلوم التي ذكرها مثل : العلم الطبيعي الذي لم يذكر سوى علمين فقط من علومه .

مميزات تصنيف ابن خلدون و عيوبه

• ذكر ابن خلدون علوما لم تشر إليها التصنيف السابقة عليه ، و منها علم التصوف في نهاية العلوم الشرعية ، و على الرغم من أن الاتجاه إلى التصوف و ممارسته بدأ مع العصر العباسي الأول ، لكن لم يرد ذكره عند غيره من المصنفين ، و قد يرجع ذلك إلى أن التصوف بدأ عبادة ثم تطور علما بعد أن دونت الكتب فيه كما فعل القشيري و السهروردي و الغزالي ، و من هنا عد من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية . و علم رسم المصحف كأحد فروع علوم القرآن الكريم . و علم أصول الفقه ، و علم الخلافات ، كفرع من علم أصول الفقه ، و علم التوحيد .

• يشير إلى موضوعات جديدة في علم الطب لم يشر إليها غيره من المصنفين ، فمنها علم وظائف الأعضاء ، كما يلحق بعلم الطب علوما جديدة تخص كل عضو من أعضاء جسم الإنسان ، فهناك علم طب العيون ، و هذا ما نجده في التلخيص الحديث منه تصنيف المكتبة الوطنية الطبية بأمريكا (N.L.M) ، حيث ينقسم علم الطب إلى فروع ، كل فرع يشير إلى طب أحد أعضاء جسم الإنسان ، فنجد طب العيون ، و الطب الباطني ، و طب الأنف و الأذن و الحنجرة ، و هكذا ...

• يعد ابن خلدون من أوائل المصنفين الذين ميزوا بين علوم اللغة و علوم الأدب ، ففصل علوم اللغة عن العلوم الأدبية ، فقد حدد العلوم الأدبية في المنتخ من فنون المنظوم و المنثور ، و المقصود الشعر و النثر ، و هو ما تعرف به العلوم الأدبية في العصر الحديث .

ومن عيوب التصنيف لدى ابن خلدون :

• ساد الاضطراب مواضع عديدة فى تصنيفه ، و من مظاهر هذا الاضطراب : ترتيب العلوم العقلية عند التقديم لها ، فاختلف عن ترتيبها عند المعالجة ، و هذا أوضحه البحث من قبل . كذلك عند التقديم للعلوم العقلية يقدم علم المنطق على سائر العلوم العقلية الأخرى ، و لكن عند المعالجة يقدم العلوم الرياضية بفروعها الأربعة ، ثم علم المنطق دون إعطاء تفسير لذلك . و من مظاهر الاضطراب أيضا ذكره لعلم الفرائض مرتين : الأولى كأحد فروع علم الفقه ، ثم عاد فذكره كأحد فروع علم الحساب ، و كان يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى استفادته من علم الحساب دون الحاجة إلى التكرار .

• عدم وضوح حدود العلوم فى ذهنه ، فلا يميز تمييزا واضحا بين علم الحساب المجرد و صناعة الحساب ، كما أنه يدخل علم الجبر و المقابلة ضمن فروع علم الأثرثماطيقى ، على الرغم من تقدم هذا العلم على زمن ابن خلدون ، مما أوجب معه أن يكون علما مستقلا عن علم الحساب (الأثرثماطيقى) . كما لا يفرق تفريقا واضحا بين الهندسة العامة و هندسة الأشكال الكروية والمخروطية، كما يجعل علم المناظر جزءا من العلوم الهندسية ، بالرغم من أن علم المناظر (البصريات) أقرب إلى العلم الطبيعى، وهو يعد فى العصر الحديث من موضوعات علم الطبيعة (الفيزياء) ، إلا أن دراسة هذا العلم تحتاج إلى علمى العدد و الهندسة.

• يتعرض بالحديث عن علم التوحيد فى منتصف حديثه عن علم الكلام دون إعطاء عنوان محدد وواضح له ، ثم يستكمل الحديث عن علم الكلام ، و كان من الأفضل إبراز كل منهما فى عنوان مستقل دون إحداث هذا التداخل بينهما .

تصنيف ابن خلدون وعلاقته بموقفه الفلسفى

يشير الباحثون إلى أن النظرية الخلدونية الاجتماعية يدور محورها حول فكرة الصراع بين البداوة و الحضارة ، و يرجع ذلك إلى ما يميز به مجتمع ابن خلدون من تباين شديد بين الحضارة و البداوة . (٧٥) و قد انعكس هذا فى تقسيمه لعلم الطب إلى طب الحضر و طب البادية موضحا ارتباط صناعة الطب الحضرى بوفرة الحضارة والترف ، و ما له من أثر على صحة الإنسان ، و قيام طب البادية على التجربة المتوارثة عن المشايخ و العجائز .

تعد فلسفة ابن خلدون هي الفلسفة الجوانية (٧٦) التي سيطرت على تفسيراته لعلم التاريخ ، كما سيطرت على ألفاظه و تعبيراته باستخدام لفظ الجوانى . و قد انعكست تلك الفلسفة على تعريف ابن خلدون لعلم التصوف ، فهو يقول : ” التصوف رعاية حسن الأدب مع الله فى الأعمال الباطنة و الظاهرة بالوقوف عند حدوده ، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب ، مراقبا خفاياها “ . (٧٧) ومن هنا فيقرر أن هناك باطنا و ظاهرا ، و أن الصوفية هم أهل الباطن الذين يتشدون الحقيقة فى باطن الأمور و ليس ظاهرها .

تصنيف ابن خلدون انعكاس للبيئة الثقافية

يعكس تصنيف ابن خلدون النظام التربوى التعليمى فى الإسلام ، حيث كان طالب العلم يبدأ بأشرف العلوم ، و هى العلوم الشرعية ، و ما يحتاج إلى تعلمه من علوم اللسان العربى ، ثم يعرج فى الدراسة بعد ذلك إلى العلوم العقلية ، و يلاحظ على عرض العلوم فى تصنيفه تطرقه إلى مباحث تربوية و عمرانية ، و معلومات عن العلم و التعليم ، و أسباب ارتقاء العلوم و انحطاطها ، كما يتطرق إلى مناقشة نظرية عن حركة الترجمة و تقسيم العلوم ، و كلها معلومات تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين و يظهر بوضوح تأثير الفكر الإسلامى على تصنيف ابن خلدون ، حيث انطلق بتصنيفه من العقيدة الإسلامية ، فبدأ تصنيفه بالعلوم الشرعية ، و ما يتعلق بها من علوم اللسان العربى ، كما جاء عرضه للعلوم العقلية مساعدا للعلوم الشرعية ، ومدعما للحقيقة الدينية ، و يظهر هذا جليا فيما ذكره من علوم عقلية تخدم الحقيقة الدينية، و منها علم الأرثماطيقى بما يشمله من علم براهين الحساب ، و الجمع و التفريق بما لهما من فائدة فى التعرف على كيفية توزيع غنائم الحرب أو تصريف الحسابات فى المعاملات المدنية من عمليات البيع و الشراء أو الزكاة . و من فروع علم الأرثماطيقى علم الفرائض الذى سبق و ذكره كفرع لعلم الفقه و ما له من فائدة فى توزيع الموارد . كما جاء ذكره لعلم الهيئة باعتباره علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة و المتحركة ، و البرهنة على أن مركز الأرض مابين لمركز فللك الشمس ، و هذا العلم له فائدة جليلة للمسلمين فى التعرف على أوقات الصلاة و اتجاه

الكعبة و القبلة للمصلين . كما ذكر علم الأرياح من فروع علم الهيئة ، لما له من فائدة كبيرة فى تحديد الأيام و التواريخ و بداية الشهور العربية .

و على نفس الخط الذى اتبعه لنفسه من ذكر العلوم العقلية بخدمة الحقيقة الدينية نجد معالجته ل علم الفلاحة منطلقا بها من المفهوم الإسلامى ، فيذكر أن القدماء درسوا هذا العلم بطريقة عامة جدا بالنظر إلى النبات و عملية غرس النبات و ثمره والصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية و الصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية ، و هو ما يدخل فى باب السحر ، و لكن عندما نظر المسلمون إلى هذا العلم و ما اشتمل كتاب الفلاحة النبطية حذفوا كل ما يتعلق بالسحر و اقتصروا على ما يخص النبات من جو غرسه وعلاجه.(٧٨) وتشير معالجته هذه ل علم الفلاحة إلى أن جميع العلوم يفترض أنها تتكامل مع النظرة الإسلامية ل علم التصنيف لتحقيق الهدف العام للعلوم الإسلامية و هو خدمة الحقيقة الدينية.

و قد جاءت معالجته للعلم الإلهى متأثرة بالفكر الإسلامى ، حيث بعد به عن المفهوم الأرسطى ، و أشار إلى قضية مهمة أثرت فى الفكر الإسلامى ، و هى اختلاط موضوع علم الكلام بالإلهيات . وأوضح السبب وراء ذلك أن المتكلمين دعاهم أهل الإلحاد فى معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ، فاحتاجوا للرد عليهم إلى جنس معارضتهم ، مما استدعى استخدام الفلسفة و المنطق فى تدعيم الحقائق الدينية، و هو يشير إلى اختلاط مفهوم العلمين عند المتأخرين ، سواء كان ذلك فى الوضع أو فى التأليف .

تصنيف ابن خلدون بين التأثير والتأثر

تأثر ابن خلدون بطريقة الخوارزمى فى القسمة الثنائية للعلوم حيث ميز بين العلوم العقلية و العلوم العقلية ، و لكنه أعطى لهذه العلوم صفة العمومية فلم يجعل العلوم العقلية وفقا على الأجانب كما سماه الخوارزمى و إنما مشتركة بين الأمم المختلفة . أما العلوم النقلية فبالرغم من اختصاص أمة العرب بها إلا أن الأمم الأخرى عندها ما يماثلها . كما ظهر تأثره بابن سينا من خلال استشهاده الدائم بكتبه

فى أكثر من موضع فى تصنيفه ، و منها كتاب " الإشارات " عند عرضه للعلم الطبيعى ، و كتاب " الشفاء " فى عرضه لعلم المنطق .

و تأثر حاجى خليفة فى كتابه " كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون " بتصنيف ابن خلدون ، حيث نقل عنه تقسيمه للعلوم فى (المنظر الأول من الباب الرابع فى فوائد منثورة من أبواب العلم) ، فهو يقول : " و اعلم أن العلوم المتداولـة فى الأمصار على صنفين : صنف طبيعى للإنسان يهتدى إليه بفكره ، و هى علوم الحكمة الفلسفية ، و صنف نقلى يأخذه عن وضعه ، و هذه هى العلوم النقلية الوضعية ، و كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعى و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع فى مسائلها بالأصول " . و يستمر فى نقل المقدمة التى كتبها ابن خلدون فى بداية الفصل الخاص بتقسيم العلوم . و قد نقل حاجى خليفة عن ابن خلدون مقدمة الفصل الخاص بتقسيم العلوم كلها بنفس الألفاظ التى استخدمها ابن خلدون ، وذلك فى التعبير أو ذكر العلوم الإسلامية وتقسيماتها . (٧٩) كما تأثر السيوطى بابن خلدون فى وصفه الذى ضمنه كتاب " إتمام الدراية لقراء النقاية " ، و هذا ما سوف يوضحه البحث عند عرض تصنيف السيوطى .

تأثر ابن خلدون بالحضارات السابقة

يبعد تقسيم ابن خلدون تماما عن تصنيف العلوم لدى اليونان ، سواء من حيث التقسيم أو ترتيب العلوم أو المنهج الذى اتبعه أو حتى فى عرضه لأسماء العلوم وموضوعاتها ، بل إنه يعد ممثلا للبيئة الفكرية العربية الإسلامية مكتشفا خصائصها . ويخدم تصنيفه ، سواء للعلوم النقلية أو العقلية ، مبدأ واحدا هو الحقيقة الدينية الإسلامية . ولذلك يبعد تصنيفه عن الاتجاه التجريدى التقليدى لتصنيف أرسطو ، أو غيره من فلاسفة اليونان أو الحضارات الأخرى . و يتبنى اتجاها تجديديا سواء من حيث التقسيم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية ، أما من حيث التجديد فى طريقة العرض لكل علم فهو يشير إلى تاريخ العلم ، و يحاول تجريده من أفكار السحر و التنجيم ، وهذا ما كان واضحا عند عرضه لعلم الزراعة ، و لذلك فإن تصنيفه هو امتداد للفكر الإسلامى بكل أبعاده الأصيلة .

المنهج فى تصنيف ابن خلدون

يرى ابن خلدون استخدام القياس بالنسبة للعلوم النقلية ، حيث يربط الجزئيات بالكليات ، و هو بذلك يتجاهل المعطيات التجريبية التى تستند إليها العلوم ، فهو يرى أن العلوم النقلية الوضعية كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى ، و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تدرج تحت النقل الكلى بمجرد وضعه ، و لكنه يحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسى . و يرى أن أصل العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب و السنة . (٨٠) أما العلوم العقلية فيمكن أن يقف عليها الإنسان بفكره ، و يهتدى إلى موضوعاتها بمداركه البشرية ومسائلها و أنحاء برهائنها و وجوه تعليمها ، حتى يقف بصره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو إنسان و فكر . فهو هنا يقرر استخدام العقل و الفكر بالنسبة للعلوم العقلية ، و يسير ابن خلدون فى تقسيم العلوم فى تصنيفه على منهج استنباطى يسير فيه من أقسام عامة إلى أقسام خاصة ؛ أى يندرج من الكلّيات إلى الجزئيات .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن خلدون

يقسم ابن خلدون العلوم مباشرة دون الإشارة إلى هدف معين من وراء وضع هذا التقسيم ، فيقسم العلوم إلى صنفين ، الأول : العلوم الطبيعية ، و هى العلوم الحكمية الفلسفية . و الثانى : العلوم الوضعية النقلية ، و هى العلوم الشرعية ، ويلحق بها علوم اللسان العربى . ثم يقسم كل نوع من هذه العلوم إلى كليات تتدرج تحتها الجزئيات ، و هو فى تقسيمه لا يعطى علوما أصلية و أخرى فرعية ، و إنما التقسيم يسير من علوم كلية إلى جزئياتها ، و العلوم المفرعة لا يعطى لها تسمية معينة ، فلا يطلق عليها علوما أصلية أو فرعية أو جزئيات أو أقساما . و يوضح الجدول التالى تقسيمات العلوم لدى ابن خلدون على الصفوف :

تصنيف ابن خلدون	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الإجمالي
كتاب " العبر وديون المبتدأ و الخبر "	العلوم النقلية الوضعية	العلوم اللسانية العلوم الشرعية	٤ علوم القرآن علوم الحديث علم الفقه علم الكلام علم التوحيد علم التصوف علم تعبير الرؤيا ٨ الطب الفلاحة	- ٣ ٥ ٣ - - - - - ٢	٢	
	العلوم العقلية	المنطق العلم الطبيعي العلم الإلهي العلم الرياضي	الأرثماطيقى الهندسة الموسيقى علم الهيئة	- ٥ ٦ - ٢		
الإجمالي	٢=٢	٦	٢٥	٢٦	٢	٥٩=

جدول رقم (١٠) يوضح تقسيمات العلوم لدى ابن خلدون على الصفوف

يقسم ابن خلدون المعرفة إلى صنفين هما : علوم نقلية وضعية ، و علوم حكمية فلسفية ، يقفان على الصف الأول للمعرفة ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم ، فيقسم العلوم النقلية إلى نوعين ، هما : العلوم اللسانية و العلوم الشرعية ، و تقف على الصف الثاني . و العلوم الحكمية الفلسفية إلى أربعة علوم ، هي : المنطق والعلم الطبيعي و العلم الإلهي و العلم الرياضي . وبذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة على الصف الثاني ستة علوم . ثم يتناول بعض العلوم التي على الصف الثاني بالتفريع فيفرع العلوم الشرعية إلى سبعة علوم تقف على الصف الثالث ، و بعضها يفرع منها علوما تقف على الصف الرابع ، و منها علم القرآن الذي يفرع عنه ثلاثة علوم . ويفرع من علوم الحديث خمسة علوم ، و من علم الفقه ثلاثة علوم ، و بذلك يبلغ إجمالي العلوم المفرعة على الصف الرابع أحد عشر علما . و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الخامس علمين مفرعين من علم أصول الفقه ، و بذلك يبلغ

إجمالي العلوم المفرعة من العلوم العقلية ستة و عشرين علما ، يصل التفريع من العلوم الحكمية الفلسفية إلى الصف الرابع ، و ذلك فى علوم الرياضيات ، و إلى الصف الثالث فى فروع علم المنطق ، و العلوم المفرعة من العلم الطبيعى تقف على الصف الثالث ، و يبلغ إجمالي العلوم المفرعة من العلوم العقلية ثلاثة و ثلاثين علما .

التماسك و التناسق فى تصنيف ابن خلدون

بعدت خطة تصنيف ابن خلدون عن صفة التماسك بين موضوعاتها ، فمن حيث الشكل ساد الاضطراب فى ترتيب العلوم ، سواء عند التقديم أو عند المعالجة ، فى أكثر من موضع ، و هذا ما أوضحه البحث ، و على الرغم من عدم وجود التماسك بين الموضوعات من حيث الشكل إلا أننا نلاحظ وجود التناسق و التكامل فى العلاقات المتداخلة بين العلوم العقلية و العقلية ، و النابع من الوحدة الموضوعية لخدمة هدف التصنيف ، و هو الحقيقة الدينية ، فنلاحظ — كما بينا سابقا — أنه ركز على عرض العلوم العقلية التى تخدم الدين .

رابعا : تصنيف السيوطى (ت ٩١١هـ)

وضع الشيخ جلال الدين السيوطى (٨١) أربعة عشر علما ضمنها كتابه النقاية ، ثم شرحه بتفصيل أكثر ، و سمي الشرح : ” إتمام الدراية لقراء النقاية “ الذى ضم تقسيم السيوطى للعلوم .

تصنيف السيوطى من واقع كتابه

ينتمى تصنيف السيوطى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف التى تعتمد على الطريقة النظرية فى بناء التصنيف على حسب تصوره للعلوم و نظرته إلى أهميتها وشرفها .

الهدف من كتاب السيوطى

ضمن السيوطى كتابه مجموعة العلوم التى يحتاجها الطلاب و يتوقف عليها كل علم دينى ، وقد اقتضى ذلك بيان ترتيب العلوم عند تحصيلها ، كما أحاط كتابه بكل المعلومات التى وردت فى الكتب المشهورة عن هذه العلوم حتى لا يحتاج الطالب إلى كتب أخرى . (٨٢) و من ثم فقد جاء كتابه ليحقق عدة مقاصد ، هى : وضع

تصوره في تقسيم العلوم و ترتيبها ، لذا فهو كتاب تصنيفي . و مساعدة طلاب العلم على الإحاطة بكل دقائق العلوم الأربعة عشر ، لذا فهو كتاب تعليمي . و لما كان الكتاب شرحا للعلوم الأربعة عشر ، الواردة في النقاية بشكل تفصيلي ، فهو كتاب موسوعي . و قد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالي :

أصول الدين

القسم الأول

معرفة الله

صفات الله

الرسالة

النبوة

أمور المعاد

القسم الثاني

تفضيل الأنبياء على الملائكة

أفضل البشر من الرجال

أفضل البشر من النساء

التفسير : القرآن الكريم

المقدمة

نزول القرآن الكريم

المكي

المدني

الحضري

السفري

النهارى

الليلي

الصيفي

الشتائي

الفراشى

أسباب النزول

أول ما نزل من الآيات

آخر ما نزل من الآيات

مسند القرآن الكريم

المتواتر — القراءات السبع

الآحاد

الشاذ — قراءة التابعين

قراءة الرسول — صلى الله عليه و سلم —

قراءة الرماة

قراءة الحفاظ

آداب القرآن الكريم

الوقف

الابتداء

الإمالة

المد — متصل و منفصل

تخفيف الهمزة

الإدغام

ألفاظ القرآن الكريم

الغريب من ألفاظ القرآن الكريم

المعرب

المجاز

المشترك

المترادف

الاستعارة

التشبيه

المعاني

المعاني المتعلقة بالأحكام

العام الباقي على عمومه

العام المخصوص

العام الذي أريد به الخصوص

ما خص من الكتاب و السنة هو جائز

ما خص من الكتاب و السنة

المجمل ما لم تتضح دلالة

المؤول ما ترك ظاهره لدليل

المفهوم

موافق

مخالف

المطلق

المقيد

الناسخ

المنسوخ

المعاني المتعلقة بالألفاظ

الفصل (ترك العطف)

الوصل (استخدام العطف)

الإيجاز

الإطناب

المساواة

القصر

الأسماء

علم الحديث

السند

المتن
الخبر

متواتر

آحاد

مشهور

عزيز

غريب

صحيح

حسن

مرجح

شاذ

محكم

منكر

ناسخ

منسوخ

متابع

المعلق

المرسل

المعضل

المنقطع

المدلس

الموضوع

المتروك

المنكر

المعلل

المدرج

المضطرب
المصحف
المختلط
المرفوع
الموقوف
المقطوع
الموافق
المساواة
المصافحة
النزول
رواية القران
المديح
الأكابر عن الأصاغر
سابق و لاحق
متفق و مفترق
مؤتلف و مختلف
متشابه
الأداء
طبقات الرواة
بلدان الرواة
أحوال الرواة
مراتب الرواة
الأسماء و الكنى و الألقاب للرواة
أدب الشيخ و الطالب
سنن التحمل و الأداء
كتاب الحديث

سماع الحديث
تصنيف علم الحديث

علم أصول الفقه

الكتاب

السنة

الإجماع

القياس

مباحث الكتاب

الاستصحاب

الاستدلال

حال المستدل

علم الفقه

علم الفرائض

قدر المواريث

كيفية قسّمها

موانع الإرث

الوارثون

الوارثات

القروض ؛ أى الأنصاب المقدرة فى كتاب الله

علم النحو

الاسم

الفعل

الحرف

المرفوعات

المنصوبات

المجرورات

الجزم

علم التصريف

الأوزان

المصدر

الصفات

الزيادة

الحذف

الإبدال

الإدغام

علم الخط

رسم اللفظ

الابتداء و الوقف

الحروف الزائدة

الحروف الناقصة

الحروف الموصولة

الحروف المفصولة

البدل (حروف البدل)

علم المعانى

الاسناد الخبرى

المسند إليه

المسند

متعلقات الفعل

القصر

الإنشاء

الوصل و الفصل

الإيجاز و الإطناب

علم البيان

دلالة اللفظ على تمام ما وضع له
دلالة اللفظ على جزئه
دلالة اللفظ على لازمه الخارج عنه

علم البديع

المطابقة

المقابلة

متشابه الأطراف

المزاوجة بين معنيين

التقديم و التأخير

التورية

الجمع و التفريق

التجريد

حسن التعليل

تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيد الذم بما يشبه المدح

الجناس

التضمين

الاقتباس من القرآن و الحديث

التلميح (الإشارة إلى قصة أو شعر)

تبعية اللفظ للمعنى

التأنق فى الابتداء

التأنق فى الانتهاء

التشريح

الجمجمة

اليد

العنق
الرجل
الغضروف
العصب
الوتر
العضل
العروق
الغشاء
الجلد
الشعر
الظفر
قرع الدماغ
العين
الأذن
اللسان
القلب
حجاب الصدر
المعدة
الأمعاء
الكبد
المرارة
الطحال
الكليتان
المثانة
الأنثيان
الرحم

العناصر الأربعة المكونة للجسم : النار و الهواء و الماء و التراب
الغذاء

الأعضاء

تشخيص المرض

الأمور الضرورية لحياة الإنسان

الاعتدال فى النوم و اليقظة و الحركة

ارتباط فصول السنة بصحة الإنسان

الطفل

قانون معالجة الأهم من المرضى عند اجتماع أكثر من مرض

قانون معالجة المطيع من المرضى لظهور ثمرة العلاج لديه

قانون فى الطب لكل داء له دواء إلا السأم و الموت و الهرم .

صفات الطبيب المعالج

صفات معلم الطب

صفات طالب علم الطب

علم التصوف

مراقبة الله

مراقبة أحوال الناس

استحضار ثلاثة أصول فى نفس الإنسان

لا نفع و لا ضرر

الإنسان عبد مرقوق لله

الدنيا زائلة فانية

الإيمان بالله و صفاته

الإيمان بالملائكة و الكتب و الرسل

محبة النبى و اتباع سنته

ترك الربا و النفاق

صفات المؤمن

أداء الفرائض و النوافل

يتناول السيوطى فى تصنيفه أربعة عشر علما تدور حول العلوم الشرعية والعلوم العربية، وقد اتخذ منها فى ترتيبها يقوم على أساس شرف العلم . و هو فى تقسيمها يفرق بين المقاصد من العلوم ، و هى العلوم الشرعية أو الدينية ، والوسائل أو الآلات بالنسبة للعلوم الشرعية ، و التى تمثلت فى مجموعة العلوم العربية . و يقدم المقاصد على الوسائل لأن الأولى أشرف من الثانية ، ثم يسير فى ترتيب العلوم فيقدم الأشرف فالأشرف . و يبدأ بعلم أصول الدين لأنه أشرف العلوم على الإطلاق ، لأنه علم يبحث فيه عن الأمور التى يتوقف عليها صحة الإيمان ، و يكمن شرف هذا العلم فى موضوعه و غايته ، فموضوعه أعم الأمور و أعلاها ، حيث يتناول أشرف المعلومات التى هى مباحث ذات الله و صفاته و أفعاله ، و غايته هى أشرف الغايات، فهى اليقين التام بالله تعالى ، و من هنا فكل العلوم الشرعية الأخرى من تفسير وحديث و فقه متوقفة عليه . (٨٣) و ثنى بعلم التفسير لأنه أشرف العلوم الشرعية الثلاثة لبحثه عن أحوال القرآن الكريم من جهة نزوله و آدابه و ألفاظه ومعانيه ، وكل ما يتعلق به ، فشرف هذا العلم يعود إلى شرف موضوعه (القرآن الكريم) ، و يلى علم التفسير فى الشرف علم الحديث لأن موضوعه هو ذات النبى - صلى الله عليه وسلم - من حيث إنه نبى . (٨٤) فهو علم يشتمل على كل ما نقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، كما يعرف منه أحوال السند و المتن من صحة و ضعف . ثم علم أصول الفقه الذى يقدمه على الفقه لابتناء الفقه عليه ، فهو العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، حيث يبحث فى هذا العلم عن أحوال الأدلة الأربعة ، و هى : الكتاب و السنة و الإجماع و القياس ، من حيث إيصالها إلى الأحكام الشرعية العملية ، و هى ما يشتمل عليه الفقه ، و من ثم فعلم أصول الفقه أشرف من علم الفقه لأن أصول الفقه بمثابة الأصل لعلم الفقه الذى يعد فرعا له ، و كما يقول السيوطى : " الأصل أشرف من الفرع " . (٨٥) و يليه علم الفرائض الذى يعد فرعا من فروع علم الفقه ، و من ثم فهو يذكره بعد علم أصول الفقه .

و يبدأ فى مجموعة العلوم العربية التى هى بمثابة الآلات للعلوم الشرعية ،
ويبدوها بعلم النحو ، و يثنى بعلم التصريف ، و يعقب السيوطى بقوله . ” و إن كان
اللائق بالوضع العكسى “ . (٨٦) أى يقدم علم الصرف على النحو ، و هذا ما اتبعته
معظم التصانيف الأخرى السابقة عليه : الفارابى و الأنصارى . و موضوع العلمين
واحد ، و هو الكلمات العربية ، و لكن النحو يتناولها من حيث ما يعرض لها من
الإعراب و البناء ، و أما الصرف فيتناولها من حيث صورها و هيئاتها العارضة لها .
ويذكر الشيخ الجركسى أن الصرف هو أم العلوم ، أما النحو فهو أبوها . و قد شبه
علم الصرف بالأم التى تلد الأولاد ، لأن هذا العلم يلد الكلمات التى هى قوالب العلوم
من حيث تصرفه فى أبنية اللغة العربية . (٨٧) و من هنا كان فضله على غيره من
العلوم ، و من ثم قدمته التصانيف العربية على علم النحو . أما السيوطى فيقدم النحو
على الصرف لأن الحاجة إلى علم النحو أقوى و أهم ، لأن به يتوصل إلى باقى
العلوم العربية ، و يصون اللسان عن الخطأ ، و يستعان به على فهم القرآن الكريم
و الأحاديث النبوية . و يلى علم النحو و الصرف علم الخط لأن كلا من علمي النحو
و الصرف يبحث فى اللفظ من جهة النطق به ، و علم الخط يبحث فى اللفظ من جهة
رسمه ، و لما كان النطق يسبق الرسم كان تقديم علمي النحو و الصرف على علم
الخط .

و بعد أن انتهى من علوم اللغة تناول علوم البلاغة التى يبدوها بعلم المعانى ،
و يقدمه على علم البيان لتوقف الثانى على الأول ، فالعلمان يبحثان فى موضوع
واحد ، و هو الكلام العربى ، و لكن علم المعانى يبحث فى أحوال اللفظ العربى التى
بها يطابق مقتضى الحال ، أما علم البيان فهو إلى جانب رعاية المطابقة لمقتضى
الحال يبحث فى شئ آخر ، و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح
الدلالة . و المقصود بالطرق المختلفة طرق أداء اللفظ الثلاث من الحقيقى أو المجاز
أو الكناية . و يلى علم البيان علم البديع ، و يذكر السيوطى أنه آخر علم البديع عن
علمي المعانى و البيان لأنه تابع بالنسبة إليهما . (٨٨) فعلم البديع علم يعرف به
وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال — و هو ما يشمل علم
المعانى — و وضوح الدلالة — و هو ما يشمل علم البيان — فعلم البديع ليس جزءاً

من علم البلاغة ، بل هو تابع له . (٨٩) بينما يعد علمى المعانى و البيان من أقسام علم البلاغة ، و من ثم آخر علم البديع عنهما . و يرى السيوطى أن هذه العلوم إلى جانب كونها آلات للعلوم الدينية فهى أيضا لمعالجة اللسان الذى هو عضو من الإنسان ، ومن ثم أعقبه بما يصلح البدن كله ليقوى على تحصيل العلوم الدينية من علمى التشريح و الطب ، و قدم التشريح على الطب لأن الأول يبحث فى ذات البدن الإنسانى ، بينما الثانى يبحث فى الأمور العارضة على بدن الإنسان من الأمراض . و ينهى العلوم التى يعرضها بعلم التصوف . (٩٠) و يذكره بعد علم الطب لأن الطب يعالج الأمراض الظاهرة الدنيوية ، بينما يعالج علم التصوف الأمراض الباطنة الأخروية . و قد تناول السيوطى كل علم من الأربعة عشر علما معرفا كلا منهما مع إعطاء الأجزاء المكونة لكل علم بتفصيل شديد .

القواعد والمفاهيم التى عكسها تصنيف السيوطى

حرص السيوطى فى عرض علومه على مبدأ الترابط بين الموضوعات ، أو علاقة التجاور ، فعالج العلوم الدينية إلى جانب بعضها ، ثم علوم اللغة من النحو والصرف و الخط ، ثم علوم البلاغة . كما ظهرت علاقة التبعية و الاشتمال ، فنجده يقسم كل علم إلى أجزاء صغيرة تدرج تحت العلم العام الذى يضمها ، فهو بذلك يندرج من الكلى إلى الجزئى ، أو من العلم العام إلى الخاص . استخدم السيوطى قاعدة من قواعد التصانيف الحديثة و هى الإحالة ، و ذلك عندما ذكر أن المتواتر (أحد أنواع علم الحديث) سيأتى ذكره فى علم أصول الفقه ، فهنا يشير إلى مكان آخر لمعالجة الموضوع على خريطته التصنيفية ، و هذا يدل على وعيه التام بالعلوم و تعريفاته ، و الارتباطات بين المواضيع . وعلى الرغم من أن تقسيم العلوم عند السيوطى مستند على تصوره فى تقسيم العلوم وترتيبها الذى قام على أساس شرف العلم ، إلا أن عرضه للعلوم و تقسيماتها الجزئية نابع من السند الأدبى ، فقد قام السيوطى بمسح للكتابات التى تمت فى الموضوع و طريقة المؤلفين فى التقسيم و التجزئى ، فنجده يشير دائما إلى أهم الكتب التى صنفت فى العلم و تجزئىء العلم فيها ، و أنه قام بالإضافة و التوسع ، و هذا ما نجده فى إشارته إلى كتاب " مواقع

العلوم من مواقع النجوم “ لجلال الدين البلقيني ، فى علم التفسير ، و أنه أخذ منه وزاد عليه . (٩١)

ملاحظات على تقسيم السيوطى للعلوم.

• اتسم عرض السيوطى للعلوم فى تصنيفه بالموسوعية ، فهو يعرض كل علم بشرح مستفيض ، مبتدئاً بتعريف العلم ، و حدوده ، ثم يقسمه إلى موضوعات جزئية صغيرة .

• يأتى تقسيم السيوطى للعلوم إقراراً بالمنهج التربوى التعليمى السائد عند المسلمين ، فهو يقول : ” إذا اجتمع عند الشيخ دروس قدم الأشرف فالأشرف ، ثم رتبها “ . (٩٢) فترتيبه للعلوم متفق مع ترتيب تحصيل طلاب العلم لها .

• يؤرخ السيوطى للمنهج التربوى التعليمى عند المسلمين فى ثانيا عرضه للعلوم ، موضحاً القواعد المهمة فى التعليم ، و يتضح هذا بجلاء فى عرضه لعلم الطب ، حيث يحدد صفات معلم الطب وطالبه .

المميزات والعيوب فى تقسيم السيوطى للعلوم

• مما يتميز به تصنيف السيوطى أنه يذكر علوما لم تشر إليها التصنيفات السابقة عليه ، مما يدل على مدى تقدم العلوم على عصره : الأقسام التى يذكرها كفروع لعلم الطب ، مثل : علم طب الأطفال ، و علم النساء و النبض و تشخيص المرض الذى يعد من أهم عناصر العلاج .

• و مما يؤخذ على تصنيف السيوطى أنه يذكر بعض العلوم التى تفرع من علوم أخرى أعم منها على الصف نفسه الذى يذكر عليه العلم الأصلى ، مثل : علم الفرائض الذى يعد من فروع علم الفقه على الصف نفسه الذى يقف عليه علم الفقه . وكذلك علم التشريح الذى يعد من فروع علم الطب إلا أنه يجعله على صف واحد مع علم الطب ، بل يقدمه عليه ، على الرغم من حرصه على مبدأ تجاور العلوم إلا أنه فصل علم التصوف الذى يعد من العلوم الشرعية أو الدينية عن مجموعة العلوم الدينية ، و آخر معالجته فى آخر التصنيف ، و مرد ذلك أن ترتيبه للعلوم جاء على أساس تصوره لها و لأهميتها و شرفها . كما أنه لم يذكر سوى علمين فقط من العلوم العقلية ، و هما علما التشريح و الطب ، و أغفل بقية العلوم العقلية الأخرى ، بالرغم

من أن منها علوما متعددة تخدم العلوم الشرعية الدينية ، مثل : علم الحساب لحساب
المواريث ، و علم الهيئة بفروعه للتعرف على أوقات العبادة و تحديد بداية السنة
الهجرية و الشهور العربية ، و يرجع إغفاله لبقية العلوم العقلية و اقتصراره على
العلوم الشرعية و العربية و علمى الطب و التشريح من العلوم العقلية لانقائه لها
ومعرفته بها ، أما بقية العلوم الأخرى فلا علم له بها ، و هذا ما يعترف به ، حيث
يذكر أنه تبحر فى سبعة علوم ، هى : التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانى
والبيان و البديع ، ودون هذه السبعة فى المعرفة علم أصول الفقه و علم الجدل
والتصريف ، ودونها

الإنشاء و الترسل والفرائض ، و دونها علم الطب ، أما علم الحساب فهو أعسر شئ
عليه و أبعد عن ذهنه . (٩٣)

تصنيف السيوطى انعكاس للبيئة الثقافية الفكرية

• جاء تصنيف السيوطى ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية ، و ملخصا
لكل ما توصل إليه الفكر العربى الإسلامى من العلوم التى تعد من معطيات الدين
الإسلامى ، و هو يسير فى عرضه للعلوم لخدمة الحقيقة الدينية الإسلامية ، لذلك
اقتصر على مجموعة العلوم العربية و الدينية ، و جاء عرضه لعلم الطب باعتباره
العلم الذى يحفظ صحة بدن الإنسان ليقوى على تحصيل العلوم الشرعية وممارسة
العبادات المفروضة عليه .

• اتسمت معالجة السيوطى للعلوم فى تصنيفه بالمعالجة الموسوعية انعكاسا للاتجاه
الفكرى فى عصره الذى تميز بوضع الأعمال الموسوعية التى تعمل على تجميع
المعلومات من الكتب المختلفة و حصرها فى عمل واحد ، و هذا ما هدف إليه
السيوطى ؛ أن يضع علما يجمع فيه ما ورد فى الكتب المشهورة بحيث لا يحتاج
المطلع عليه إلى كتاب غيره فى هذه العلوم . و يرى بعض الباحثين أن فى عمل
السيوطى الموسوعى فكرا تجديدا للتصنيف العربى الإسلامى ، عمل على أن
يستوعب فيه مختلف العلوم المعاصرة لزمانه .

المنهج المتبع في تصنيف السيوطي

اعتمد السيوطي في تقسيم العلوم و تجزيئها على المنهج الاستنباطي ، و هو يسير في تقسيم العلم متدرجا من الكليات إلى الجزئيات ؛ أى من العلم العام إلى العلم الخاص .

تصنيف السيوطي بين التأثير والتأثر

وضع السيوطي تقسيمه للعلوم بشكل مختلف تماما عن سبقه من المصنفين ، فقد ركز فقط على العلوم الشرعية و العربية ، و لذلك جاء تصنيفه ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية العربية ، وملخصا لكل ما توصل إليه الفكر العربي الإسلامي من العلوم التي كانت من معطيات الدين الإسلامي ، و قد تأثر في بعض علومه بمن سبقه ، مثل ابن خلدون في العلوم الشرعية من حيث الانتهاء بعلم التصوف كآخر العلوم الشرعية ، كذلك جعل علم الفرائض علما يقف على نفس صف علم الفقه ، حيث إنه مفرع منه . و قد جاء ترتيب العلوم متوافقا تماما مع ابن خلدون فيما عدا علم الكلام (أصول الدين) الذي بدأ السيوطي به تصنيفه ، بينما ذكره ابن خلدون في وسط العلوم الدينية . كما صرح السيوطي بتأثره بتقسيم البلقيني لعلم التفسير في كتابه ” مواقع العلوم من مواقع النجوم “ ، و أنه نقل عنه العلوم نفسها مع الزيادة عليها .

و تأثر طاشكبرى زادة بتقسيم السيوطي للعلوم الشرعية و التفرعات الخاصة بكل علم ، و هذا ما أكده حاجي خليفة من أن طاشكبرى زادة قد نقل عن السيوطي فروع علم التفسير . (٩٥)

هل تأثر السيوطي بتصنيف أرسطو للعلوم ؟

انطلق السيوطي بتصنيفه من منطلق عربي إسلامي ، سواء كان ذلك في المنهج أو في عرض العلوم التي ذكرها في تصنيفه منكرًا لعلوم الفلسفة و المنطق ، متجاهلا العلوم العقلية فيما عدا علمي التشريح و الطب ، ولذلك جاء تصنيفه بعيدا تماما عن الفكر الأرسطي ، أو أي فكر حضاري سابق ، و إنما تبني اتجاهها تحديثيا حيث صمم تصنيفه في إطار واحد لخدمة الحقيقة الدينية ، و من ثم اختلف مع تصنيف أرسطو كليا ، سواء في الهدف أو في طبيعة العلوم المعروضة في تصنيفه أو في طريقة التقسيم .

مستوى المعالجة فى تصنيف السيوطى

• يبدأ السيوطى تصنيفه بتوضيح الهدف منه ، ثم يتناول علومه بالتقسيم مع بيان السبب وراءه، وهذا ما لم نجد عند غيره من المصنفين السابقين .

• يقسم العلوم إلى أربعة عشر علما متناولا كل علم بالتقسيم إلى موضوعات صغيرة تدرج تحته ، و هو فى تقسيمه لكل علم لا يعطى أقساما أصلية و أخرى فرعية عن الأقسام الأصلية ، أو يقسمها إلى أقسام عامة ثم علوم أخص تتفرع منها، وإنما التقسيم يكون مباشرا من العلم العام الأساسى إلى الجزئيات التى تدرج تحته فقط ، ولذلك نجد أن التصنيف عنده يقف عند الصف الثانى ، و فى النادر من يزيد إلى الصف الثالث أو الرابع ، و لكن نلاحظ الزيادة الهائلة فى تفريعات بعض العلوم .

ويوضح الجدول التالى أعداد التفريعات فى كل علم والصف الذى تقف عليه

العلوم فى تصنيفه :

تصنيف السيوطى	علوم أساسية	التفريعات			الإجمالى
	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع	
كتاب " إتمام الدراية لقراء النقاية "	علم أصول الدين	٢	٨	—	١٠
	علم التفسير	٥	٣٤	٢١	٦٠
	علم الحديث	١٤	٤١	—	٥٥
	علم أصول الفقه	٨	—	—	٨
	علم الفقه	—	—	—	—
	علم الفرائض	٦	—	—	٦
	علم النحو	٧	—	—	٧
	علم التصريف	٧	—	—	٧
	علم الخط	٧	—	—	٧
	علم المعانى	٨	—	—	٨
	علم البيان	٣	—	—	٣
	علم البديع	١٨	—	—	١٨
	علم التشريح	٢٨	—	—	٢٨
	علم الطب	١٥	—	—	١٥
	علم التصوف	٩	٣	—	١٢
الإجمالى	١٥=١٥	١٢٩	٨٦	٢١	٢٤٤ =

جدول رقم (١١) يوضح توزيع العلوم على الصفوف و أعدادها على كل صف

• بلغ إجمالي عدد العلوم الأساسية على الصف الأول خمسة عشر علما بالرغم من أنه ذكر أنها أربعة عشر علما ، ذلك لأنه أدمج معالجة علم الفقه مع علم أصول الفقه دون تمييز واضح ، و لذلك اعتبرها أربعة عشر علما .

• بلغ عدد العلوم المفرعة عن الصف الثاني ١٢٩ علما ، و يلاحظ التفاوت في أعداد العلوم المفرعة عن كل علم رئيسي ، حيث ترتفع إلى ٢٨ علما مفرعا عن علم التشريح ، و يأتي بعدها علم البديع ، و تبلغ العلوم المفرعة عنه ١٨ علما . ثم علم الطب ، حيث يبلغ عدد العلوم ١٥ علما . و من علم الحديث ١٤ علما . و تتقارب العلوم المفرعة من علم أصول الفقه و علم الفرائض ، حيث تبلغ في الأولى ثمانية ، و الثانية ستة . كما تتقارب العلوم المفرعة عن العلوم العربية ، فتبلغ سبعة في كل من النحو و التصريف و الخط ، و ترتفع إلى ثمانية في علم المعاني ، و تقل إلى ثلاثة في علم البيان ، و لا يعطى أى تفرعات عن علم الفقه ، و أحيانا يطلق على تلك العلوم المفرعة كلمة أبواب ، كما في علم أصول الفقه ، فيقسمه إلى سبعة أبواب ، و علم المعاني حيث يقسمه إلى ثمانية أبواب ، و أحيانا يطلق عليها أقساما ، كما في علم أصول الفقه ، حيث يقسمه إلى قسمين ، و في أحيان أخرى لا يعطى لها أية تسمية ، بل يقول : ” و منها “ ، كما في علم الحديث ، أو يعرضها دون الإشارة إلى أية تسمية ، كما في علم الطب أو التشريح ، و أحيانا يطلق عليها أنواع ، كما في علم التفسير ، حيث يقسمه إلى مقدمة وخمسة و خمسين نوعا .

• يبلغ إجمالي العلوم على الصف الثالث ستة و ثمانين علما ، و هي العلوم المفرعة عن علم أصول الفقه ، حيث تبلغ ثمانية ، و من علم التفسير حيث تبلغ أربعة و ثلاثين علما ، و من علم الحديث حيث تبلغ واحدا و أربعين علما ، و من علم التصوف ثلاثة علوم . و يلاحظ أن التفرع يصل إلى الصف الثالث من العلوم الشرعية فقط ، و ذلك لاهتمام السيوطي بها و تركيزه عليها و على تقسيمها وإيضاحها .

• يبلغ إجمالي العلوم على الصف الرابع واحدا و عشرين علما مفرعا عن علم التفسير ، و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة عن علم التفسير ستين علما ، بالرغم

من أنه يذكر أنها مقدمة و خمسة وخمسون علما . و بذلك يبلغ إجمالى العلوم
المفرعة عن العلوم الأساسية ٢٤٤ علما .

التماسك والتناسق

تميز تصنيف السيوطى بتماسك البناء ، فلم تحدث قفزات مخرلة بهيكلة
التصنيفى ، و إنما سار فى عرض العلوم بطريقة منتظمة ، فبعد الانتهاء من عرض
كل علم بفروعه ينتقل إلى العلم الذى يليه . كما تميز بالتناسق و التناغم بين العلوم
التي ذكرها ، و التي سارت لخدمة هدف واحد ، و هو خدمة الدين الإسلامى الذى
تمثل فى مجموعة العلوم الدينية .

هوامش الفصل السادس

١- يعد نصير الدين الطوسي أحد الأفاضل القلائل الذين ظهوروا في القرن السابع الهجري، فقد ولد في طوس عام ٦٠٧هـ الموافق سنة ١٢٠١م، وتوفي في بغداد ٦٧٢هـ الموافق ١٢٧٣م. لمع في الدرس و الابتكار، وكانت له مكانة مقدمة عند الخلفاء، وصاحب رأى لديهم، ولكن الحياة لم تسر معه على هذا المنوال، فقد حقد الحاقدون عليه مما أدى إلى دخوله السجن، وفي السجن أنجز أكثر مؤلفاته في الرياضيات، وهي التي خلدهت و جعلته عالما بين العلماء، ومع استيلاء هولاكو على بغداد أفاد الطوسي كثيرا، حيث أصبح حرا طليقا، واستطاع أن يكسب منزلة عالية عند هولاكو، واستغل الأموال التي كانت تحت تصرفه فأنشأ مكتبة كبيرة، وبني مرصد مراغة الذي اشتهر بآلاته و مرصده، كما برع الطوسي في علم الفلك، وأضاف إضافات مهمة، منها استنباط براهين جديدة لمسائل فلكية عويصة. كما انتقد كتاب المجسطي واقترح نظاما جديدا للكون أبسط من النظام الذي وضعه بطليموس. كما أن له مؤلفات قيمة في الرياضيات، ويعد كتابه شكل القطاع من أجلها، وقد ترجم إلى اللاتينية، كما أن له كتباً أخرى في معالجة نظريات الجبر والهندسة، ووضع كتباً في الحكمة والجغرافيا والطبيعيات والموسيقى والتقاويم والمنطق والتنجيم والأخلاق والبصريات، كما ترجم بعض كتب اليونان وانتقدها وعلق عليها: قدرى حافظ طوقان. مرجع سابق. - ص ص ٢٢٢-٢٢٥.

٢- الطوسي، نصير الدين. رسالة فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز - من كتاب عباس سليمان. تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي و ناصر الدين البيضاوي. - دراسة و تحقيق. - الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م. - ص ص ٦٩-٧٧.

٣- نفس المرجع السابق. - ص ص ٧١-٧٦.

٤- نفس المرجع السابق. - ص ٢٥.

5- Vickery .B.C. - op cit P162.

٦- عباس سليمان. مرجع سابق. - ص ٥٢.

7- Vickery . B.C. op cit .-P162.

8- Jevons, W.S. the principles of science . - London .Macmillan ,
1974.-P40 .

٩- ابن الأكفاني ، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ، شمس الدين أبو عبد الله، ولد بسنجار ، و هي بلدة في العراق ، في أواخر القرن السابع الهجري ، و عاش إلى حوالي منتصف القرن الثامن الهجري ، و قد رحل إلى مصر طالبا العلم ، واتخذها مقرا لسكناه ، في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي أنشأ هو ومماليكه حوالي ثمانية و عشرين مسجدا في مصر و الشام ، قام بالتدريس نخبة من الأساتذة و الشيوخ . و تميز عصره بالاستقرار السياسي ، و بالرخاء الاقتصادي ، فلجأ العديد من العلماء و الشيوخ إلى مصر هربا من المغول في العراق و الشام ، كما لجأ إلى مصر عديد من علماء الأندلس هربا من بطش الفرنجة ، و من بلاد المغرب هربا من عدم الاستقرار فيها ، و أكرمت مصر هؤلاء العلماء و رتبت لهم الأرزاق التي تكفل لهم عيشة كريمة ، كما قاموا بالتدريس ، و منهم من تولى القضاء . و يرجع إلى أولئك العلماء الفضل في إثراء الحياة الحضارية و الثقافية في عصر الأكفاني ، و لا شك أن لهذا الاستقرار السياسي و الرخاء الاقتصادي و النهضة الحضارية و الثقافية أثرا كبيرا في تكوين العقلية الفكرية و اتقافية لابن الأكفاني الذي أحاط بمعظم علوم عصره ، و اشتهاره و اتقانه لمهنة الطب التي زاولها و مارسها بالمارستان المنصوري ، كما اتقن علوم الحكمة و الهندسة و الحساب و الهيئة ، وكانت له تصانيف كثيرة في هذه العلوم ، كما كان مستحضرا للتواريخ و الأخبار ، حافظا للأشعار ، بارعا في الأدب متمكنا منه ، و له تصانيف كثيرة فيه ، و له معرفة بأصول الخط المنسوب ، و كان غاية في معرفة الأصناف من الجواهر والقماش و الآلات و أنواع العقاقير و الحيوانات ، و له اليد الطولى في الروحانيات و الطلاسم ، و له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم ، و منها / ” اللباب في الحساب “ ، و ” نخب الذخائر في معرفة الجواهر “ ، و ” غنية اللبيب عند غيبة الطبيب “ ، و ” كشف الدين في أمراض العين “ ، و ” روضة الألبا في أخبار الأطباء “ ، و ” الدر النظيم في أحوال العلوم و التعليم “ ، و ” نهاية القصد في صناعة القصد “ ، و ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ . و قد توفي ابن

- الأكفانى حوالى ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م : الصفدى ، صلاح الدين خليل . الوافى بالوفيات . - بيروت ، ١٩٨٩م . - ج ٢ ص ص ٢٦-٢٧ .
- ١٠- ابن الأكفانى ، محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم . - ص ص ٩١-٩٢ .
- ١١- عثمان أمين . مقدمة كتاب إحصاء العلوم للفارابى . - ص ١٦ .
- ١٢- ابن الأكفانى . مصدر سابق . - ص ٩٣ .
- ١٣- محمد أبو عليان الشافعى . كتاب اللؤلؤ المنظوم فى مبادئ العلوم . - القاهرة . - المطبعة الحسينية ، د . ت . - ص ٨٢ .
- ١٤- ابن الأكفانى . مصدر سابق . - ص ١٦ .
- ١٥- المقاصد هى العلوم التى تطلب فيها المعرفة لذاتها ، أو لمنفعة عملية ، مثل العلوم الشرعية ، و موضوعات الحكمة النظرية و العملية .
- ١٦- الوسائل هى العلوم التى تستخدم كآلة و مقدمة لغيرها من العلوم ، مثل علوم اللغة و الأدب أو المنطق .
- ١٧- محمد أبو عليان الشافعى . مصدر سابق . - ص ٨٣ .
- ١٨- الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى (ت ٥٠٥هـ) . فاتحة العلوم / جمع محمد أمين الخانجى . - القاهرة . - المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢هـ . - ص ٢٥ .
- ١٩- ابن الأكفانى . مصدر سابق . - ص ١٠٩ .
- ٢٠- ابن سينا ، أبو على الحسين بن عبد الله . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . - ص ٧٣ .
- ٢١- العلوم الأدبية العشرة : انظر تعريفاتها فى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم فى الملحق .
- 22- Vickery . B.C. Clssification and indexing in science .-P166 .
- ٢٣- محمد بن عمر الجركسى . رسالة فى مقدمات العلوم ترى الناظر لها للمفهوم والمنطوق . - د.م : المؤلف ، ١٣١١هـ . - ص ٢٤ .
- ٢٤- المصدر السابق : ص ٢٢ .

- ٢٥- محمد بن عمر الجركسى . مصدر سابق . - ص ٥٢ .
- ٢٦- علوم الشريعة الإسلامية : انظر التعريفات الخاصة بعلوم الشريعة الإسلامية فى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .
- ٢٧- العلم الطبيعى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الطبيعى و فروعـه فى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .
- ٢٨- نفس المصدر السابق . - ص ١٧٣ .
- ٢٩- العلم الرياضى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الرياضى و تفرعاتـه بالقائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .

30- Vickery . B.C. Op cit .-P167 .

31- Ibid .- P 166 .

32- Ibid .- P 167 .

- ٣٣- ابن الأکفانى . مصدر سابق . - ص ١٩٦ .
- 34- Vickery . B.C. Op cit .-P169 .

٣٥- ابن الأکفانى . مصدر سابق . - ص : ١٩٠ .

٣٦- ابن الأکفانى . مصدر سابق . - ص ١٦٠ ، ٢٠٢ ، ١٧٢ .

- ٣٧- عبد الوهاب أبو النور . التصنيف البيبليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى : دراسة فى منهج إعداد نظم التصنيف مع تطبيقه فى إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامى . - القاهرة . - دار الثقافة ، ١٩٧٣ . - ص ٨٢

38- Vickery . B.C. Op cit .-P165 .

٣٩- بريل ، ليفى . مرجع سابق . - ٤٩ .

٤٠- ابن الأکفانى . مصدر سابق . - ص ١٩٠ .

٤١- نفس المصدر السابق . - ٢٠٥ .

53- Sayers , W.C. Berwick . Amanual of classification for libraries and bibliographers. P 109 .

٤٢- عثمان أمين . مقدمة إحصاء العلوم للفارابى . - ص ١٦ .

٤٣- عبد المنعم محمد عمر . مقدمة كتاب " إرشاد القاصد " . - ص ص ٤٣-٤٤ .

٤٤- ابن الأکفانى . مصدر سابق . - ص ٩٢ .

٤٥- الفارابى . إحصاء العلوم . - ص ٤٤ .

- ٤٦- ابن الأکفانی . مصدر سابق . - ص ١٠٦ .
- ٤٧- ابن سینا . رسالة فی أقسام العلوم العقلية . - ص ٧٣ .
- ٤٨- ابن الأکفانی . مصدر سابق . - ص ١٠٦ .
- ٤٩- ابن سینا . مصدر سابق . - ص ٧٣ .
- ٥٠- الخوارزمی ، محمد بن أحمد بن یوسف . مصدر سابق . - ص ١٤٣ .
- ٥١- جام العدل ، أو قدح العدل ، هو إناء يعمل ، و ترکیب فيه أنبوبة فوق أنبوبة ، وتكون العليا مثقوبة ، و أسفل الإناء مثقوب ، فإذا کان ما فيه من الشراب دون رأس الأنبوبة السفلى ثبت ، و إذا علا انصب الشراب من الثقب الذى فی أسفل الإناء ، و لم یبق منه إلا مقدار یرقى من الأنبوبة : الخوارزمی . مفاتيح العلوم . - ص ١٤٤ .
- ٥٢- الفيروزآبادی ، محمد بن یعقوب الشبراوی (٧٢٩-٨٠٣هـ) . بصائر ذوی التمييز فی لطائف الکتاب العزیز . - القاهرة . - لجنة إحياء التراث الإسلامی ، ١٩٥٧م . - ج ١ ص ٤١-٥٤ .
- ٥٣- القلقشندی ، شهاب الدین أحمد بن علی (ت ٨٢١/١٤٢٨م) . صبح الأعشى فی صناعة الإنشا . - القاهرة . - دار الکتب ، ١٩٣٨م . - ج ١ ص ٤٦٧-٤٧٩ .
- ٥٤- حاجی خليفة ، مصطفى بن عبد الله . مصدر سابق . - ص ٦٦ .
- ٥٥- نفس المصدر السابق . - ج ١ ع ٤٧ .
- ٥٦- ابن خلدون ، أبو زید عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن کریب بن معديکرب بن الحارث ، فهو سليل أسرة عربية عريقة من الیمن . ولد فی تونس عام ٧٣٢هـ - ١٣٣٢م ، و تلقى تعلیمه علی أبیه و نفر من العلماء فی تونس ، فحفظ القرآن الکریم ، و درس الحديث و الفقه و اللغة و النحو ، ثم توسع فی الأدب و المنطق و علوم الفلسفة . كما اشتغل بخدمة الدولة حینا ، و ركب الأسفار حینا آخر ، فتولى منصب دیوان الرسائل عند أبی الحسن الکرینی سلطان مراکش عام ٧٥٢هـ ، كما ذهب عند بنی مرین فی فاس عام ٧٦٠هـ ، ثم عند بنی الأحمر فی غرناطة و الأندلس عام ٧٦٤هـ ، و عاد إلی تونس عام ٧٨٠هـ . و فی عام ٧٨٩هـ انتقل إلی القاهرة ، و انقطع فیها للتدريس حینا و للقضاء حینا

آخر . كما مثل في بلاط النصراني الفارس في إشبيلية ، و حضر في بلاط تيمورلنك في دمشق . من ذلك فقد خاض ابن خلدون غمار السياسة متعرضا لمحنها وتقلباتها ، و هذا ما بصره بتجارب الحياة العامة و الخاصة ، مما كان له التأثير على تفكيره . وقد بقى في معترك الحياة السياسية إلى أن بلغ الخامسة و الأربعين فمل هذه الحياة ورغب عنها ، و قضى بقية حياته في العلم و الدرس ، و قد تجلت عبقريته في ابتكاره لفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ . و توفي في القاهرة في عام ٨٠٨هـ — : دى بور . مرجع سابق . — ص ص ١٤٣-١٤٥ .

٥٧- أحمد أمين . ظهر الإسلام . — القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م . — ج ٣ ص ص ٤٢-٤٥ .

٥٨- محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . — ص ص ١٤٦-١٥٠ .
59- Vickery, B.C. - P 168.

٦٠- ابن خلدون . مصدر سابق . — ص ص ٣٧٩-٤٣٣ .
٦١- عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة . — ص ٩٨ .
٦٢- عبد الوهاب أبو النور . التصنيف البيبليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى . — ص ١١٨ .

٦٣- ابن خلدون . مصدر سابق . — ص ٤٠٠ .
٦٤- نفس المصدر السابق . — ص ٤٢٣ .
٦٥- اعتبر المصنفون العرب المسلمون علم الموسيقى أحد فروع العلم الرياضى باعتباره علما تأليفيا بين النسبة الكمية في العدد و النسبة الكيفية في الهندسة ، و لفهم ذلك لا بد من توضيح ماهية النسبة الكمية ، و ماهية النسبة الكيفية فى الهندسة ، فالنسبة الكمية أو العددية هى تفاوت ما بين عددين مختلفين بالتساوى ، مثال : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، و هكذا ، فالتفاوت بينهما ٢ ، ٢ . و على هذا القياس تبنى سائر النسب العدد ، و مرد هذه النسبة بين العددين أنه إذا أخذ نصف كل واحد منهما (العددين) و جمع يكون ناتج الجمع عدداً أوسط بينهما ، فمثلاً ٣ ، ٤ التفاوت بينهما رقم ١ ، فإن أخذ نصف ٣ ، و هو ١,٥ ، و نصف الأربعة رقم ٢ ، و

جمع الرقمين يكون ٣,٥ ؛ أى عدد يقف بين ٣ ، ٤ . و على هذا القياس تكون النسبة العددية . أما النسبة الكيفية فى الهندسة فهى قدر أحد العددين المختلفين عند العدد الآخر ، مثال ذلك ٤ ، ٦ ، ٩ ، فهذه الأرقام هى فى نسبة هندسية ، و ذلك أن نسبة ٤ إلى ٦ كنسبة ٦ إلى ٩ ؛ أى أن النسبة ٢ : ٣ ، و بمعنى آخر أن العدد ٤ ثلثا العدد ٦ ، و العدد ٦ ثلثا العدد ٩ ، و إذا عكست كانت نسبة ٩ : ٦ هى نسبة ٦ إلى ٤ ، لأن ٩ مثل ٦ ، و نصفها . كذلك العدد ٦ مثل ٤ و نصفها ، و هكذا فإن أى أرقام مثلها تعد فى نسبة هندسية . أما النسبة التأليفية (الموسيقى) المركبة من نسبة عددية و نسبة هندسية ، مثال ذلك : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ فإن ٦ الحد الأعظم و ٣ الحد الأصغر ، و ٤ الحد الأوسط . و يعد الرقمان ١ ، ٢ التفاضل بين الحدود ، لأن التفاضل بين ٦ ، ٤ هو ٢ ، و التفاضل بين ٤ و ٣ هو ١ ، و هذا التفاضل الذى هو ٢ : ١ كنسبة الحد الأعظم ٦ إلى الحد الصغر ٣ ؛ أى أن النسبة بينهما ٢ : ١ ، وبالعكس ، فإن نسبة ٣ إلى ٦ كنسبة ١ : ٢ ، و ٢ هى التفاوت بين ٤ ، ٦ ، وبطريقة أخرى فإن نسبة ١ : ٢ كنسبة ٢ : ٤ كنسبة ٤ : ٦ كنسبة ٦ : ٩ . و عكس ذلك فإن نسبة ٦ : ٣ كنسبة ٤ : ٢ كنسبة ٢ : ١ ، و هذا ما يعرف فى سائر النسب العددية ، فإذا أخذ مثلا ٤ و جمع على نصف ٢ يصبح الناتج ٣ ، و هو العدد الأوسط بينهما ، كذلك مع ٣ ، ٦ فإذا أخذ نصف ٣ و نصف ٦ أصبح الناتج ٤,٥ ، و هو يقف بين الاثنين . أما النسبة الهندسية فإنها تظهر فى نسبة ٦ : ٤ كنسبة ٣ : ٢ ، و عكس ذلك نسبة ٢ : ٣ كنسبة ٤ : ٦ ؛ أى أن ٦ مثل ٤ و نصفها ، و كذلك ٣ مثل ٢ و نصفها ، و عند العكس فإن ٢ ثلثا ٣ ، و ٤ ثلثا ٦ . و من هنا يتضح كيف تصبح النسبة تأليفية من نسبة عددية و هندسية و مركبة منهما . و من هذه النسبة استخراج تأليف النغم والألحان : إخوان الصفا . رسائل إخوان الصفا / تصحيح خير الدين الزركلى . - القاهرة . - المطبعة العربية ، ١٩٢٨م . - ص ص ١٨٣-١٨٥ .

٦٦- كولبه ، أرفلد . المدخل إلى الفلسفة / ترجمة و تعليق أبو العلا عفيفى . - القاهرة . - ط ٣ . - مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٥ . - ص ٢٤ .

67- Langridge , Derer.- P110.

٦٨- شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشري القياسي للمكتبات المدرسية والعامة .
- ص ٩٢ .

٦٩- بريل ، ليفي . مرجع سابق . - ص ٤٨ :

٧٠- انظر كل من أحمد بدر و محمد فتحي عبد الهادي . مصدر سابق . - ص ٣١ ، ٣٥ .
. و عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في
تنظيم المعرفة . - ص ٦٦ .

٧١- محمد علي أبو ريان . مرجع سابق . - ص ١١٦ .

٧٢- محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . - ص ١٥٨-١٥٩ .

٧٣- عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في
تنظيم المعرفة . - ص ٩٢ .

٧٤- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٣٨٤ .

٧٥- عبد الرزاق المكي . مرجع سابق . - ص ١٥٤ ، ٢٥١ .

٧٦- الفلاسفة الجوانية ، هي فلسفة تنظر إلى المخبر و لا تقف عند المظهر ، وتلتمس
الباطن دون أن تتق بالظاهر ، و تفحص عن الداخل بعد ملاحظة الخارج . و تلتفت
دائما إلى المعنى و إلى القيمة و إلى الروح من وراء اللفظ و الحس و الظواهر . أو
هي بالمعيار الفلسفي الاصطلاحي فلسفة تستكنه الجوهر من وراء الأعراض ، فتبحث
عن الماهية من وراء المظاهر . و عمادها أن الحقيقة يجب أن تلتمس فيما وراء
المظهر الخارجي و الوجود العياني . و هذا الماوراء هو المعنى الأول من معاني
الجواني من حيث مقابلته لمعنى البراني .

٧٧- ابن خلدون . المقدمة . - ص ٤١٠ .

٧٨- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٤٣٥ .

٧٩- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع .

٨٠- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٣٨٠ .

٨١- السيوطي : ولد الشيخ جلال الدين السيوطي عام ٨٤٩هـ ، في عهد دولة المماليك
البرجية (ترجع نشأة هؤلاء المماليك إلى أن المنصور قلاوون أكثر من شرائهم و
جعلهم في أبراج القلعة ، فسموا البرجية ، تميزا لهم عن المماليك البحرية الذين اقاموا

فى جزيرة الروضة . نشأ السيوطى يتيما ، ثم دفع إلى حفظ القرآن الكريم فحفظه و هو دون الثامنة من عمره ، و شرع فى الاشتغال بالعلم و سنه خمس عشرة سنة ، فأخذ الفقه عن جماعة من الشيوخ ، و أخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين الشارمساحى . و قد أجاز للتدريس و عمره سبع عشرة سنة . و تصدر للإفتاء و عمره اثنتان و عشرون سنة . و ألقى الحديث و عمره ثلاث و عشرون سنة . يذكر السيوطى أنه تبحر فى علوم سبعة ، هى : التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانى و البيان و البديع ، و دون هذه العلوم السبعة فى المعرفة أصول الفقه و الجدل و الإنشاء و الترسل و الفرائض و القراءات و الطب . و كان علم الحساب أعسر شىء على ذهنه . و قد تولى السيوطى مناصب متعددة ، و له مؤلفات عديدة ، من أولها : شرح الاستعاذة و البسملة ، ثم توالى مؤلفاته فى مختلف العلوم ، فكان من أهمها فى علوم القرآن الكريم : الإتيان فى علوم القرآن . و الدر المنثور فى التفسير المأثور . و فى علوم الحديث : كشف المغطا فى شرح الموطا . و فى الفقه : الأزهار الغضة فى حواشى الروضة . و قد توفى السيوطى عام ٩١١ هـ .

٨٢- منى عبد الوهاب حمودة. صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى . - القاهرة : مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٥ . - ص ٤ ، ١٠ ، ١٨ .

— السيوطى . إتمام الدراية القراء النقاية . - د . م . - الميرزا الشيرازى ، ١٣٠٩ . - ص ٢ .

٨٣- على الصالحى المالكى . مصدر سابق . - ص ص ٣٠-٣١ .

٨٤- نفس المصدر السابق . - ص ص ٩١-٩٢ .

٨٥- السيوطى . مصدر سابق . - ص ٤ .

٨٦- السيوطى . مصدر سابق . - ص ٤ .

٨٧- الجركسى ، محمد بن عمر . مصدر سابق . - ص ٢٢ .

٨٨- السيوطى . مصدر سابق . - ص ٤ .

٨٩- الجركسى ، محمد بن عمر . مصدر سابق . - ص ٢٩ .

٩٠- علم التصوف : بدأ هذا العلم كعبادة متمثلا فى الزهد ، و يرجع تاريخه إلى جماعة من الصحابة الأوائل أطلق عليهم اسم أهل الصفوة ، و هم فريق من الأنصار

والمهاجرين ، فرغت أيديهم من كل شيء و امتلأت قلوبهم بحب الله ، و قد بنى لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قباء في مؤخرة مسجد المدينة ليقيموا فيه وينقطعوا للعبادة . و قد عكفوا على العبادة بشوق و لذة و لهفة . و يعد هؤلاء هم الرعيل الأول من رجال التصوف ، و كانت حياتهم هي المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية اللاحقة ، ثم تطور الزهد إلى مدارس للعبادة ، ثم الزهد المنظم في مدارس البصرة و الكوفة و بغداد و الشام و مصر و خراسان ، و أنتجت هذه المدارس النظريات المختلفة في الخوف و الحب الإلهي مستندة على مناهج الإلهام و الوجد و الفيض الإلهي ، و تكون التصوف كعلم في القرنين الثالث والرابع الهجريين مقابل الحديث و الفقه ثم الكلام ، ثم ما لبث أن وضع أبو حامد الغزالي علم التصوف في صورته السنية النهائية : عبد الرزاق المكي . الفكر الفلسفي عند ابن خلدون . - ص ص ٢٨٨-٢٨٩ .

٩١- السيوطي . مصدر سابق . - ص ٢٢ .

٩٢- نفس المصدر السابق . - ص ٤ .

٩٣- السيوطي . حسن المحاضرة . - ص

94- Abdul Al Majid Al Najjar . op cit . - P83 .

٩٥- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ١٨٤ .

الفصل السادس

التصانيف العربية الإسلامية

في العصر العثماني

مقدمة

ازدهرت الحياة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية في استانبول بالرغم من الاضمحلال الذي سيطر على بقية العالم الإسلامي ، و ذلك يرجع إلى السياسة التي انتهجها الخلفاء العثمانيين في مقر الخلافة ، حيث استقدموا أمهر الصنّاع و التجار و الحرفيين و كل الآثار و التحف ، كما عملوا على نقل كل ما احتوته المكتبات إلى استانبول ، و بذلك تجمعت في مكتباتها خلاصة نتاج الحضارة العربية الإسلامية ، فلا غرو أن أعظم التصانيف العربية الإسلامية خرجت على يد علماء أترك ، نذكر منهم طاشكبرى زادة و كتابه ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ ، و الشرواني و كتابه ” الفوائد الخاقانية “ ، و حاجي خليفة و كتابه ” كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون “ ، و غيرهم ممن أثروا المكتبة الإسلامية العربية بإنتاجهم الفكري . و قبل أن نعرض لنماذج التصنيف في تلك الحقبة ينبغي أن نطل إطلالة سريعة على أهم مظاهر الحياة السياسية و الاجتماعية و العلمية التي سادت هذا العصر ، و التي كان لها تأثيرها الكبير في تلك التصانيف .

الحياة السياسية في الدولة العثمانية

يرجع تاريخ الدولة العثمانية إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ، الثاني عشر الهجري ، بعد القضاء على دولة الروم السلاجقة وموت آخر سلاطينها علاء الدين العثماني عام ١٣٠٧م ، والمؤسس الأول لهذه الدولة هو عثمان بن أرطغرل ، وقد كان ولده يعمل لحساب السلطان السلجوقي علاء الدين ، وبعد وفاته خلفه ابنه عثمان الذي اعتنق الإسلام وتبعه سائر الأتراك في إقطاعية عثمان التي تقع في الشمال الغربي للأناضول (آسيا الصغرى) ، و التابعة في ذلك الوقت لدولة السروم

السلالة ، ثم استقل عثمان بهذه الإقطاعية التي أطلق عليها اسم الإمارة بعد غزوات المغول على دولة الروم السلالة . وبعد نهاية هذه الدولة أخذ يوسع إمارته على حساب الإمارات الأخرى المجاورة له و الدولة البيزنطية ، و استطاع ابنه أورخان أن يستولى على مدينة بروس التي أطلق عليها اسم بورصة أو بورصة وأصبحت عاصمة جديدة للأتراك العثمانيين ، و تولى بعد ذلك غزوات الأتراك العثمانيين فى أوروبا فاستولوا على ما تبقى من الدولة البيزنطية ثم بلغاريا . وتوالت انتصارات العثمانيين فى أوروبا إلى أن جاء محمد الثانى الملقب (بالفتح) واستطاع فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م فأصبحت عاصمة الدولة العثمانية وتحول اسمها إلى إسلامبول ، و حرفت بعد ذلك إلى إستانبول . (١) وقد كانت توسعات العثمانيين الحربية كلها متجهة إلى أوروبا . و يعد السلطان سليم الأول أول السلاطين العثمانيين الذين اتجهوا إلى التوسع فى بلاد المسلمين وضمها للإمبراطورية ، فبدأ بالحدود الشرقية لبلاد الفرس حيث كان الصفويون يحكمون هذه المنطقة فانتصر عليهم فى عام ١٥١٤م وضم أجزاء كبيرة فى شمال العراق إلى الإمبراطورية . واحتل تبريز ثم اتجه للاستيلاء على الأراضى المملوكية فسقطت سوريا بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م ، ودخل مصر بعد هزيمة المماليك فى معركة الريدانية فى ٢٢ يناير عام ١٥١٧م ، ثم جاءه زعماء القبائل البدوية فى شبه الجزيرة العربية يعلنين الولاء للدولة العثمانية ، وانتقلت خلافة المسلمين إلى سليم الأول بعد أن تنازل له عنها آخر الخلفاء العباسيين وهو الخليفة المتوكل ، وجاء بعده ابنه سليمان الملقب بالقانونى ، و الذى عمل على توسيع رقعة الإمبراطورية العثمانية فاستولى على جزيرة رودس عام ١٥٢٢م ، وبلغراد ثم المجر عام ١٥٢٦م ، ثم استولى على العراق كلها عام ١٥٣٣م ، وعمل بعد ذلك على دعم أسطوله فى البحر الأحمر و الخليج الفارسى و المحيط الهندى . وتمكن من طرد البرتغاليين من مسقط عام ١٥٥٢م وتمت تصفية جميع المواقع البرتغالية على طول شواطئ البحر الأحمر . و أصدر سليمان مجموعة من القوانين المنظمة لشئون الدولة من الداخل و لذلك لقب بالقانونى ، و توفى عام ١٥٦٦م فى أثناء قيادته لإحدى الحملات العسكرية على نهر الدانوب . و يعد سليمان القانونى آخر عظماء السلاطين العثمانيين . (٢)

الحياة الاجتماعية والعلمية في الدولة العثمانية

ساد المجتمع الطبقي الدولة العثمانية ، و ميز الباحثون أربع طبقات اجتماعية ؛
وهي : طبقة الحكام العسكريين ، و طبقة الأحرار ، و طبقة العبيد . و الطبقة الحاكمة
هي أفراد الأسرة السلطانية الحاكمة ، أما طبقة الأحرار فهي السواد الأعظم في الدولة
العثمانية الذين ولدوا مسلمين من أسر مسلمة و قد انحصر عملهم في التدريس
والقضاء و الزراعة و الحرف . أما طبقة العبيد فهي العبيد الذين يجلبون إلى الدولة
عن طريق الشراء أو الهدايا أو الضريبة أو كأسرى حرب ، و في أغلب الأحيان كان
العسكريون من طبقة العبيد . و قد تنوعت عناصر السكان داخل الإمبراطورية
العثمانية و تباينت ، فإلى جانب العرب كان هناك الأتراك و الأكراد و التركمان
والشراكسة و الصرب و المجرىون و البلغار والكروات و القبارصة والكريتيون . و
كما ضمت الدولة ألسنة متعددة منها العربية و التركية واليونانية و المجرية ،
بالإضافة إلى لغات مئة مثل السريانية و اللاتينية و العبرية . كما تعددت الديانات
فوجد المسلم بمختلف مذاهبه ، و المسيحي و اليهودي ، و أنتج هذا التعدد العنصرى
أو الدينى أو اللسانى ثقافات متباينة داخل الدولة العثمانية . و يشير الدكتور شعبان
خليفة إلى أن هذا الطابع العالمى للدولة العثمانية مع حرية التنقل داخل أرجاء
الإمبراطورية قد أتاح فرصة ذهبية للعلماء فى التأثير و التأثير بمختلف الثقافات
التي أحيطت بهم . (٣)

أما عن الجانب العلمى فقد اتخذت الدولة العثمانية من الدين ستاراً لكل
توسعاتها ، كما كان دافعاً للعديد من أعمالها ؛ فقد عمل العثمانيون على إنشاء المساجد
فى كافة أرجاء الإمبراطورية وتحويل الكنائس إلى مساجد ، كما شجعوا التصوف
والحركات الصوفية لما كان له تأثيره على فكر العلماء الذين عملوا على خدمة هدف
واحد هو الحقيقة الدينية و رفع شعار الإسلام . و قد ازدهرت الحركة العلمية فى
إستانبول ازدهاراً كبيراً و بخاصة بعد أن نقل إليهم سليم الأول جميع العلماء
و الحرفيين المهرة و التجار و التحف و الكتب من سوريا و مصر و الحجاز وغيرها
من البلاد فانتقلت الحركة العلمية إلى إستانبول ، و أصبح كل هذا متاحاً أمام العلماء

والباحثين في هذه الدولة و ساعد على ازدهار الحركة العلمية تشجيع آل عثمان للعلماء و الأدباء ، و إنشاء المدارس و المعاهد الدينية والكليات ، مثل كلية الفاتح والمدارس الثماني . كما أنشئت العديد من المكتبات التي زخرت بما جلب إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، فتجمع بها التراث الإسلامي ، بالإضافة إلى المؤلفات التاريخية و الجغرافية عن بلاد الترك . كما انتشرت اللغة التركية انتشاراً عظيماً في شبه جزيرة البلقان و المناطق المجاورة لها ، و ظهر العديد من الشعراء العظام مثل : داني و باقي و فضولي . كما ظهر كتاب و ناشران أمثال : ابن كمال و جلال زاده و مصطفى بك و مجدى أفندى . (٤)

أولاً : تصنيف طاشكبرى زادة (ت ٩٦٨هـ)

تضمن كتاب ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ التصنيف الخاص بطاشكبرى زادة . (٥) ويعد هذا الكتاب موسوعة في تاريخ العلوم العربية و الأدب العربي .

تصنيف طاشكبرى زادة من واقع كتاب مفتاح السعادة و مصباح السيادة

ينتمى تصنيف طاشكبرى زادة إلى المدرسة الثالثة في التصنيف ، و هي نفس المدرسة التي ينتمى إليها تصنيف ابن الأكفاني ، و هي تجمع بين الجانب الفلسفي في عرض العلوم و التعريف بحدود كل علم ، و السند الأدبي ، حيث تعرف بأهم الكتب في كل علم ، و لذلك فإن تصنيفه لم يقم على أساس تقسيم الكتب ، و إنما قسم العلوم حسب تصوره الفلسفي للمعرفة ، مع التعريف بأهم الكتب . و هو بذلك قد حقق ما نادى به ” بليس “ في القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية والطريقة البيبليوجرافية العملية ، بحيث يتوافق التصنيف مع الإجماع العلمي التعليمي ؛ أي أن تدرج جزئيات المعرفة و تسلسلها المنطقي يتوافق مع الطريقة التعليمية التي تدرس بها العلوم في الكليات . (٦)

الهدف من كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبرى زادة

أن الهدف الرئيسى من تأليف طاشكبرى زادة هذا الكتاب هو تقديم دليل دراسى لكل طالب علم لمساعدته فى تحصيل العلوم وبيان طرق التحصيل . فقد قدم المؤلف لكتابه بأربع مقدمات فى العلم و التعليم و شروطه (٧) تعد تمهيدا لما أراده لكتابه من الوصول به ليكون دليلا دراسيا ، و قد عمد المؤلف إلى تسجيل المؤلفات فى كل علم مع توضيح قدرها و أهميتها ، و التعريف بالمؤلفين لتحقيق هدف تربوى تعليمى ، أن يكونوا قدوة و مثلا أعلى فيحتذى بهم ، و قد تم ذلك كما يقول المؤلف فى كل عمل أصلا و فرعا ؛ معنى ذلك أن المؤلف قصد إلى تقسيم العلوم إلى علوم عامة تتفرع منها علوم جزئية ، و كل منها يشير إلى الكتب المصنفة فيها و أسمائها ومؤلفيها ، و من هنا فقد جاء الكتاب ليكون كتابا فى تصنيف العلوم ، و كتابا ببليوجرافيا ، و كتاب تراجم ، و دليلا دراسيا لكل طالب علم .

خطة طاشكبرى زادة فى التصنيف

سارت خطة طاشكبرى زادة التصنيفية على النحو التالى :

الدوحة الأولى : فى بيان علوم الخطية ، و فيها مقدمة و شعبتان :

المقدمة : فى فضيلة الخط و بيان الحاجة إليه و كيفية وضعه .

الشعبة الأولى : فى العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية .

علم أدوات الخط

علم قوانين الكتابة

علم تحسين الحروف

علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها

علم ترتيب حروف التهجى

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة

علم تركيب أشكال بسائط الحروف

علم إملاء الخط العربى

علم خط المصحف

علم خط العروض

الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فيها مقدمة و عدة شعب :
المقدمة :

الشعبة الأولى : فيما يتعلق بالمفردات

علم مخارج الحروف

علم اللغة

علم الوضع

علم الاشتقاق

علم الصرف

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بالمركبات

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم القوافى

علم قرض الشعر

علم مبادئ الشعر

علم الإنشاء

علم مبادئ الإنشاء و أدواته

علم المحاضرة

علم الدواوين

علم التواريخ

الشعبة الثالثة : فى فروع العلوم العربية

علم الأمثال

علم وقائع الأمم و رسومهم

علم استعمالات الألفاظ

علم الترسل
علم الشروط و السجلات
علم الأحاجى و الأغلوطات
علم الألغاز
علم المعمى
علم التصحيف
علم المقلوب
علم الجنس
علم مسامرة الملوك
علم حكايات الصالحين
علم أخبار الأنبياء
علم المغازى و السير
علم تاريخ الخلفاء
علم طبقات القراء
علم طبقات المفسرين
علم طبقات المحدثين
علم سير الصحابة و التابعين
علم طبقات الشافعية
علم طبقات الحنفية
علم طبقات المالكية
علم طبقات الحنابلة
علم طبقات النحاة
علم طبقات الحكماء
علم طبقات الأطباء

الدوحة الثالثة : فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقولات ، و فيها مقدمة

وشعبتان :

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى علوم آلىة تعصم عز الخطأ فى الكسب

علم المنطق ، و يسمى علم الميزان

الشعبة الثانية : فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس

علم آداب الدرس

علم النظر

علم الجدل

علم الخلاف

الدوحة الرابعة : فى العلم المتعلق بالأعيان

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى العلم الألهى

العلم الألهى

الشعبة الثانية : فى فروع العلم الألهى

علم معرفة النفوس الإنسانية

علم معرفة الملائكة

علم معرفة المعاد

علم إمارات النبوة

علم مقالات الفرق

علم تقاسيم العلوم

الشعبة الثالثة : فى العلم الطبيعى

الشعبة الرابعة : فى فروع العلم الطبيعى

علم الطب

علم البيطرة

علم الببيرة

علم النبات

علم الحيوان

علم الفلاحة
علم المعادن
علم الجواهر
علم الكون و الفساد
علم قوس قزح
علم الفراسة
علم تعبير الرؤيا
علم أحكام النجوم
علم السحر
علم الطلسمات
علم السيمياء
علم الكيمياء

الشعبة الخامسة : فى فروع العلم الطبيعى ، و فيها عدة عناقيد

علم التشريح
علم الكحالة
علم الأطعمة و المزورات
علم الصيدلة
علم طبخ الأشربة و المعاجين
علم قلع الآثار من الثياب
علم الجراحة
علم الفصد
علم الحجامة
علم المقادير و الأوزان المستعملة
فى علم الطب
علم الباه

العنقود الأول : فى فروع علم الطب

العنقود الثانى : فى فروع علم الفراسة .

علم الشامات و الخيلان

علم الأسارير

علم الأكتاف

علم قيافة الأثر ، و يسمى علم العيافة

علم قيافة البشر

علم الاهتداء بالبرارى و الأقفار

علم الريافة

علم استنباط المعادن

علم نزول الغيث

علم العرافة

علم الاختلاج

العنقود الثالث : فى فروع أحكام النجوم

علم الاختيارات

علم الرمل

علم الفال

علم القرعة

علم الطيرة و الزجر

العنقود الرابع : فى فروع السحر

علم الكهانة

علم النيرنجات

علم الخواص

علم الرقى

علم العزائم

علم الاستحضار

علم دعوة الكواكب

علم الفلقطيرات
علم الإخفاء
علم الحيل الساسانية
علم كشف الدك و إيضاح الشك
علم الشعبذة و التخيلات
علم تعلق القلب
علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات

الشعبة السادسة : فى العلوم

الرياضة

علم الهندسة

علم الهيئة

علم العدد

علم الموسيقى

الشعبة السابعة : فى فروع الهندسة

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم جر الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم الآلات الحربية

علم الرمى

علم التعديل

علم البنكومات

علم الملاحة

علم السباحة
علم الأوزان و الموازين
علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء
الشعبة الثامنة : فى فروع علم الهيئة
علم الزيجات و التقاويم
علم كتابة التقاويم
علم حساب النجوم
علم كيفية الأرصاد
علم الآلات الرصدية
علم المواقيت
علم الآلات الظلية
علم الأكر
علم الأكر المتحركة
علم تسطيح الكرة
علم صور الكواكب
علم مقادير العلويات
علم منازل القمر
علم الجغرافيا
علم مسالك البلدان و الأمصار
علم معرفة البرد و مسافاتها
علم خواص الأقاليم
علم الأدوار و الأكوار
علم القرانات
علم الملاحم
علم مواسم السنة
علم مواقيت الصلاة

علم وضع الأسطرلاب
علم عمل الأسطرلاب
علم وضع ربع الدائرة المجيب و المقنطرات
علم ربع الدائرة
علم آلات الساعة
الشعبة التاسعة : فى فروع علم العدد

علم حساب التحت و الميل
علم الجبر و المقابلة
علم حساب الخطأين
علم حساب الدور و الوصايا
علم حساب الدرهم و الدينار
علم حساب الفرائض
علم حساب الهواء
علم حساب العقود
علم أعداد الوفق

علم خواص الأعداد المتحابة و المتباغضة
علم التعابى العددية فى الحروف

الشعبة العاشرة : فى فروع علم الموسيقى

علم الآلات العجيبة

علم الرقص

علم الغنج

الدوحة الخامسة : فى الحكمة العملية

الشعبة الأولى : فى علم الأخلاق

الشعبة الثانية : فى علم تدبير المنزل

الشعبة الثالثة : فى علم السياسة

الشعبة الرابعة : فى فروع الحكمة العملية

علم آداب الملوك

علم آداب الوزارة

علم الاحتساب

علم قود العساكر و الجيوش

الدوحة السادسة : فى العلوم الشرعية

المقدمة :

الشعبة الأولى : من العلوم المتعلقة بالشرعية

علم القراءة

الشعبة الثانية : من العلوم الشرعية

علم رواية الحديث

الشعبة الثالثة : من العلوم الشرعية

علم تفسير القرآن الكريم

الشعبة الرابعة : من العلوم الشرعية

علم دراية الحديث

الشعبة الخامسة : من العلوم الشرعية

علم أصول الدين ، المسمى بعلم الكلام

الشعبة السادسة : من العلوم الشرعية

علم أصول الفقه

الشعبة السابعة : من العلوم الشرعية

علم الفقه

الشعبة الثامنة : فى فروع العلوم الشرعية ، و فيها مطالب سبعة :

المطلب الأول : فى فروع علم القراءة

علم مخارج الحروف

علم مخارج الألفاظ

علم الوقوف

علم علل القراءات

علم رسم كتابة القرآن في المصاحف

علم آداب كتابة المصحف

المطلب الثاني : في فروع علم الحديث

علم شرح الحديث

علم أسباب ورود الحديث و أزمنته و أمكنته

علم ناسخ الحديث و منسوخه

علم تأويل أقوال النبي — صلى الله عليه و سلم — .

علم رموز أقوال النبي — صلى الله عليه و سلم — و

إشارات .

علم غرائب لغات الحديث

علم دفع مطاعن الحديث

علم تلفيق الأحاديث

علم أحوال رواة الأحاديث

علم طب النبي — صلى الله عليه و سلم — .

المطلب الثالث : في فروع علم التفسير

علم معرفة المكي و المدني

علم معرفة الحضري و السفري

علم معرفة النهاري و الليلي

علم معرفة الصيفي و الشتائي

علم معرفة الفرائشي و النومي

علم معرفة الأرضي و السماوي

علم معرفة أول ما نزل

علم معرفة سبب النزول

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة

علم معرفة ما تكرر نزوله

علم معرفة ما تأخر حكمه عن نزوله و ما تأخر نزوله

عن حكمه

علم معرفة ما نزل مفردا و ما نزل جمعا

علم معرفة ما نزل مشيعا و ما نزل مفردا

علم معرفة ما نزل على بعض الأنبياء و ما لم ينزل منه

صلى الله عليه و سلم — .

على أحد قبل النبي —

علم معرفة كيفية إنزال القرآن الكريم

علم معرفة أسمائه و أسماء صوره

علم معرفة جمعه و ترتيبه

علم معرفة عدد سوره و آياته و كلماته و حروفه

علم معرفة حفاظه و رواته

علم معرفة العالى و النازل من أسانيده

علم معرفة المتواتر و المشهور و الأحاد و الموضوع و

المدرج

علم معرفة بيان الموصول لفظا المفصول معنى

علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما

علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب

علم معرفة المد و القصر

علم معرفة تحقيق الهمزة

علم معرفة كيفية تحمل القرآن

علم معرفة آداب تلاوته و تاليه

علم معرفة جواز الاقتباس و ما جرى مجراه

علم معرفة غريب القرآن

علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب

علم معرفة الوجوه و النظائر

علم معرفة معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر
علم معرفة إعرابه
علم معرفة قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر
علم معرفة المحكم و المتشابه
علم معرفة مقدم القرآن و مؤخره
علم معرفة عام القرآن و خاصه و مجمله و مبنيه
علم معرفة ناسخ القرآن و منسوخه
علم معرفة مشكل القرآن و موهم الاختلاف و التناقض
علم معرفة مطلق القرآن و مقيده
علم معرفة منطوق القرآن و مفهومه
علم معرفة وجوه مخاطباته
علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن و استعاراته
علم معرفة كنايات القرآن و تعريضاته
علم معرفة الحصر و الاختصاص
علم معرفة الإيجاز و الإطناب
علم معرفة الخبر و الإنشاء
علم معرفة بدائع القرآن الكريم
علم معرفة فواصل الآى
علم معرفة فواتح السور
علم معرفة خواتم السور
علم معرفة مناسبة الآيات و السور
علم معرفة الآيات المشتبهات
علم معرفة إعجاز القرآن الكريم
علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن الكريم
علم معرفة أمثال القرآن الكريم
علم معرفة أقسام القرآن الكريم

علم معرفة جدل القرآن الكريم
علم معرفة ما وقع في القرآن من الأسماء و الكنى و

الألقاب

علم معرفة مبهمات القرآن الكريم
علم معرفة أسماء من نزل فيهم القرآن الكريم
علم معرفة فضائل القرآن الكريم
علم معرفة أفضل القرآن و فاضله
علم معرفة مفردات القرآن الكريم
علم معرفة خواص القرآن الكريم
علم معرفة مرسوم الخط و آداب كتابته

المطلب الأول : فى التفسير و التأويل

المطلب الثانى : فى وجه الحاجة إلى علم

التفسير

المطلب الثالث : فى شرف علم التفسير

علم معرفة شروط المفسر و آدابه
علم معرفة غرائب التفسير
علم معرفة طبقات المفسرين
علم معرفة خواص الحروف
علم الخواص الروحانية
علم التصريف بالحروف و الأسماء
علم الحروف النورانية و الظلمانية
علم التصريف بالاسم الأعظم
علم الكسر و البسط
علم معرفة الزايرة
علم معرفة الجفر و الجامعة
علم دفع مطاعن القرآن الكريم

المطلب الرابع : فى فروع علم الحديث

علم المواعظ

علم الأدعية و الأوراد

علم الآثار

علم الزهد و الورع

علم صلاة الحاجات الواردة فى الأحاديث

علم المغازى

المطلب الخامس : فى فروع علم أصول الدين

المطلب السادس : فى فروع علم أصول الفقه

علم النظر

علم المناظرة

علم الجدل

علم الخلاف

المطلب السابع : فى فروع علم الفقه

علم الفرائض

علم الشروط و السجلات

علم القضاء

علم معرفة حكم الشرائع

علم الفتاوى

الدوحة السابعة : فى علوم الباطن

الشعبة الأولى : فى العبادات

الأصل الأول : العلم

المطلب الأول : فى معرفة فضل العلم و التعلم و التعليم

المطلب الثانى : فى معرفة ما يجب على المسلم من العلم

المطلب الثالث : فى المحمود من العلوم و المذموم منها

المطلب الرابع : فى آداب المعلم و المتعلم و وظائفهما

المطلب الخامس : فى آفات العلم و بيان علامات علماء الدنيا و علماء

الآخرة

المطلب السادس : فى العقل و شرفه و حقيقته و أقسامه

الأصل الثانى : فى قواعد العقائد

الأصل الثالث : علم أسرار الطهارة

الأصل الرابع : فى علم أسرار الصلاة

المطلب الأول : و أعلم أن الصلاة مراتب

المطلب الثانى : الشروط الباطنة من أعمال القلب

المطلب الثالث : فى بيان كيفية إحضار القلب عند كل ركن ركن و كل

شرط شرط

المطلب الرابع : فى علم وظائف الإمامة

المطلب الخامس : فى فضل الجمعة و آدابها و سننها

المطلب السادس : فى علم النوافل من الصلوات

القسم الأول : صلاة الضحى و ما بين العشاءين

القسم الثانى : صلاة أيام الأسبوع و لياليه

القسم الثالث : ما تكرر بتكرر السنين

القسم الرابع : ما يتعرض بأسباب عارضة

الأصل الخامس : فى علم أسرار الزكاة

المطلب الأول : فى مراعاة شروطه الظاهرة

المطلب الثانى : فى بيان الآداب الباطنة للزكاة

المطلب الثالث : علم آداب قابض الصدقة

المطلب الرابع : فى صدقة التطوع و فضلها و آداب أخذها و إعطائها

المطلب الخامس :

الأصل السادس : فى علم أسرار الصوم

المطلب الأول : فى الواجبات الظاهرة

المطلب الثانى : فى لوازم الإفطار

المطلب الثالث : فى السنن
المطلب الرابع : فى أسرار الصوم و شروطه الباطنة
المطلب الخامس : فى التطوع بالصيام
الأصل السابع : فى علم أسرار الحج
المطلب الأول : فى فضيلتها و فضيلة البيت و مكة
المطلب الثانى : فى فضل الإقامة بمكة و كراحتها
المطلب الثالث : فى فضيلة الإقامة بالمدينة
المطلب الرابع : فى وجوب الحج و صحته و أركانه و واجباته و
محظوراته

المطلب الخامس : فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع
الجملة الأولى : فى السنن من أول الخروج إلى الإحرام
الجملة الثانية : فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة
الجملة الثالثة : فى آداب دخول مكة إلى الطواف
الجملة الرابعة : فى الطواف إما لقدم أو لغيره
الجملة الخامسة : فى السعى
الجملة السادسة : فى الوقوف
الجملة السابعة : فى بقية أعمال الحج
الجملة الثامنة : فى صفة العمرة
الجملة التاسعة : فى طواف الوداع
الجملة العاشرة : فى زيارة المدينة و آدابها
المطلب السادس : فى الآداب الدقيقة و الأعمال الباطنة
المطلب السابع : فى الأعمال الباطنة و طريق الإخلاص فيها
الأصل الثامن : فى علم فضيلة الأذكار و التلاوة و الأوراد
المقدمة :

المطلب الأول : فى علم آداب التلاوة و فضيلتها
المطلب الثانى : فى الآداب الباطنة

المطلب الثالث : فى فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل
المطلب الرابع : فى علم الأذكار
المطلب الخامس : فى أدعية مذكورة معزية إلى أربابها يدعى بها صباحا و

مساء

المطلب السادس : فى أدعية مأثورة عن النبى — صلى الله عليه و سلم — و
الآل و الأصحاب : أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبى — صلى الله عليه و سلم — .

المطلب السابع : فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

المطلب الثامن : فى أدعية مأثورة

المطلب التاسع : فى فضيلة الدعاء و آدابه

المطلب العاشر : فى فائدة الدعاء مع أنه لا مرد للقضاء

الأصل العاشر : فى تقسيم الأوراد و فضيلتها و أحكامها

المطلب الأول : فى ترتيب أوراد العابد المتجرد لعبادة الله عز و جل

المطلب الثانى : العالم الذى ينتفع بعلمه بفتوى أو تدريس أو تصنيف

المطلب الثالث : فى المتعلم

المطلب الرابع : فى المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله

المطلب الخامس : فى الوالى

المطلب السادس : الموحّد المستغرق بالواحد الصمد

خاتمة : فى قيام الليل

الشعبة الثانية : فى العادات

الأصل الأول : فى آداب الأكل

المطلب الأول : فى أحوال المنفرد

القسم الأول : فى آدابه قبل الأكل

القسم الثانى : فى آدابه حالة الأكل

القسم الثالث : فى الآداب بعد الطعام

المطلب الثانى : فى آداب الجماعة فى الأكل

المطلب الثالث : فى آداب تقديم الطعام إلى إخوانه الزائرين

المطلب الرابع : فى آداب الضيافة

الأصل الثانى : فى آداب النكاح

المطلب الأول : فى الترغيب فيه و عنه

المطلب الثانى : فى فوائد النكاح

المطلب الثالث : فى آفات النكاح

المطلب الرابع : فى شروط العقد

المطلب الخامس : فى أحكام المنكوحة

المطلب السادس : فى آداب المعاشرة

الأصل الثالث : فى آداب الكسب و المعاش

المطلب الأول : فى فضل الكسب و الحث عليه

المطلب الثانى : فى بيان أحوال العقود الأربعة

العقد الأول : البيع

العقد الثانى : عقد الربا

العقد الثالث : التسلم

العقد الرابع : الإجارة

المطلب الثالث : فى العدل فى المعاملة

المطلب الرابع : فى الإحسان فى المعاملة

المطلب الخامس : فى شفقة التاجر فى دينه

الأصل الرابع : فى الحلال و الحرام

المطلب الأول : فى فضيلة الحلال

المطلب الثانى : فى درجات الحلال و الحرام

المطلب الثالث : فى مراتب الشبهات و تمييزها عن الحلال و الحرام

المثار الأول : الشك فى السبب المحلل و المحرم

المثار الثانى : الشبهة بشك منشؤه الاختلاط بين الحلال و الحرام

المثار الثالث : الشبه أن يتصل بالسبب المحلل معصية

المثار الرابع : الاختلاف فى الأدلة

- المطلب الرابع : فى البحث و السؤال و الهجوم و الإهمال و مظاهرها
- المطلب الخامس : فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية
- المطلب السادس : فى إدارات السلاطين
- المطلب السابع : فى حكم مخالطة السلاطين
- المطلب الثامن : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء
- الأصل الخامس : فى آداب الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق
- المطلب الأول : فى فضيلة الأخوة و شروطها و درجاتها و فوائدها
- المطلب الثانى : فى أقسام المعاصى و أحكام كل منها
- المطلب الثالث : فى الصفات المشروطة فى من تصاحبهم
- المطلب الرابع : فى حقوق الصحبة
- المطلب الخامس : فى جمل من آداب المجالسة مع أصناف الخلق
- المطلب السادس : فى حق المسلم و الرحم و الجوار و الملك
- المطلب السابع : حقوق الجوار
- المطلب الثامن : حقوق الأقارب
- المطلب التاسع : فى حقوق الملك
- الأصل السادس : فى آداب العزلة
- المطلب الأول : فى فضلها و كراحتها
- المطلب الثانى : فى فوائد العزلة
- المطلب الثالث : آفات العزلة
- الأصل السابع : فى آداب السفر
- المطلب الأول : الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع
- المطلب الثانى : فى آداب السفر من أول النهوض إلى آخر الرجوع
- المطلب الثالث : فى الآداب الباطنة
- المطلب الرابع : فى رخص المسافرين و أدلة القبلة و الأدوات
- الأصل الثامن : فى آداب السماع الوجد
- المطلب الأول : فى حله و حرمة

المطلب الثانى : فى مواضع حرمة السماع و أنها خمس عوارض
المطلب الثالث : فى آداب السماع و ثمراته
المقام الأول : فى الفهم
المقام الثانى : الوجد
المقام الثالث : فى آداب السماع ظاهرا و باطنا
الأصل التاسع : فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر
المطلب الأول : فى فضائله
المطلب الثانى : فى أركانه و شرائطه
المطلب الثالث : آداب المحتسب
المطلب الرابع : فى أمر الأمراء و السلاطين بالمعروف و نهيههم عن المنكر
الأصل العاشر : فى أخلاق النبوة
الشعبة الثالثة : فى ربع المهلكات
الأصل الأول : شرح عجائب القلب
المطلب الأول : عدة ألفاظ نافعة فى الباب
المطلب الثانى : و أعلم أن كل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق
المطلب الثالث : العلوم إما عقلية
المطلب الرابع : و أعلم أن للقلب بابين
المطلب الخامس : أعلم أن أهل النظر لم ينكروا وجود هذا الطريق
المطلب السادس : أعلم أن القلب يرد عليه صورتان من الحواس
المطلب السابع : فى أحوال الشيطان
المطلب الثامن : فى القدر المعفو عنه من الوسوسة
المطلب التاسع : فى بيان الوسواس هل ينقطع عند الذكر بالكلية أم لا ؟
المطلب العاشر : بيان سرعة تقلب القلب
الأصل الثانى : رياضة النفس و تهذيب الأخلاق
المطلب الأول : أعلم أن الخلق عبارة عن هيئة راسخة للنفس
المطلب الثانى : فى قبول الأخلاق التغيير بطريقة الرياضة

المطلب الثالث : إن الاعتدالات المذكورة قد تكون فطرية .

المطلب الرابع : فائدة القلب الحكم و المعرفة

المطلب الخامس : فى رياضة الصبيان

المطلب السادس : فى شرائط السلوك

الأصل الثالث : فى كسر الشهوتين ، شهوة البطن و الفرج

المطلب الأول : فضيلة الجوع

المطلب الثانى : طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن

المطلب الثالث : فى شهوة الفرج

الأصل الرابع : فى آفات اللسان

المطلب الأول : فى آفات الكلام فيما لا يعنيك

الأصل الخامس : فى ذم الغضب و الحقد و الحسد

المطلب الأول : فى الغضب

المطلب الثانى : فى علاج الغضب

المطلب الثالث : فى معرفة أسباب الغضب ليعالج بإزالتها

المطلب الرابع : فى الحقد و العفو و الرفق

المطلب الخامس : فى الحسد و حكمه و أقسامه و مراتبه

المطلب السادس : دواء الحسد

الأصل السادس : فى ذم الدنيا

المطلب الأول : على أن مذمة الدنيا لا تخفى على أولى الألباب

المطلب الثانى : فى الحرف الجارية بين الناس باحتيالهم

الأصل السابع : فى ذم المال و كراهية حبه و ذم البخل

المطلب الأول :

المطلب الثانى : فى الحرص و الطمع و مدح القناعة

المطلب الثالث : فى السخاء

المطلب الرابع : فى علاج البخل

المطلب الخامس : فى وظائف العبد فى ماله

المطلب السادس : مدح الفقر و ذم الغنى

الأصل الثامن : فى ذم الجاه و الرئاء

المطلب الأول : فى أن حب الجاه أشد من حب المال

المطلب الثانى : ما يحمد من حب الجاه و ما يذم منه

المطلب الثالث : فى أسباب حب المدح و الثناء و بغض الذم و النفرة منه

المطلب الرابع : فى علاج حب الجاه

المطلب الخامس : فى وجه العلاج فى حب المدح و بغض الذم

المطلب السادس : فى أحوال الناس فى المدح و الذم

المطلب السابع : فى الرئاء

المطلب الثامن : فى درجات الرئاء

المطلب التاسع : فى الرئاء بأصول العبادات و أوصافها

المطلب العاشر : فى المرايا الأجلة

المطلب الحادى عشر : فى بيان الرئاء الذى هو أخفى من ربيب النمل

المطلب الثانى عشر : بيان ما يحبط العمل من الرئاء الخفى أو الجلى و ما

لا يحبط

المطلب الثالث عشر : فى بيان دواء الرئاء

المطلب الرابع عشر : فى الرخصة فى إظهار الطاعات

المطلب الخامس عشر : فى الرخصة فى كتمان الذنوب

المطلب السادس عشر : ترك الطاعات خوفا من الآفات

الأصل التاسع : فى ذم الكبر و العجب

المطلب الأول : فى ذم الكبر و الاختيال و فضيلة التواضع

المطلب الثانى : فى أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه

المطلب الثالث : فى أقسام ما به الكبر

المطلب الرابع : فى أسباب الكبر

المطلب الخامس : فى طريق معالجة الكبر

المطلب السادس : فى العجب

- المطلب السابع : فى علاج العجب
- الأصل العاشر : فى ذم الغرور
- المطلب الأول :
- المطلب الثانى : فى أصناف المغترين
- المطلب الثالث :
- الشعبة الرابعة : فى ربع المنجيات
- الأصل الأول : فى التوبة
- المطلب الأول : فى التوبة و وجوبها
- المطلب الثانى : فى وجوب التوبة على الفور
- المطلب الثالث : فى أن التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لا محالة
- المطلب الرابع : فى أقسام الذنوب
- المطلب الخامس : فى كيفية توزع الدرجات و الدرجات فى الآخرة إلى
- السيئات و الحسنات فى الدنيا
- المطلب السادس : فيما تعظم من الصغائر
- المطلب السابع : فى تمام التوبة و شروطها و آدابها
- المطلب الثامن : فى طبقات التائبين
- المطلب التاسع : فى تدارك التائب إذا جرى عليه ذنب إما عن قصد أو
- باتفاق
- المطلب العاشر : فى طريق حل الإصرار على الذنوب من القلب
- الأصل الثانى : فى الصبر و الشكر
- المطلب الأول : فى فضيلة الصبر و حقيقته
- المطلب الثانى : فى أقسام الصبر بحسب القوة و الضعف
- المطلب الثالث : فى أن العبد لا يستغنى عن الصبر فى كل حال
- المطلب الرابع : فى معالجات مؤدية إلى الصبر
- المطلب الخامس : فى الشكر
- المطلب السادس : فى الشكر فى حق الله

المطلب السابع : و اعلم أنه لا بد في تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل

شيء له

المطلب الثامن : في حقيقة النعمة و أقسامها

المطلب التاسع : في السبب الصارف عن الشكر و علاجه

المطلب العاشر : فيما يشترك فيه الصبر و الشكر

المطلب الحادي عشر :

الأصل الثالث : في الرجاء و الخوف

المطلب الأول : في حقيقة الرجاء

المطلب الثاني : في فضيلة الرجاء

المطلب الثالث : في الخوف

المطلب الرابع : فضيلة الخوف ثابتة بالنقل و العقل

المطلب الخامس : في دواء يستجلب الخوف

الأصل الرابع : في الفقر و الزهد

المطلب الأول : في حقيقة الفقر

المطلب الثاني : في فضيلة الفقر

المطلب الثالث : في آداب الفقير في فقره

المطلب الرابع : في تحريم السؤال من غير ضرورة

المطلب الخامس : في حقيقة الزاهد و فضيلته

المطلب السادس : في درجات الزاهد و أقسامه

المطلب السابع : في تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها

الأصل الخامس : في التوكل

المطلب الأول : فضيلة التوكل

المطلب الثاني : في بيان حال التوكل

المطلب الثالث : في بيان أعمال المتوكلين

المطلب الرابع : في مراتب الادخار

المطلب الخامس : في آداب المتوكلين

المطلب السادس : فى الأسباب المزيلة
الأصل السادس : فى المحبة و الشوق و الأنس و الرضا
المطلب الأول : فى المحبة لله عز و جل
المطلب الثانى : فى أقسام المحبة و أسبابها
المطلب الثالث : و اعلم أن كل قوة فى الإنسان لم تخلق عبثا بل لأجل
إدراك ما يلائمها

المطلب الرابع : فى أسباب محبة العبد لله تعالى
المطلب الخامس : فى محبة الله تعالى للعبد
المطلب السادس : فى الأنس و الرضا و الشوق
المطلب السابع : فى الرضا
الأصل السابع : فى النية و الإخلاص و الصدق
المطلب الأول : فى النية
المطلب الثانى : فى تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية
المطلب الثالث : فى الإخلاص
المطلب الرابع : فى الصدق
الأصل الثامن : فى المحاسبة و المراقبة
الصل التاسع : فى التفكير

المطلب الأول : فى فضيلة التفكير
المطلب الثانى : فى مجارى الفكر
الأصل العاشر : فى ذكر الموت و البعث و النشور
المطلب الأول : فى ذكر الموت و الترغيب فيه
المطلب الثانى : دواهى الموت
المطلب الثالث : فى حقيقة الموت و أحوال الميت

وصف كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبرى زادة

يبدأ طاشكبرى زادة كتابه بأربع مقدمات ، الأولى : فى بيان فضيلة العلم والتعليم . و الثانية : فى شرائط المتعلم و وظائفه . و الثالثة : فى وظائف المعلم . و الرابعة : فى بيان النسبة بين طريق النظر و طريق التضحية . و تعدد المقدمات الثلاث الأولى تلخيصاً أميناً للمنهج التربوى عند علماء المسلمين متضمنة مبادئ علمية و أسس منهجية تعد عماد المنهج التربوى . كما تضمنت آداب الفتيا و آداب القضاء . و قد ساعد المؤلف فى كتابة هذه المقدمات قيامه بالتدريس فترة طويلة تقرب من ربع قرن فى المدارس المختلفة ، كذلك توليه القضاء فترة من الزمن ، و من ثم فهذه المقدمات تعد نتائج الممارسة العملية لمهنتى التدريس و القضاء اللتين مارسهما طاشكبرى . و يلاحظ تشابه هذه المقدمات الثلاث مع المقدمات التى ذكرها الأنصارى فى بداية كتابه ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ ، حيث بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم و التعلم و شروطهما . و يلاحظ التوسع فى عرض الموضوع و التمكن بالإضافة إلى ما تطرق إليه طاشكبرى من آداب الفتيا و القضاء ، فإذا كان طاشكبرى قد استفاد من طريقة ابن الأکفانى فى البدء بهذه المقدمات ، إلا أن معالجته لها جاءت عن خبرة عملية و ممارسة فعلية لخصها فى هذه المقدمات . و تعكس المقدمة الرابعة نزعة المؤلف الصوفية بحكم نشأته و تربيته الدينية فى بيت علم و دين ، و هذا ما انعكس على صفاته الخلقية و العلمية ، و بالتالى على تصنيفه .

و بعد المقدمات الأربع يتطرق إلى مقدمة فى بيان حصر العلوم فى الإجمال ، و هو يوضح فيها طريقته فى تقسيم الكتاب ، حيث قسم المادة العلمية إلى سبع درجات فى طرفين (أى قسمين) : الطرف الأول أو القسم الأول يشمل ست دوحات ، و الطرف الثانى يشمل الدوحة السابعة ، ثم يقسم كل منهما إلى شعب ، و كل شعبة إلى عدد من العلوم .

و قد جاء تقسيم طاشكبرى زادة للعلوم يحكمه منطق معين وفلسفة محددة كلن المؤلف واعيا بها تماماً . (٨) حيث يرى أن المعرفة تنحصر فى أربعة مجالات رئيسية : ما يتعلق بالخط و الأبجديات ، و عبر عنها بـ (الكتابة) ، و ما يتعلق بالألفاظ أو اللغة ، و هى وسيلة التخاطب ، و عبر عنها بـ (العبارة) ، و ما يتعلق

بتقويم العقل و إرشاده الى طريقة صياغة المعانى ، و عبر عنها بـ (الأذهان) ، و ما يتعلق بالعلوم الحكمية و العلوم الشرعية ، و عبر عنها بـ (الأعيان) . واعتبر المجالات الثلاثة الأولى علوما الية و وسائل للعلوم المتعلقة بالأعيان . و على هذا الأساس قسم العلوم إلى سبع دوحات ، يعد كل منها فى بيان أصل من الأصول السبعة ، و يرتب هذه الأصول على أساس أن كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق عليه ؛ فخصص الدوحة الأولى للعلوم الخطية ، و قدمها على الدوحة الثانية فى الألفاظ على اعتبار أن الكتابة وسيلة لضبط اللغة ، كما أن الخط أفضل من الألفاظ لأن اللفظ يفهم الحاضر الذى يسمعه بينما الخط يفهم الحاضر الذى سمع والغائب من خلال قراءته . وتعد الدوحة الثانية (فى الألفاظ) وسيلة للدوحة الثالثة المتعلقة بالأذهان ، ويمثلها علم المنطق الذى هو للمعانى ومن هنا فالألفاظ وسيلة لتكوين المعنى وصياغته . كما أن الدوحة الثالثة بمثابة العلوم الآلية المعنوية التى تعصم الذهن عن الخطأ سواء كان ذلك فى البحث أو فى الدراسة أو فى المناظرة أو فى الدرس ، و من هنا فهى وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان ، و هى تبحث فى اتجاهين هما : البحث على ما يقتضيه الشرع ، و هى العلوم الشرعية . و هو يقدم العلوم الحكمية على العلوم الشرعية لأسبقيتها فى التدوين و البحث ، فالاعتبار هنا للفارق الزمنى وليس لشرف العلم كما وجد عند السيوطى أو ابن الأكفانى . و يفرق فى العلوم الحكمية بين نوعين : علوم نظرية تبحث فى الموجودات الخارجية ، و علوم عملية تختص بالتشريعات البشرية لتنظيم حياة الأشخاص ، و على هذا الحال العلوم الشرعية التى تبحث فى قواعد التشريعات الإلهية ، فيقدم الحكمة العملية على العلوم الشرعية على أساس أسبقيتها فى التدوين . (٩) و تأتى الدوحة السابعة فى علوم التصفية ، التى يراها ثمره العمل بكل ما تقدم من العلم ، و يعطى فى كل دوحة مقدمة توضح مجال العلوم التى تشمل عليها ، و تفسيرا بطريقة تقسيمها التى وردت بها ، ثم يقسم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة إلى عدد من العلوم . ويتدرج فى عرض الشعب أو العلوم بشكل منطقي ، و أحيانا يوضح سبب تقديم بعض الشعب عن الأخرى ، أو تقديم بعض العلوم على غيرها و أحيانا لا يقدم تفسيرا ؛ فالدوحة الأولى تتدرج فيها الشعب بطريقة منطقية ، فيبدأ بالعلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية ، التى تتضمن مجموعة

الأدوات و القوانين التى يحتاج إليها عند الكتابة ، ثم تأتى السبعة الثانية فيما يتعلق بعملية الكتابة نفسها (و فيما يتعلق بإملاء الحروف) ، و يرتب شعب الدوحة الثانية وعلومها ترتيباً منطقياً موضحاً فلسفته فى هذا الترتيب فى مقدمة هذه الدوحة ، و ذلك على اعتبار الحاجة فى تميز اللغة العربية من غيرها من اللغات من حيث عدد حروفها وكيفية نطقها ، و من هنا بدأ بعلم مخارج الحروف ، ثم التعرف على كيفية وضع الكلمة للدلالة على المعنى ، و هو ما يعرف بعلم اللغة ، ثم يأتى البحث عن اشتقاق الكلمة وما يطرأ عليها من تبديل الحروف الأصلية أو الزائدة بعضها من بعض وهو ما يخص علم الاشتقاق والصرف. وهذه العلوم السابقة تتناول البحث عن المفردات اللغوية ، و من ثم بدأ الشعبة الأولى من الدوحة الثالثة فيما يتعلق بالمفردات ، ثم ينتقل إلى العلوم التى تتعلق بالمركبات ، و ليس المقصود بها الكلمة كلفظ و لكن مجموعة الكلمات المكونة لجملة، و هنا نلاحظ التدرج المنطقى لعرض شعب الدوحة الثانية ، و تتدرج علوم الشعبة الثانية تدرجاً منطقياً من حيث اعتماد اللاحق على السابق ، حيث يبدأ بعلم النحو المتعلق بكيفية الإعراب لما له من فائدة فى تجنب الخطأ فى تطبيق التراكيب العربية على المعانى الوضعية ، وتتضح أهميته فى اعتماد علوم البلاغة اللاحقة عليه لتناولها التراكيب اللغوية و الألفاظ من حيث دلالتها على المعنى ، ثم ينتقل إلى العلوم الأدبية التى تتناول الشعر و النثر ، و يرى ما تتضمنه الشعبة الأولى والثانية فى جملة أصول العلوم العربية ، و تأتى الشعبة الثالثة فى فروعها . ويتناول فى الدوحات الثالثة و الرابعة و الخامسة علوم الأوائل ، التى يبدأها بعلم المنطق باعتباره المدخل إلى العلوم الفلسفية و الحكمة ، و هو ما تتناوله الدوحتان اللاحقتان ، ثم تأتى الدوحة الرابعة فى الحكمة النظرية ، و يقسمها بمنطق المصنفين السابقين عليه مثل الفارابى و ابن سينا و الطوسى وابن الأكفانى ، و ذلك من حيث بحثها عن الموجودات فى ثلاثة اتجاهات ؛ فالقسم الأول يبحث فى أمور مجردة عن المادة وهو العلم الأعلى أو العلم الإلهى . و القسم الثانى يبحث فى أمور يصح تجردها عن المادة فى الذهن فقط ، و من هنا فهو لا يتجرد عن المادة كلية ، وهو ما يعرف بالعلم الأوسط ، أو العلم الرياضى . و القسم الثالث يبحث عن طبائع الأجسام الطبيعية ، و من هنا فهو يبحث فى أمور مادية فى الذهن و فى الخارج و هو

ما يسمى بالعلم الأدنى أو العلم الطبيعي ، وهذه العلوم هي أصول الحكمة النظرية ، و يأتي ترتيبها بتقديم العلم الإلهي لشرفه ثم العلم الأوسط ثم العلم الأدنى . (١٠) و لكنه عند العرض قدم العلم الطبيعي (العلم الأدنى) على العلم الأوسط ، وهو العلم الرياضي ، و ذلك تحقيقا لمبدئه في عرض العلوم من حيث أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق عليه ؛ فالعلم الإلهي يمهد الذهن لباحث العلم الطبيعي من حيث بحثه في مبادئ العلوم و بيان مقدماتها و مبادئها ، كما أن العلم الطبيعي يمهد للعلم الرياضي من حيث استمداد العلم الهندسي و علم الهيئة بعض مبادئها من العلم الطبيعي ، حيث إن معلوماتهما الحسية تتمثل في شكل مادي سواء كان مجسما في الهندسة أو في جسم طبيعي في علم الهيئة مثل الأجرام السماوية . (١١) و يأتي تقسيم كل أصل من علوم الحكمة النظرية إلى عدد من الشعب تصل إلى ست شعب ؛ فيقسم العلم الإلهي إلى شعبتين الأولى في العلم الأصلي والثانية في العلم الفرعي ، و يخصص للعلم الطبيعي ثلاث شعب من الثالثة إلى الخامسة ، الأولى منها في أصول العلم الطبيعي ، و الثانية في الفروع ، و الثالثة في فروع الفروع ، و هنا نلاحظ التسلسل المنطقي في ترتيب الشعب . و يخصص الشعب من السادسة في أصول العلم الرياضي ، و من الشعب السابعة إلى العاشرة في فروع العلم الرياضي ، وتعرض الدوحة الخامسة (علوم الحكمة العملية) في أربع شعب ، الثلاث الأولى منها في أصول الحكمة العملية ، و الشعب الرابعة في فروعها ، و إن كان يقصرها على فروع علم السياسة فقط . وتأتي الدوحة السادسة في الجزء الثاني من العلوم الباقية ، و هي العلوم الشرعية . و يبنى ترتيبها على أساس شكلي منهجي كما فعل ابن الأكفاني تماما ، بل إنه ينقل ألفاظ عبارته نفسها ، فيقول إن العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل ، أو فهم المنقول أو تقرير وتثيد بالأدلة ، أو استخراج الأحكام المستنبطة . (١٢) ومن ثم فقد جعل الترتيب على أساس طريقة الوساطة التي انتقل بها العلم ، لا على أساس الموضوع و المحتوى ، فجعل ما يخص النقل ، أي العلوم التي وصلت عن طريق الرواية ، و هي : علم القراءات ، ورواية الحديث ، وما يخص فهم المنقول ، أي العلوم التي تستخدم الدراسة ، و هي : علم التفسير ، و علم دراسة الحديث ، وما يخص التقرير ، أي العلوم التي تقوم على الأدلة معا ، و هي : علم أصول الدين ، و علم أصول الفقه ، ثم

ما تقوم على استخراج الأحكام ، و هو :علم الفقه ، و فى النهاية علم التصوف الذى يقوم على السلوك ؛ أى التطبيق العملى لما سبقه من العلوم الشرعية ، و هو ما تضمنته الدوحة السابعة .

و يتضح مما تقدم أنه لم يحافظ على مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة أو ذات الوحدة الموضوعية ، ففصل علم القراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصالاً بالتفسير منه بعلم رواية الحديث ، وعلم رواية الحديث أوثق اتصالاً بعلم دراسة الحديث منه بعلم التفسير . كما أنه أخر علم أصول الدين الذى يأتى فى معظم التصنيفات - من جهته شرفه - فى قمة العلوم الشرعية الإسلامية ، و فى الوقت نفسه قدمه على علم أصول الفقه الذى يعد بمثابة العلم الخاص من العلم العام . و قسم الدوحة السادسة إلى ثمانى شعب ، اختصت السبعة الأولى بأصول العلوم الشرعية ، و خصص الثامنة فى فروع العلوم الشرعية السبعة .

القواعد والمفاهيم فى تصنيف طاشكبرى زادة

يعد تصنيف طاشكبرى زادة نموذجاً متكاملًا للتصنيف العربية الإسلامية ، وقد تمثلت فيه العديد من القواعد و المفاهيم التصنيفية التى أقرها المصنفون العرب المسلمون ، كما امتلأ تصنيفه بالعديد من المواضع التى تعطى أمثلة على ابتكاراته التصنيفية التى أقرها و استخدمها مصنفو العصر الحديث . و قد برز فى تصنيفه العديد من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- علاقة التساوى التى وجدت لها نماذج متعددة فى تصنيفه ، و منها ما ورد من علوم الشعبة الثانية فى الدوحة الثانية ، مثل علم النحو ، و علم المعانى ، و علم العروض ، التى تبحث فى موضوع واحد هو الألفاظ العربية ، و لكن الأول يبحث فى أحوال الكلمات العربية إعراباً و بناءً ، و الثانى من حيث مطابقة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و الثالث فى أحوال الأوزان المعتمدة فى الشعر ، و فى الوقت نفسه تتبع علماً أعلى ، هو علم اللغة .
- علاقة اشتمال وتبعية ، و يطلق عليها " بليس " اسم التفرع الذى يعنى تدرج الموضوعات الأصغر فى الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الأكبر . (١٣) و هذا ما اتبعه طاشكبرى

زادة فى عرض العلوم فى تصنيفه التى صارت متدرجة من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ؛ فقد قسم المعرفة إلى سبع لوحات تمثل الأقسام الرئيسية فى المعرفة ، ثم تتدرج من الدوحة إلى عدد من الشعب تمثل العلوم الأصلية ، ثم فروع من شعب العلوم الفرعية ، و قد يستمر فى التفريع إلى فروع الفروع كما فى تقسيمه لعلوم العلم الطبيعى .

• علاقة ترابط ، و هى من العلاقات التى نادى بها ” بليس “ ، و تعنى جمع المجموعات المتجانسة معا ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٥) و قد عمل طاشكبرى زادة على تجاوز الموضوعات المتشابهة ، مثل تجاوز علوم الكتابة واللغة و الأدب فى الدوحتين الأولى و الثانية ، كما تجاوزت العلوم البحتة وتطبيقاتها ، مثل العلوم الأصلية للعلم فى الشعبة السادسة ، التى تعد بمثابة العلوم النظرية و العلوم المفرعة عنها ، و التى تدخل فى نطاق العلوم التطبيقية فى الشعب التالية لها من الدوحة السادسة ، كذلك معالجة العلوم الشرعية و علوم التصفية متجاوزة فى الدوحتين السادسة والسابعة .

و من الأمور الأخرى التى تمثل ابتكارات طاشكبرى زادة فى التصنيف ، و التى أقرها مصنفو العصر الحديث : اتباعه مبدأ التفصيل الشديد و التصنيف الدقيق ، و هو من المبادئ التصنيفية المقررة فى العصر الحديث ، فقد عرف العلم وموضوعه وغايته و الحكايات التى وردت حوله . و اتباعه مبدأ التسلسل الذى نادى به ” كونت “ فى القرن التاسع عشر ، الذى أخذه عنه ” بليس “ و أسماه : ” التداعى بالخصوصية “ . (١٥) و يعنى هذا المبدأ أن العلوم تسير فى ترتيب متسلسل يقلل من التعميم ليزيد من التعقيد ، فكل علم فى تصنيفه يبنى على العلم السابق ، أى أن كل علم خادم للعلم التابع له ، و وسيلة له . و على هذا الأساس يتم التدرج للعلوم الأساسية فى تصنيف كونت . و إذا ما قارنا هذا المبدأ بما عند طاشكبرى زادة فإن طاشكبرى زادة قد صرح باستخدام هذا المبدأ فى بداية تصنيفه فى عبارة موجزة دون أن يعطى لهذا المبدأ تسمية ، فهو يقول : ” إعلم أن للأشياء وجود فى أربع مراتب فى الكتابة و فى العبارة و فى الأذهان و فى الأعيان ، و كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ، لأن الخط دال على الألفاظ ، و هذه ما فى

الأذهان. (١٦) و من هنا يحدد طاشكيري زادة المجالات الرئيسية للمعرفة ، و يرى أنها تسير فى ترتيب متسلسل من حيث أن كل علم فيها خادم للعلم التابع له ، وكل علم مبنى على العلم السابق له ، لذلك بدأ بأعم العلوم المتمثل فى الخط ثم الألفاظ التى تعد أكثر تعقيدا و المبنية على الخط ، ثم الأكثر تعقيدا و هو المتعلق بالعقل و تنظيم الفكر ، و الذى يعتمد أساسا على الألفاظ لأنها تؤدى إلى تكوين المعانى الخاصة به ، ثم هو بدوره يؤدى إلى بقية العلوم التابعة له لاستخدامها قوانين الفكر ، و من ثم فقد سبق طاشكيري زادة المصنفين الغربيين بعدة قرون فى تطبيق مبدأ من أهم مبادئ التصنيف فى العصر الحديث ، و طبقه تطبيقا متقنا على ترتيب العلوم فى تصنيفه . وهذا يدل على أن جذور الأسس الفلسفية للتصنيف فى العصر الحديث قد وجدت عند المصنفين العرب و المسلمين .

و يعد الجانب الموضوعى من الأمور التى تناولها مصنفو القرن التاسع عشر، فيذكر " فيكرى Vickery " أن القاعدة الموضوعية كانت محور مناقشات واهتمامات مصنفى القرن التاسع عشر ، وقد أشار فيكرى إلى محاولة الفارابى تقسيم العلوم نسبة إلى ما تشمله من مادة علمية و ما تتضمنه من أفكار موضوعية . وكما أشرنا من قبل من اعتماد الأنصارى على الجانب الموضوعى فى عرض علومه ، وقد أكد حاجى خليفة على الجانب الموضوعى استخدام المصنفين العرب له، و هذا ما نجده عند طاشكيري زادة الذى عرض لكل علم محددا تعريفه بدقة ، وموضحا حدوده الموضوعية من حيث المبادئ التى يعتمد عليها ، أو الغاية منه ، أو مدى علاقته بغيره من العلوم و استفادته منها ، كما نجده فى أكثر من موضع يرسم حدود الموضوع بدقة يفصله تماما عن غيره من العلوم ، و هذا ما نجده فى علم الاشتقاق ، و توضيحه الفروق الدقيقة بينه و بين علم الصرف ، و ما وقع للكتاب من اشتباه لهذا العلم حتى درجوه ضمن علم الصرف . (١٧)

ومن الوسائل التى استخدمها مصنفو العصر الحديث للربط بين الموضوعات (الإحالات) ، وقد امتلأ تصنيف طاشكيري زادة بمواضع متعددة استخدم فيها الإحالة للربط بين الموضوعات سواء كانت إحالة سابقة تدل على ربط الموضوع بما سبقه أو إحالة لاحقة لربط العلم بموضوع أو علم لاحق عليه . و اذا كان مصنفو العصر

الحديث يستخدمون لها ألفاظا مقننة مثل : انظر أو انظر أيضا ، فإن طاشكبرى عبر عنها بمفهوم إجمالي ليفيد إحالة القارئ إلى المكان المحدد لوجود الموضوع أو العلم . وقد هدف من وراء استخدامها إلى مقاصد منها : توضيح الأماكن الأخرى في التصنيف لمعالجة العلم ، لأنه يعد الأفضل ، أو الإشارة إلى معالجة العلم من وجهة نظر مختلفة تؤدي به إلى أن يكون أيضا من فروع علم آخر . ومن الأمثلة على ذلك :

- علم خط المصحف ، في الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : ” إن كان من فروع علم الخط - من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط - لكننا نبحت عنه في علوم تتعلق بالقرآن الكريم . (١٨) و يعيد معالجته مرة أخرى بتسمية مختلفة : علم رسم كتابة القرآن في المصاحف ، وذلك في الطلب الأول من الشعبة الثامنة في الدوحة السادسة ، وهناك أيضا يشير إلى أنه من علوم تتعلق بالآلفاظ .

- علم خط العروض ، في الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : ” و إن كان من أنواع علم الخط ، ولكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرنا تفصيله وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك “ . (١٩)

- علم حساب الفرائض ، في الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، و يشير إلى معالجته بشكل مفصل ضمن فروع العلوم الشرعية ، وبالبحث عنه نجده ضمن فروع علم الفقه ، في المطلب السابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .

- علم إعداد الوقت ، في الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، ويشير إلى أنه من فروع علم الخواص ، و إذا بحثنا عن علم الخواص نجده يشير إلى علم الوقف في علم الخواص الروحانية ، في المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .

و من الأمثلة على استخدامه حالة النظر المخصصة التي تشير إلى المكان المستخدم فعلا لمعالجة الموضوع :

- علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما ، و علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، حيث يقول : " كل هذه مفصلة فى علم القراءة فليعلم من كتبها " . (٢٠)
- علم معرفة علم القرآن و خاصه و مجمله و مبينه ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و مباحث هذا العلم فى علم الأصول ، و من أتقنها سهل عليه معرفتها فى الآيات القرآنية " . (٢١)
- علم معرفة مرسوم الخط و آداب كتابته ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و هذا العلم قد ينتج من فروع علم القراءة أيضا ، و قد فصلناه هناك فلا نعيده ، إذ التكرار مما يعاب عند أولى الألباب " . (٢٢)

و يلاحظ عدم معالجة هذه العلوم فى مواضعها التى يذكرها ، و إنما يشير إلى المكان الأساسى الذى يعالج فيه العلم .

و من الأمثلة على إحالة انظر ما يقوله عن علم الزهد و الورع فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة : " و لما كان هذا العلم نتيجة علم الحديث و ثمرته جعلناه من فروع " . (٢٣) ثم يشير إلى أنه سوف يعالجه فى الطرف الثانى من الرسالة مع العلوم الكشفية ، و بالبحث عن هذا العلم فى الدوحة السابعة نجده فى الأصل الرابع من الشعبة الرابعة من الدوحة السابعة تحت مسمى : فى العصى و الزهد .

كما وجدت فى تصنيف طاشكبرى زادة إحالة عمياء ؛ فى علم إملاء الخط العربى ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول : " هذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية ، و سنعرف تفاصيلها هناك " . (٢٤) وبالبحث عنه فى فروع العلوم العربية لانجد له ذكرا .

و قد تضمن تصنيف طاشكبرى زاده مواضع أخرى متعددة ، تظهر على جوانب جديدة من إبتكاراته فى التصنيف ، و منها : استخدام مبدأ التحليل و التركيب ، و هو ما نادى به " رانجاناثان " فى العصر الحديث ، الذى يتلخص - كما وضعه

رانجاناثان - فى تحليل الموضوع إلى عناصره و إعطاء كل عنصر فى الموضوع رقمه المناسب من القوائم ، ثم إعادة تركيب هذه العناصر معا لتكوين رقم التصنيف المركب باستعمال علامات الربط المناسبة للتعبير عن الموضوع ، حيث يسجل الخصائص العامة التى يطلق عليها الأوجه ، ثم يتم ربط أرقامها للتعبير بدقة عن موضوع الوثيقة . و قد حصرت هذه الأوجه فى خمسة مفاهيم أساسية هى : الشخصية و المادة و الطاقة و المكان و الزمان . و كل وجه من هذه الوجوه يركب إلى الموضوع عن طريق علامات ترقيم تستعمل كمؤشر و هى . (٢٥) و هذا التحليل الذى جاء به " رانجاناثان " نجد ما يماثله عند طاشكبرى زادة الذى حصر العلوم فى أربع مراتب و هى : الخط و الألفاظ و الأذهان ؛ أى قوانين الفكر ، والأعيان ، و هى العلوم البحتة و التطبيقية . و قسم علومه - على هذه المراتب - إلى سبع درجات ، كما اعتمد فى عرض علومه على التحليل و تجزئة العلوم ، ثم إعادة ربط الموضوعات مع بعضها لتخليق علوم جديدة . و إذا كان تصنيف الكولون يستخدم الرموز فى التعبير عن الموضوعات و الربط بينها فإن طاشكبرى زادة يستخدم اللفظ للربط بين الموضوعات ، و يزخر تصنيفه بالأمثلة العديدة على عملية تحليل الموضوع حسب المراتب التى حددها للعلوم و إعادة ربطها ، و منها :

• علم إملاء الخط العربى الذى يحلله إلى الخط و الألفاظ ، فيقول عن هذا العلم : " من حيث حصول الحروف بالآلة فهو من أنواع علم الخطوط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ فهو من فروع العلوم العربية " . (٢٦)

• علم الشروط و السجلات ، الذى يحلله إلى اللفظ و الأعيان ، و يقول عنه : " أنه من حيث اللفظ يعد من فروع علم الإنشاء ، فى الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و من حيث اعتبار مدلوله فهو من فروع علم الفقه ، فى الدوحة السادسة المتعلقة بالأعيان .

• علم الريافة الذى يذكره فى موضوعين مختلفين ؛ فقد جعله من فروع علم الفراسة . (٣٧) من حيث معرفة وجود الماء فى جوف الأرض ، و جعله مرة أخرى من فروع علم الهندسة (٢٨) من حيث حفر الأرض و إخراج الماء على وجه الأرض .

و من النماذج التى تدل على اعتماد طاشكبرى زادة فى عرض علومه على التحليل و التركيب : فصله بين علم المعادن و علم استنباط المياه ، فذكر علم المعدن فى الشعبة الرابعة ضمن فروع العلم الطبيعى ، بينما ذكر علم استنباط المياه فى الشعبة الخامسة من فروع العلم الطبيعى تاليا لعلم الريافة ، وبرر ذلك بقوله : ” إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الريافة “ . (٢٩)

علم الخواص الروحانية الذى يذكره ضمن فروع علم التفسير من العلوم الشيعية ، و لكنه يحلله فى أكثر من مجال فيقول : ” إن هذا العلم يمكن جعله فى فروع علم الحساب من حيث ترتيب الأعداد ، و أيضا من فروع علم الهندسة من جهة تعديل الأعداد أو الحروف فى الجداول الوقفية ، ولكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوقف حرفيا ذكرناه فى علم الحروف التى هى من خواص القرآن ” . (٣٠)

ومن هنا فقد أعطى للعلم أكثر من تحليل ، و ركبه مع علوم أخرى ليخلق علوما جديدة ، ليكون مرة من فروع علم الحساب ، ومرة أخرى من فروع علم الهندسة ، وثالثة من فروع علم التفسير .

ومن الأمثلة أيضا إلى عملية التحليل و التركيب : ذكره لعلم التاريخ ضمن علوم الشعبة الثانية للدوحة الثانية ، و فصله عن علم المغازى و السير ، و علم حكايات الصالحين ، و علم تاريخ الخلفاء ، و علم سير الصحابة و التابعين . والملاحظ أن هذه العلوم جميعا تدور حول مضمون واحد هو علم التاريخ ، و لكنه لم يجعلها فروعاً لعلم التاريخ ، و لكنه قسمها مع ما يناسبها من العلوم الأخرى مستخدماً فى ذلك التحليل و التركيب ، فألحق علم المغازى و السير بفروع العلوم العربية ، فى الشعبة الثالثة للدوحة الثانية . كما ألحقه أيضا ضمن فروع علم الحديث ، فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة . و استدل على ذلك بقوله : ” هذا و إن أمكن عده من فروع علم التاريخ لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث و الآثار جعلناه من فروع علم الحديث “ . (٣١) وقد ذكر بقية العلوم الأخرى ضمن فروع العلوم العربية و أشار أنها فروع لعلم التاريخ .

و قام طاشكبرى زادة بتحليل عناصر علم النجوم ، ثم تركيبه فى عناصر أخرى ، مكونا بذلك موضوعات جديدة ، حيث فصل علم النجوم عن علم أحكام النجوم ، كما فصلهما عن علم حساب النجوم على النحو التالى : ذكر فى الشعبة الخامسة تحت العنقود الثالث فروع أحكام النجوم ، و نوه إلى أن أحكام النجوم تختلف عن علم النجوم ، لأن علم النجوم يعرف بالحساب ، فيكون من فروع العلم الرياضى ، بينما علم أحكام النجوم يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار ، فيكون من فروع العلم الطبيعى . (٣٢) أما علم حساب النجوم فذكره فى الشعبة الثامنة تحت فروع علم الهيئة ، و شرح ذلك بقوله : ” هذا و إن كان من فروع علم العدد إلا أنه من جهة توقف التقويم عليه ، صار من فروعه أيضا “ . (٣٣)

و يتوج طاشكبرى زادة ابتكاراته التصنيفية بجعله عملية تقسيم العلوم علما قائما بذاته ، حدد تعريفه بدقة تقترب من مفهومه الحديث وقد سبق الإشارة إلى هذا الأمر فى الفصل الأول من الكتاب .

تقييم محاولة طاشكبرى زادة التصنيفية

يلاحظ على تصنيف طاشكبرى زادة ما يلى :

١- أن الاتجاه العام فى تصنيفه اتجاه تربوى تعليمى ، وضع لخدمة العملية التعليمية ، و لذلك نرى أن تدرج العلوم فى تصنيفه قد جاء لخدمة هذا الاتجاه ، فقد بدأ بالعلوم التى تعد أدوات العملية التعليمية و التحصيلية ، فبدأ بعلوم الخط و تتبعها بالعلوم اللغوية والأدبية التى تعد مدخلا و وسيلة لدراسة العلوم الحكمية و الشرعية ، ثم علم المنطق الذى يمد طالب العلم بالقواعد و القوانين التى تعد الذهن لدراسة ما بعده من العلوم وقهمها . (٣٤)

٢- كما يسير عرض العلوم فى تصنيفه لخدمة الحقيقة الدينية ، حيث خصص الدوحتين الأخيرين للعلوم الدينية ولم يبدأ بهما ، كغيره من المصنفين قبل الخوارزمى . كما جعل الدوحة السابعة فى علوم المكاشفة (التصوف) التى هى بمثابة ثمرة العمل ، بعد تحصيل العلوم السابقة عليها .

٣- قدرته وتمكنه من العلوم و الإحاطة بحدودها ، و بخاصة العلوم العربية ، فيفرق بدقة بين علم اللغة و علم الصرف و علم الاشتقاق ، وهذا الأخير يحدد مكانا واضحا دقيقا له بعد علم اللغة وقبل علم الصرف ، بل ينقد كل من يدرج هذا العلم فى موضوع علم الصرف كما فى شروح مفتاح العلوم للسكاكى ، ويوضح أن السبب فى ذلك يرجع إلى عادة الكتاب فى تدوين هذا العلم فى كتب الصرف و قلة الكتابة فيه منفردا ، ولذلك توهم البعض أنه من موضوعات علم الصرف . (٣٥)

٤- إلحاق علم التاريخ بالعلوم العربية فى الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و يعكس ذلك نشأة علم التاريخ باعتباره آلة و وسيلة للعلوم الدينية لارتباط الحاجة بالكتابة فيه بالرواية عن الرسول - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه . كما أن رواية الحديث قد اقتضت البحث فى السير و الأنساب للتأكد من الشخصيات التى يسند إليها رواية الحديث ، و من ثم فهو مثل العلوم العربية التى هى الأخرى آلة و وسيلة لفهم العلوم الدينية ، و لذلك أدرجه فى العلوم العربية ، وكان الأفضل فصله عنها فى دوحة مستقلة ، وخاصة أنه توسع فى تفريع علومه لتصل إلى خمسة عشر علما .

٥- نظرتة المتقدمة للعلوم ، فقد ذكر علوما أصبحت من علوم العصر الحديث ، و إن لم يدرك نسبتها إلى العلم الأصلى لها مثل : علم قيافة البشر من فروع علم الفراسة ، الذى سمي بهذا الاسم لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده ، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء ويقول : " إن مبنى هذا العلم ما ثبت فى المباحث الطبيعية من وجود المناسبة و المشابهة بين الولد ووالديه . (٣٦) و يدخل هذا العلم فى موضوعات علم الطب فى العصر الحديث ، فعن طريق تحليل أنسجة الإنسان و جلده يمكن إثبات نسبة الطفل لأبيه .

و من العلوم التى تدل على نظرتة المتقدمة للعلوم : علم مواسم السنة ، الذى جعله أحد فروع علم الهيئة ، و يعد من موضوعات علم العادات و التقاليد فى العصر الحديث . كذلك علم الرقص الذى جعله أحد فروع علم الموسيقى لارتباط أداء الحركات الراقصة بالنغمات و الموسيقى .

و هذا العلم يفرع فى العصر الحديث من قسم الفنون ، و من ثم تعد نظرة طاشكبرى زادة له متقدمة لجعله علما ، كما أن اعتباره أحد فروع علم الموسيقى قد

قرب بمفهومه من نظرة العلم الحديث له . ويؤخذ عليه اعتباره علم الغنج علما ،
وعده أحد فروع علم الموسيقى ، و إن كان يعد أحد الوسائل المستخدمة فى علاج
العجز الجنسى ، و من ثم كان من المفروض معالجته مع علم الحياة .

المميزات والعيوب فى تصنيف طاشكبرى زاده

يتميز طاشكبرى زاده فى تصنيفه بعدة مميزات منها :

- ذكر الأسباب التى جعلته يقسم بعض العلوم بطريقة معينة ؛ ففى آخر مقدمة
بعض الدوحات يشير إلى طريقة تقسيم العلوم الأصلية أو الفرعية ، كما فى
الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فى الدوحة السادسة : فى العلوم
الشرعية ، فهو يوضح الأساس الذى سار عليه فى تقسيم العلوم . (٣٧) وقد
يوضح السبب فى تقسيم بعض العلوم الفرعية كما فى إلحاقه بعض العلوم فى
أواخر علم التفسير و يبرر ذلك بقوله : ” و أعلم أن ها هنا بعض العلوم رأيت
درجها فى علم التفسير أحسن و أولى لأن لها تعلقا بالحروف التى هى نواتج
السور ، لأن لها خواصا لا يطلع عليها إلا متكلميها ، و هى هذه . (٣٨) ثم ينص
عليها .

- النص على الأسماء الأخرى المحتملة للموضوع ، كما فى علم العدد ، حيث يشير
إلى التسمية الأخرى له و هى علم الحساب .

- أحيانا يورد علوما لاحقة لعلوم أخرى ، بالرغم من وجود التباين بينهم ، و لكنه
يوضح السبب لذلك كما فى ذكره لعلم استنباط المعادن فى الشعبة الخامسة —
وفصله عن علم المعادن فى الشعبة الرابعة الذى يتصل به موضوعيا — بعد علم
الريافة ، مبررا ذلك بقوله : ” إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الريافة “ . (٣٩)

- يراجع نفسه — أحيانا — فى تقسيم العلوم و أماكنها ، فقد يرتب علما فى مكان ما ،
و عندما يرى مكانا أنسب لهذا العلم سرعان ما يوضح مكانه الجديد ، مثل : علم
مخارج الألفاظ الذى ذكره ضمن علوم الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة تحت
فروع العلوم الشرعية . (٤٠) و استدرك قائلا : ” إن علم مخارج الألفاظ ربما
يجعل من فروع علم الألفاظ المعالجة الواحدة لعلم اللغة و علم الأدب فى الدوحة
الثانية ، فيما يتعلق بالألفاظ ، مع تمييزه بين حدود علوم الكتابة و علوم اللغة

و علوم الأدب ، و هذا ما افتقدته بعض التصنيف الغربية المشهورة مثل تصنيف
بيكون الذى فصل علوم الكتابة و البلاغة و اللغة عن علوم الشعر ، كما فصل
الشعر عن التاريخ الأدبى فلم يحقق مبدأ تجاوز الموضوعات المتشابهة ، و هذا ما
أكده " سايرز " حيث أشار إلى الصعوبة العملية فى استخدام تصنيف بيكون
الذى تمثل فى فصل موضوعات عن بعضها تنتمى إلى قطاع معرفى واحد ،
فعالج التاريخ الأدبى داخل علم التاريخ بعيدا عن علم الشعر . و ما نجده عند
بيكون نجده فى تصنيف ديوى العشرى ، أوسع التصنيف البيبليوجرافية انتشارا
فى العصر الحديث .

و يعد تصنيف طاشكبرى زادة من أكمل التصنيف العربية ، فقد استوعب كل
ما سبقه و زاد عليه ، فأضاف علوم متعددة ، كما تميز بأن له منهجا تصنيفيا بمفهوم
العصر الحديث ، و هذا ما دفع حاجى خليفة إلى امتداحه ، حيث يقول : " إنه أحسن
الجميع ، يقصد جميع التصنيف التى سبقته والتى عرضها فى كتابه "كشف الظنون
" . و قد أعطى حاجى خليفة تلخيصا للعلوم و تقسيمها عند طاشكبرى زادة ، و لكنه
نقد طاشكبرى زادة ، و سجل عليه بعض المآخذ و منها : عدم استيعابه الأقسام فى
كثير من المباحث التى أفردت بالتدوين ، و إدخاله فى فروع علم ما ليس فيه . (٤١)
و قد تمثل ذلك فى إهمال ذكر فروع علم أصول الدين الذى يعد من أهم أقسام العلوم
الشرعية ، كما أغفل ذكر أقسام المنطق التسعة ، و لم يشر إلى الأصل التاسع من
الشعبة الأولى فى الدوحة السابعة ، وانتقل إلى الأصل العاشر مباشرة . كما أسقط
المطلبين الثامن و التاسع من الأصل الخامس فى الشعبة الثانية من الدوحة السابعة .
و من عيوب تصنيفه حديثه عن مباحث و موضوعات باعتبارها علومها ،
وهذا ما نجده فى فروع الفروع للعلم الطبيعى ، كما فى العنقود الرابع فى فروع علم
السحر ، فيذكر موضوعات ومباحث لاتعدو علومها ، و يعتبرها علومها ، مثل علم
العزائم و علم تعلق القلب و علم الرقى ، وغيرها ، كما فى فروع علم التفسير أيضا .
و من الأمثلة على إدخال طاشكبرى زادة فى فروع علم ما ليس فيه :

• ذكره علم الأطعمة و المزورات ، و علم قلع الآثار من الثياب ، و علم تركيب أنواع المداد ، فى فروع علم الطب ، و هى بعيدة تماما عن أن يكون من فروع ، و خاصة العلمين الأخيرين ، فهما أقرب لعلم الكيمياء .

• ذكره علوم النظر و الجدل و الخلاف فى الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة ، ثم أعادتها مرة أخرى تحت فروع علم أصول الفقه فى المطلب السادس من الدوحة السادسة ، و كان من المفروض أن توضع تحت فروع علم أصول الدين لأنها أقرب إليه .

• عدم التحديد الواضح لأسماء العلوم الأصلية التى تتفرع عنها الفروع ، فذكرها فى المطلب الثانى من الدوحة السادسة ، فى فروع العلم الحديث ، ثم ذكر فى المطلب الرابع من الدوحة السادسة ، فى فروع العلم الحديث ، و لم يوضح أن المطلب الثانى فى فروع رواية الحديث و المطلب الرابع فى فروع دراية الحديث ، و ذلك حسب توزيع الأصول فى الشعب الخاصة بالدوحة السادسة . ويلاحظ أنه ذكر علم شرح الحديث كفرع لعلم رواية الحديث ، على الرغم من أنه يعد من فروع علم دراية الحديث ، كما أن الفروع التى ذكرها تحت علم دراية الحديث فى المطلب الرابع من الشعبة السادسة تبعد تماما عن الموضوع و تقترب من موضوعات الصوفية .

و من عيوبه أيضا : إشارته لعلوم لانجد لها مكانا على خريطته التصنيفية ، مثل إشارته إلى أن علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات من فروع علم خواص الأدوية ، و بالبحث عن علم خواص الأدوية لا نجد له مكانا على خريطته التصنيفية . و تكراره ذكر بعض العلوم فى أكثر من موضع مثل : علم الفرائض الذى ذكره مرة لفرع علم الحساب ، و أعاد ذكره مرة أخرى كأحد فروع علم الفقه . و كذلك علم الشروط و السجلات الذى ذكره كفرع لعلم الإنشاء ، ثم عاد و ذكره كفرع لعلم الفقه . كذلك علم مخارج الألفاظ الذى ذكره كفرع لعلم الألفاظ فى الدوحة الثانية ثم عاد و ذكره مرة أخرى فى فروع علم القراءة فى الدوحة السادسة . و كما كان هناك تكرار لذكر بعض العلوم نجد تكرارا لبعض الحكايات فى أكثر من موضع ، كما فى روايته

عن كنيسة بلاد الروم التي تكررت تحت علم الخواص و علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات في العنقود الرابع من الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة .

ومن عيوبه أيضا : عدم التزامه بطريقة واحدة في تعريف العلوم ، فبعضها يذكر تعريفه و غايته و موضوعه و الكتب المصنفة فيه ، مثل : علم النحو و علم البديع ، و بعضها يقتصر على تعريفه فقط ، مثل : علم القرعة و علم تعلق القلب و علم التعديل . و ذكره لعلوم بلا كتب على الرغم من أن تصنيفه قائم على تصنيف الكتب ، مثل : علم الاختلاج و علم الحجامه و علم الفصد .

تأثير البيئة الثقافية على تصنيف طاشكبرى زاده

بعد طاشكبرى زاده نتاجا لأسرته و مجتمعه العام ، فقد عاش حياته في ظل ازدهار الإمبراطورية العثمانية التي بلغت أوجها في عهد سليمان القانوني آخر السلاطين العظام للدولة العثمانية . و قد إنحدر طاشكبرى زاده من أسرة ذات علم أبيا و جدا و عما و خالا ، وهم الذين تولوا تربيته و نشأته و تعليمه و اشتغلوا بالعلم الديني و العلوم العربية ، و هذه العلوم هي التي سادت الدولة العثمانية عموما ، و طغت عليها لدرجة تصوف بعض السلاطين و شغفهم بالأدب و الشعر . و قد تركت خصائص أسرته التي تميزت بالورع و التدين و العلم بصماتها على شخصية طاشكبرى زاده الذي تصوف هو الآخر كما تخصص في تدريس علوم الدين و اللغة .

(٤٢)

و قد كان للطابع العام الذي ساد الدولة العثمانية أثره على طاشكبرى زاده حيث جمعت هذه الدولة بين صفات عديدة انعكست على مجتمعتها ، فقد كانت دولة عسكرية وجهت جل اهتمامها إلى الجانب العسكري الذي طغى على طبيعة المجتمع ، و إلى جانب ذلك كانت دولة دينية ، حيث حرص السلاطين على إضفاء الطابع الديني على دولتهم فشجعوا التصوف و تولوا الطرق الصوفية ، و من ثم حظى رجال الدين و العلم في الدولة بالاهتمام و التشجيع ، و كان منهم طاشكبرى زاده . كما كانت دول إقطاعية طبقية دكتاتورية ، و من أهم ما اتصفت به أنها كانت دولة علمية ، فنتيجة التوسعات العظيمة و الفتوحات المترامية الأطراف ، فقد دخلت في نطاق حكم الدولة العثمانية شعوب مختلفة الجنسيات و اللغات و الثقافات و الديانات و العادات و التقاليد .

و قد أتاح هذا الطابع العالمى حرية التنقل ، مما أتاح فرصة عظيمة للعلم و العلماء فى التأثير بكل هذه الثقافات الوافدة و التأثير فيها . ولاشك أن لتلك الخصائص التى تميز بها مجتمع طاشكبرى زادة و عصره أثرا فى تكوينيه العلمى والفكرى . و كما كان له تأثيره على المادة العلمية فى كتاب ” مفتاح السعادة ومصباح السعادة “ ، حيث قدم كتابه بأربع مقدمات تدور حول العلم و التعليم ، حيث صب فيها المؤلف خلاصة تجاربه فى التدريس ، بل ساعدت هذه المقدمات على بلورة المنهج التربوى التعليمى عند المسلمين خلال عشرة قرون .

كما كان لتصوف طاشكبرى زادة أثره فى عرض علومه التى جعلها فى ترتيب تصاعدى لخدمة الدين الإسلامى ، بل جعل ثمرة كل العلوم تنصب على علوم التصوف ، و بالتالى انتقلت إليها خلاصة الفكر العربى الإسلامى عبر عشرة قرون هجرية و امتلأت مكتباتها بكنوز الحضارة الإسلامية التى انتقلت إليها من مختلف الأقطار الإسلامية ساعدت طاشكبرى زادة على الحصر الشامل و الدقيق لفروع المعرفة البشرية التى تعد خلاصة الحضارة العربية الإسلامية ، و من ثم فقد وصل عدد العلوم فى تصنيفه فى الدوحات الست الأولى إلى ٣١٥ علما إضافة إلى المقدمات، بخلاف ما ورد فى الدوحة السابعة . ويعكس عرض العلوم و أعداد الكتب فى كل دوحة اتجاهات الإنتاج العلمى الفكرى فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ، و قد عرضها الدكتور شعبان خليفة فى دراسة البيبليومترية لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . (٤٣) و التى جاءت على النحو التالى :

المؤلفون		الكتب		العلوم	المجال
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد		
٨٣%	٩	٠,٥٠%	١٣	٤	المقدمات
	١٢	٠,٥٠%	١٨	٩	الدوحة الأولى
٢٨,١٦%	٣٠٥	٢٨,٧٠%	٩٩٥	٤٥	الدوحة الثانية
٢,٨٦%	٣١	٢,٨٠%	٧٣	٥	الدوحة الثالثة
١٥,٢٠%	١٦٥	٩,٠٢%	٢٣٢	١٢٨	الدوحة الرابعة
١,٣٨%	١٥	٠,٦٢%	١٦	٧	الدوحة الخامسة
٤٩,٥٨%	٥٣٧	٤٧,٢%	١٢١٤	١٢١	الدوحة السادسة
٠,٨٣%	٩	٠,٣٩%	١٠	٢٠٥	الدوحة السابعة
١٠٠%	١٠٨٣	١٠٠%	٢٥٧١	—	الجملة

و يتضح من الجدول السابق أن العلوم الدينية تأتي على قمة العلوم الأخرى سواء كان ذلك من حيث أعداد العلوم المفرعة منها ، أو من حيث أعداد الكتب ، أو من حيث أعداد المؤلفين فيها ثم يليها العلوم العربية ، و تأتي مجموعة العلوم العقلية في المرتبة الثالثة ، و هذا يؤكد على أن تصنيفه جاء لخدمة علوم الدين الإسلامي الذي أفاض في تعريفها أو حصر الكتب المؤلفة فيها .

تصنيف طاشكبرى زاده بين التأثر والتأثير

أولا : التأثر

يعد ابن الأكفاني بكتابه ” إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد “ من أوائل المؤلفين الذين أثروا في طاشكبرى زادة ، و بالمقارنة بين كتاب ” مفتاح السعادة “ و كتاب ” إرشاد القاصد “ سوف نلاحظ الشبه الكبير بينهما في العديد من المواضع ، و منها : تشابه المقدمات الثلاثة عند طاشكبرى زادة التي تدور عن العلم و فضله و شرفه ، و شروط المعلم و المتعلم و الآداب التي يتحلى بها كل منهما ، مع المقدمات التي وردت في تصنيف الأنصارى . (٤٤) فقد بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم والتعلم و شروطهما ، و لكن يلاحظ التوسع عند طاشكبرى زادة في العرض بالإضافة إلى ما تطرق إليه من آداب الفتيا و القضاء ، و هذا يرجع إلى الفارق الزمني في عمر الحضارة الإسلامية الذي يصل إلى حوالى قرنين من الزمان ، بالإضافة إلى ممارسة طاشكبرى زادة مهنتي التدريس و القضاء اللتين جعلتا أكثر تمكنا من ابن الأكفاني . و ما ذكره الأنصارى من القول في حصر العلم ، حيث قسم العلوم إلى مقصودة لذاتها ، و غير مقصودة لذاتها ، ثم تناول كل منهما بالتقسيم ، نجده يتشابه مع ما ذكره طاشكبرى زادة في مقدمته في بيان حصر العلوم على الإجمالي ، التي أوضح فيها نظريته وفلسفته في تقسيم العلوم ، كما يلاحظ تشابه الخط العام في تقسيم العلوم عند كل منهما . فالدوحة الأولى عند طاشكبرى زادة هي الكتابة (علم الخط) و الدوحة الثانية في (العبارة) ذكرهما ابن الأكفاني في القسم الأول من العلوم غير المقصودة لذاتها ، و هو ما يتوصل به إلى المعانى من اللفظ و الخط و هو علم الأدب . و الدوحة الثالثة عند طاشكبرى زادة في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات و فرع منها الشعبة الأولى (في المنطق) و الشعبة الثانية (في علوم

تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأکفانى وجدنا القسم الثانى من العلوم غير المقصودة بذاتها ، و هو علم المنطق الذى يمثل الشعبة الأولى عند طاشکبرى زادة ، أما ما ذكر فى الشعبة الثانية من الجدل فقد ذكره ابن الأکفانى مع العلم الإلهى . و الدوحة الرابعة عند طاشکبرى زادة (فى العلم المتعلق بالأعیان) ، و قسمها إلى العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى ، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأکفانى وجدناه فى القسم الأول من مجموعة العلوم المقصودة لذاتها ، و هى الحکمة النظرية التى قسمها - أيضا - إلى ثلاثة العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و تتطابق الدوحة الخامسة (فى الحکمة العملية) عند طاشکبرى زادة مع القسم الثانى من العلوم المقصودة لذاتها ، و هى الحکمة العملية ، حيث قسمت عند كل منهما إلى : الأخلاق و تدبير المنزل و السياسة ، و زاد طاشکبرى زادة بما ذكره من فروع الحکمة العملية فى الشعبة الرابعة . و الدوحة السادسة (فى العلوم الشرعية) عند طاشکبرى زادة يقابلها عند ابن الأکفانى أنواع العلوم الشرعية التى فرعها من علم النواميس بالتسلسل نفسه ، و بالفلسفة نفسها ، التى على أساسها تم التدريب و التسلسل للعلوم الشرعية دون ذكر الفروع عند ابن الأکفانى . و الدوحة السابعة عند طاشکبرى زادة (فى علوم الباطن أو علوم التصفية) التى ضمنها علم التصوف لانجد له ذكرا عند ابن الأکفانى ، و لكن ابن الأکفانى أشار إليها فى الغاية فى العلم العملى حيث قال عن الحکمة العملية : ” و الثانى يكون بتركیة النفس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل “ . (٤٥) كما نقل طاشکبرى زادة عن ابن الأکفانى تقسيمات العلوم الأصلية أو الفرعية - مع الزيادة عليها - بنفس عناوينها و أمثلتها و تعريفاتها بنصها ، و لكنه يزيد عليها فى أعداد الكتب المدرجة و المترجمة لأصحابها و ذكر مؤلفاتهم .

و ظهر تأثر طاشکبرى زادة بكتاب ” إحصاء العلوم “ للفارابى ، فى الجزء الأول من كتابه ، و بخاصة الثلاث دوحات الأولى التى تماثلت مع الفصلين الأولين عند الفارابى . (٤٦) فما ذكره طاشکبرى زادة فى الدوحة الأولى (العلوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) يناظرها عند الفارابى الفصل الأول فى علوم اللسان . كما اتبع طاشکبرى زادة طريقة تقسيم الفارابى لعلوم اللغة و الأدب

إلى ما يتعلق بالمفردات و ما يتعلق بالمركبات ، حيث قسم طاشكبرى زادة الدوحة الثانية (المتعلقة بعلوم اللغة و الأدب) إلى ثلاث شعب : الأولى فيما يتعلق بالمفردات ، و الثانية : فيما يتعلق بالمركبات . و الدوحة الثالثة (فى العلوم المتعلقة بالأذهان) التى قسمها طاشكبرى زادة إلى شعبتين : الأولى فى (المنطق) و الثانية (فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، التى تضمنت علم الجدل يقابلها عند الفارابى الفصل الثانى (فى علم المنطق الذى ضم فى فروعه علم الجدل) .

و قد ذكر طاشكبرى زادة كتاب إحصاء العلوم للفارابى (فى الشعبة الأولى من الدوحة الرابعة) حيث وصفه بقوله : ” و صنف كتابا شريفا فى إحصاء العلوم و التعريف بأغراضها ، لم يسبق إليه أحد ، ولا ذهب أحد مذهبه ، و لا يستغنى عنه أحد من طلاب العلم “ . (٤٧) و من هذه العبارة يتضح اطلاعه على هذا الكتاب و الإفادة منه .

و تأثر طاشكبرى زادة بكتاب ” الفهرست “ لابن النديم ، حيث تماثلت الدوحة الأولى (فى العلوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) مع المقالات الثانية و الثالثة و الرابعة عند ابن النديم التى خصصها لعلوم الخط و اللغة و الأدب . (٤٨) و جعل علم التاريخ فى المقالة الثالثة بين علم اللغة و الأدب ، و هذا ما فعله طاشكبرى زادة ، حيث ألحق علوم التاريخ مع الدوحة الثانية المتعلقة بالعلوم العربية فى اللغة و الأدب . وتأثر طاشكبرى زادة بالخوارزمى و كتابه ” مفاتيح العلوم “ ، فقد نقل عنه بعض العلوم وتعريفاتها ، مثل علم الآلات المبنية على عدم الخلاء .

كما نقل طاشكبرى زادة عن رسالة أقسام العلوم العقلية لابن سينا تعريف ابن سينا لعلم المنطق و العلم الطبيعى و الرياضى ، و بعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى ، و قد أشار إلى رسالة ابن سينا بعد تعريفه لعلم تقاسيم العلوم ، و قد وصفها بقوله : ” و صنف ابن سينا فى هذا العلم رسالة تطبيقية “ . (٤٩)

و نقل عن السكاكى بعض أقسام الشعبة الأولى والثانية من الدوحة الثانية ، مثل علوم المعانى و البيان و البديع و الاشتقاق و الصرف ، و يشير إلى كتاب ” مفتاح العلوم “ للسكاكى ومعالجته لهذه العلوم . (٥٠)

و نقل عن الطوسي تعريفه لعلم المنطق والعلم الطبيعي و العلم الرياضى
وبعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و قد أشار إلى بعض
أعماله كما فى علم المعادن ، حيث يقول : ” و لا أنفع وأجمع من تأليف
الطوسي “ . (٥١)

و تأثر طاشكبرى بكتاب ” الإتقان فى علوم القرآن “ للسيوطى . (٥٢)
وكذلك بكتابه ” إتمام الدراية لقراء النقاية “ الذى ضمنه ما ورد فى كتاب ”
الإتقان “ من فروع علم القرآن (٥٣) ، فقد نقل عنه اثنين وسبعين علما من فروع
علم التفسير ، بالإضافة الى ما نقله عنه من فروع العلوم العربية ، وبعض فروع علم
الحديث . و هذا ما أكده حاجى خليفة حيث يقول : ” فأورد فى فروعها ما أورده
كذكره فى فروع علم التفسير ما ذكره السيوطى فى الإتقان “ . (٥٤)

و يعد كتاب ” إحياء علوم الدين “ للغزالي مصدرا أساسيا اعتمد عليه
طاشكبرى زادة فى إعداد الجزء الثالث من كتابه الخاص بالطرف الثانى من الرسالة
فى العلوم الكشفية ، فالملاحظ أن رؤوس الموضوعات ، وتقسيم الشعب فى الدوحة
السابعة ، يماثل التقسيم الموجود عند الغزالي . كما أن المقدمات الثلاثة من الجزء
الأول من كتاب ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ : (فى بيان فضيلة العلم و
التعليم و التعلم ، و شرائط المتعلم و وظائفه و وظائف المعلم) ، هى اختصار الجزء
الأول من كتاب إحياء العلوم للغزالي . (٥٥) وهذا ما أكده حاجى خليفة ، حيث يقول :
” جعل الطرف الثانى من الكتابة فى بيان العلوم المختلفة بالتصنيف التى هى ثمرة
العمل بالعلم فلخص فيه كتاب الإحياء للإمام الغزالي “ . (٥٦)

ثانيا : التأثير

أثر كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاشكبرى زادة فى كل المصنفين
تقريبا الذين اتوا من بعده ، ومنهم : حاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون عن
أسمى الكتب والفنون) ، حيث نقل عنه تعريفات العلوم بنصها فى كثير من مواضع
كتابه ، و أيضا العديد من عناوين الكتب . و حسن صديق خان فى كتابه ” أبجد
العلوم “ ، فقد نقل عنه كثيرا من التعريفات والعبارات فى الجزء الثانى من كتابه
الخاص بموضوعات العلوم ، وقد ذكر فى الجزء الأول من الكتاب فى الفصل

الخامس ببيان تقسيم العلوم المرنة وما يتعلق بها تقسيم طاشكبرى زادة للعلوم (٥٧) في كتاب "مفتاح السعادة ومفتاح السيادة" .

كما تأثر بكتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" كل من الشرواني في كتابه "الفوائد الخاقانية" والتهانوي في كتابه "كشف اصطلاحات الفنون" وسوف تتعرض الباحثة لمدى هذا التأثير عند معالجة كل منهما .

هل تأثر تصنيف طاشكبرى زاده بتصنيف أرسطو؟

عكس تصنيف طاشكبرى زادة مدى ما بلغته الثقافة العربية الإسلامية من تقدم و ازدهار ، و إذا ما عقدنا مقارنة بين تصنيف طاشكبرى زادة و تصنيف أرسطو سوف يظهر التباين الشديد بين التصنيفين :

- تصنيف طاشكبرى زادة تقسيم للمعرفة يعتمد على السند الأدبي ، أما تصنيف أرسطو فهو تصنيف فلسفي مجددا للمعرفة .
- اتبع طاشكبرى زادة التقسيم السباعي للمعرفة بينما اتبع تصنيف أرسطو التقسيم الثلاثي للمعرفة .
- اقتصر تصنيف أرسطو على العلوم الحكمية ، سواء النظرية بأقسامها الأصلية الثلاث أو الحكمة العملية بأقسامها الأصلية الثلاث ، بينما نجد التوسع المفصل لفروع المعرفة عند طاشكبرى زادة فاشتمل تصنيفه على مجالات معرفية لم يتطرق إليها أرسطو ، و هي مجموعة العلوم الخطية و اللغوية و الأدبية ، و العلوم الشرعية الإسلامية التي تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية ، بالإضافة إلى مجموعة العلوم العقلية و التي شملتها الدوحة الرابعة (في العلوم المتعلقة بالأعيان) ، و هي في العلوم الحكمية النظرية ، التي قسمها إلى الأقسام الأصلية ، كما عند أرسطو إلى العلم الإلهي و العلم الطبيعي و العلم الرياضي ، و لكن يلاحظ التوسع الشديد في الأقسام الأصلية لهذه العلوم وتفرعاتها . كذلك الدوحة الخامسة في (الحكمة العملية) التي قسمها إلى نفس الأقسام الثلاثة عند أرسطو ، و هي الأخلاق و تدبير المنزل و السياسة ، وزاد عليها قسما رابعا يشمل فروع الحكمة العملية التي تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية .

• اختلفت معالجة طاشكبرى زادة للأقسام الرئيسية للحكمة العملية التي انطلقت من المفهوم الإسلامى العربى عن معالجتها عند أرسطو .

• اعتبر أرسطو المنطق خارج نطاق العلوم ، و نظر إليه باعتباره آلة لغيره من العلوم ، بينما اعتبره طاشكبرى زادة علما فى نفسه يشمل قوانين الفكر التي تعصم الذهن عن الخطأ ، كما نظر إليه باعتباره وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان .
و من هنا ندرك الفروق الواضحة بين التصنيفين ، و نخرج من ذلك بنتيجة مؤداها أن تصنيف طاشكبرى زادة نتاج للفكر العربى الإسلامى بكل معطياته ، ويبعد تماما عن الفكر الأرسطى فى التصنيف .

منهج طاشكبرى زادة فى تصنيفه

اعتمد طاشكبرى زادة فى تقسيمه للعلوم على المنهجين الاستنباطى و الاستقرائى ، و هما جناحا المنهج العلمى ، فالمنهج الاستنباطى يعمل على تقسيم المعرفة إلى مجالات معرفية رئيسية تسمى أقساما رئيسية ، ثم يتدرج بها فى التقسيم إلى أقسام أصغر فأصغر ، و هى الفروع .
و هذا المنهج الذى أشار إليه طاشكبرى زادة فى تعريف علم تقاسيم العلوم ، علم التصنيف ، هو المنهج الأساسى الذى اعتمد عليه فى تقسيم العلوم فى تصنيفه إلى سبع دوحات تمثل الأقسام الرئيسية العامة ، و تدرج منها إلى الشعب التي تعد الأقسام الأصلية التي تندرج تحتها ، ثم أعاد تقسيم العلوم الأصلية للشعب إلى علوم فرعية أصغر وهكذا ، و من ثم فهو ينتقل من العلم الكلى إلى العلم الجزئى . و قد أشار طاشكبرى زادة نفسه إلى أن هذا المنهج يعد الطريقة الأسهل و الأيسر من الطريقة الثانية ، و هو المنهج الاستقرائى الذى يقوم على البدء بجزئيات العلوم وضم بعضها إلى بعض عن طريق التشابه ؛ أى الصلات الموضوعية ، و التوصل فى النهاية إلى الأقسام الرئيسية . و هذا المنهج هو الطريقة الحديثة التي اصطنعها فرادان البريطانى . (٥٨)

و قد استخدم طاشكبرى زادة الطريقة الثانية ، فنجده يذكر فروع العلم الواحد فى عدة أماكن متفرقة ، وفى النهاية يعود ويجعل لها رأسا للموضوع المركب ؛ معنى ذلك أنه يحاول التخصيص والتحليل الشديد ، ثم التركيب ، لخلق موضوعات جديدة ،

و هذا هو المتبع فى المنهج الاستقرائى . وقد امتلأ تصنيفه بالنماذج المتعددة التى تدل على استخدامه لهذا المنهج ، و منها : ذكره فروع علم التاريخ فى الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية ضمن فروع العلوم العربية ، و أشار إلى أنها تعد فروعاً لعلم التاريخ ، و فى ذلك تحليل لجزئيات الموضوع ، ثم ربطها بالعلم الكلى الذى تنتمى إليه .

كما تعددت فى تصنيفه الأمثلة الدالة على استخدام المنهج الاستقرائى فى ربط العلم الجزئى بالكلى ومنها : ما ذكره من العلوم الفرعية فى الشعبة الثالثة ، التى تعد علوماً جزئية للعلوم الكلية فى الشعبة الثانية من الدوحة الثانية ، و منها علم الأمثال الذى يعد من فروع علم اللغة . و علم وقائع الأمم ورسومهم ، و علم مسامرة الملوك ، اللذان يشير إلى أنهما من فروع علم المحاضرات و التوريق . و علم استعمالات الألفاظ ، و علم الألغاز ، اللذان يعدان من فروع علم البيان . و علم الترسل الذى يعد من فروع علم الإنشاء . و علم الأحاجى و الأغلوطات ، الذى يشير إلى أنه من فروع علم اللغة و الصرف و النحو . كذلك يعد كلا من علمى التصحيف ، و المقلوب ، من فروع علم البديع .

مستوى المعالجة

بدأ طاشكبرى زادة كتابه بأربع مقدمات تضمنت مناهج التربية عند المسلمين بالإضافة إلى آداب الفتيا و القضاء ، وفى المقدمة الرابعة وضع السهدف من وراء كتابه ، كما أوضحناه سابقاً ، ثم أتبع ذلك يحصر العلوم على الإجمال ، موضحاً منهجه فى ذلك . ثم شرع فى عرض تقسيمه للعلوم التى تمثلت فى تقسيمها إلى سبع دوحات ، ثم تقسيم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة تقسم إلى عدد من العلوم ، أو إلى عدة عناقيد ، أو إلى مطالب . و لذلك لانجد التوحيد فى أسلوب التقسيم ، كما لا نجد التوازن فى عدد العلوم المفرعة من كل دوحة ، و هذا ما سوف تظهره الجداول التالية :

الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الأول		الدورات
العلوم المفردة	العلوم المفردة	الشعب	المقدمات	
	٥	الشعبة الأولى	١	الدورة الأولى
	٤	الشعبة الثانية		
	٥	الشعبة الأولى	١	الدورة الثانية
	١٢	الشعبة الثانية		
	٢٦	الشعبة الثالثة		
	١	الشعبة الأولى	١	الدورة الثالثة
	٤	الشعبة الثانية		
	١	الشعبة الأولى	١	الدورة الرابعة
	٦	الشعبة الثانية		
	١	الشعبة الثالثة		
	١٧	الشعبة الرابعة		
١٢	صنفود أول	الشعبة الخامسة		
١١	صنفود ثان			
٥	صنفود ثالث			
١٤	صنفود رابع			
٤٢				
	٤	الشعبة السادسة		
	١٥	الشعبة السابعة		
	٢٧	الشعبة الثامنة		
	١٠	الشعبة التاسعة		
	٣	الشعبة العاشرة		
	١	الشعبة الأولى	١	الدورة الخامسة
	١	الشعبة الثانية		
	١	الشعبة الثالثة		
	٤	الشعبة الرابعة		
	١	الشعبة الأولى	١	الدورة السادسة
	١	الشعبة الثانية		
	١	الشعبة الثالثة		
	١	الشعبة الرابعة		
	١	الشعبة الخامسة		
	١	الشعبة السادسة		
	١	الشعبة السابعة		
٧	المطلب الأول	الشعبة الثامنة		
١٠	المطلب الثاني			
٨١	المطلب الثالث			
٦	المطلب الرابع			
—	المطلب الخامس			
٤	المطلب السادس			
٥	المطلب السابع			
١١٣				
١٥٥	١٥٥	٢٩	٦	الإجمالي

جدول رقم (١٢) يوضح توزيع المقدمات و الشعب و العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى و
بياناتها على الصنفوف

الصف الأول	المقدمة	الشعبة الأولى	الشعبة الثانية	الشعبة الثالثة	الشعبة الرابعة
الصف الثاني	—	الأصول	الأصول	الأصول	الأصول
الصف الثالث	—	المطالب	المطالب	المطالب	المطالب
١٠	١	٦	٤	١٠	١٠
١١	—	—	٦	٦	٦
٥	—	—	٥	٣	٣
٧	٦	٦	٨	١	١
٦	٥	٥	٩	٦	٦
٧	٥	٥	٣	٢	٢
٤	٧	٧	٤	٦	٦
—	١٠	١٠	٣	١٦	١٦
٢	—	—	٤	٧	٧
٣	٦	٦	—	٣	٣
—	—	—	—	—	—
٥٥	٩	٤٥	١٠	١٠	١٠
إجمالي الأصول	٣٩				
إجمالي المطالب	٢٠٦				

جدول رقم (١٣) يوضح توزيع المقدمة و الشعب و الأصول و المطالب للدوحة السابعة على الصنفوف
يتضح من تحليل الجدولين السابقين عدة أمور :

- بلغ عدد العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى ثلاثمائة وعشرة .
- بلغ عدد المطالب في السابعة مائتين وستة ، وعدد الأصول تسعة وثلاثين .
- يلاحظ عدم استخدام كلمة علم في الدوحة السابعة إلا إحدى عشرة مرة في الشعبة الأولى ؛ ستة منها تسبق مسمى بعض الأصول ، و خمسة منها تسبق بعض المطالب .
- بلغت المقدمات سبعا ؛ حيث قدم لكل دوحة بمقدمة .
- بلغ عدد الشعب ثلاثا وثلاثين شعبة .

و تظهر الجداول عدم التزام طاشكبرى زادة بطريقة واحدة فى عرض العلوم؛
 فى الدوحات الثلاث الأولى فرع العلوم من الشعب ، و هنا التزام بالطريقة المنطقية
 التى سارت عليها التصانيف الفلسفية ، مثل تصنيف كل من : ابن سينا و الفارابى . و
 فى الدوحة الرابعة اتخذ طريقة جديدة ؛ فقد أورد فى الشعبة علما ، ثم فرع فروع
 فى الشعبة التى تليها . و إذا كانت هناك فروع للفروع فصلها فى الشعبة التالية لها
 (كالشعبة الخامسة) ، و سمي فروع الفروع بالعناقيد . و فى الدوحة الخامسة جعل
 لكل شعبة علما ، وجعل الشعبة الأخيرة (الشعبة الرابعة) لتفريغ فروع كل الدوحة .
 و الملاحظ أن تلك العلوم هى فروع الشعبة الأخيرة ، و هى علم السياسة . وفى
 الدوحة السادسة جعل تحت كل شعبة من الشعب السبع الأولى علما ، و فى الشعبة
 الثامنة فرع فروع لكل علم تحت مسمى جديد هو المطالب ، و فى الدوحة السابعة
 سمي فروع الشعب بمسميات جديدة هى الأصول ثم فرع من الأصول المطالب .
 و يظهر عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى عدد الصفحات التى يستغرقها
 عرض العلوم فى الدوحات ، فمنها ما يحتل صفحات قليلة كالدوحة الأولى و الدوحة
 الخامسة ، و بعضها احتل جزءا كاملا كالدوحة السادسة و الدوحة السابعة . أو فى
 أعداد الشعب داخل كل دوحة ، فمنها ما يضم شعبتين كالدوحة الأولى ، و منها ما
 يضم عشر شعب كالدوحة الرابعة . أو فى أعداد العلوم المفرعة داخل كل دوحة فمنها
 ما يضم خمسة علوم كالدوحة الثالثة ، و منها ما يصل الى مائتين وستة كالدوحة
 السابعة . ويلاحظ أن ترتيب الدوحات من حيث عدد العلوم المفرعة فى ترتيب
 تصاعدي كالتالى :

الدوحة الثالثة	(علوم المنطق)	٥ علوم
الدوحة الخامسة	(الحكمة العلمية)	٧ علوم
الدوحة الأولى	(العلوم الخطية)	٩ علوم
الدوحة الثانية	(علوم تتعلق بالألفاظ)	٤٣ علما
الدوحة الرابعة	(الحكمة النظرية)	١٢٦ علما
الدوحة السادسة	(العلوم الشرعية)	١٢٠ علما
الدوحة السابعة	(علوم التصفية)	٢٠٦ علوم

و يظهر هذا الترتيب ارتفاع أعداد العلوم المفرعة من العلوم الشرعية و علوم
التصفية ، وهذا يدل على اهتمام طاشكبرى زادة بالتفصيلات الدقيقة لهذه العلوم ،
ويرجع ذلك إلى غلبة نزعتة الصوفية . كما يلاحظ ارتفاع أعداد العلوم المفرعة من
الحكمة النظرية التي أصبحت تمثل في العصر الحديث العلوم البحتة و التطبيقية ،
وهذا دليل على مدى تقدمها في الحضارة الإسلامية . و يلاحظ عدم التوازن في
التفريعات الداخلية للشعب ؛ فقد بلغ عدد العلوم المفرعة من المطلب الثالث في الشعبة
الثامنة من الدوحة السادسة (علم التفسير) واحدا وثمانين علما ، بينما لا يعطى أى
تفريع في المطلب الخامس من نفس الشعبة و الدوحة (علم أصول الدين) ، مما
يوحى بالتفصيل الشديد جدا في ناحية و الإجمال في ناحية أخرى . كذلك ما نجده
في الدوحة الرابعة من تفصيل العلم الطبيعي الذي ورد في الشعبة الخامسة ، بالرغم
من عدم وجود التفصيل الزائد للتفريع في غيره من العلوم ، و يظهر ذلك مدى نمو
هذا العلم و الاهتمام بعلومه وفروعه .

توزيع العلوم المفرعة على الصفوف

أولا : التصنيف الشكلي

• تقف العلوم المفرعة في تصنيف طاشكبرى زادة إلى الصف الثالث ، و ذلك في
الدوحة الرابعة والسادسة و السابعة ، بينما لا يزيد التفريع في الدوحات الأخرى
عن الصف الثاني ، و بذلك يبلغ ما هو موجود على الصف الأول أربعين ؛ منها
سبع مقدمات وثلاث وثلاثون شعبة . و على الصف الثاني تسعة عشر ، وعلى
الصف الثالث ثلاثمائة و واحدا و ستين .

• يستخدم مسميات مختلفة للدلالة على الصفوف ، فعلى الصف الأول نجد المقدمات
و الشعب ، وعلى الصف الثاني نجد العلوم المفرعة من الشعب ، كما في
الدوحات الأولى والثانية و الثالثة والخامسة ، و العناقيد كما في الشعبة الخامسة
من الدوحة الرابعة ، و المطالب كما في الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ،
والأصول كما في الدوحة السابعة . وعلى الصف الثالث يستخدم العلوم المفرعة
في كل الدوحات ، فيما عدا الدوحة السابعة فيستخدم مسمى مطالب .

ثانيا : التصنيف الموضوعى

نلاحظ اختلاف الصورة تماما ؛ فنجده يستخدم فروع شعبة كتفريع للشعبة السابقة لها ، وبذلك تختلف توزيعات الصفوف ؛ ففي الدوحة الرابعة نلاحظ أن الشعبة الثانية هي فى فروع العلم الإلهى الذى يوجد فى الشعبة الأولى ، إذن تقع العلوم المفرعة من الشعبة الثانية بذلك على الصف الثالث ، بينما تقع العلوم المفرعة من الشعبة من الشعبة الأولى على الصف الثانى . و الشعبة الرابعة هي فروع الفروع للشعبة الثالثة ، وبذلك تكون الشعبة الثالثة على الصف الثانى ، و العلوم المفرعة من الشعبة الرابعة على الصف الثالث ، و العلوم المفرعة من الشعبة الخامسة على الصف الرابع . كما نجد أن الشعب السابعة و الثامنة و التاسعة والعاشرة هي فروع لعلوم الشعبة السادسة ، و لذلك تكون العلوم المفرعة من الشعبة السادسة على الصف الثانى ، بينما بقية العلوم المفرعة من الشعبة السابعة إلى العاشرة على الصف الثالث . وهذا ما نجده فى الدوحة السادسة ؛ حيث تعد علوم الشعبة الثامنة فروعاً للشعبة السابعة التى تسبقها ، و بذلك تكون فروع العلوم من الشعبة على الصف الثالث ، بينما فروع العلوم من الشعب السبعة التى تسبقها على الصف الثانى . و من هنا نجد أن تفرعات العلوم عند طاشكبرى زادة تصل إلى الصف الرابع ، ولا يتوقف فقط إلى الصف الثالث كما يظهر التصنيف الشكلى الذى يسير عليه .

الاتساق والتماسك

يتميز تصنيف طاشكبرى زادة من الناحية الموضوعية بالاتساق و التماسك بين أقسامه ، فيتدرج فى عرض علومه لخدمة هدف وحقيقة نابعين من الفكر الإسلامى ، و تلك الحقيقة الدينية و ما يصل به الإنسان إلى السعادة الأبدية ، و لذلك بدأ بالعلوم التى تعد أدوات تحصيل العلوم ، مبتدئاً بالخط وعلومه ثم الألفاظ وما تتبعها من علوم ، ثم العلوم التى تستكشف المفاهيم العقلية ، و التى تحمى العقل من الخطأ ، و هو المنطق ، و العلوم التى تحمى من الخطأ فى المناقشات ، وهذا تمثّل فى الدوحات الثلاث الأولى . ثم ينتقل إلى العلوم العقلية بشقيها النظرى و العملى ، وما اشتملت عليه من علوم تتكامل مع بعضها لخدمة الدين ، فمنها ما هو نابع من معطيات

الحضارة العربية الإسلامية ، و هذا ما نجده بارزا فى فروع الشعبة الثانية فى الدوحة الخامسة ، وما اشتملت عليه من علوم لخدمة الدين ، سواء كان ذلك فى تحديد مواقيت الصلاة ، أو فى علم الفرائض كفرع من فروع علم الحساب ، و هو لتوزيع الموارد . و من هنا جعل دراسة العلوم العقلية هى المساعدة لفهم العلوم الشرعية ، أو مساعدتها و مساعدة الإنسان على أداء واجباته الدينية ، التى حددها فى العلوم الشرعية بأقسامها ، وما نراه من الترابط و الاقتراب بين معالجة الموضوعات ، كما يظهر فى تقسيمات علوم القرآن وعلوم الحديث و الفقه . ثم ينتقل إلى ثمرة هذا العمل وتحقيق السعادة الأبدية فى الدوحة السابعة التى اشتملت على علوم التصفية . ولا يعد تصنيف طاشكبرى زادة تصنيفا تجريديا فلسفيا ، ولكننا نجده ملتزما بهدف واحد نابع من البيئة و العقيدة الإسلامية ، وهو تحقيق التعاليم الدينية ، و لذلك كان هذا هو الأساس الفلسفى الذى حدد البناء العام لتصنيفه ، و مكان مختلف العلوم داخل هذا البناء .

و من ناحية التصنيف الشكلى نجد بعض الملاحظات على اتساق الموضوعات وتماسكها ، منها :

- تكراره لبعض العلوم حيث يذكر العلم تحت شعبة فى دوحة ما ، ثم يعيده مرة أخرى فى شعبة أخرى و دوحة مختلفة ، دون إضافة أى جديد ، مثل علم الفرائض الذى ذكره كفرع لعلم الحساب ثم أعاد ذكره مرة أخرى كفرع لعلم الفقه .

- لم يسر على نمط منطقى فى عرض تفريعات العلوم ، ففى الدوحة السادسة يعرض للأقسام العامة للعلوم الشرعية متتالية فى الشعب السبعة الأولى ، ثم يتناول كل علم منها بالتفصيل فى مطالب الشعبة الثامنة . بينما نجد التصنيف المنطقية لا تفصل بين العلم و فروعها ؛ فهى تعرض للعلم العام وتفريعاته مباشرة معه فى المعالجة .

- وضع تفريعات علم تحت علم آخر ، كما حدث فى ذكر فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثانية (العلوم التى تعصم من الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، ومنها النظر و الجدل و علم الخلاف ، وأعاد هذه العلوم بعينها فى المطلب السادس من

الدوحة السادسة فى فروع علم أصول الفقه ، علما بأن الأقرب لها علم أصول الدين الذى لم يذكر تحته علوما .

• عدم تفريقه بين الموضوعات ، و ظهر ذلك فى المطلب الثانى و فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة (فروع علم الحديث) ، فلم يوضح أن المطلب الثانى لفروع رواية الحديث ، والمطلب الرابع لفروع دراية الحديث ، كما وزعها فى الشعبة الثانية و الشعبة الرابعة من الدوحة السادسة . و هو هنا لا يفرق بين العلمين ؛ فقد فرع عن رواية الحديث علم شرح الحديث ، و هو من علوم الدراية ، كما أن فروع الدراية تتصل بعلوم الصوفية أكثر من علوم الدراية.

• ظهر عدم الاتساق فى عدم الالتزام بطريقة واحدة فى عرض العلوم ؛ ففى الدوحات الأولى يفرع العلوم مباشرة من الشعب ، أو يفرع العلوم من الشعب تحت مسمى مطالب ، كما فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، أو تحت مسمى عناقيد ، كما فى الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة ، أو يسير على نمط آخر بتسمية فروع الشعب أصولا ، ثم يفرع من الأصول مطالب .

• ظهر عدم الاتساق فى عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى أعداد الشعب و فروع العلم داخل الدوحات أو فى حجم الدوحات نفسها ، فمنها ما يقع فى صفحات قليلة و منها ما تطول صفحاته ليحتل جزءا كاملا من الكتاب .

هذا ويعد تصنيف طاشكبرى زادة أكمل التصانيف العربية التى أفرزتها الحضارة الإسلامية سواء كان ذلك من حيث اكتمال المعالجة ، أو من حيث عدد العلوم التى عرضها ، أو من حيث الاتجاهات التجديدية التحديثية التى أبرزها فى تصنيفه ، و هذا ما شهد به مفكرو عصره و القرون اللاحقة عليه و كتاب العصر الحديث .

و ننتقل إلى القرن الحادى عشر ، و هو من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانية ، و قد أفرز عددا من التصانيف ، سوف نتناول واحدا من أشهرها ، و هو " الفوائد الخاقانية " للشروانى .

ثانيا : تصنيف الشروانى (ت ١٠٢٦ هجرية)

يعد القرن الحادى عشر من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانية ، وقد أنتج هذا القرن العديد من الأعمال الفكرية المهمة ، وما يهمنا من تلك الأعمال عملان ، هما : كتاب " كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون " لحاجى خليفة ، و كتاب " الفوائد الخاقانية " للشروانى . و قد نظر العديد من الباحثين إلى العاملين على أنهما من الكتب التى قدمت تصنيفا للعلوم . (٥٩) و لكن الباحثة تخرج كتاب " كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون " عن كونه عملا تصنيفيا لانتمائه إلى البيبليوجرافيات الحصرية ، فقد رتب مؤلفه العلوم فيه متبعا منهج الفهرس القاموسى ، حيث جمع عناوين الكتب المدرجة و أسماء المؤلفين و أسماء العلوم فى ترتيب هجائى واحد بعكس الطريقة التى تتبعها الكتب التصنيفية التى ترتب العلوم وفق خطة تصنيفية لتصور المعرفة البشرية ، فتقسم العلوم إلى قطاعات معرفية تمثل أقساما رئيسية تتدرج منها أقسام أخرى تعد فرعية لها ، و هكذا . أو تتبع طريقة أخرى تقوم على تجميع العلوم الجزئية لتصل إلى العلم الكلى الذى تنتمى إليه ، و هذا لا يحدث فى ترتيب العلوم عند حاجى خليفة . و حسب تعريف التصنيف الذى يقوم على جمع الأشياء المتشابهة ، و فصل الأشياء غير المتشابهة ، لا نستطيع تطبيقه على طريقة الترتيب التى اتبعها حاجى خليفة ، لأنها تعمل على فصل الأشياء المتشابهة لا تجميعها؛ فمثلا إذا ما بحثنا تحت حرف الحاء سوف نجده يذكر علم الحديث ، ثم علم الحروف الذى ينتمى إلى علم السحر ، ثم علم حكايات الصالحين الذى ينتمى إلى علم التاريخ ، ثم علم الحكمة ؛ أى مجموعة العلوم الفلسفية . (٦٠) و هذه العلوم التى ذكرت متتابعة نظرا للترتيب الهجائى لا نجد أى تشابه بينها ، فكل منها ينتمى إلى قطاع معرفى بعيد تماما عن الآخر . و من ثم فإن كتاب " كشف الظنون " لحاجى خليفة لا يعد عملا تصنيفيا ، و تتضح صلة حاجى خليفة بالعملية التصنيفية باعتباره واحدا من الذين وضعوا قواعد لتصنيف الكتب بالمعنى الذى نستعمله اليوم . و من ثم فإننا سنركز هنا على دراسة كتاب " الفوائد الخاقانية " للشروانى حيث نجد فيه ترتيبا منظما للعلوم يسير وفق خطة تصنيفية محددة .

تصنيف الشروانى (٦١)

ضمن الشروانى كتابه الفوائد الخاقانية تقسيمه للعلوم ، و الذى انتهى من وضعه عام ١٠٢٣ هجرية . و ينتمى هذا الكتاب إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية ، فجاء وفق تصوره للمعرفة ، و كانت طريقته فريدة فى تقسيم المعرفة ، فقد جاءت لتحقيق هدفه الضمنى ، هو توصيل مفاهيم معينة إلى السلطان الذى أهداه كتابه .

الهدف من كتاب الفوائد الخاقانية

كان للشروانى فى كتابه هدفان ، أحدهما ضمنى تمثل فيما أراد توصيله إلى السلطان من تعاليم و إرشادات فى تنظيم شئون السلطنة و الرعية ، و هدف صرح به فى قوله : ” و جعلته وسيلة لغفران الله و رضوانه ، و لينتفع به المضلين ، و يجعله ذخرا ليوم الدين ، فإنه ليس قصدى من ذلك إلا إفادة الطلاب ، و تذكرة الأصحاب “ . (٦٢) و يتضح من هذه العبارة أن الهدف من وراء تأليفه هذا الكتاب هدف تعليمى لخدمة الطلاب ، فجاء كتابه محتويا على العلوم التى يدرسها الطلاب ، و هدف دينى يتمثل فى خدمة الإسلام ، مما له تأثيره على طريقة تقسيم العلوم وترتيبها . و من ثم فقد جاء كتابه ليكون موسعة تعرف بالعلوم ، و تفيض بالحديث عنها . و قد عمد إلى تقسيم العلوم وفق تصوره للمعرفة ليتمشى مع تحقيق هدفه فى عرض العلوم لإفادة الطلاب و خدمة الدين و توصيل تعاليم معينة إلى السلطان . و قد جاء مخططه فى تقسيم المعرفة على النحو التالى :

العلوم الشرعية

علم التفسير

علم القراءة

علم الحديث

علم أصول الحديث

علم الكلام

علم أصول الفقه

علم الفقه

علم التصوف

علم الخلاف

العلوم العربية -

علم اللغة

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم النحو

علم المعاني

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القافية

علم الخط

علم قرض الشعر

علم إنشاء النثر

العلوم العقلية

علم المنطق

علم آداب البحث و المناظرة

علم حكمة الأشراف

علم الحكمة الطبيعية

علم الحكمة الإلهية

علم الهيئة

علم خواص الأقاليم

علم الهندسة

علم الحساب

علم الجبر و المقابلة

علم الأرثماطيقى
علم المساحة
علم الأبعاد و الأجرام
علم الموسيقى
علم السماء و العالم
علم الأكر
علم التشريح
علم الطب
علم المناظر
علم النجوم
علم الأصطرلاب
علم التعبير
علم الفراسة
علم المزاجيان
علم الصنعة
علم الكون و الفساد
علم الآثار العلوية
علم الأخلاق
علم تدبير المنزل
علم السياسة
علم آداب الملوك

و قد ضمن الشروانى كتابه (الفوائد الخاقانية) ثلاثة و خمسين علما لتكون موافقة لعدد حروف اسم السلطان الأحمد خانية ، و هو السلطان أحمد بن السلطان الغازى أبى الفتح محمد بن السلطان صاحب العزم مراده خلد الله ذكره .

و تكمن فلسفته فى تقسيمه إلى ما أراد توصيله إلى السلطان من تعاليم وإرشادات فى طريقة الحكم ، مهد إليها بمجموعة من العلوم تؤهل السلطان للقيام بمهام حكمه ، و من هنا جاء تقسيم العلوم إلى أقسام معرفية كل منها يمثل جزءا من أجزاء جيش السلطان ، فقسم كتابه إلى خمسة أجزاء :

خصص المقدمة فى ماهية العلم و ما يتصل به ، و تقسيمه إلى أنواعه . و الأجزاء الأربعة الأخرى لأقسام العلوم : فالقلب للعلوم الشرعية ، و الميمنة للعلوم العربية ، والميسرة للعلوم العقلية ، و الساق لعلوم آداب الملوك .

و يسير الشروانى فى ترتيب أقسام العلوم حسب شرف العلم ، و يقدم علم على آخر باعتباره وسيلة للاحق . و من ثم فهو يقدم العلوم الشرعية على العلوم العربية باعتبار الأولى أشرف من الثانية ، و يقدم العلوم العربية على العلوم العقلية لشرفها ، و باعتبارها وسيلة لتحصيل جميع العلوم ، فمن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم . و كل هذه العلوم مقدمة على علم آداب الملوك لاحتياج هذا العلم إلى كل ما سبقه من العلوم ، فلقيام الملك بسياسة الرعية عليه أن يعلم علوم الشريعة و العلوم العربية و بعضا من العلوم العقلية .

و فى ترتيب الشروانى لفروع كل علم يستخدم مبدأ شرف العلم ، أو اعتبار العلم وسيلة للعلم اللاحق ؛ فترتب العلوم الشرعية حسب شرف العلم ، لذلك يقدم علوم القرآن من التفسير و القراءة على علوم الحديث . و يقدم علوم الحديث على بقية العلوم الدينية الأخرى . و يقدم علم الكلام على الفقه لأهميته و توقف علم الفقه عليه ، فعلم الكلام يبحث فى ذات الله و صفاته ، و من ثم فالاعتقاد يسبق التكليف الذى يشمل علم الفقه . و يقدم علم أصول الفقه على الفقه لأنه العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم يبنى عليها الفقه ، و من هنا كان تقديم علم الفقه . ثم يأتى علم

التصوف فى نهاية العلوم الشرعية باعتبارده من العلوم الحادثة فى الملة الإسلامية ، و
ليس من العلوم التى يحتاج إليها المسلم فى معرفة الأمور المكلف بها .
و يقسم الشروانى العلوم العربية إلى اثنى عشر علما . يظهر فيها تمييزه بين
علوم اللغة و العلوم الأدبية و علوم الخط ، و يرتبها ترتيبا منطقيا مبتدئا بعلوم اللغة
التي يميز فيها بين العلوم المتعلقة باللفظ المفرد ، ثم العلوم المتعلقة بالمركب ، فيبدأ
بعلم اللغة الذي يعد علما عاما حيث يتناول موضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها
على المعانى ، ثم علم الصرف و علم الاستحقاق اللذين يبحثان فى اللفظ المفرد . ثم
يتناول العلوم التي تتناول مركبات الألفاظ ، و يبدوها بعلم النحو ثم علوم البلاغة التي
يبدوها بعلم المعانى لأنه يعد أفضل العلوم الادبية ، فبه يعلم إعجاز القرآن الكريم ،
ويليه علم البيان لاعتماده عليه ، لأن رعاية المطابقة التي هى ثمرة علم المعانى
معتبرة فى علم البيان مع شئ آخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . ثم علم
البديع آخر علوم البلاغة ، لأنه العلم الذي يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية
المطابقة لمقتضى الحال ، و من ثم فهو يأتي بعد المعانى و البيان . ثم يذكر علم
القافية بعد العروض لكونه متصلا به ، كما جرت عادة العروضيين على ذكر علم
القوافى لاحقا للعروض . و بعد الانتهاء من علوم البلاغة يذكر علم الخط لاحقا لعلوم
اللغة ، لأن علم الكتابة علم يعرف به أحوال حروف الهجاء التي يتركب منها اللفظ ،
و من ثم فهى لاحقة على علوم اللغة التي تتناول الألفاظ . ثم تتناول علوم الأدب من
النظم (علم قرض الشعر) و النثر (علم إنشاء النثر) . ثم تأتى العلوم العقلية ، و
يعرض فيها ثلاثين علما على الإجمال ، ثم تحديد الأصول منها و الفروع ، أو الأقسام
الرئيسية و الفرعية ، و يبدوها بعلم المنطق باعتباره آلة و وسيلة لغيره من العلوم ،
ويشير إلى قول ابن سينا بأن علم المنطق هو خادم للعلوم ، وقول الفارابى بأن هذا
العلم رئيس العلوم لنفاذ حكمته فيها ، ويعقب على ذلك بأن هذا العلم يعد وسيلة لغيره
من العلوم . (٦٤) و من ثم جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية ، و يتبعه علم آدب
البحث و المناظرة ، و هو بدوره يعد وسيلة لغيره من العلوم . ويعتبر الشروانى هذا
العلم مثل علم المنطق خادما لغيره من العلوم ، لأن تزايد مسائل العلوم يوما بعد يوم ،
وتفاوت مراتب الطباع و الأذهان لم ينج علما من التصادم ، و من هنا كان لابد من

قانون يعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو مردود ، و هذا ما يفعله علم البحث والمناظرة ، و من ثم عد وسيلة لغيره ومن العلوم ، و من هنا - أيضا - جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية . ثم يعرض لعلم حكمة الأشراف ، وتقترب مباحث هذا العلم من علم التصوف ، و لا توجد ثمة علاقة بينه وبين العلوم العقلية ، و من هنا لم يكن موفقا في إدراجه مع العلوم العقلية ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم الشرعية .

و يبدأ الشرواني العلوم العقلية بالعلم الطبيعي ، و يتبعه بالعلم الإلهي ، و هذا الترتيب غير موفق ، وكان من الأفضل البدء بالعلم الإلهي ، ثم العلم الطبيعي ، لاقتراب العلم الإلهي من علم حكمة الأشراف .

و يسود الاضطراب عرضه لبقية العلوم العقلية ؛ فبالرغم من محاولة عرض العلوم التشابهة معا إلا أن تسلسل العلوم غير منطقي ، حيث يبعد علم المساحة عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروع ، و يلحقه بعلوم الحساب . كذلك يبعد علم المناظر عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروع ، و يلحقه بعلم الطب . ويقدم علم الجبر و المقابلة على العلم الأرثماتيقي الذي يرتبط أكثر بعلم الحساب من علم الجبر و المقابلة . كما يبعد علم الأبعاد و الأجرام و علم الإسطرلاب و علم الأكر عن علم الهيئة ، وهي تعد من فروع . ويؤخر فروع العلم الطبيعي عن علم الحكمة الطبيعية ، كما يذكر أصولها ، وهي (علم الآثار العلوية و علم الكون و الفساد) بعد ذكر الفروع . كما يبعد هذين العلمين عن علم السماء و العالم ، الذي يعد هو الآخر من أصول العلم الطبيعي .

قواعد التصنيف التي يستخدمها الشرواني

يعكس تصنيف الشرواني من العلاقات التصنيفية :

- علاقة الاشتمال والتبعية : فنجد العلوم تسير من العلم العام إلى العلم الخاص ، فيعرض لكل قسم رئيسي ، ثم يتدرج منه إلى العلوم الفرعية المتدرجة تحته ، مثل : العلوم الشرعية و فروعها المندرجة منها ، و العلوم العربية و العلوم المفرعة عنها .

• علاقة تجاور : فقد حاول الشرواني المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة ، وإن لم يوفق مع بعض العلوم . و من الأمثلة على تجاور الموضوعات المتشابهة : تجاور علوم الطب و التشريح ، وتجاور علوم الحكمة العملية : علم الاخلاق و السياسة وتدبير المنزل .

تقييم محاولة الشرواني التصنيفية

- يعرض الشرواني في الجزء الأول من كتابه ، و هو المقدمة : ماهية العلم ، وأهميته ، و واجبات المعلم و المتعلم ، و هي المقدمات نفسها التي نجدها عند طاشكبرى زادة عن العلم و التعليم ، و ما يتصل بهما . ولكن الشرواني يضيف أنواع الثقاب المعتمدة في التصنيف العربية الإسلامية ، و قد نقلها عنه حاجي خليفة في كتابه ” كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون “ .
- يتعرض الشرواني في عرض العلوم في تصنيفه إلى بعض القضايا المهمة التي أثّرت في الحياة الفكرية الإسلامية ، فيناقش في علم الكلام النزاع بين الأشاعرة و المعتزلة . كما يؤرخ لبعض العلوم ، ففي علم التصوف يعرض للأسباب التي دعت إلى نشأة هذا العلم .
- يعتمد الشرواني في عرض علومه على السند الأدبي فيعرض للعلوم من خلال ما كتب حولها ، وبالأستناد إلى اطلاعه على بعض الكتب ، فيشير إلى كتاب ” مفتاح العلوم “ للسكاكي ، وآراء ابن سينا في علم المنطق ، و آراء الفارابي .
- يغلب على عرض العلوم في تصنيف الشرواني الصفة الموسوعية ، حيث يسهب في عرض كل علم من مختلف جوانبه ، متعرضا لكل الآراء التي قيلت حوله ، مثل : علم المنطق ، وما يذكره من آراء ابن سينا و الفارابي و علماء الكلام .

المميزات والعيوب في تصنيف الشرواني

تميز تصنيف الشرواني بتجاور بعض العلوم ، مثل : علوم الخط و اللغة و الأدب ، و معالجتها تحت قطاع معرفي واحد ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصنيفات الحديثة ، مثل : تصنيف بيكون وتصنيف ديوي . و هذا ما أشارت إليه الباحثة من قبل عند معالجة التصنيف السابقة . بينما التزمت به تصنيف حديثة أخرى ، مثل :

- تصنيف الكونجرس الذي جمع معالجة اللغة و الأدب معا تحت رمز واحد (P) . وبالرغم مما تميز به تصنيف الشروانى ، فهو لا يخلو من بعض العيوب ، منها :
- ذكر علوم فى غير موضعها الصحيح ، مثل : علم حكمة الأشراف الذى ذكره ضمن العلوم العقلية ، و لكن مباحث هذا العلم هى نفسها مباحث علم التصوف ، و من ثم كان يجب ذكره قريبا من علم التصوف .
 - ذكر الفروع قبل الأصول ، مثل ذكره علم المزاجيان قبل علم الصنعة ، وكان من الواجب تقديم علم الصنعة عليه مراعاة لأصليته . كما قدم فروع العلم الطبيعى ، مثل : علم الطب و علم التعبير
 - و علم الفراسة على أصوله ، و هى علم الكون و الفساد ، و علم الآثار العلوية .
 - باعد بين القسم الرئيسى وأصوله وفروعه ، مثل تباعد الحكمة الطبيعية عن أصولها ، و هى علم السماء و العالم و علم الكون و الفساد و علم الآثار العلوية، عن فروعها ، مثل : علم الطب و علم النحو و علم التعبير ، و غيرها ، .
 - فصل علم آداب الملوك عن علم السياسة ، و هو يعد من فروعها ، و خصصه بقسم خاص به بسبب الهدف الضمني فى توصيل تعليمات و إرشادات معينة للسلطان ضمنها علم آداب الملوك .

تأثير البيئة الثقافية فى تصنيف الشروانى

أخذت الدولة العثمانية - التى ينتمى إليها الشروانى - من الدين الإسلامى شعارا لها ، و حاولت إضفاء الطابع الدينى على كل مظاهر الحياة ، بل اتخذته ستارا لكل توسعاتها ، فحرصت على بناء المساجد فى كافة أنحاء الأمبراطورية العثمانية ، وتحويل الكنائس إلى مساجد ، و اتخاذ السلاطين الألقاب الدينية ، منها : حامى حمى الحرمين الشريفين ، و خادم الحرمين الشريفين . ومن أهم المظاهر الدينية التى اتخذتها الدولة العثمانية تشجيع التصوف ، و تمويل الطرق الصوفية . كما اتجه بعض السلاطين إلى التصوف . (٦٥)

وقد انعكس هذا الاتجاه الدينى على طريقة معالجة الشروانى للعلوم فى تصنيفه ، وقد اتضح ذلك فى حشر حكمة الأشراف ضمن العلوم العقلية بالرغم من ابتعاده تماما عن مجالها ، لأنه يحوى إقرار المبادئ التى يجب أن يتحلى بها العالم

من الزهد و الورع و التقوى التى تعصمه من الخطأ فى تحصيل العلوم العقلية . كما اتضح أيضا من خلال معالجة علوم الحكمة العملية : علم الأخلاق و علم تدبير المنزل و علم السياسة ، من مفهوم إسلامى ، و من واقع الحياة الإسلامية العربية ، و تعاليم الدين الإسلامى ، مبتعدا بها عن أى مفهوم أرسطى .

ومن مظاهر النزعة الدينية فى تصنيف الشروانى مقارنته وضع بعض العلوم العقلية بوضع بعض العلوم الدينية ، فهو يقول : ” إن الحكمة الإلهية و الطبيعية من العلوم العقلية بمنزلة الكلام من العلوم الشرعية “ . (٦٦) كما غلبت النزعة الصوفية فى معالجته التصنيفية فأطال الحديث عن علم التصوف ونشأته . كما جعل علم حكمة الأشراف من العلوم الفلسفية بمنزلة علم التصوف من العلوم الشرعية الإسلامية . (٦٧) و طريقة تحصيل هذا العلم تجمع بين طريقة أهل النظر والاستدلال و طريقة أهل الرياضة و المجاهدات ، و من ثم فقد جمع بين طريق العقل وطريق التصوف فى تحصيل هذا العلم .

و قد ذكر الشروانى العلم الإلهى مع العلوم العقلية ، متأثرا فى ذلك بتقسيم أرسطو للحكمة النظرية . و على الرغم من ذكر تعريف أرسطو نفسه لهذا العلم ، إلا أن معالجته للموضوع جاءت من منطق العقيدة الإسلامية . كما أشار إلى آراء المتكلمين و المتصوفين و الحكماء فى هذا العلم .

تصنيف الشروانى بين التاثر والتأثير

ظهر تأثر الشروانى بطاشكبرى زادة فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه ما أورده فى المقدمة من ماهية العلم و أهميته ، و أهم واجبات المعلم و المتعلم . و هذا ما ورد عند طاكشبرى زادة نفسه فى مقدمته لكتاب ” مفتاح السعادة و مصباح السيادة “ . كما نقل عنه العديد من تعريفاته العلوم ، مثل : تعريف علم الحكمة الطبيعية ، و علم المساحة ، و علم الجبر والمقابلة ، وغيرها . كما نقل عنه بعض العلوم ، مثل : علم آداب البحث و المناظرة ، الذى ألحقه بعلم المنطق ، و اعتبره آلة و وسيلة مساعدة لتحصيل غيره من العلوم . و هذا ما ورد عند طاشكبرى زادة حين ذكر علم البحث و المناظرة كأحد فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة فى (علوم تعصم الذهن عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) . (٦٨) كما نقل عنه علم

الأصطرلاب الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع علم الهيئة . و نقل عنه علم
آداب الملوك الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع الحكمة العملية . (٦٩)

و تأثر الشروانى فى معالجته للعلوم العربية بتعريفات السكاكى و أقوله
وأمثله التى ذكرها عن العلوم العربية ، و نقل عنه فقرات كثيرة وأشار بالفعل إلى
النقل عنه ، بل نقده أحيانا فى بعض ما نقله عنه ، كما فى علم المعانى ؛ حيث نقده
فيما ذكره من شرح حول هذا العلم ، فقال معلقا عليها : ” لو كان المراد من التتبع
المعرفة المسببة عنه لكان الواجب أن يقول السكاكى : ليحترز به ، لا يحترز بالوقوف
عليها . و ثانيها أن علم المعانى عبارة عن التعبير بالقواعد لا المعرفة المسببة عن
التتبع “ . (٧٠)

كما و نقل الشروانى عن ابن سينا آراءه و تعريفاته لعلم المنطق . كما نقل — أيضا —
عن الفارابى آراءه و تعريفاته لعلم المنطق .

و قد أثر الشروانى فى بعض المصنفين بعده ، فقد تأثر حاجى خليفة جابى
بكتاب ” الفوائد الخاقانية “ ، فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه تقسيمات العلوم التى
ذكرها فى مقدمته . (٨٥) كما نقل عنه تعريفات بعض العلوم . و تأثر التهانوى فى
كتابه ” كشف اصطلاحات الفنون “ بما نقله عن الشروانى من تقسيمات العلوم
المختلفة ، و بخاصة تقسيم العلوم إلى نظرى و عملى ، و مفهوم العملى . و تقسيمها
إلى العلوم الآلية و غير الآلية ، و هو ما ورد فى المقدمة عند التهانوى . (٧١) كما
نقل عنه بعض تعريفاته للعلوم .

هل تأثر تصنيف الشروانى بتصنيف أرسطو ؟

انطلق الشروانى بتقسيمه وعرضه للعلوم فى تصنيفه من مفهوم عربى
إسلامى ، ومن ثم جاء تقسيمه مختلفا تماما عن تقسيم أرسطو للعلوم ؛ فقد اتخذ التقسيم
الرباعى فى مقابل التقسيم الثلاثى عند أرسطو . وبدأ بالعلوم الشرعية ثم ثناها بالعلوم
العربية ، بينما لا نجد لهذه العلوم ذكرا عند أرسطو . كما أن عرض العلوم العقلية
وتقسيمها مختلفا تماما عما جاء عند أرسطو ، فقد عرض العلوم إجمالا دون اتباع
تقسيمها إلى حكمة نظرية وعلمية ، و إن كان قد أشار إلى بعض العلوم متأثرا بتقسيم
أرسطو ، مثل العلم الإلهى وعلوم الحكمة العملية ، و لكن جاءت المعالجة من مفهوم

إسلامى عربى خالصة ، دون أى تأثير أرسطى إلا فى تعريف العلم الإلهى . كما ذكر علوما كثيرة لا توجد عند أرسطو ، و هى من إنتاج الفكر العربى الإسلامى ، مثل علم الأكر وعلم الأصطرلاب وعلم البحث والمناظرة وعلم حكمة الأشراف .

منهج الشروانى فى تصنيفه

سار الشروانى فى عرض العلوم متدرجا من القسم الرئيسى وهو العلم العام إلى الفروع التى تعد علوما خاصة تتدرج تحت العلم العام ، مستخدما فى ذلك المنهج الاستنباطى .

مستوى المعالجة فى تصنيف الشروانى

يقسم الشروانى الكتاب إلى خمسة أجزاء ، ويخص العلوم بأربعة أقسام فقط ، ويقسم كل قسم إلى عدد من العلوم الأصلية دون إعطاء تفريع أكثر ، ومن ثم تقف العلوم عنده على الصف الثانى ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالى :

تصنيف الشروانى	الصف الأول	الصف الثانى	الإجمالى
من كتابه " الفوائد الخاقانية "	العلوم الشرعية العلوم العربية العلوم العقلية الساق	١٠ ١٢ ٣٠ ١	
الجملة	٤=٤	٥٣	٥٣=

جدول (١٤) يوضح توزيع العلوم المفرعة من التصنيف الشروانى على الصفوف

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

- بلغ عدد العلوم المفرعة عند الشروانى ثلاثة وخمسين علما ، تقف كلها على الصف الثانى . وبلغ عدد العلوم على الصف الأول أربعة .
- يلاحظ تفاوت التفريع فى كل علم عام ، ففي العلوم الشرعية بلغ عدد العلوم عشرة ، و فى العلوم الأدبية اثنى عشر ، وفى العلوم الدينية اثنى عشر ، و فى العلوم العقلية ثلاثين علما ، و جعل علم اداب الملوك علما قائما بذاته غير مفرع من أى قطاع من العلوم ، لما يمثله من اهمية .

• يلاحظ وقوف التفريعات إلى الصف الثانى ، و عدم إعطاء أية تفريعات من علوم الصف الثانى ، ويرجع ذلك لالتزامه بعدد معين من العلوم ليوافق عدد حروف أسماء السلطان ، و قد صرح هو نفسه بوجود علوم أكثر ، و هذا ما ذكره عن العلوم العقلية : و أما الميسرة فى العلوم العقلية وهى كثيرة ، ولكن اعتبرنا من أصولها و أمهاتها نحو ثلاثين علما ، وهنا تصريح بالتزامه بذكر الأصول من العلوم دون الفروع .

الاتساق والتماسك فى خطة تصنيف الشروانى

يلاحظ على خطة تصنيف الشروانى التماسك فى عرض الموضوعات ، وعدم وجود فقرات مخلة بالهيكل التنظيمى العام لخطة التصنيفية ، فهو يعرض كل قسم من أقسام العلوم و يتبعه بالفروع الخاصة به دون القفز من القسم الآخر . و قد اختلف تماسك الموضوعات عنده فى عرض العلوم العقلية ، حيث وجدت بعض الفقرات التى لم تحقق تجاور العلوم المتشابهة ، فابتعدت فروع العلم الطبيعى عن علم الحكمة الطبيعية ، كذلك تناثرت فروع علم الهيئة ولم يحدث تجميع لها .

و قد لوحظ من ناحية الاتساق عدم وجود توازن فى أعداد العلوم المفرعة عن كل علم ، فبينما تصل أعداد العلوم المفرعة من العلوم العقلية إلى ثلاثين علما نجد علما واحدا قائما بذاته يمثل قسما واحدا دون وجود أية فروع له ، و هو علم آداب الملوك ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم العقلية باعتباره أحد فروع علوم الحكمة العملية ، و لكن التزامه بتقسيم العلوم كتقسيم جيش السلطان جعله يخصص القسم الخامس لهذا العلم مفردا لتضمنه الأمور التى يريد أن يوصلها للسلطان .

ويلاحظ الاتساق الموضوعى الذى يسير بالعلوم لتحقيق الهدف من تصنيفه ، و هو الهدف الضمنى فى توضيح مفاهيم و تعاليم معينة للسلطان ؛ أى لتحقيق الهدف التعليمى ، فجاء ترتيب العلوم متمشيا مع الاتجاه التربوى و التعليمى فى البدء بتعليم العلوم الدينية ثم العلوم العربية ثم العلوم العقلية .

و يعد تصنيف الشروانى عملا مميزا ، فهو نتاج معطيات الحضارة العربية الإسلامية من فكر ، وما وصلت إليه من تقدم فى علومها .

و اذا انتقلنا إلى القرن الثانى عشر فإننا ننتقل إلى مكان آخر فى العالم الإسلامى و هو الهند ، و يلاحظ تأثير الدين الإسلامى و الثقافة العربية ، مما أدى إلى تكامل عمل التهانوى مع التصانيف العربية الإسلامية.

ثالثا : تصنيف التهانوى (ق ١٢ هـ)

يعد تصنيف التهانوى (٧٣) من التصانيف المتأخرة فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ، ومن ثم نجد فيه إجمالا لما توصل إليه الفكر العربى المسلم . وقد وضع التهانوى تصنيفه فى مقدمة كتابه " كشف اصطلاحات الفنون " . و قبل أن نقدم لمحاولة التهانوى التصنيفية كما عرضها فى كتابه ينبغى أن نعرض فى عجلة سريعة لملامح الحياة الثقافية الإسلامية فى الهند .

إن الثقافة الإسلامية فى الهند ليست وليدة هذا العصر ، و إنما تأصلت جذورها أيام الغزنويين، فقد بنوا المعاهد العلمية التى كانت تعرف حينئذ بالمدارس ، و من أشهرها المدرسة التى أنشأها السلطان محمود الغزنى فى غزنة ، و كان يرحل إليها الطلاب من جميع أنحاء آسيا و إيران . و كان بلاط هذا السلطان مقصدا للعلماء و المفكرين و الأدباء ، كالبيرونى و الفردوسى . كما كانت المكتبة التى أنشأها فى فناء المدرسة من أكبر المكتبات فى العالم الإسلامى . و من بعد غزنة انتقل مركز العلم إلى لاهور ، و منها إلى دلهى ، ثم تعددت البيئات العلمية فى الهند على أثر تحول العلماء إلى عواصم المقاطعات بعد الغارة التى شنّها تيمور سنة ١٣٩٨م ، فكثرت المدارس فى الحواضر ، و نمت دور العلم فيها . و من المدن التى ازدهرت فى تلك الحقبة مدينة جونبور التى لقيت فى عهد السلطان إبراهيم شاه المأمون بشيراز الهند . و اطردت الحركة العلمية فى عصر المغول ، و قد كان لأباطرتهم عناية بالعلم . و أهله ، فاستقدموا العلماء و أجزلوا لهم العطاء ، و كان ممن قدموا أيام الأمبراطور الأكبر (٩٦٤-١٠١٤هـ) الميرفنج الله الشيرازى أحد نوابغ عصره فى العلوم العقلية و النقلية .

و إذا ذكرت العلوم الإسلامية فى هذا العصر ، فإنما تذكر بالأمبراطور العالم " أورنكزيب " الذى لقب بلقب عالمكير (١٠٦٩-١١١٩هـ) ، فقد حرص على نشر الإسلام و عقيدة أهل السنة ، و كان يتولى التدريس بنفسه للطلاب . و من

مآثره الفتاوى الهندية ، و هي من أشهر المطولات في فروع الفقه على مذهب الحنفية، و تعرف بالفتاوى العالمية نسبة إليه . (٧٣) و لعل التهانوى قد أدرك طرفا من عصر هذا الملك ، فقد وضع التهانوى كتابه سنة ١٥٨ هجرية .

تصنيف التهانوى

ينتمى تصنيف التهانوى إلى المدرسة الأولى في التصنيف ، و هي المدرسة الفلسفية ؛ فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية حسب تصوره لترتيب العلوم وتدرجها تبعا لأهميتها .

الهدف من كتاب التهانوى كشف اصطلاحات الفنون

يصرح التهانوى بأن الهدف من وضع كتابه أن يكون كتابا في مصطلحات العلوم ، يهدف من وراء ذلك إلى إفادة الطلاب بالرجوع اليه . (٧٤) فقد رتب مفردات الكتاب ترتيبا هجائيا على طريقة الباب و الفصل مخصصا الباب للحرف الاول من الحروف الأصلية للكلمة و الفصل للحرف الأخير منها ، معرفا كل مصطلح تعريفا شاملا عند أهل كل صناعة تستخدمه ، فمثلا علم الأدب يأتي في باب الألف فصل الباء الموحدة . و يتناوله من حيث كونه متعلقا باللغة العربية ، أو بعلم الأخلاق، أو عند الفقهاء ، و هكذا .

و قد تطلب الحديث عن مصطلحات كل علم الحديث عن العلم نفسه ، وتوضيح مكانته بالنسبة إلى غيره من العلوم ، و هذا ما جره إلى الحديث عن التقسيمات المختلفة للعلوم ، و التي حصرها في سبعة أنواع من التقسيمات ، ليصل منها إلى التقسم الذي يراه مناسباً لتصنيف العلوم، وبذلك جاء كتابه ليكون قاموساً موسوعياً للتعريف بمصطلحات العلوم ، و هو — أيضا — كتاب في تصنيف العلم .

وصف كتاب (كشف اصطلاحات الفنون) للتهانوى

يعد كتاب التهانوى كما جاء في عنوان دراسة كشف اصطلاحات الفنون كتاب في المصطلح ، فهو في هذه الناحية يتشابه مع كتاب الخوارزمي " مفاتيح العلوم " فهو يجمع مصطلحات العلوم المختلفة مع تقسيم هذه المصطلحات على ثلاثة فنون ، الفن الأول : في مصطلحات العلوم العربية . و الفن الثاني : في المصطلحات العلوم الشرعية . و الفن الثالث : في مصطلحات العلوم الحقيقية ، و هو في كل فن

يقسم المصطلحات إلى أبواب باعتبار أول الكلمة ، ثم فصول باعتبار آخرها . كما أنه كتاب فى تصنيف العلوم ، حيث قدم كتابه بمقدمة مهمة عرض فيها نظريته فى تصنيف العلوم المدونة و ما يتعلق بها ، ويضمنها تعريفا للعلوم المدونة ، كما يعطى السبب الفلسفى و المنطقى وراء تقسيمات العلوم ، و يعرض لأسس التقسيمات المختلفة ، و هى :

- التقسيم الأول : التقسيم المعرفى المعتاد إلى العلوم نظرية غير متعلقة بكيفية عمل، وعلوم عملية . ويشرح اختلاف إطلاق لفظى نظرى و عملى ، فيستعملان لمعان ، فتكون العلوم النظرية ، أى غير متعلقة بكيفية عمل سواء كان كنه هذا العمل ذهنيا كالمنطق أو خارجيا كالطب ، وهكذا يكون اللفظان فى تقسيم العلوم منطقيا . وقد يستعمل اللفظين فى تقسيم الحكمة ، فيكون العملى هو علم بما يكون وجوده بقدرتنا و اختيارنا ، والنظرى علم بما لا يكون وجوده بقدرتنا و اختيارنا . ويستخدم اللفظين فى تقسيم الصناعات فتكون عملية يتوقف حصولها على ممارسة العمل ، أو نظرية ، أى لا يتوقف حصولها عليه ، و على هذا يكون علم الفقه و النحو و المنطق، و الحكمة العملية خارجة عن العملى إذ لا حاجة لحصولها إلى مزاولة الأعمال ، ولكن علوم الخياطة و الحياكة والحجامة تعد علوما عملية لتوقفها على ممارسة العمل و المزاولة .

- التقسيم الثانى : تقسيم العلوم إلى آلية أو غير آلية ، فهى إما أن تكون فى أنفسها آلة لتحصيل شىء آخر بل مقصودة بذواتها (أى غاية) ، و إما أن تكون آلة غير مقصودة فى أنفسها . والأولى تسمى غير آلية ، و الثانية آلية .

- التقسيم الثالث : تقسيم العلوم إلى عربية و غير عربية .
- التقسيم الرابع : تقسيم العلوم إلى شرعية و غير شرعية .
- التقسيم الخامس : تقسيم العلوم إلى حقيقية و غير حقيقية .
- التقسيم السادس : تقسيم العلوم إلى عقلية و نقلية ، فالعقلية ما لا يحتاج فيها إلى النقل ، و النقلية خلاف ذلك .

- التقسيم السابع : تقسيم العلوم إلى العلوم الجزئية و غير الجزئية ، فالعلوم التى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوما جزئية ، كعلم الطب فإن

موضوعه - وهو الإنسان - أخص من موضوع العلم الطبيعي ، و التى موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ، لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . وهذا التقسيم لم يرد عند غيره من المصنفين السابقين عليه ، و هنا يظهر مناداته بالعلم الكلى الذى تنفرع منه العلوم الجزئية ، و كذلك يظهر التدرج بالعلم من الأعم إلى الأخص .

و يتناول التهانوى أيضا فى مقدمة كتابه ما أسماه القدماء بالرعوس الثمانية التى تحدد مكانة العلم و مرتبته بين غيره من العلوم ، وهذه الرعوس بمثابة الأسس التى يقوم عليها تحديد الأهمية التى تتطلب من القائم عليه دراسته و الكتابة فيه ، كما أنها توضح الأسس التى يقوم عليها تناول الكتب و العلوم المدونة بالشرح ، و هى :

١- الغرض من تدوين العلم أو تحصيله ؛ أى الفائدة المترتبة عليه لئلا يكون تحصيله عبثا فى نظره .

٢- المنفعة ، وهى ما يتشوقه الكل طبعا ، و هى الفائدة المعتقد بها لیتحمل المشقة فى تحصيله .

٣- السمة : و هى عنوان الكتاب ليكون عند الناظر إجمال مايفصله العرض .

٤- المؤلف : و هو مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه فى قبول كلامه .

٥- أنه من أى علم هو ، أى من اليقينيّات أو الظنيّات ، من النظريات أو العمليات ، من الشرعيّات أو من غيرها ، ليطلب المتعلم ما يليق به من المسائل المطلوبة له .

٦- بيان مرتبته هو : أى بيان مرتبته فيما بين العلوم ، إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه .

٧- القسمة : وهى بيان أجزاء العلوم و أبوابها ليطلب المتعلم فى كل باب فيها ما يتعلق به ، و لا

يضيع وقته فى تحصيل مطالب لا تتعلق به .

٨- الأنحاء التعليمية ، وهى أنحاء مستحسنة فى طريق التعليم ، و تنقسم إلى قسمين ، أحدهما : التقسيم ، و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، أى من أعم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و

النصف إلى أشخاص . و الثانى : التحليل ، و هو عكسه ، أى التكثير من أسفل إلى فوق ؛ أى من أخص إلى ما هو أعم ، كتحليل زيد إلى الإنسان و الحيوان ، و تحليل الإنسان إلى الحيوان و الجسم .

و من تحليل الرؤوس الثمانية تتضح لنا النظرة المتقدمة لدى المسلمين لتحديد قيمة العلم و قيمة الكتاب فى علم ما ، و هى أسس يعتد بها فى عصرنا الحالى ، و تستخدم أساسا لتقييم قيمة الكتاب ، و ما يحمله بين دفتيه من قيمة علمية ، و هذا ما يتضح فى الرأسين الثالث و الرابع ، حيث يذكر أن التسمية ” عنوان الكتاب “ يعد دلالة مباشرة على الحدود الموضوعية للمادة العلمية التى يحتويها الكتاب ، ويذكر فى الرأس الرابع ” المؤلف “ وهو مصنف الكتاب ، فتقّة المتعلم فى مؤلف الكتاب تجعله يقبل كل ما يعرضه المؤلف من علم بين دفتى الكتاب ، وفى الرأس الخامس و هو تحديد نوع العلم و أى نوع من العلوم ينتمى إليه يجعل المتعلم يقبله أو لا يقبله حسب ما يطلبه من العلم ، و فى الرأس الثامن نجده يتعرض للمنهج المتبع فى التصنيف و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، و الثانى التحليل الذى يتبع طريقة التكثير من أسفل إلى أعلى ، و هذا هو دقة التعريف الذى ذكره طاشكبرى زادة لعلم تقاسيم العلوم فى كتابه ” مفتاح السعادة “ و هما الطريقتان اللتان اتبعهما طاشكبرى زادة فى تصنيف العلوم فى كتابه .

تقسيم التهانوى للعلوم

يستعرض التهانوى خطته التصنيفية بعد ذكر الرؤوس الثمانية فى تقسيم العلوم، فيقسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى: العلوم العربية ، و العلوم الشرعية ، و العلوم الحقيقية . و يقسم كل مجموعة إلى عدد من العلوم الجزئية المفرعة منها ، و هى كالاتى :

العلوم العربية

- علم اللغة
- علم الصرف
- علم الاشتقاق
- علم النحو

علم المعانى
علم البيان
علم البديع
علم القافية
علم الخط
علم الشعر
علم إنشاء النثر
علم المحاضرات
علم التواريخ
العلوم الشرعية

علم الكلام (أصول الدين)
علم التفسير
علم القراءة
علم الإسناد
علم الحديث
علم أصول الفقه
علم الفقه
علم الفرائض
علم السلوك (علم الأخلاق)

العلوم الحقيقية
المنطق
المقدمات
التعريفات
بارى أرمنياس " القضايا "
القياس
الخطابة

البرهان

الجدل

المغالطة

الشعر

علم الحكمة

الحكمة العملية

الحكمة النظرية

الحكمة الطبيعية

الحكمة العملية

تهذيب الأخلاق ، أو علم الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة المدنية

الحكمة النظرية

العلم الإلهي

الأمور العامة

إثبات الواجب و ما يليق به

إثبات الجواهر الروحانية

بيان ارتباط الأمور الأرضية بالقوى السماوية

بيان نظام الممكنات

كيفية الوجود و صيرورة المعقول محسوسا

علم المعاد الروحاني

العلم الرياضي

علم العدد أو علم الحساب

علم العدد النظري

علم العدد العلى

علم الهندسة

علم عقود الأبينة
علم المناظر
علم المرايا المحرقة
علم مراكز الأتقال
علم المساحة
علم استنباط المياه
علم جر الأتقال
علم البنكومات
علم الآلات الحربية
علم الآلات الروحانية
علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم
علم المواقيت
علم كيفية الأرصاد
علم تسطيح الكرة
علم الآلات الظلية
علم الموسيقى

العلم الطبيعي

علم الطب
علم البيطرة و الببيرة
علم الفراسة
علم تعبير الرؤيا
علم أحكام النجوم
علم السحر
علم الطلسمات
علم السيميا

علم الكيمياء
علم الفلاحة
علم السماء و العالم
علم النجوم

منطق تصنيف العلوم عند التهانوى :

يفرق التهانوى بين ثلاثة أنواع من العلوم : العلوم العربية ، و العلوم الشرعية، العلوم الحقيقية . و هو بذلك يفصل و يميز العلوم العربية من العلوم الدينية، بخلاف العديد من التصنيفات العربية السابقة التى أدمجت العلوم العربية مع العلوم الدينية تحت تسمية واحدة هى العلوم الشرعية .

و قد بدأ تصنيفه بمجموعة العلوم القومية ، و هى العلوم التى تمثل فكر الأمة الإسلامية و ثقافتها و التى تمثلت فى العلوم العربية و العلوم الشرعية ، و أتبعها بما أسماه العلوم الحقيقية ، و هى العلوم العقلية التى تشترك فيها كل الأمم و لا تبدل بتبدل الأزمنة و القوميات .

و يبدأ فى ترتيبه بالعلوم العربية باعتبارها الآلات و الوسائل للعلوم الشرعية و ما بعدها من علوم ، و من ثم فقد طبق مبدأ الوسيلة مقدمة على المقصد ، ثم أتبعها بالعلوم الشرعية التى هى مقدمة على العلوم العقلية لشرفها ، ثم يتناول كل مجموعة من هذه العلوم بالتقسيم إلى مجموعة من العلوم الجزئية ، و هو هنا يطبق التقسيم السابع الذى يشير إلى التدرج من العلم العام إلى العلم الجزئى . ويسير فى ترتيبه للعلوم الجزئية المتفرعة من العلم العام بشكل منطقي معتمدا على مبدأ أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق .

و وضع فى ترتيب مجموعة العلوم العربية منهجا يسير عليه فى الترتيب ، فيفرق بين الأصول منها و الفروع ، وفى الأصول يفرق بين العلوم التى تبحث فى المفردات و العلوم التى تبحث فى اللغة . فمجموعة العلوم التى تبحث فى المفردات يسير ترتيبها من العام إلى الخاص فيبدأ بعلم اللغة باعتباره علما عاما يبحث فى مفردات اللغة على الإطلاق ، و من ثم لا يعتمد على غيره ، و إنما تعتمد العلوم اللاحقة عليه . و يثنى بعلم الصرف باعتباره يبحث فى مفردات اللغة من حيث بنيتها

أو صورها ، ومن ثم فهو يعتمد على المفردات اللغوية . و بعده علم الاشتقاق الذى يعد علما خاصا بعد علم الصرف باعتباره يبحث فى المفردات من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالكلمة الأصلية و فروعها المشتقة منها ، و بعد ذلك ينتقل إلى المركبات من الكلمات ، فيفرق بين المركبات المطلقة و المركبات الموزونة ، و يبدأ بالمركبات على الإطلاق ، و يبدأ بعلم النحو الذى يبحث فى المركبات من حيث تأديتها للمعنى الأصلي ، ثم يزيد فى التخصص فيعرض لعلوم البلاغة مبتدئاً بعلم المعانى الذى يبحث فى المعانى الزائدة على أصل المعنى ، و هو ما يعرف بمطابقة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و يأتى بعده علم البيان الذى يبحث إلى جانب رعاية المطابقة لمقتضى الحال فى شىء آخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة . و المقصود بالطرق المختلفة أداء اللفظ بطريقة حقيقية ومجازية أو عن طريق الكناية . و يلى علم البيان علم البديع ، و يؤخر المصنفون علم البديع عن علمى المعانى و البيان لاعتماده على العلمين ، حيث يبحث فى وحوه تحسين الكلمة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال (علم المعانى) و وضوح الدلالة (علم البيان) . ثم ينتقل إلى الكلام المركب فيذكر أن له وزنا ، و يبدوه بعلم العروض ، و يثنيه بعلم القوافى لأن الأول يعالج اللفظ المركب صاحب الوزن ، أى يختص بالأجزاء المتقدمة من الكلام المركب ، أما القوافى فتختص باللفظ المركب من حيث له قافية ، أى يختص بأواخر حروف اللفظ المركب كما جرت عادة العروضيين على معالجة علم العروض سابقا لعلم القافية . ثم تأتى العلوم الفرعية و يبدوها بعلم الخط فالخط هو محاولة نقل الظاهرة الصوتية السمعية (علم اللغة) إلى ظاهرة كتابية مرئية (علم الكتابة) ، و من ثم يأتى لاحقا لعلم اللغة . ثم يعرض لمجموعة العلوم الأدبية من الشعر و النثر ، و يقدم الشعر على النثر ، لأن تجميع الأشعار العربية سبق اهتمام العرب بالنثر وتجميع الرسائل و الخطب ، وغيرها من القطع النثرية . ثم يعرض لعلم التاريخ الذى يجعله من فروع العلوم العربية ، و يقدمه على العلوم الشرعية باعتباره وسيلة إليها . و يأتى ترتيب العلوم الشرعية فيما بينها على أساس شرف العلم ، فيبدأ بعلم الكلام لأنه أشرف العلوم الشرعية ، لبحثه فى ذات الله وصفاته وتعلقه بإثبات العقائد الدينية ، و من ثم فهو بعده رئيسا للعلوم الشرعية على الإطلاق ، فهو

لايستخدم من علم شرعى اخر و إنما تتوقف عليه بقية العلوم الشرعية ، فهو بالنسبة للعلوم الدينية كنسبة علم المنطق للعلوم الفلسفية ، و من ثم قدمه على سائر العلوم الشرعية . (٩٠) ثم يثنى بعلم التفسير لأنه يليه فى الشرف باعتبار بحثه فى ألفاظ القرآن الكريم من جهة النطق و الأحكام و المعنى ، و يليه بعلم القراءة الذى يختص بكيفية النطق فقط ، وكان من الأفضل تقديم علم القراءة على علم التفسير لأن إقامة النص تسبق الفهم و التفسير . و قد يرجع تأخير علم القراءة على علم القراءة لأنه بمثابة العلم الخاص من العلم العام ، و من ثم يحقق التقسيم الذى ارتضاه لتصنيفه ، و هو السير من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ، ثم يذكر ما يلى علم القرآن فى الشرف وهى علوم الحديث ، و يبدوها بعلم الإسناد أو علم أصول الحديث ، و هو علم يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، و من ثم فهو يسبق علم الحديث أو مايسمى علم رواية الحديث لأن الأخير يبحث فى أقول الرسول — صلى الله عليه و سلم — و أفعاله ، و من ثم لابد من تقرير صحة هذه الأقوال أولاً فى علم أصول الحديث ، ثم يأتى علم أصول الفقه ، و الفقه بعد علوم القرآن الكريم و الحديث لاعتمادهما على الكتاب و السنة باعتبارهما الدليلين الأصليين فى الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقه ، و قد قدم علم أصول الفقه على الفقه باعتبار بحثه فى القواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم فعلم الفقه يبنى على علم أصول الفقه ، ثم يلى الفقه علم الفرائض الذى يعد باباً من أبواب الفقه ، و من ثم فقد أتى بالعلم الجزئى بعد العلم العام ، و هو علم الفقه . و ينهى العلوم الشرعية بعلم السلوك ، أى علم التصوف ، و قد أخره على كل العلوم الشرعية باعتباره ثمرة العلوم كلها و غايتها ، فإذا ما حصل الإنسان على علم التوحيد و الفقه و الشرائع ، و تعلم علم آفات النفس ، و تمكن من رياضتها ، و تجنب مكائد الشيطان و النفس ، تمكن من الوصول إلى علم المكاشفة ، و هو علم التصوف الذى يطلق عليه التهانوى علم السلوك . ثم تأتى العلوم الحقيقية ، وهى العلوم التى تشترك فيها كل الأمم و لا تتغير بتغير الملل و الأديان ، و يبدوها بعلم المنطق باعتباره وسيلة إلى العلوم ، فهو من العلوم الآلية ، فهو فى نفسه غير مقصود ، و إنما المقصود منه تحصيل المجهول من العلوم ، حيث إن الغرض من تدوينه العلوم الحكمية ، و لذلك يقال عنه آلة قانونية تعصم مراعاتها

الذهن عن الخطأ في الفكر ، و من ثم كان تقديمه على سائر العلوم العقلية . و يليه بعلم الحكمة و يقسمها إلى التقسيم المعرفي المعتاد إلى قسمين : علوم نظرية وعلوم عملية ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم التقليدي ، فيقسم علوم الحكمة العملية إلى ثلاثة ، مبتدئاً بالعلم الذي يخص مصالح شخص بانفراده ، ثم ما يخص الأسرة ، و هو علم تدبير المنزل ، ثم ما يخص الجماعة ، و هو علم السياسة . و يقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة مبتدئاً بالعلم الإلهي من حيث بحثه فيما لا يفتقر إلى المادة في الوجودين الخارجى و الذهنى ، و من ثم فهو يأتى فى بداية العلوم النظرية لشرفه على العلم الرياضى و الطبيعى ، ثم يثنى بالعلم الرياضى لبحثه فى أصول ما يفتقد فى الوجود الخارجى إلى المادة ، ثم العلم الطبيعى لبحثه فى المادة فى الوجود الذهنى و الخارجى ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و يرى التهانوى عدم أفضلية كل من العلم الرياضى أو الطبيعى على الآخر ، حيث أن كل واحد أفضل من الآخر من وجهه ، فالطبيعى أفضل من الرياضى من جهة أن موضوعه جسم طبيعى ، و هو جوهر بينما الرياضى كم ، و هو عرض و الجوهر أشرف من العرض ، كما أن العلم الطبيعى يشتمل على علم النفس وهو أم الحكمة ، و من ثم فهو يفضل الرياضى ، بينما الرياضى يفضل من جهة أن الأحوال الخيالية غير متناهية القسمة ، فهي لا تقف عند حد ، و من ثم فهي أفضل ، كما أن الأمور الرياضية ألطف و ألد و أتم من الأمور الجسمانية ، و من هنا لا يمكن تقديم أحدهما على الآخر من جهة الشرف . ثم يتناول كل قسم منها بالتفريع إلى مجموعة من العلوم الفرعية ، فيفرع العلم الطبيعى إلى عشرة علوم يبدوها بعلم الطب لشرف موضوعه على سائر العلوم الطبيعية ، لبحثه فى بدن الإنسان ، ثم يلحقه بعلم البيطرة لأن الحال فيه بالنسبة للحيوانات ، كالحال فى الطب بالنسبة للإنسان . ثم يعرض للعلوم التى تخص الإنسان من علم الفراسة ثم علم تعبير الرؤيا . ثم يعرض لعلوم السحر من علم أحكام النجوم و السحر و الطلسمات و السيميا . و يقسم العلم الرياضى إلى أصوله الأربعة على أساس أن موضوعه الكم ، و الكم يقسم بدوره إلى قسمين : كم متصل و آخر منفصل ، فالكم المنفصل هو ما يكون مقدارا غير متعلق بشكل مادى ، و يقسم بدوره إلى قسمين : علم الحساب الذى يستخدم العدد على الإطلاق ، و إذا ما تألف من العدد نسبة سمي

علم الموسيقى ، أما الكم المتصل بشكل قد يكون ساكن مثل الخطوط و المجسمات فهو علم الهندسة ، و إذا كان الكم المتصل متحرك وهو ما يتعلق بحركة الكواكب والأفلاك سمي علم الهيئة . أما عند الترتيب فيأتي علم الحساب أو العدد في بداية العلم الرياضي لشرف موضوعه و هو العدد المطلق الذي يعد من الأقسام الأولية للموجود الأول لإطلاق لفظ الواحد عليه و هو من العدد ، و من ثم عدده البعض من العلم الإلهي ، و يلي علم الحساب علم الهندسة في الشرف لأن شرفه بشرف أدلته التي هي البراهين اليقينية التي تكسب الذهن حدة و نفاذاً و ترو في الفكر . و لما كان شرف الموضوع يسبق شرف الأدلة قدم التهانوي علم الحساب على علم الهندسة ، ثم يلي علم الهندسة علم الهيئة، وهو مقدم على علم الموسيقى لشرف موضوعه ، و هو الجسم الطبيعي الذي يشرف العدد الذي هو موضوع علم الموسيقى ، لأن الجسم الطبيعي جوهر و العدد عرض ، و الجوهر أشرف من العرض ، و من هنا كان تقديم علم الهيئة على علم الموسيقى ، كما أن شرفه لأنه من العلوم التي تعد فرض كفاية لخدمة العلوم الشرعية ، و ذلك في تحديد اتجاهات القبلة و أوقات الصلاة و تحديد بداية الشهور العربية و غيرها . ثم تناول كل علم من العلوم الأصلية بتفريعه إلى عدد من العلوم الجزئية .

قواعد التصنيف ومفاهيمه في تقسيم العلوم عند التهانوي

التزم التهانوي بإبراز عدد من العلاقات التصنيفية التي ظهرت في عرض العلوم في خطته التصنيفية و هي :

- علاقة اشتمال وتبعية : و هذا ما اتضح في أن العلوم الجزئية تنفرع من العلم العام الذي تندرج تحته ، مثل العلوم الجزئية المتفرعة من العلوم العربية ، كذلك التدرج في تقسيم علم الحكمة إلى حكمة نظرية و أخرى عملية ، ثم التدرج في تقسيم كل منها إلى عدة علوم أصلية ، ثم تقسيم كل علم أصلي إلى عدد من العلوم الفرعية .
- علاقة تساوي : و هذا ما نجده في وقوف عدد من العلوم على صف واحد توجد بينهم بعض الاختلافات ، و لكن هناك أوجه تشابه بينهم ، و هي في الوقت نفسه تندرج تحت علم ثالث ، مثل علم الحساب و الهندسة ؛ حيث يبحثان في موضوع واحد ، و هو الكم ، و لكن في الحساب كم مجرد ، و في الهندسة كم مشخص في

سطوح أو خطوط و مثل علم الصرف و علم الاشتقاق ، فالعلماء يبحثان في اللفظ المفرد ، و لكن الصرف من حيث بنيته ، و الاشتقاق من حيث انتساب الألفاظ إلى بعضها بالأولية و الفرعية ، و يندرجان في الوقت نفسه تحت العلوم العربية .

• علاقة تجاور: و هي من أسس التصنيف التي نادى بها " بليس " ، و التي أسماها علاقة ترابط ، وتعني جمع المجموعات المتجانسة معا . و قد حاول التهانوي تطبيق هذه العلاقة فتجمعت علوم اللغة و الخط و الأدب تحت العلوم العربية ، كما تجاورت العلوم الدينية . و في علوم الحكمة عمل على تجاور الموضوعات المتشابهة عند عرض العلوم الجزئية فتجاوزت العلوم التي تخص الإنسان مثل علم الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا .

و برز في تصنيف التهانوي ما يعرف في التصنيف الحديث بالفئة المفضلة ؛ أي تقديم الموضوعات التي تهتم بها الأمة ، و التي تعكس فكر الأمة و ثقافتها . (٧٥) و هذا ما وضعه عنده في تقديم العلوم العربية و العلوم الشرعية على علوم الحكمة أو العلوم العقلية باعتبار أن هذه العلوم هي فكر الأمة العربية الإسلامية و ثقافتها .

تقييم محاولة التهانوي التصنيفية

يعتمد التهانوي في عرض علومه و التعريف بها على السند الأدبي ، فهو يشير دائما إلى الكتب التي تناولت العلوم التي يعرضها أو التي حددت أقسام العلوم، مثل إشارته المستمرة لكتاب " إرشاد القاصد " لابن الأكفاني ، كما أن ترتيبه للعلوم يتبع المنهج التعليمي في ترتيبه للعلوم من حيث البدء بمجموعة العلوم العربية ثم الشرعية ثم العقلية .

مميزات تصنيف التهانوي و عيوبه

من المميزات التي يتمتع بها تصنيف التهانوي :

- تميز التهانوي في عرض علومه بالمنطقية التي سار عليها منذ بدء عرضه للعلوم إلى آخرها ، ولم يحدث الاضطراب إلا قليلا ؛ فقد التزم بمبدأ شرف العلم الذي بدا واضحا في ترتيبه المنطقي للعلوم الشرعية كما التزم بمبدأ العلم السابق

- وسيلة للعلم اللاحق ، وهذا ما انعكس على ترتيب العلوم العربية أو العلوم العقلية في تقديمه علم المنطق على سائر العلوم العقلية الأخرى .
- تميز بالأمانة العلمية في الإشارة إلى الكتب التي أخذ منها ، و تحديد ما أخذه ، فهو يشير إلى تقسيم ابن سينا في علوم الحكمة ، أو تقسيم ابن الأکفانی الذي اقتبس منه في أكثر من موضع ، و هو أمر لم نجده عند غيره من المصنفين مثل طاشکبری زادة الذي نقل الكثير عن ابن الأکفانی دون الإشارة إليه .
- المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة مثل تجاور علوم اللغة و الأدب ، و تمييزه و تحديده لعلوم البلاغة التي لم تصنفها تصانيف سابقة عليه .
- و من المآخذ التي تؤخذ على تصنيف التهانوی :
- اعتبار بعض العلوم فروعاً و هي أصول ، مثل علم الكتابة الذي اعتبره من فروع العلوم العربية ، بينما هو يقف على صف واحد مع علم اللغة ، و كذلك علم التواريخ .
- الاضطراب الواضح في بعض أجزاء تصنيفه الذي تمثل في ذكر علم الطب مرتين كفرع للعلم الطبيعي ثم أعاد ذكره مرة أخرى بعد الانتهاء من عرض فروع العلم الرياضي .
- كما ذكر علم النجوم كفرع للعلم الطبيعي ضمن علم أحكام النجوم ثم أعاد ذكره بعد عرض فروع العلم الطبيعي و الرياضي .
- ذكره الأصول بعد الانتهاء من عرض الفروع ، مثل ذكر علم السماء و العالم بعد الانتهاء من فروع العلم الطبيعي و العلم الرياضي .
- عدم الالتزام بطريقة واحدة في عرض العلم ؛ فعند عرضه لكل علم كان يذكر نقاطاً معينة مثل : تعريف العلم ، و موضوعه ، و مبادئه ، و مسائله ، و لكنه لم يلتزم بتلك النقاط في بعض العلوم ، مثل علم البيان ، فيذكر فقط : موضوع العلم و تعاريفه ، دون ذكر مبادئه و مسائله . كما يذكر في علم البديع الموضوع و التعريف فقط .

أثر الثقافة الإسلامية في تصنيف التهانوی

يرى بعض الباحثين أن محاولات تصنيف العلوم عند العرب المسلمين ترجع أساساً إلى البيئة العربية ، و الواقع الحضاري الإسلامي ، أكثر من استنادها إلى

مؤثرات يونانية سابقة عليها . (٧٦) ويتضح هذا من قول التهانوى : " إن هذه العلوم فى العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن العظماء البلغاء منهم ، من الذين لم يخالطوا غيرهم ، كهديل و كنانة و بعض تميم . أما الذين صاحبوا العجم فى الأطراف فلم تعتبر لغاتهم و أحوالهم فى أحوال هذه العلوم " . (٧٧)

تأثر التهانوى بالتصانيف السابقة عليه

تأثر التهانوى بالعديد من التصانيف السابقة عليه ، و نقل عنها نقلا مباشرا سواء كان ذلك فى تقسيمات العلوم أو تعريفاتها ، فقد نقل عن طاشكبرى زادة ما ذكره فى الرؤوس الثمانية من عمليتى التقسيم و التكميل ، و هما طرفا التصنيف اللتان أشار إليهما طاشكبرى فى تعريفه لعلم تقسيم العلوم . كما نقل عن ابن الأكفانى الكثير من تقاسيم العلوم نقل عنه فقرات ، بعضها يضمنها ابن الأكفانى فلسفته فى تقسيم العلوم ، مثل ما نقله عن تقسيم فروع العلم الطبيعى . وما نقله عن تقسيم العلوم المتفرعة عن علم الهندسة . كما نقل الكثير من تعريفات العلوم بنفسها مثل : تعريف علم الطب أو تعريف علم أحكام النجوم ، و غيرها من العلوم . كما نقل عن السكاكى تقسيمه للعلوم العربية ، و ما ذكره من تعريفاتها . و قد أشار إلى ذلك فى بداية حديثه عن العلوم العربية . (٧٨) كما نقل عن ابن خلدون ما ذكره من العلوم العربية ، من أنها لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن الفصحاء البلغاء منهم . (٧٩) كما نقل عن الشروانى تعريفاته للحكمة العلمية . كما نقل عن ابن سينا تقسيمه لعلوم الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية الثلاثة ، و هو يشير صراحة إلى أقسام الحكمة النظرية عند ابن سينا مع أقسام المنطق ، فيقول : " اعلم أن أقسام الحكمة النظرية أصولا وفروعا ، مع أقسام المنطق على ما يفهم من رسالة تقسيم الحكمة للشيخ الرئيس أربعة وأربعون علما ، و بدون المنطق خمسة وثلاثون علما " . (٨٠)

بين تصنيف التهانوى وتصنيف أرسطو

نجد من خلال استعراض خطة تقسيم التهانوى للعلوم أنه انطلقه من مفهوم عربى إسلامى ، حيث يبدأ تصنيفه بالعلوم العربية و الإسلامية ، ولكنه اتبع التقسيم الأرسطى الأولى لعلوم الحكمة إلى : علوم حكمة عملية ، وعلوم حكمة نظرية . ثم تناول كلا منهما بالتقسيم إلى ثلاثة علوم أصلية ، و لكن عرضه للعلوم جاء من مفهوم

إسلامى عربى ، كما أن تقسيمه للعلوم الأصلية للحكمة النظرية قد اختلف عما وجد عند أرسطو من زيادة فى أعداد الفروع لم توجد عنده .

المنهج المتبع فى تقسيم العلوم عند التهانوى

يسير التهانوى فى عرض علومه متدرجا من العلم العام إلى العلم الجزئى مستخدما بذلك المنهج الاستنباطى الذى ينتقل من الكل إلى الجزء ، و قد اتضح هذا المنهج فى التقسيم السابع للعلوم (العلوم الجزئية و غير الجزئية) ، و هو التقسيم الذى سار عليه ، حيث يرى أن العلم الجزئى هو أخص من موضع علم آخر وهو العلم العام الذى يندرج تحته ، و الذى يسمى بالعلم الأقدم ، أى أن العلم العام أقدم للعقل من العلم الخاص ، حيث إن إدراك الأعم يسبق إدراك الأخص .

مستوى المعالجة فى تصنيف التهانوى

ورد تصنيف التهانوى فى مقدمة كتابه ” كشاف اصطلاحات الفنون ” ، حيث قسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، ثم فرع من كل منها عددا من العلوم أطلق عليها الأصول ، و بعضها الفروع . و يعرض الجدول التالى أعداد العلوم المفرعة على كل صف :

تصنيف التهاتوي	الصف الاول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	إجمالي
من كتاب 'كشاف' اصطلاحات الفنون	العلوم العربية العلوم الشرعية العلوم الحقيقية	٩ ٨ المنطق الحكمة العملية الحكمة النظرية	٥ ٩ ٣ العلم الإلهي العلم الرياضي العلم الطبيعي	٥ علم العدد علم الهندسة علم الهيئة علم الموسيقى ١٢	٢ ٢ ١٠ ٥	
الإجمالي	٣=٣	٢٠	٢٠	٢١	١٩	٨٠=

جدول (١٥) يوضح توزيع تفرعات العلوم على الصفوف

من استقراء الجدوال السابق يتضح أن عدد العلوم المفرعة تصل إلى ثمانين علما موزعة على الصفوف المختلفة ، فيصل عددها على الصف الثاني إلى عشرين علما ، و على الصف الثالث إلى عشرين علما ، و على الصف الرابع إلى واحد وعشرين علما ، و على الصف الخامس إلى تسعة عشر علما . و يطلق على هذه العلوم أحيانا الأصول ، و مرة الفروع ، و أحيانا يعطى لها أى تسمية ، أو يطلق عليها أنواعا ، كما فى العلوم الشرعية ، و فى العلوم العربية يذكر أن منها أصولا ومنها فروعا ، فيطلق الأصول على علوم الصرف و علم المعانى و علم البيان و علم القافية ، و من الفروع علم الخط و علم التواريخ ، وغيرها . و فى العلم الإلهي يعدد له خمسة أصول تقف على الصف الرابع ، و فرعين يقفان على الصف الخامس ، ثم العلم الرياضي الذي يذكر من أصوله أربعة ، و هى : علم العدد والهندسة والهيئة والموسيقى ، ثم يفرع من كل منها عددا من الفروع تقف على الصف الخامس

ويلاحظ امتداد تفريعات العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس ، بينما تقف تفريعات العلوم العربية الشرعية إلى الصف الثانى ، و يرجع ذلك إلى عدم اهتمامه بتوضيح أصول العلوم الشرعية و العربية وفروعها ، بالإضافة إلى النمو السريع للعلوم الحقيقية ، و هذا ما نجده فى تصانيف العصر الحديث ؛ حيث يلاحظ التفرع الدائم نتيجة للنمو المستمر للعلوم البحتة و التطبيقية ، التى يقابلها عند التهانوى العلوم الحقيقية .

الاتساق والتماسك

يلاحظ الاضطراب فى تصنيف التهانوى مما أدى إلى عدم وجود الاتساق أو التماسك فى خطته ، فنجد يقفز من علم إلى علم آخر ليعرض فروع ، ثم يعود إلى العلم الأول ليعرض تفريعاته ، كما حدث بالنسبة للعلم الرياضى و العلم الطبيعى ، حيث عرض للعلم الرياضى ثم الطبيعى و أعطى تفريعات العلم الطبيعى ، ثم استعرض تفريعات العلم الرياضى ، ثم عاد و استكمل بعدهما بقية فروع العلم الطبيعى. كما نراه يعرض لعلوم الحكمة و يعددها بثلاثة ، و هى : الحكمة العملية والحكمة النظرية و الحكمة الطبيعية ، ثم يعود فيذكر الحكمة الطبيعية كفرع من فروع الحكمة النظرية ، و هنا نلاحظ عدم الاتساق ، فنراه يذكرها من فروع الحكمة النظرية . و كذلك عرضه للعلم فى مكانين مختلفين ، و هذا نوع من التكرار ، و هو مانجده فى علم السلوك الذى يشير إلى تسميته أيضا بعلم الأخلاق ضمن فروع العلوم الشرعية ، ثم يعود فيذكره مرة أخرى ضمن فروع الحكمة العملية . كذلك يعيد ذكر علمى الطب و النجوم فى فروع العلم الطبيعى ، ثم يعود فيذكرهما مرة أخرى بعد عرض فروع العلم الرياضى ، و بعد عرض فروع العلم الطبيعى يذكر علم السماء و العالم على أنه من أصول العلم الطبيعى ، و هو بذلك يذكر الأصل بعد الفرع ، و هذا لا يدل على أى تماسك فى خطته التصنيفية . كما نلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم لديه ؛ فبينما تصل فروع العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس تقف فروع العلوم العربية و الشرعية إلى الصف الثانى . كما لا نجد توازنا فى أقسام العلوم الحقيقية و

لا فى فروع أقسامها ، فبينما تصل فروع الحكمة النظرية إلى ثلاثة و أربعين علما ، يصل عدد الفروع من الحكمة العملية إلى ثلاثة فروع فقط على الصف الثالث .

هذا و يعد تصنيف التهانوى من التصانيف التى ظهرت فى عصر اضمحلال الحضارة الإسلامية ، و الانتقال إلى عصر النهضة الأوروبية لينتقل مشعل الحضارة و التقدم من العالم الإسلامى فى الشرق إلى الحضارة الأوروبية فى الغرب ، التى تأثرت فيما أبدعته من علوم ، و من ضمنها علم التصنيف ، بالعلوم العربية و ما أبدعه العقل العربى ، و هذا موضوع دراسة الفصل التاسع من هذا البحث .

هوامش الفصل السابع

- ١- شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاشكبرى زادة ، دراسة بيوجرافية بيبيولوجرافية بيبيومترية وكشافات . - مج ١ : الدراسة و التصنيف . - القاهرة . - دار العربى ، ١٩٩٣م .
- ص ص ١٩-٢٨ .
- ٢- نفس المرجع السابق . - ص ص ١٩-٢٨ .
- ٣- نفس المرجع السابق . - ص ص ٣٣-٣٤ .
- ٤- محمد عبد اللطيف هريدى . الأدب التركى الإسلامى . - الرياض . - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ . - ص ص ٧٤-٧٩ . (سلسلة أدب الشعوب : ١)
- ٥- طاشكبرى زادة : عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ، الشهير بطاشكبرى زادة . و قد اتخذ شهرته نسبة إلى قرية (طاش كبرى) القريبة من قسطنطينى فى الأناضول بآسيا الصغرى . وكلمة (زادة) هى كلمة النسبة التركية ، بمعنى ابن أو من . و قد ولد طاشكبرى زادة فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩١٠ هجرية الموافق ١٤٩٥ ميلادية فى عهد يزيد الثانى . و قد بدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن الكريم ، و لما ختم القرآن انتقلت الأسرة كلها إلى مدينة (بروسه) . كما تولى القضاء ما لا يقل عن العامين فى مدينة بروسه عام ٩٥٢ هجرية ، ثم عاد إلى التدريس مرة أخرى ، و النسخ بإحدى المدارس الثمانى . و فى عام ٩٥٨ هجرية عين فى وظيفة القضاء بمدينة القسطنطينية . و استمر عمله قاضيا إلى أن أصيب بالرمم ، و كف بصره عام ٩٦١ هجرية ، فتفرغ ما بقى من حياته لإملاء بعض مؤلفاته إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام ٩٦٨ هـ - ١٥٦١م ، و قد ترك عددا كبيرا من المؤلفات تربو على الثلاثين فى التفسير و أصول الدين و أصول الفقه و علوم اللغة العربية : انظر - شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . - ص ص ٧٤-٧٩ . و قد أورد المرجع السابق ثبوتا بمؤلفات طاشكبرى زادة . - ص ص ١٣-١٤ .

٦- شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشري القياسي بالمكتبات المدرسية و العامة . - ص ٩٢ .

٧- طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة . - ج ١ ص ٧٣ .

٨- شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - ج ١ ص ٣٥ .

٩- طاشكبرى زادة . - ج ١ ص ٣١١ .

١٠- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣١٢ .

١١- ابن الأكفاني . مصدر سابق . - ص ١٦٩ .

١٢- انظر كل من : ابن الأكفاني . مصدر سابق . - ص ص ١٥٢-١٥٣ . و

طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ٢ ص ٥ .

١٣- شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشري القياسي للمكتبات . - ص ٩٣ .

١٤- نفس المرجع السابق . - ص ٩٣ .

١٥- نفس المرجع السابق . - ص ٩٣ .

١٦- طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ١ ص ٧٤ .

١٧- طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ١ ص ١٣٠ .

١٨- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٩٣ .

١٩- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٩٤ .

٢٠- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٤٠١ .

٢١- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٤٤٢ .

٢٢- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٥٧٣ .

٢٣- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٢٩٦ .

٢٤- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٩٣ .

٢٥- شعبان خليفة . التصنيف العشري القياسي للمكتبات . - ص ص ٧٧-٧٨ .

٢٦- طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ١ ص ٩٣ .

٢٧- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٥٥ .

٢٨- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٧٧ .

٢٩- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٣٢ .

- ٣٠- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٥٩١ .
- ٣١- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٥٩٧ .
- ٣٢- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٥٩ .
- ٣٣- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٨١ .
- ٣٤- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٢٩٥ .
- ٣٥- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ١٣١ .
- ٣٦- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٥٤ .
- ٣٧- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٩٨ ، ج ٢ ص ٥ .
- ٣٨- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٥٩١ .
- ٣٩- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٥٥ .
- ٤٠- نفس المصدر السابق . - ج ٢ ص ٣٧٠ .
- ٤١- حاجي خليفة ، مصدر سابق . - ج ١ ع ١٨، ١٤ .
- ٤٢- شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - ص ٣١ .
- ٤٣- نفس المرجع السابق . - ص ص ٣٧-٣٩ .
- ٤٤- ابن الأكفاني . مصدر سابق . - ص ص ٩٧-١٠٥ .
- ٤٥- نفس المصدر السابق . - ص ١٠٦ .
- ٤٦- الفارابي . إحصاء العلوم . - ص ص ٤٣-٤٤ .
- ٤٧- طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ١ ص ٣١٨ .
- ٤٨- شعبان خبيفة و وليد العوزة . الفهرست لابن النديم . - ج ١ ص ١٥٧ .
- ٤٩- طاشكبرى زادة . مصدر سابق . - ج ١ ص ٣٢٤ .
- ٥٠- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ١٣٠ .
- ٥١- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٣٢ .
- ٥٢- السيوطي . الإتقان في علوم القرآن . - بيروت . - عالم الكتب ، د . ت . - ج ١ ص ١٢٣ .
- ٥٣- السيوطي . إتمام الدراية لقراء النقاية . - ص ص ٢٢-٥٣ .
- ٥٤- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ١٨ .

٥٥- الغزالي - إحياء علوم الدين . - القاهرة . - المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت .
- ج ١ ص ٥٨-٥٩ .

٥٦- حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ١٧ .

٥٧- حسن صديق خان . أبجد العلوم . - الهند ، ١٢٩٦هـ .

٥٨- عبد الوهاب أبو النور و كامل كامل بكرى . مقدمة كتاب مفتاح السعادة ومصباح
السيادة . - ج ١ ص ٦٦ .

٥٩- قام عديد من الباحثين بمعالجة كشف الظنون على اعتباره عملاً تصنيفياً ، و منهم
الدكتور أحمد عبد الحليم عطية الذى رأى أن العمل ينتمى إلى نوع التصنيفات القيمية
التي ترتب العلوم حسب شرف العلم معتمداً على ما يذكره حاجي خليفة فى الفصل
الرابع : (فى تقسيم العلوم بتقسيمات معتبرة و بيان أقسامها إجمالاً) . و الحقيقة أن
حاجي خليفة يستعرض فى هذا الفصل طرق تقسيم العلوم عند عدد من المصنفين ، و
منهم العلامة الحفيد ، و ما ذكره الشروانى فى الفوائد الخاقانية ، و طريقة طاشكبرى
زادة فى تقسيم العلوم ، و فى الباب الخامس يتحدث عن مراتب العلم و شرفه ، و
يقسمه إلى عدد من (الإعلام) ، و فى الإعلام الرابع الذى يعتمد عليه الدكتور أحمد
عبد الحليم عطية يلخص تقريباً ما يتبع فى ترتيب العلوم حسب الشرف ، و لكنه لا
يقدم أية خطة تصنيفية لتصوير تقسيم العلوم ؛ أى يستعرض نموذجاً لترتيب
المعرفة كما فعل التهانوى فى مقدمة كتابه " كشف اصطلاحات الفنون " ، و مما
يؤكد ذلك أن ترتيب المفردات فى متابه جاء ترتيباً ألفبائياً واحداً ؛ أى فى نسق هجائى
أدمج فيه العناوين و رموس الموضوعات لا وفقاً لخطة تصنيفية تسير حسب شرف
العلم ، بدليل أن أول العلوم التى يذكرها فى كتابه : علم الأبعاد و الأجرام ، و بعده
علم الآثار ، و هذا بعيد تماماً عما يقدمه من شرف العلم الذى يذكره فى الإعلام
الرابع ، حيث يقول : " الوسيلة مقدمة على المقصد ، و المباحث اللفظية مقدمة على
المباحث المعنوية " : من حاجي خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢٣ . فهو كما
عرضنا لا يبدأ بالمباحث اللفظية و لا يبدأ بالوسائل ؛ لأن علم الأبعاد و الأجرام لا
يعد علماً آلياً ، أو من العلوم الوسائل ، و إنما من المقاصد ، و من هنا لا نستطيع أن
نقول إن عما حاجي خليفة عمل تصنيفي ، أو أنه قدم تصوراً لترتيب العلوم حسب

الشرف و سار عليه فى ترتيب مادة كتابه كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد عبد الحليم . و قد حصر محمد حسنى كاظم خفاجى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون ضمن القائمة التى أعدها بالأعمال التصنيفية ، و التى نشرها فى مقالته ن كما عالج الكتاب على أنه واحد من التصنيفات البيبليوجرافية فى مقالة : " تصنيف العلوم عند العرب " ، حيث اعتبر الطريقة المعجمية التى اتبعها حاجى خليفة فى ترتيب مفردات كتابه نوعا من أنواع التصنيف ارتأها حاجى خليفة تخلصا من الطريقة التصنيفية التى اتبعها غيره من المصنفين ليسهل على القارئ معرفة مكان العلم فى سلسلة الهيكل التصنيفى : من مقالة " تصنيف العلوم عند العرب " . - ص ٥٢ .

- ٦٠- حاجى خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٦٣٥-٦٧٦ .
- ٦١- الشروانى : هو المولى محمد أمين بن صدر الدين الشروانى . توفى سنة ١٠٣٦ هجرية . و قد عاش فى خدمة السلطان أحمد العثمانى ، و قد دفعه ولاؤه لهذا السلطان إلى تأليف كتابه هذا و إهدائه إليه .
- ٦٢- الشروانى . مصدر سابق . - ص ١٦ .
- ٦٣- محمد بن عمر الجركسى القارمى البلسى . مصدر سابق . - ص ص ٢٤-٢٧ .
- ٦٤- الشروانى . مصدر سابق . - ص ١٢٥ .
- ٦٥- شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . - ج ١ ص ٣١ .
- ٦٦- الشروانى . مصدر سابق . - ص ١٦٤ .
- ٦٧- نفس المصدر السابق . - ص ١٣١ .
- ٦٨- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٣٨٩ .
- ٦٩- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ٤٠٨ .
- ٧٠- الشروانى . مصدر سابق . - ص ٨٩ .
- ٧١- حاجى خليفة . مصدر سابق . - ج ١ ع ٢١ .
- ٧٢- التهانوى . مصدر سابق . - ج ١ ص ص ٦-٥ .
- ٧٣- التهانوى : هو محمد أعلى بن شيخ على بن قاضى محمد حامد بن مولانا ألقى العلماء محمد صابر القاروقى السننى الحنفى التهانوى نسبة الى تهانة موطنه فى الهند ، أما القاروقى نسبة الى القاروق عمر ابن الخطاب ، وإليه رضى الله عنه تنسب دويلة

الفاروقين في خنديش ، وقد استقلت عن دلهى عقب وفاة فيرور تغلق في أواخر القرن الثامن الهجري وعمرت إلى أوئل القرن الحادى عشر . وبعد التهانوى من أهل القرن الثانى عشر الهجرى فى عصر قربت فيه إمبراطورية المغول من الأفول . وقد نشأ التهانوى فى بيت علم ، فقد تتلمذ على يد والده فى العلوم العربية و الشرعية ، أما العلوم العقلية و الطبيعية فقد طالع مختصراتها الموجودة عنده واقتبس منها - على حد قوله - المصطلحات فى أثناء مطالعته لها : انظر المصدر السابق . - ج ١ .

٧٤- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص و .

٧٥- عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . - ص ٩٦ .

٧٦- أحمد عبد الحليم عطية . دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب . - ص ١٤٣ .

٧٧- التهانوى . مصدر سابق . - ج ١ ص ٤٤ .

٧٨- نفس المصدر السابق . - ج ١ ص ١٨ .

٧٩- ابن خلدون . مصدر سابق . - ص ٣٨٠ .

٨٠- التهانوى . مصدر سابق . - ج ١ ص ٥٦ .



General Organization of the Government of India
Shri B. K. Chaudhary

1000 ft. above sea level
at the base of the mountain
the water is very pure
and the air is very fresh
the water is very pure
and the air is very fresh